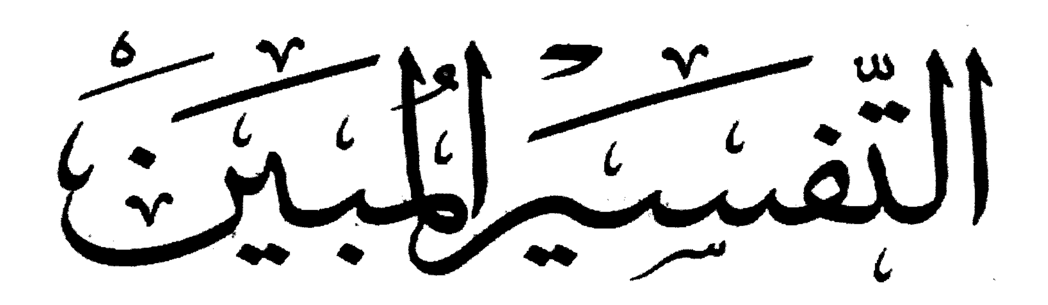


التفسير المبين

ألّفه وكتبه:

الفقير إلى عفو ربه

الدكتور/ عبد الرحمن بن حسن النفيسة

صاحب

مجلة البحوث الفقهية المعاصرة

المجلد الأول

ⓒ مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، ١٤٢٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

النفيسه ، عبد الرحمن بن حسن

التفسير المبين. / عبد الرحمن حسن النفيسه . - الرياض ، ١٤٢٩هـ

٦مج

ردمك : ٧-٠-٩٠٠٣٠-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٤-١-٩٠٠٣٠-٦٠٣-٩٧٨ (ج١)

١- القرآن - التفسير الحديث أ. العنوان

ديوي ٢٢٧,٦ ١٤٢٩ /٣٦١٤

رقم الايداع : ٣٦١٤/ ١٤٢٩

ردمك : ٧-٠-٩٠٠٣٠-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٤-١-٩٠٠٣٠-٦٠٣-٩٧٨ (ج١)

يطلب هذا التفسير وكتب المؤلف من

الدار التدمرية للنشر والتوزيع بالرياض

هاتف : ٤٩٢٤٧٠٦

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم إن كتابك أعظم كتاب، وأجل وأشرف خطاب.

أنزلته على نبيك ورسولك محمد ﷺ رحمة للعالمين، وهدى للمؤمنين، ونذيراً للظالمين.

وما تفسيره إلا محاولة لتدبر آياته، ومعرفة أحكامه، والاستضاءة بضيائه.

أما في معناه فهو أعظم من أن يفسره مفسر، أو يؤوله مؤول، أو يتقول فيه متقول.

اللهم إن كاتب هذا التفسير يبرأ إليك من كل كلمة فيها زلل، ويستغفرك من كل ما جرى به اللسان، أو كتبه القلم.

المؤلف

E-Mail: a.nafisa @hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على نبيه ورسوله الأمين المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحابته، ومن اقتفى أثرهم، واهتدى بهديهم إلى يوم الدين أما بعد:

* فمنذ أن كان لي شرف عظيم بحفظ كتاب الله في السنين العشر الأولى من العمر على يد والدي -رحمه الله- ثم في الحرم المكي على يد شيخي محمد عبد الرزاق حمزة -رحمه الله- كانت رغبة والدي في تلك السنوات تدفع إلى دراسة تفسير كتاب الله تلازماً مع حفظه؛ فكان أول ما عرفت من التفسير تفسير الجلالين للإمامين جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي.

** ومع تقدم العمر كانت هذه الرغبة تتفاعل في النفس رغم حواجز الحياة بما فيها من مشقة الاغتراب، ومن ثم السير في طريق الحياة ومسارها بما فيه من المجاهل، والأحمال، والأكدار.

وقد صحبت في هذا المسار العديد من كتب التفسير ومنها: -على وجه الخصوص- جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، والجامع لأحكام القرآن للإمام أبي عبد الله محمد الأنصاري القرطبي، وتفسير القرآن العظيم للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ثم كتبت هذا التفسير وسميته «**التفسير المبين**». وقد راعيت فيه بساطة التعبير، وذلك بالأخذ بظواهر الآيات دون محاولة الاستغراق في التأويل، أو الاستدلال بشواهد الشعر، أو التحليل الذي يعتسف المعاني البعيدة عن يسر القرآن، وسماحته.

* وقد استنبطت من تفسير الآيات ما سميته «أحكام ومسائل الآيات»، واستهديت في هذا الاستنباط بما يناسب هذه الأحكام من الآيات من كتاب الله، ومن سنة رسوله محمد ﷺ، ومما أبانه فقهاء السلف الأعلام من هذه الأحكام. **وما ذكرته في هذا التفسير عن** «بيان الآيات وأحكامها ومسائلها» **لا يعني بأي حال القول باستغراق كلياتها، وإنما هو مجرد اجتهاد محض. والقاعدة أن ذكر الشيء باسمه أو وصفه لا يعني مطلقاً استيعاب حقيقته.**

** إن كتاب الله العظيم معجزة كبرى، جاء بها رسول الهدى محمد ﷺ رحمةً للعالمين، ونظاماً أبدياً لسلوكهم، ونوراً لمسارهم، وبصيراً لهم في أولاهم وأخراهم. وتفسير هذا الكتاب أعظم من أن يدركه إدراك يقين علمُ عالم، أو تأويل مؤول، أو تفسير مفسر.

ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أتوجه إلى المولى القدير أن يجعل في جهد المقل ما يضيف أقل القليل إلى هذا العلم العظيم، وأن يتجاوز عن الزلل والخطيئات، ويعفو عن السيئات إنه جواد كريم، وبعباده رؤوف رحيم.

وكتب مسودته بخط يده الفقير إلى عفو ربه

الدكتور/ عبد الرحمن بن حسن النفيسة

صاحب مجلة البحوث الفقهية المعاصرة

وذلك صباح يوم الجمعة الموافق التاسع من

شهر ذي الحجة من عام ١٤٢٧هـ.

مقدمة التفسير

وفيها عشر مسائل:

المسألة الأولى: نزول القرآن.

حمداً لك اللهم على آلائك، وشكراً لك على فواضلك، وما أنعمت به من إنزال كتابك هدى ورحمة للعالمين، وبشرى للمتقين.. لقد عاش الإنسان سنوات من الجهل يَعْمَهُ في الطغيان، وينشر الفساد في الأرض بعد أن أفسد ما جاء في الكتب السابقة، فبدَّل ألفاظها وغيَّر أحكامها، وانحرف عن مقاصدها؛ فكان الهوى هو الحاكم له، والطغيان شريعته، فلم يجد الضعيف منه والياً يواليه، أو ناصراً ينصره. ولم يجد اليتيم من يؤويه، ولم تجد المرأة من ينتشلها من الظلم؛ فكانت توءد في صغرها، وتباع في كبرها، وتبتذل في إنسانيتها وكرامتها.

** ولما طفف الكيل، وعم الظلام، وانتشر الفساد في الأرض أوحى الله إلى نبيه ورسوله محمد ﷺ فأنزل عليه القرآن بآياته البينات؛ وفي هذا قال عليه الصلاة والسلام: (**ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة**)[1]. وقد تتابع الوحي

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي، وأول ما نزل، فتح الباري ج٨ ص٦١٩، برقم (٤٩٨) .

بنزول القرآن بعد أن أنزله الله جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ثم أنزله بعد ذلك مفرقاً حوالي عشرين سنة.

** وكان لهذا التنزيل على هذه الصفة حِكَمٌ عظيمة نشهدها في قوله عز وجل ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾[1]. وقوله ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[2]. وقوله عز ذكره ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾[3].

ومن هذه الحكم: تثبيت فؤاد رسول الله ﷺ وإشعاره أن ربه قريب منه وأنه يتعهده بتتابع نزول الوحي عليه؛ ذلك أن المشركين وأسلاف اليهود تنقصوا من نزول القرآن بهذه الصفة خلافاً - كما يقولون - للكتب السماوية كالتوراة، والإنجيل التي نزلت جملة واحدة. ومنها: أن نزوله بهذه الصفة يسهل عليه حفظه، وفهم أحكامه وأسراره، ولهذا علمه الله أن يستمع للوحي ولا يعجل بالقراءة ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾[4]. وقوله ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[5].

---

(١) سورة الفرقان من الآية ٣٢ .

(٢) سورة الفرقان الآية ٣٣ .

(٣) سورة الإسراء الآية ١٠٦ .

(٤) سورة القيامة الآية ١٦ .

(٥) سورة طه من الآية ١١٤ .

** ومن هذه الحكم: أن المشركين وأسلاف اليهود كانوا يقولون أقوالاً، ويضربون أمثالاً وشبهاً من الباطل؛ لتأييد زيغهم عن الحق، فكان القرآن ينزل لبيان فساد حججهم وأمثالهم، ناهيك أن رسول الله ﷺ وهو يبلغ الرسالة كان يلاقي من العنت وقوة المشركين وأعوانهم، وتسلط سفهاءهم عليه؛ فكان في نزول القرآن عليه عزاء وتسلية له حين يقص الله عليه ما جرى للرسل من قبله من العنت والتكذيب في قوله ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾[1]. وقوله تقدست أسماؤه ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾[2]. وقوله جل ثناؤه ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾[3].

** ومن الحكم في نزول القرآن مفرقاً: التدرج في التشريع إذ لم يكن من السهل على الذين آمنوا بالرسالة من العرب وغيرهم أن يستوعبوا حفظ القرآن جملة واحدة، ناهيك عن أن واقع بيئة العرب يقتضي تفريق الأحكام؛ لتيسيرها حتى يكون ذلك أدعى لقبولها. وخاصة أن هذه الأحكام كانت تحرم معظم عاداتهم وأحوالهم وتقاليدهم الجاهلية. ومن ذلك: ما حدث في مسألة الخمر فقد كان النهي عنها أولاً

---

(١) سورة هود الآية ١٢٠ .

(٢) سورة النحل الآية ١٢٧ .

(٣) سورة الأحقاف الآية ٣٥ .

حال الصلاة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾[١]. ثم تحول هذا النهي إلى التحريم القاطع ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[٢].

** ومن هذه الحكم: تقوية عزائم المؤمنين، وتثبيت قلوبهم تجاه المنافقين وإشعارهم أن الغلبة لأهل الإيمان، وأن العزة في الدنيا والآخرة ستكون لهم ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ ﴾ الآية[٣]. ومنها: تحقيق ما كان يخبر به رسول الله ﷺ أصحابه كما أخبرهم عن رؤياه في دخول مكة وطوافه بالبيت. ولما وقع صلح الحديبية وتساءل بعضهم في نفسه عن هذه الرؤيا قال لهم: (**إنكم ستدخلون مكة وتطوفون بالبيت**). وهذا ما حدث لهم في العام القابل بعد الصلح، فنزل قول الله تعالى ﴿لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَۖ فَعَلِمَ مَا لَمۡ تَعۡلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ

---

(١) سورة النساء الآية ٤٣ .
(٢) سورة المائدة الآية ٩٠ .
(٣) سورة النور الآية ٥٥ .

ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾[1].

** ومن حكم نزول القرآن مفرقاً: نزوله جواباً على ما يرد إلى رسول الله ﷺ من أسئلة قد يكون مظهرها حبّ المعرفة، وباطنها محاولة امتحانه بها، كما فعل أسلاف اليهود حين سألوه عن الروح، فأمسك عن جوابهم إلى أن نزل عليه قول الله تعالى ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[2]. فلما أخبرهم رسول الله ﷺ بذلك قالوا: من جاءك بهذا؟ قال: (**جاءني به جبريل من عند الله**)، فقالوا: ما قاله لك إلا عدونا، فأنزل الله عليه ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[3]. ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴾[4].

وقد يكون السؤال على سبيل الاستفهام لمعرفة الحكم، كما فعلت خولة بنت ثعلبة في شكواها لزوجها أوس بن الصامت حين ظاهر منها، فنزل قول الله تعالى ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾[5]. ﴿ ٱلَّذِينَ يُظَـٰهِرُونَ

---

(١) سورة الفتح الآية ٢٧ .

(٢) سورة الإسراء الآية ٨٥ .

(٣) سورة البقرة الآية ٩٧ .

(٤) سورة البقرة الآية ٩٨ .

(٥) سورة المجادلة الآية ١ .

مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴾[١]. ﴿ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[٢].

** ومن الحكم في نزول القرآن مفرقاً: تربية الأمة، وترقية أخلاقها، وحفظ سلوكها. ومن ذلك: التثبت في قبول خبر الفاسق حتى لا يكون ذلك سبباً في الحكم بغير الحق ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴾[٣]. ومن ذلك: اجتناب الظن، والتجسس، والغيبة، والسخرية، واللمز، ونحو ذلك مما يفرق الكلمة، ويوجد العداوة بين الأمة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾[٤]. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ ﴾ إلى قوله ﴿ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ﴾[٥].

---

(١) سورة المجادلة الآية ٢ .
(٢) سورة المجادلة الآية ٣ .
(٣) سورة الحجرات الآية ٦ .
(٤) سورة الحجرات الآية ١٢ .
(٥) سورة الحجرات الآية ١١ .

** ومن الحكم في نزول القرآن مفرقاً: كشف ما يظهر من أعداء الأمة، ومنهم: المنافقون الذين كانوا يعيشون بين ظهرانيها، ويظهرون المودة للرسول وللمؤمنين؛ وهم يبطنون الكفر ويوالون أعداءهم ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[1]. ﴿فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾[2]. ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾[3].

المسألة الثانية: أسباب النزول.

المراد بسبب النزول معرفة السبب في نزول آية، أو آيات من القرآن الكريم حول واقعة أو وقائع حدثت في زمن رسول الله ﷺ، وأراد الله بيان حكمها لرسوله وأمته كما كانت الآيات تكشف سلوك المنافقين في المدينة. أو يكون سبب نزول الآية أو الآيات جواباً لسؤال سُئِلَه رسول الله ﷺ إما على سبيل طلب الحكم كما في قصة خولة بنت ثعلبة[4]. كما ذكر آنفاً، وإما على سبيل الامتحان كما فعل اليهود في سؤالهم عن الروح، وسؤال المشركين في مكة عن ذي القرنين، وعن أصحاب الكهف بعد أن أشار عليهم اليهود أن يمتحنوه بهذا السؤال.

---

(١) سورة التوبة الآية ٧٥ .

(٢) سورة التوبة الآية ٧٦ .

(٣) سورة التوبة الآية ٧٧ .

(٤) قيل خويله امرأة أوس بن الصامت سمع الله شكواها من زوجها من فوق سبع سموات، أسد الغابة في معرفة الصحابة ج٥ ص٢٩٦-٢٩٧.

وقد أوغل كثير من المفسرين في الاهتمام بأسباب النزول مما قد يُوهم أن آيات القرآن ما نزلت إلا لأسباب معينة. والحق أن القرآن نزل في الأصل لهداية العالمين، وانتشالهم من الجهل والكفر والوثنية وتعريفهم أن الله هو الذي خلق الكون وخلقهم، وأنه: لا خالق إلا هو ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾(١). ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(٢). وتفرده عز وجل بالخلق يقتضي عبادته ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(٣). وهذه العبادة تقتضي اختصاصه وحده بها ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾(٤).

وكون القرآن هداية للعالمين يقتضي تعليمهم الأحكام التي ترشدهم إلى الهدى، وتبعدهم عن الضلال؛ ولهذا كانت بعض الآيات تنزل عندما يكون هناك سبب لنزولها، كما حدث في قصة خولة بنت ثعلبة، ونزول الحكم في الظهار الذي كان سائداً في الجاهلية، وفي صدر الإسلام.

---

(١) سورة الأنعام الآية ١ .

(٢) سورة الأعراف الآية ٥٤ .

(٣) سورة البقرة الآية ٢١ .

(٤) سورة البقرة الآية ١٦٣ .

** ولمعرفة أسباب النزول حكم وفوائد عدة، منها: ما ذكره الإمام السيوطي من معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم، ومن هذه الحكمة تنشرح صدور المؤمنين؛ بما هم فيه من الإيمان ويعلمون أن الذي شرعه الله إنما هو رحمة لعباده فيزدادون هدى على هدى، وإيماناً على إيمان. وقد تنشرح بهذه الحكمة قلوب الظلمة والطغاة؛ فينتهون عن ظلمهم وطغيانهم عندما يعرفون عاقبة الطغيان وأن هلاك قارون كان بسبب طغيانه على عباد الله وفرحه بالمال الذي آتاه الله فظن أن ذلك بسبب قوته.

** ومن هذه الفوائد الوقوف على المعنى، وإزالة الإشكال. وقد استشهد الإمام السيوطي بما ذكره الواحدي: أنه لا يمكن تفسير الآية دون الوقوف على قصتها، وبيان سبب نزولها[١]، وبما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية: بأن معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية؛ فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبَّب[٢].

ومن الأمثلة على فهم الآية ودفع الإشكال بمعرفة سبب النزول أن مروان بن الحكم أشكل عليه قول الله تعالى ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٣]. فقال: لئن كان كل امرئ فرح بما

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص١١٤، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي ج١ ص٢٩ .

(٢) مجموع الفتاوى ج١٣ ص١٨١ .

(٣) سورة آل عمران الآية ١٨٨ .

أوتي، وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذّباً لَنعذَّبنّ أجمعين، فبيّن له ابن عباس أن الآية نزلت في أهل الكتاب حين سألهم رسول الله ﷺ عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره وأروه أنهم أخبروه بما سألهم عنه وقد استحمدوا بذلك إليه[١].

** ومن هذه الأمثلة: أن عروة بن الزبير قال لخالته عائشة رضي الله عنها: أرأيت قول الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ﴾[٢]. فوالله ما على أحد جناح ألا يطوف بالصفا والمروة قالت: بئسما قلت يابن أختي إن هذه لو كانت كما أوّلتَها عليه كانت: «لا جناح عليه ألا يطوف بهما» ولكنها أنزلت في الأنصار كانوا قبل أن يسلموا يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها عند المشلَّل، فكان من أهلَّ يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة، فلما أسلموا سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك قالوا: يا رسول الله إنا كنا نتحرج أن نطوف بين الصفا والمروة، فأنزل الله ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ﴾ قالت عائشة: وقد سنّ رسول الله ﷺ الطواف بينهما فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما[٣].

** ومن الأمثلة: قول الله تعالى ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ﴾[٤].

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٢٦٨ .
(٢) سورة البقرة الآية ١٥٨ .
(٣) أسباب نزول القرآن للواحدي ص١٥٢ - ١٥٣ .
(٤) سورة البقرة من الآية ١١٥ .

فلو أخذ بمدلول اللفظ دون معرفة سببه لاقتضى ذلك عدم وجوب استقبال القبلة في السفر والحضر، وهذا منافٍ للإجماع لأن استقبال القبلة من شروط الصلاة. فإذا عرف سبب النزول تبين أن المراد من الآية التخفيف على المسافر، وفيمن صلى وهو مجتهد في استقبال القبلة ولكنه صلَّى إلى غيرها.

** ومن فوائد العلم بسبب النزول: العلم بما إذا كان الحكم يخصص بالسبب عند من يرى أن العبرة بخصوصه وليس بعموم اللفظ، والحق أن تكون العبرة بعموم لفظ الحكم لا بخصوص أسبابه. ويشهد لهذا آيات كثيرة نزلت في أسباب واتفق على شمولها لغير الأسباب التي نزلت فيها. ومن ذلك: آية اللعان، فقد نزلت في شأن هلال بن أمية وزوجته، ونزل حد القذف في حق من رمى عائشة بالإفك، ونزل حد السرقة في حق المخزومية، ومع ذلك فهذه الأحكام عامة فيما يشبهها. وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «والناس وإن تنازعوا في اللفظ العام الوارد على سبب هل يختص بسببه ؟ فلم يقل أحد: إن عمومات الكتاب والسنة تختص بالشخص المعين، وإنما غاية ما يقال: إنها تختص بنوع ذلك الشخص، فيعم ما يشبهه، ولا يكون العموم فيها بحسب اللفظ. والآية التي لها سبب معين إن كانت أمراً ونهياً فهي متناولة لذلك الشخص ولغيره ممن كان بمنزلته، وإن كانت خبراً بمدح أو ذم فهي متناولة لذلك الشخص ولمن كان بمنزلته»[١].

---

(١) مجموع الفتاوى ج١٣ ص٣٣٩ .

المسألة الثالثة: جمع القرآن وترتيبه.

لقد مرّ أن رسول الله ﷺ كان يستعجل في تلقيه الوحي بالكتاب حرصاً منه على حفظه واستظهاره، فعلَّمه الله ألا يستعجل في تلقيه من الملك؛ لأنه عز وجل تكفل أن يجمعه في صدره ويبينه له ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾[١]. ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾[٢]. ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾[٣]. ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾[٤]. وكان عليه الصلاة والسلام يقرأ على الناس ما حفظه، وكان صحابته رضوان الله عليهم يتسابقون في حفظ واستظهار ما يبلّغهم من الآيات. وفي تلك المرحلة من نزول القرآن كان هم الصحابة حفظه في صدورهم، وتلذذهم بترديد قراءته لفهمه، فحفظه جمع منهم في حياة رسول الله ﷺ منهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعبد الله بن مسعود، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله، وأبو هريرة، وعبد الله بن عباس، وحذيفة بن اليمان، وسالم مولاه، وعبد الله بن الزبير، وحفصة، وأم سلمة، وزيد بن ثابت، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وجمع آخر من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين[٥].

---

(١) سورة القيامة الآية ١٦ .

(٢) سورة القيامة الآية ١٧ .

(٣) سورة القيامة الآية ١٨ .

(٤) سورة القيامة الآية ١٩ .

(٥) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ج١ ص١١٩ وما بعدها .

أما بعد وفاته، فحفظه آلاف من المسلمين في المدينة وغيرها حيث كان الصحابة يعلِّمونه ويقرئونه لإخوانهم. وممن اشتهر منهم بتعليمه: عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وزيد بن ثابت، وعبدالله بن مسعود، وأبي بن كعب، وأبو موسى الأشعري[١].

** وإذا كان الاهتمام الأول يتمثل في حفظ القرآن في الصدور فإن تدوينه أيضاً كان محل الاهتمام من رسول الله ﷺ وصحابته رغم ضعف أدوات الكتابة، فكان عليه الصلاة والسلام يأمر كُتّاب الوحي بكتابة ما ينزل من القرآن؛ ومن هؤلاء الكتّاب: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وزيد بن ثابت، ومعاوية بن أبي سفيان، وأبي بن كعب وغيرهم[٢]. وكان هؤلاء يكتبون ما يؤمرون به في عسب النخل، وفي الحجارة، والرقاع، وقطع الجلود، والعظام. وفي هذا قال زيد بن ثابت: كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع. وكان رسول الله ﷺ يعلمهم بالمكان الذي يضعون فيه السورة، فإذا نزلت عليه سورة دعا بعض من يكتب، فقال: ضعوا هذه السورة في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا. ذكر ذلك ابن عباس[٣].

ومن هذا يتبين أن القرآن كتب في زمن رسول الله ﷺ في أدوات

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ج١ ص١١٩ - ٢٠٦ .
(٢) الإتقان ج١ ص٢٠٠ - ٢٠٦ .
(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند ج١ ص٥٧، ٦٩ .

الكتابة التي كانت متيسرة في ذلك الزمان، ولكنه لم يكن مدوَّناً في مصحف كحال المصحف الذي تم جمع القرآن فيه بعد وفاته عليه الصلاة والسلام.

** وبعد وفاة رسول الله ﷺ وتولي أبي بكر لأمور الأمة وقيادتها جدّت أمور كثيرة أهمها ما حدث من القتل لعدد من قراء الصحابة وحَفَظتهم أيام حروب الردة مع مسيلمة الكذاب حيث بلغ عددهم السبعين أو تجاوزه بكثير كما قيل(١)، وكان من أشهرهم: سالم مولى أبي حذيفة بن اليمان. فلما رأى الصحابة ما حدث صعب عليهم ذلك؛ خشية أن يذهب كثير من القرآن، فتنبَّه لذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وفي رواية زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: أرسل إلي أبو بكر الصديق مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر رضي الله عنه: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحرّ يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى إن استحرّ القتل بالقراء بالمواطن، فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن. قلت لعمر: كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال عمر: هذا والله خير، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ورأيت في ذلك الذي رأى عمر: قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نَتّهمك، وقد

---

(١) الإتقان ج١ ص١٦٦ .

كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتتبَّع القرآن فاجمعه. فوالله لو كلّفوني نقلَ جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن. قلت: كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال: هو والله خير. فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فتتبعت القرآن أجمعه من العسب، واللخاف، وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ حتى خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنهما[١].

لقد فعل زيد ما أمره به أبو بكر رضي الله عنهما من جمع القرآن مما كتب في عهد رسول الله ﷺ، وما كتبه هو من الوحي، وما أخذه من حفاظ الصحابة غير مكتف بذلك وحده بل كان يُشهِد شاهدين من الصحابة على أن هذا هو ما كتب من القرآن عند رسول الله ﷺ.

** ولم تبق حال المسلمين وبيئتهم كما كانت على عهد أبي بكر وعمر، فقد امتد الإسلام إلى بلاد بعيدة، وذهب عدد من الصحابة إلى هذه البلدان فاتحين ومعلّمين، ونشأ جيل من المسلمين لم يكن لهم

(١) الإتقان في علوم القرآن ج١ ص١٦٤ - ١٦٥ .

عهد برسول الله ﷺ ولا بأبي بكر، وعمر، ولا بالمدينة، وما فيها من الصحابة؛ فكان أهل بلد يقرؤون بقراءة هذا الصحابي وكان أهل بلد آخر يقرؤون بقراءة صحابي آخر، مما أدى إلى وجود تباين في القراءة. وقد شهد حذيفة بن اليمان رضي الله عنه هذا التباين حين كان مع الفاتحين لأذربيجان، وأرمينية. وذلك فيما رواه أنس بن مالك أن حذيفة قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرِكْ هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى. فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردّها إليك. فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف. وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف ردّ عثمان الصحف إلى حفصة، فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق[1].

(١) الإتقان ج١ ص١٦٩ - ١٧٠ .

وبهذا منع عثمان رضي الله عنه فتناً ومواقف ربما كانت تظهر وتستفحل لو بقي القرآن دون جمعه على الصفة التي فعلها عثمان رضي الله عنه. وقد دافع علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن هذا الجمع حين ردّ على الذين غلوا في عثمان بإحراق المصاحف قائلاً لهم: فوالله ما حرَّقها إلا على ملأ من أصحاب رسول الله ﷺ، وقال: لو كنت الوالي وقت عثمان لفعلت في المصاحف مثل الذي فعل عثمان[١].

المسألة الرابعة: تعظيم القرآن وحكم من طعن فيه.

القرآن كلام الله وتعظيمه تعظيم للذي أحكمه، ونزَّله، ورضيه هدى ورحمة لخلقه. والتعظيم يقتضي بالضرورة عدة أحكام وآداب، ومن هذه الأحكام:

الإقرار المطلق بأنه كلام الله تعالى المنزل على رسوله محمد ﷺ. ففي حديث تميم الداري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (**الدين النصيحة**) قلنا: لمن ؟ قال: (**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**)[٢]. وفي تفسير هذا الحديث قال الإمام النووي رحمه الله: «النصيحة لكتاب الله تعالى هي: الإيمان بأنه كلام الله تعالى وتنزيله، ولا يشبهه شيء من كلام الخلق، ولا يقدر على مثله الخلق بأسرهم، ثم

---

(١) الإتقان ج١ ص١٧٠ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، برقم (٥٥) .

تعظيمه وتلاوته حق تلاوته وتحسينها والخشوع عندها وإقامة حروفه في التلاوة، وذب تأويل المحرفين وتعرض الطاغين، والتصديق بما فيه والوقوف مع أحكامه، وتفهم علومه، وأمثاله، والاعتبار بمواعظه، والتفكر في عجائبه، والعمل بمحكمه، والتسليم لمتشابهه، والبحث عن عمومه، وخصوصه، وناسخه، ومنسوخه، ونشر علومه والدعاء إليه»[(١)].

** ومن هذه الأحكام وجوب التطهر عند قراءته، وعدم جواز قراءته من الحائض والجنب، مع جواز قراءتهما له في القلب دون تلفظ به. والأصل في ذلك قول الله تعالى ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾[(٢)]. وقول رسول الله ﷺ في كتابه إلى أهل اليمن **(لا يمس القرآن إلا طاهر)**[(٣)]. ومن هذه الأحكام: تحريم امتهانه كما يفعل السحرة برميه في الزبل، والأماكن المستقذرة تقرباً لشياطينهم من الجن.

** ومن تعظيمه: كراهة السفر به إلى بلاد العدو؛ لما رواه عبدالله ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ نهى أن يسافَر بالقرآن إلى أرض العدو، وفي رواية **(فإني لا آمن أن يناله العدو)**[(٤)]. والمراد

---

(١) التبيان في آداب حملة القرآن للنووي ص١٦٣ .

(٢) سورة الواقعة الآية ٧٩ .

(٣) أخرجه الدارمي في سننه ج٢ ص١٦١، وصححه الألباني في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ج١ ص١٥٨، برقم (١٢٢) .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب السفر بالمصاحف في أرض العدو، برقم (٢٢٩٠)، وأخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب النهي أن يسافر بالمصحف إلى أرض الكفار إذا خيف وقوعه بأيديهم، برقم (١٨٦٩).

الخشية من امتهانه من قبله، كما حدث في هذا الزمان من قيام بعض المتعصبين من أصحاب الديانات والعقائد بإهانته وإغاظة المسلمين بذلك.

** ومن تعظيم القرآن: عدم قراءة غيره من الكتب السماوية السابقة، لأنه بعد نزوله أصبح ناسخاً لها وأصبحت منسوخة به، وفي هذا: روى جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب أتى رسول الله ﷺ بنسخة من التوراة فقال: يا رسول الله هذه نسخة من التوراة. فسكت فجعل يقرأ ووجه رسول الله يتغير، فقال أبو بكر: ثكلتك الثواكل، ما ترى بوجه رسول الله؟ فنظر عمر إلى وجه رسول الله ﷺ فقال: أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله، رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبيّاً فقال رسول الله ﷺ: (**والذي نفس محمد بيده لو بدا لكم موسى فاتبعتموه وتركتموني لضللتم عن سواء السبيل ولو كان حيّاً وأدرك نبوتي لاتبعني**)[١].

قلت: ومن سنة الله وحكمته أن يكون لكتابه العزيز أعداء يحاربونه بالتكذيب، والدس، والزيف، وقول الباطل. وهذا من الفتن التي تمتحن بها الأمة؛ ليعلم الله من يتبع منها كتابه، ومن يجحده وينكره منها. ولكنه عز وجل صانه وحفظه في اللوح المحفوظ من

---

(١) سنن الدارمي ج١ ص١٢٦، برقم (٤٣٥).

شرور المفسدين، وكيد الكائدين، وكذب الكاذبين، فلم يقدر أحد على النيل منه. وكما تكلم فيه الملحدون في الماضي تكلموا فيه بالباطل في هذا الزمان؛ بسبب الحرب التي يتعرض لها الإسلام اليوم؛ فهذا ملحد يقول باستبعاد الآيات المكية؛ لكونها مناطة بزمن، وآخر يتهم القرآن بالنقص، وطائفة أو طوائف تتعاون مع الأعداء في تعديل القرآن وإلغاء بعض آياته وأحكامه؛ فكتبوا خرافات وأباطيل سموها «الفرقان» ونشروها، وأذاعوها، ويسروا لها كل السبل، ومع ذلك كان مصيرها الفشل والخسران، كما كان مصير ما سبقها من الكذب والأباطيل.

وحكم من يطعن في القرآن أو يستخفّ أو يستهزئ به، أو يجحد أو ينكر آية أو حرفاً من حروفه، أو يزيد فيه على سبيل الجد أو المزاح يُعدّ كافراً. والأصل فيه: قول الله تعالى في المنافقين ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾[1]. ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾[2]. وقد أجمعت الأمة في سلفها، وخلفها على هذا الحكم. وفي هذا قال الإمام أبو الفضل القاضي عياض رحمه الله: «اعلم أن من استخف بالقرآن أو بالمصحف أو بشيء منه، أو سبّهما، أو جحد حرفاً منه، أو كذّب بشيء مما صرح به فيه من حكم، أو خبر، أو أثبت ما نفاه، أو نفى

(١) سورة التوبة الآية ٦٥.

(٢) سورة التوبة من الآية ٦٦.

ما أثبته، وهو عالم بذلك، أو شكّ في شيء من ذلك فهو كافر بإجماع المسلمين. وكذلك إذا جحد التوراة والإنجيل أو كتب الله تعالى المنزلة أو كفر بها أو سبَّها أو استخفّ بها فهو كافر. ثم قال: وقد أجمع المسلمون على أن القرآن المتلو في جميع الأقطار المكتوب في المصحف الذي بأيدي المسلمين مما جمعه الدفتان من أول: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ إلى آخر ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ كلام الله ووحيه المنزل على نبيه محمد ﷺ، وأن جميع مافيه حق، وأن من نقص منه حرفاً قاصداً لذلك أو بدله بحرف آخر مكانه أو زاد فيه حرفاً مما لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع عليه الإجماع والجماعة وأُجْمِعَ عليه أنه ليس بقرآن عامداً لكل هذا: فهو كافر»[1].

المسألة الخامسة: إعجاز القرآن الكريم

لقد أعطى الله كل نبي معجزة خاصة به تناسب حال قومه في بيئتهم، فأعطى موسى العصا تلقف السحر الذي كان سائداً في مصر زمن فرعون. وأعطى صالحاً معجزة الناقة بما يناسب ما كان عليه قومه من الرخاء. وأعطى عيسى إبراء المرضى بما يناسب ما كان سائداً في زمانه من علم الطب؛ أما رسول الله ﷺ فقد أعطاه معجزة القرآن ببلاغته، وعظمة أحكامه، وقوة بيانه تحدياً لما كان سائداً في بيئة قومه

(١) التبيان في آداب حملة القرآن للنووي ص١٦٤ - ١٦٥ .

من البلاغة وصناعة البيان، فتحداهم وهو يعرف عجزهم أن يأتوا بمثله لما كذبوا على رسوله أنه تقوَّله ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ﴾(١). ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾(٢). فلما عجزوا وكذبوا على رسوله أنه افتراه تحداهم بقوله ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾(٣). ولما عجزوا تحداهم أن يأتوا بسورة مثله ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾(٤). ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾(٥).

وإذا كانت معجزات الأنبياء قد انتهت بانتهاء أزمانهم، فإن معجزة القرآن باقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؛ لأنه الكتاب الذي أودع الله فيه للإنسان معرفة الكون، ومعرفة الإيمان، ومعرفة المآل. كما أودع فيه كل معارف الحياة، وأحكامها، وشرعها. أما معرفة الكون: فبيّن أنه جل ثناؤه هو الذي خلق السموات، والأرض، والشمس، والقمر، والأفلاك على غير مثال سابق ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

---

(١) سورة الطور الآية ٣٣ .
(٢) سورة الطور الآية ٣٤ .
(٣) سورة هود الآية ١٣ .
(٤) سورة البقرة الآية ٢٣ .
(٥) سورة البقرة الآية ٢٤ .

وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[١]. ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾[٢]. ثم بيّن تقدست أسماؤه وصفاته أنه خالق كل شيء في الكون فقال: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾[٣]. ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾[٤].

** ولما بيَّن عز وجل حقيقة الكون، وأنه هو الذي خلقه وكوَّنه، خاطب الإنسان وبيَّن له أنه خلقه من التراب، ثم سوّاه، وصوّره، وركّبه في أحسن تركيب، وقوّمه في أحسن تقويم فقال: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾[٥]. وقال: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴾[٦]. ﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾[٧]. ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾[٨]. وفي هذا السياق الذي مهَّد الله فيه للإنسان وبسط له مشاهد المعرفة الحسية الماثلة في الكون وفي نفسه بأسلوب بياني تعجز عن وصفه المدارك والأفهام؛ بيَّن له ما يجب

(١) سورة الأعراف الآية ٥٤ .
(٢) سورة الأنبياء الآية ٣٣ .
(٣) سورة الفرقان الآية ٢ .
(٤) سورة الأنعام الآية ١٠٢ .
(٥) سورة فاطر الآية ١١ .
(٦) سورة الرحمن الآية ١٤ .
(٧) سورة التغابن الآية ٣ .
(٨) سورة التين الآية ٤ .

عليه من الإيمان بالحقائق الكونية في كل مظاهرها وموصوفاتها ومستوراتها فقال: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ ﴾(١). وقال: ﴿ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾(٢). ﴿ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُۗ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَسۡلَمَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾(٣). ﴿ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾(٤). ﴿ مَّن يُصۡرَفۡ عَنۡهُ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمَهُۥۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ﴾(٥). ﴿ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾(٦). ﴿ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾(٧). وفي هذه الآيات وغيرها من الآيات الدالة على وحدانية الله، ووجوب الإيمان المطلق بهذه الوحدانية، نزَّه الله هذه الأمة من أن تكون على الحال التي كانت عليها الأمم السابقة من عبادة الأوثان، والأصنام، ونسبة الولد إليه، وإشراك المخلوقين معه في

(١) سورة الحشر من الآية ٢٢ .
(٢) سورة الأنعام الآية ١٣ .
(٣) سورة الأنعام الآية ١٤ .
(٤) سورة الأنعام الآية ١٥ .
(٥) سورة الأنعام الآية ١٦ .
(٦) سورة الأنعام الآية ١٧ .
(٧) سورة الأنعام الآية ١٨ .

ألوهيته كحال أهل الكتاب في إخباره عنهم بقوله عز ذكره: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾(١). وقوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾(٢).

وبهذا التوجيه امتازت هذه الأمة بدينها على الأديان والعقائد الأخرى، فليس في الأرض اليوم دين صحيح غير دين الإسلام يمكن للإنسان أن يلجأ إليه بعد أن يقف على حقيقته؛ وهذا ما يفسر تحوله إليه فيما هو اليوم محسوس ومشهود. وهذا ما يفسر أيضاً خشية المجامع الباطنية من هذا التحول مما دفعها إلى محاربته تحت شعارات وأوصاف ووسائل شتى. إن الإنسان الذي تصادم مع نفسه، وتصادم مع بعضه، ولا يزال على هذه الحال لن يتخلص من هذا

---

(١) سورة آل عمران الآية ٦٤ .

(٢) سورة النساء الآية ١٧١ .

التصادم إلا بعد أن يعرف حقيقة الإيمان التي عرَّفه الله بها في كتابه في قوله ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[١]. وقوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[٢].

** وكما أودع الله في كتابه معرفة الكون ومعرفة الإيمان أودع فيه حقيقة مآل الكون، ومآل الإنسان حين ينتهي الأمد المحدد له فيتغير الكون ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾[٣]. ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾[٤]. ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ﴾[٥]. ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾[٦]. ويتحول الإنسان عندئذٍ إلى مكان وزمان آخرين يجد فيهما نتيجة عمله في المدة التي حددت له في الدنيا، وتبينت له فيها عقيدة الحق من عقيدة الباطل.

** ومن معجزات القرآن: بيان هذه العقيدة حتى يكون هذا البيان حجة على من يعترض على مآله في ذلك اليوم الكوني الآخر ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[٧]. ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ

---

(١) سورة النحل الآية ٦٤ .
(٢) سورة يونس الآية ٥٧ .
(٣) سورة الانشقاق الآية ١ .
(٤) سورة الانشقاق الآية ٢ .
(٥) سورة الانشقاق الآية ٣ .
(٦) سورة الانشقاق الآية ٤ .
(٧) سورة المؤمنون الآية ١١٥ .

ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾[(١)]. ﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾[(٢)]. وبهذا البيان يعرف الإنسان حقيقة مآله وأنه لا مفر له من هذا المآل. وبذلك يتكون عنده الإيمان بأن الحياة الآخرة مبنية على الحق والعدل، ونفي الظلم والجور، وأن الأقوياء يتساوون فيها مع الضعفاء، وأن الأغنياء يتساوون فيها مع الفقراء. وأن البشر لا يتفاضلون إلا بقدر تفاضلهم في صفة الخيرية التي ترتقي بصاحبها أو أصحابها إلى الإيمان المطلق أو الدرجة الكبرى من التقوى.

** وكما أودع الله في كتابه معجزات المعرفة للكون والإيمان والمآل الذي يتحول إليه الكون ويتحول إليه الإنسان، أودع الله فيه معجزات الحياة بكل أحكامها، وشرائعها. ومن هذه المعجزات: حماية الأخلاق؛ فما كانت الأمم السابقة لتنهار إلا بعد أن انحطت في أخلاقها، وفسدت فطرتها، وتركت ما شرعه الله لها من الأحكام، وكانت قرية (سدوم)[(٣)] أسوأ مثل لهذا الانحطاط، فجعلها الله مثلاً للذين يتعدون حدوده حين

---

(١) سورة الأنبياء الآية ٤٧ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٢٣ .

(٣) قرية قوم لوط تسمى سدوم وتقع في منطقة البحر الميت أو الغور في الأردن بين الأردن وفلسطين .

قلب عاليها سافلها، وجعل لكل واحد من أهلها نصيبه من العذاب.

وما عانته البشرية من الكوارث والهلاك، وما تعانيه في هذا الزمان إنما هو بسبب فساد الأخلاق في طوائف منها. وقد تمثل هذا الفساد في عدم حماية المرأة، وعدم حماية الأطفال من الانحراف إلى جانب تفكك الأسرة وضياعها والانسياق وراء الشهوات المادية واستخدام المال في هذه الشهوات، بينما يعاني ملايين البشر من الفقر، والجهل، والضياع، مما انعكس على سلوك الإنسان وما أدى إليه هذا الانعكاس من العنف والقتل، والانتقام والتدمير وانتشار الجريمة بكل أنواعها ووسائلها.

** ومعجزة القرآن في إصلاح أخلاق الإنسان أعظم من أن يُدَلّ عليها في هذه المقدمة، وقد أوجزها الله في آية واحدة هي قوله تعالى لنبيه ورسوله محمد ﷺ ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[١]. وكان القرآن خلقه عليه الصلاة والسلام كما روت ذلك أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها[٢]. ففي القرآن حرم الله الربا في قوله عز ذكره: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[٣]. ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ الآية[٤]. وفي القرآن: حرم الله الفواحش في

(١) سورة القلم الآية ٤ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب جامع صلاة الليل، ومن نام عنه أو مرض، برقم (٧٤٦)، صحيح مسلم بشرح النووي ج٣ ص٢٢١٦ .

(٣) سورة البقرة الآية ٢٧٨ .

(٤) سورة البقرة الآية ٢٧٩ .

كل صورها، وحرَّم الطغيان في كل أساليبه ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ﴾[١]. وحرم الزنا؛ لشناعته، وسوء نتائجه في قوله جل ثناؤه ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾[٢]. وفي القرآن: حرَّم الله الكذب والخداع ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾[٣]. ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٤]. وكما جعل الله نبيه ورسوله على خلق عظيم؛ فقد بعثه ليتمم مكارم الأخلاق كما قال عليه الصلاة والسلام: (**بعثت لأتمم حسن الأخلاق**)[٥].

** وإلى جانب حماية الأخلاق جاء القرآن بمعجزات كثيرة، منها: إصلاح المال بوصفه محل الحركة والتداول بين البشر في معاشهم، فحرم الربا وتوعده بالمحق؛ لما فيه من استغلال أصحابه للضعفاء ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟﴾[٦]. وحرَّم الإسراف في كل صوره ﴿وَكُلُوا۟

---

(١) سورة الأعراف الآية ٣٣ .

(٢) سورة الإسراء الآية ٣٢ .

(٣) سورة النحل الآية ١١٦ .

(٤) سورة النحل الآية ١١٧ .

(٥) أخرجه الإمام مالك في الموطأ، باب ما جاء في حسن الخلق، موطأ الإمام مالك رواية يحيى بن يحيى الليثي ص٦٥١، برقم (١٦٣٤)، وقد كان ﷺ يأمر بمكارم الأخلاق، كما شهد بذلك أبو ذر رضي الله عنه في قصة إسلامه، فتح الباري ج١٠ ص٤٧٠ .

(٦) سورة البقرة الآية ٢٧٦ .

وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾[١]. وحرَّم التباهي بالمال كما فعل قارون، فعاقبه بالخسف ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴾[٢].

** ومن معجزات القرآن: تقرير قواعد الحكم. ومن هذه القواعد وفي مقدمتها: إقامة العدل بين المحكومين في قوله جل ثناؤه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾[٣]. وإقامة العدل تقتضي تحريم التفاوت بينهم ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾[٤]. ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾[٥].

ومن قواعد الحكم: تحريم الربا، والرّشى، والخيانة، وقول الزور، والكذب، والاستغلال، وإساءة الأمانة، وبخس الحقوق، والظلم، وانتهاك الحرمات، والتفريق بين الإنسان؛ بسبب لونه، أو جنسه، أو نسبه، ونحو ذلك من الأسباب التي تحط من كرامته وآدميته ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[٦]. وإلى جانب هذا التحريم: فرض الله

---

(١) سورة الأعراف الآية ٣١ .
(٢) سورة القصص الآية ٨١ .
(٣) سورة النحل الآية ٩٠ .
(٤) سورة المائدة من الآية ٨ .
(٥) سورة الأنعام الآية ١٥٢ .
(٦) سورة الحجرات من الآية ١٣ .

الوفاء بالعهود، وعدم نقضها، في قوله عز ذكره ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾[١]. وقوله ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَـٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾[٢]. كما فرض الله المحبة والتراحم بين الإنسان، والحفاظ على كيان الأسرة من الضياع ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴾[٣]. ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَـٰرَهُمْ ﴾[٤].

** ومن معجزات القرآن: حماية حقوق النساء ومن ذلك: عدم بخسهن حقوقهن، وعدم الإضرار بهن ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ﴾[٥]. ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ﴾[٦]. ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَـٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ

---

(١) سورة الإسراء الآية ٣٤ .

(٢) سورة الرعد الآية ٢٥ .

(٣) سورة محمد الآية ٢٢ .

(٤) سورة محمد الآية ٢٣ .

(٥) سورة البقرة الآية ٢٣١ .

(٦) سورة البقرة الآية ٢٣٢ .

أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ﴾[١].

ومن حقوق النساء: حفظ كرامتهن من الابتذال كما كن في جاهلية الأمم الهالكة، ومن هذه الحماية: إشراكهن في الآدمية مع الرجال مِثْلاً بمثل، وحالاً بحال خلافاً لما كن عليه في تلك الأمم من الازدراء والامتهان. ومنها: وجوب غض أبصار الرجال عنهن حتى لا يكنّ طُعَماً للشهوة الحيوانية ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ﴾[٢] ومنها: وجوب غض أبصارهن عن الرجال، وحفظ فروجهن، وعدم تبرجهن خشية عليهن من الوقوع في الإثم والخطيئة.

** ومن معجزات القرآن: تقرير حرية الإنسان، وقد تمثل هذا التقرير في حكمين أولهما: إصلاح ما كان موجوداً من العبودية في زمن الجاهليين وذلك بالترغيب في عتق الرقاب، وجعل هذا العتق وجهاً أولياً من وجوه الكفارات في القتل، وفساد الصيام بالجماع، وحنث اليمين والظهار. وثانيهما: عموم الحكم في التماثل بين البشر في آدميتهم في قول الله جل ثناؤه ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ ﴾[٣]. وقوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[٤]. وقد لخص رسول الله ﷺ هذه الحرية في حديث

---

(١) سورة الطلاق من الآية ٦ .

(٢) سورة النور الآية ٣٠ .

(٣) سورة الإسراء الآية ٧٠ .

(٤) سورة الحجرات من الآية ١٣ .

واحد **(لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى)**[١].

** ومن معجزات القرآن الكريم: تحرير المال من طغيان أصحابه واستبدادهم؛ فما كان المال في الأمم الهالكة إلا وسيلة للتسلط واستغلال الضعفاء. وقد عرف الإنسان الربا منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة فتحول المدينون إلى أرقاء عند الدائنين يستعبدونهم ويتصرفون فيهم كما يتصرفون في المتاع؛ فنزل القرآن يحرم الربا بكل أنواعه ويحرم الاستغلال، ويجرم أصحابه، ويصفهم بأبشع الأوصاف ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾[٢]. ثم أعلم الله خلقه بأن عليهم أن يكفوا عن رباهم فإن لم يفعلوا، فهم في حرب معه ومع رسوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[٣]. ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[٤].

ونزل القرآن يبلغ الخلق مصارف المال حكماً حكم به الله، وقضاء

---

(١) حديث صحيح، سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ج٦ ص٤٤٩، برقم (٢٧٠٠)، وأحمد في مسنده ج٥ ص٤١١ .

(٢) سورة البقرة الآية ٢٧٥ .

(٣) سورة البقرة الآية ٢٧٨ .

(٤) سورة البقرة الآية ٢٧٩ .

قضى به ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ﴾(١).

** ومن معجزات القرآن: تحرير العقل من الجهل والسفه. وقد تمثَّل هذا التحرير في الدعوة إلى التفكير وفي وجوب العلم. أما الدعوة إلى التفكير فتكاد تكون فرضاً من الفرائض؛ فالله عز ذكره حين أودع في الإنسان العقل أراد منه أن يتدبر به، ويبصر به ويستنير به. ولو أعمل الإنسان عقله كما أريد منه لما وصل في سلوكه إلى الحد الذي يخرجه عن إنسانيته حين يعبث ويطغى، ويسفك الدماء، ويسعى في الأرض بالفساد.

لقد حرر القرآن الإنسان من عبودية الوثنية حين كان هذا يصنع أحجاراً، وأخشاباً، ثم يعبدها، ويضع عندها القرابين والنذر مع ما في ذلك من منافاة للعقل. ولهذا قال نبي الله إبراهيم لأبيه وقومه: ﴿ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾(٢). ﴿ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾(٣). ثم أراد منهم أن يحكِّموا عقولهم فيما يفعلون ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴾(٤). ﴿ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴾(٥). ﴿ قَالَ هَلْ

(١) سورة الحشر الآية ٧ .

(٢) سورة الأنبياء الآية ٦٦ .

(٣) سورة الأنبياء الآية ٦٧ .

(٤) سورة الشعراء الآية ٧٠ .

(٥) سورة الشعراء الآية ٧١ .

﴿يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ﴾[(١)]. ﴿أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾[(٢)]. فأجابوا بأن ما يفعلونه مجرد تقليد واتباع لأسلافهم الوثنيين ﴿قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾[(٣)].

ولما كان تحرير العقل يقتضي التفكير أمر الله عباده أن يتفكروا في آياته، وفي أنفسهم، وفي كل شأن من شئون حياتهم، ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾[(٤)]. ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾[(٥)]. ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[(٦)]. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[(٧)]. وأما الدعوة إلى العلم فتكاد أيضاً أن تكون فرضاً؛ فأول أمر أمر الله به نبيه ورسوله محمداً ﷺ أن يقرأ؛ لأنه بالقراءة يعلِّم نفسه ويعلِّم أمته ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾[(٨)]. وكان هذا العلم امتداداً للعلم الذي علَّمه الله آدم أبا الجنس البشري، فقد علمه علم الأسماء، وعلم الموجودات في الأرض ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ

---

(١) سورة الشعراء الآية ٧٢ .
(٢) سورة الشعراء الآية ٧٣ .
(٣) سورة الشعراء الآية ٧٤ .
(٤) سورة البقرة الآية ٢١٩ .
(٥) سورة الروم الآية ٨ .
(٦) سورة يونس الآية ٢٤ .
(٧) سورة الرعد الآية ٤ .
(٨) سورة العلق الآية ١ .

هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[١]. ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[٢]. والإنسان بهذا محكوم أن يعلم ما تقتضيه كينونته من السلوك والأحكام، فإن لم يعلم وجب عليه أن يسأل من يعلم ﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[٣].

** وفي فضل العلم وأهله ضرب الله له مثلاً تقريرياً وهو أن من يعلم لا يستوي في الفضل، وعلو المنزلة مع من لا يعلم، وأن من يعلم يرتفع في درجته على الذي لا يعلم ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٤]. ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾[٥]. والعلم نوعان: علم شرعي يبين قواعد الحياة ونظامها وما يجب على الإنسان فيها، وهو ما بيّنه القرآن تفصيلاً حيناً وإجمالاً حيناً آخر، ثم فصّلته السنّة ببيانها وأحكامها. أما العلم الثاني فعلم دنيوي وهو متمم وموافق ومكمل للعلم الشرعي. وإذا كان العلم الشرعي أمر لا تختلف الأفهام الصحيحة في وجوبه، فإن العلم الدنيوي كذلك فالطب مثلاً علم تقتضيه ضرورات الحياة؛ لأن الله عز ذكره أمر بإعمار الأرض ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ

---

(١) سورة البقرة الآية ٣١ .

(٢) سورة البقرة الآية ٣٢ .

(٣) سورة النحل الآية ٤٣ .

(٤) سورة الزمر الآية ٩ .

(٥) سورة المجادلة الآية ١١ .

فِيهَا ﴾(١). ولا يمكن للإنسان أن يقوم بهذا الإعمار إلا إذا كان صحيحاً في جسمه. والاقتصاد: علم تقتضيه كذلك ضرورات الحياة ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾(٢). ولا يمكن لهذه الزينة أن تكون إلا إذا كان هناك علم يعرف المال، ويعمل على تنميته، وتصريفه، حسب مقتضيات هذه الزينة، وهكذا في كل عمل تقتضيه ضرورات الحياة. وإن من العلوم الدنيوية ما يُعَدُّ في حكم الضرورة. ألم تر أن الأمة التي لا تعلم صناعة الحرب تظل مهزومة في نفسها، وفي عقيدتها وفي ديارها، وأن الأمة التي تعلم هذه الصناعة تستطيع أن تسود بعقيدتها، وحضارتها، وقيمها.

قلت: هذا غيض من فيض. أما القرآن فكله معجزة أبدية كبرى لا يسبر غوره، ولا تدرك أسراره، ولا تنتهي عجائبه؛ لأنه كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. أما فضله فلا يعدّه عدّ، ولا يحصره حصر وقد تكفل الله بالهدى والبشرى للذين يؤمنون به ويعملون به في قوله عز ذكره ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾(٣). وقوله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً

---

(١) سورة هود الآية ٦١ .

(٢) سورة الكهف الآية ٤٦ .

(٣) سورة البقرة الآية ٢ .

﴿يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾[١]. ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[٢].

** ومن فضائل القرآن أن الله يضمن الخير للذين يتعلمونه ويعلِّمونه. وفي هذا قال رسول الله ﷺ: (**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**)[٣]. كما أن الله يرفع به أصحابه أعلى الدرجات وأعز المقامات لقول رسول الله ﷺ (**إن الله تعالى يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين**)[٤]. وكما يرفع القرآن أصحابه يشفع لهم يوم القيامة. وشاهده قول رسول الله ﷺ (**اقرؤا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه**)[٥].

المسألة السادسة: المحكم والمتشابه في القرآن.

يثير المُحْكَم والمتشابه من القرآن اهتمام بعض القراء والدارسين، والبحث في هذا يحتاج إلى شرح طويل، ولعل في هذه الخلاصة ما يفيد.

---

(١) سورة فاطر الآية ٢٩ .

(٢) سورة فاطر الآية ٣٠ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، فتح الباري ج٨ ص٦٩٢، برقم (٥٠٢٧) .

(٤) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، وفضل من تعَلَّم حكمة من فقه أو غيره فعمل بها وعلمها، صحيح مسلم بشرح النووي، ج٤ ص٢٣٤٦، برقم (٢٦٩).

(٥) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، صحيح مسلم بشرح النووي ج٤ ص٢٣٣١، برقم (٢٥٢).

المحكم اسم مفعول من أحكم الشيء إحكاماً أتقنه لأن ما كان واضح المعنى لا إشكال فيه ولا تردد إنما يكون محكماً لوضوح مفرداته وإتقان تركيبها(١). وفي الاصطلاح، المحكم: ما لا يحتمل في التأويل إلا وجهاً واحداً(٢).

والمتشابه في اللغة مأخوذ من الشبه والتشابه والتشبيه. والشِّبْه بمعنى المثل والمتشابهان: المتماثلان والمشتبهات: المشكلات. وفي الاصطلاح قيل: هو ما عَسِرَ إجراؤه على ظاهره، وقيل: هو ما استأثر الله بعلمه كالحروف المقطعة في أوائل بعض سور القرآن. والصلة بين المحكم والمتشابه: التضاد(٣).

والأصل فيه قول الله تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾(٤). فدل هذا على أن القرآن ينقسم إلى محكم ومتشابه.

وقد تعددت الآراء والتعاريف للمحكم والمتشابه من القرآن منها:

---

(١) المعجم الوسيط ج٢ ص١٥٠، والتعريفات للجرجاني ص٥٠، وفتح القدير للشوكاني ج١ ص٢٨٤-٢٨٥ .

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٢ ص٥، وإرشاد الفحول للشوكاني ص٣٢ .

(٣) البحر المحيط ج١ ص٤٥٠، وإرشاد الفحول ص٣٢ .

(٤) سورة آل عمران من الآية ٧ .

ما حكاه السيوطي عن الطيبي بقوله: المتشابه مختص بالله تعالى، وأن من حاول معرفته فهو الذي أشار إليه في الحديث بقوله: (**فاحذروهم**) اهـ. ومراده الحديث الذي أخرجه الشيخان عن عائشة قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ إلى قوله ﴿أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ قال: قال رسول الله ﷺ: (**فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه، فأولئك الذين سمّى الله فاحذروهم**)[١].

المراد بالمحكم ما اتضح معناه، والمتشابه بخلافه، لأن اللفظ الذي يقبل معنى، إما أن يحتمل غيره أو لا. الثاني النص، والأول إما أن تكون دلالته على ذلك الغير أرجح أو لا؛ الأول الظاهر؛ والثاني إما أن يكون مساويه أو لا؛ الأول هو المجمل، والثاني المؤول؛ فالمشترك بين النص والظاهر هو المحكم، والمشترك بين المجمل والمؤول هو المتشابه.

ويؤيد هذا التقسيم أنه تعالى أوقع المحكم مقابلاً للمتشابه، فالواجب أن يفسر المحكم بما يقابله. ويعضد ذلك أسلوب الآية، وهو الجمع مع التقسيم، لأنه تعالى فرق ما جمع في معنى الكتاب، بأن قال: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾[٢]. وأراد أن يضيف إلى كل منهما ما شاء فقال أولاً: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب منه آيات محكمات، فتح الباري ج٨ ص٥٧، برقم (٤٥٤٧).

(٢) سورة آل عمران من الآية ٧.

زَيۡغٞ ﴾ إلى أن قال: ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾ وكان يمكن أن يقال: «وأما الذين في قلوبهم استقامة فيتبعون المحكم» لكنه وضع موضع ذلك ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ ﴾ لإتيان لفظ الرسوخ، لأنه لا يحصل إلا بعد التثبت العام والاجتهاد البليغ، فإذا استقام القلب على طرق الارشاد ورسخ القدم في العلم، أفصح صاحبه النطق بالقول الحق، وكفى بدعاء الراسخين في العلم: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴾[1]. شاهداً على أن ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ ﴾ مقابل لقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ ﴾؛ وفيه إشارة إلى أن الوقف على قوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾ تام وإلى أن علم بعض المتشابه مختص بالله تعالى، وأن من حاول معرفته هو الذي أشار إليه في الحديث بقوله: (**فاحذروهم**)[2].

ومن هذه التعاريف يتضح أن المحكم ما عرف المراد منه إما بظهوره أو تأويله. أما المتشابه فهو مما استأثر الله بعلمه فليس لغيره علم به، ومن ذلك: قيام الساعة وخروج الدابة والدجال والحروف المقطعة في بدايات السور. ويذهب إلى هذا الرأي أهل السنة وذلك خلافاً لمن قال: إن المتشابه مما يمكن الاطلاع على علمه[3].

---

(١) سورة آل عمران من الآية ٨ .

(٢) الإتقان في علوم القرآن ج٣ ص٨ . لعل (بعض) زائدة ليكون وأن علم المتشابه ...

(٣) الإتقان في علوم القرآن ج٣ ص٣-٥ .

واتباع المتشابه من القرآن مما ذمَّه الله، وحرَّمه، ووصف أصحابه بالزيغ في قوله تعالى ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ﴾ الآية[1]. كما أنه مما ذمه رسول الله ﷺ في قوله حين تلا هذه الآية: (**فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمّى الله فاحذروهم**)، وقوله عليه الصلاة والسلام: (**كان الكتاب الأول ينزل من باب واحد على حرف واحد، ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف زاجر وأمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال، فأحِلّوا حلاله، وحرّموا حرامه، وافعلوا ما أمرتم به، وانتهوا عما نهيتم عنه، واعتبروا بأمثاله، واعملوا بمحكمه، وآمنوا بمتشابهه وقولوا: آمنّا به كل من عند ربنا**)[2].

وقد ابتليت الأمة بالذين خاضوا وأكثروا القول في المتشابه من القرآن إما جهلاً أو عمداً. فأما أصحاب الجهل فمصدرهم وموردهم الغفلة، وعدم اتباع منهج علماء السلف، وهذا غالباً ما يكون عاماً في العلوم الأخرى، إذ إنّ لكل علم جهلة به ومعارضين له، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً. وقد أرشد عمر رضي الله عنه الأمة إلى تعليم هؤلاء بقوله: «إنه سيأتيكم ناس يجادلونكم بمشتبهات القرآن فخذوهم بالسنن فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله»[3]. وأما أصحاب العمد فهم أخطر من

(١) سورة آل عمران من الآية ٧ .

(٢) أخرجه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، وقال: حديث حسن، ج٢ ص١٣٣، برقم (٥٨٧).

(٣) الإتقان ج٣ ص٨ .

أولئك؛ إذ إن مرادهم البعد عن الحق واتباع الضلال والتلبيس على العامة لإفساد إيمانهم. ومن المعلوم أن الأمة قد ابتليت بهؤلاء ومنهم أصحاب الديانات التي نسخها الإسلام فلم يبق لبعض أصحابها إلا الكبر والعداء بإثارة الشبهات والطعن في ثوابت الإسلام. وقد وصفهم الله بأنهم يبتغون الفتنة، وحذر رسوله ﷺ منهم بقوله (**فاحذروهم**).

وكما ابتلي سلف الأمة بهذا الملأ الأخير من المبتغين الفتنة، لا نزال نواجه هذا الملأ، فلا تزال بعض الكتب وأصحابها يتلهون بالحديث عن الصفات، ويأتون بالمشتبهات، ويتأولون ما لا ينفعهم تأويله لا يلوون على شيء من العلم إلا ابتغاء الفتنة والاشتغال بما لا ينفعهم، ولا ينفع غيرهم؛ مع أن الله قد جعل لهم من كتابه ما يغنيهم عن هذا الجدل إن كان مرادهم البحث عن العلم فقال عز ذكره عن ذاته وصفاته واستوائه على عرشه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[1]. وقال لنبيه وأمته: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[2]. ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾[3]. ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾[4]. ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[5].

وقد اتبع أهل السنة هذا المنهج في أقوالهم وحوارهم؛ بل تلك

---

(١) سورة الشورى من الآية ١١ .

(٢) سورة الإخلاص الآية ١ .

(٣) سورة الإخلاص الآية ٢ .

(٤) سورة الإخلاص الآية ٣ .

(٥) سورة الإخلاص الآية ٤ .

عقيدتهم في المحكم والمتشابه فلم تزلَّ أقدامهم ولم تنتكس عقولهم، كما حدث لطوائف من أسلاف اليهود والنصارى، وبعض النحل والطوائف من المسلمين كالمجسِّمة والمشبِّهة والمعطِّلة الذين أثقلوا بجدالهم وأباطيلهم تاريخ المسلمين.

المسألة السابعة: النسخ في القرآن.

النسخ في اللغة: نسخ الشيء نسخاً أزاله، يقال: نسخت الرياحُ آثارَ الديار ونسخت الشمسُ الظلَّ[١].

أما في الاصطلاح: فهو أن يرد دليل شرعي متراخياً عن دليل شرعي مقتضياً خلاف حكمه، فهو تبديل بالنظر إلى علمنا، وبيان لمدة الحكم بالنظر إلى علم الله تعالى[٢].

والأصل في النسخ قول الله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[٣]. ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ الآية[٤].

قال الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله في تأويل هذه الآية: ألم تعلم يا محمد أن لي ملك السموات والأرض وسلطانها دون غيري أحكم

(١) المعجم الوسيط ج٢ ص٩١٧.
(٢) التعريفات للجرجاني ص٣١٠.
(٣) سورة البقرة الآية ١٠٦.
(٤) سورة البقرة من الآية ١٠٧.

فيهما وفيما فيهما بما أشاء، وآمر فيهما وفيما فيهما بما أشاء، وأنهى عما أشاء. وأنسخ وأبدل وأغير من أحكامي التي أحكم بها في عبادي بما أشاء إذا أشاء، وأقرّ فيهما ما أشاء.

ثم قال رحمه الله: وهذا الخبر وإن كان خطاباً من الله تعالى لنبيه ﷺ على وجه الخبر عن عظمته فإنه منه جل ثناؤه تكذيب لليهود الذين أنكروا نسخ أحكام التوراة وجحدوا نبوة عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام لمجيئهما بما جاءا به من عند الله بتغيير ما غيّر الله من حكم التوراة، فأخبرهم الله أن له ملك السموات والأرض وسلطانهما، وأن الخلق أهل مملكته وطاعته وعليهم السمع والطاعة لأمره ونهيه، وأن له أمرهم بما يشاء، ونهيهم عما يشاء، ونسخ ما يشاء، وإقرار ما يشاء[1].

وقال الإمام ابن كثير في تفسير الآية: «إن الله تعالى يرشد عباده بهذا إلى أنه المتصرف في خلقه بما يشاء فله الخلق والأمر، وهو المتصرف فكما خلقهم كما يشاء، ويسعد من يشاء، ويشقي من يشاء، ويصح من يشاء، ويمرض من يشاء، ويوفق من يشاء، ويخذل من يشاء. كذلك يحكم في عباده بما يشاء، فيحل ما يشاء، ويحرم ما يشاء، ويبيح ما يشاء، ويحظر ما يشاء. وهو الذي يحكم ما يريد لا معقب لحكمه، ولا يسئل عما يفعل، وهم يسألون. ويختبر عباده، وطاعتهم لرسله

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج١ ص٤٧٧ - ٤٨٣ .

بالنسخ؛ فيأمر بالشيء لما فيه من المصلحة التي يعلمها تعالى، ثم ينهى عنه لما يعلمه تعالى فالطاعة كل الطاعة في امتثال أمره، واتباع رسله في تصديق ما أخبروا، وامتثال ما أمروا، وترك ما عنه زجروا»(١).

وقد أجمع أهل السنة على جواز النسخ في القرآن خلافاً لليهود وبعض النصارى وبعض أهل الرفض؛ فقد شبهوا النسخ بالبداء أي: مثل الذي يبدو له رأي ثم يتركه تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً وحجتهم في هذا داحضة؛ ذلك أن الله عز ذكره علم ويعلم ما كان، وما هو كائن، وما سيكون. يعرف أسرار خلقه فقدَّر أقدارهم، وعلم بعلمه المطلق ما ينفعهم وما يضرهم فأنزل أحكاماً لصلاح أحوالهم في زمن ثم رفع هذه الأحكام وأنزل أحكاماً أخرى اقتضتها هذه الأحوال؛ فقد نسخ -مثلاً- فرض قيام الليل بالقراءة في قوله جل ثناؤه: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ﴾(٢). فالأحكام الناسخة والمنسوخة كلها بعلمه، وقدره، وإرادته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾(٣). ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾(٤).

---

(١) تفسير القرآن العظيم ج١ ص١٤٣-١٤٤ .

(٢) سورة المزمل الآية ٢٠ .

(٣) سورة آل عمران الآية ٥ .

(٤) سورة مريم الآية ٦٤ .

ولم يكن هذا النسخ في شريعة الإسلام ومصدرها القرآن فحسب بل كان في كل الشرائع السماوية السابقة؛ فقد أحل لآدم تزويج بناته من بنيه ثم حرم ذلك عليهم. وأباح لنبيه نوح بعدما خرج من السفينة أكل جميع الحيوانات ثم نسخ حل بعضها. وعند اليهود كان نكاح الأختين مباحاً لإسرائيل وبنيه ثم حرم ذلك في التوراة وما تلاها. وأمر نبيه إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه إسماعيل ثم نسخه قبل الذبح. وأمر جمهور بني إسرائيل بقتل من عبد العجل منهم ثم رفع عنهم القتل كيلا يستأصلهم. وأبيح لبني إسرائيل لحوم الإبل وألبانها ثم نسخ الحكم فحرمت عليهم كما قال تعالى ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ﴾[١].

وبهذا بطلت حجة أسلاف اليهود الذين أنكروا النسخ. أما غلاة الرافضة ومن قال بقولهم - مثل أبي مسلم الأصبهاني - فإن حجتهم في ذلك ما قاله المختار الثقفي[٢] بأن علياً رضي الله عنه كان يقول: «لولا البداء لحدثتكم بما هو كائن إلى يوم القيامة»[٣]. وما نسبه كذلك

---

(١) سورة آل عمران الآية ٩٣ .

(٢) هو المختار بن أبي عبيد الثقفي الكذاب من كبراء ثقيف وذوي الرأي، والفصاحة والدهاء وقلة الدين، وقد قال النبي ﷺ «**يكون في ثقيف كذاب ومبير**»، أخرجه مسلم برقم (٢٥٤٥)، فكان الكذاب هذا، ادعى أن الوحي يأتيه، وأنه يعلم الغيب، قتل على يدي مصعب بن الزبير سنة ٦٧هـ، البداية والنهاية لابن كثير ج٨ ص٢٩٠، وسير الأعلام النبلاء للذهبي ج٣ ص٥٣٨-٥٤١ .

(٣) مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ص١٧٠ .

إلى موسى بن جعفر[١] وجعفر الصادق[٢] من قول بالبداء، وهذا القول كذب على هؤلاء الأئمة الأطهار وبهتان نسجه هذا المغالي في الرفض وأتباعه فينطبق عليه قول الله تعالى ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا﴾[٣].

** هذا من حيث العموم بالنسبة للنسخ وجوازه، أما من حيث حكمته فله حكم عظيمة، منها: أن الله قد نسخ بدين الإسلام كل الأديان السابقة بعدما تعرضت للتحريف والتبديل؛ ناهيك بما اقتضته حكمة الله من تجديد في مفهوم البشرية بعد أن ساد فيها الظلام في تلك الفترة من الرسل. ومن هذه الحكم: تيسير الله على عباده ومن ذلك أن فرض قيام الليل قد نسخ بالقراءة كما أشير إليه آنفاً وأن قوله تعالى ﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ﴾[٤] قد نسخ بقوله ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾[٥]. وأن قوله تعالى ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ

(١) هو السيد أبو الحسن العلوي، كان سخياً كريماً صالحاً كانت وفاته في شهر رجب سنة ١٨٣هـ، عاش خمساً وخمسين سنة، وخلف عدة أولاد، انظر: سير الأعلام النبلاء للذهبي ج٦ ص٢٧٠-٢٧٥ .

(٢) هو جعفر بن محمد بن علي الحسين بن علي، أبو عبد الله الهاشمي المدني الملقب الصادق رضي الله تعالى عنهم روى عن أبيه والقاسم بن محمد ونافع وعطا، كان من سادات أهل البيت فقهاً وعلماً وفضلاً، ولد سنة ٨٠هـ وتوفي سنة ١٤٨هـ، انظر: تهذيب التهذيب ج٢ ص١٠٣ .

(٣) سورة الفرقان الآية ٤ .

(٤) سورة البقرة من الآية ٢٨٤ .

(٥) سورة البقرة من الآية ٢٨٦ .

﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾[١] قد نسخ بقوله تعالى ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾[٢]. فهذا ونحوه من تيسير الله على عباده ورحمته بهم، ورفع الحرج عنهم.

ومن هذه الحكم: أن النسخ لا يقع إلا في الأمر والنهي ولو بلفظ الخبر. أما الخبر الذي ليس بمعنى الطلب فلا يدخله النسخ ومنه الوعد والوعيد. وإذا عرفت ذلك عرفت فساد صنع من أدخل في كتب النسخ كثيراً من آيات الإخبار والوعد والوعيد[٣]. ومنها: أن النسخ تدرج في التشريع لكي يستوعب المخاطبون الحكم أو الأحكام التي تقيد سلوكهم؛ فالخمر - كما ذكر من قبل - حرمت أول ما حرمت أثناء القيام للصلاة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾ الآية[٤]. ثم حرمت تحريماً أبدياً بقوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ الآية[٥]. كما أن الفدية في الصيام لم تعد مطلقة في قوله تعالى ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ﴾[٦]. فكان من أراد أن يفطر عليه أن يفتدي إلى أن نزل قول

---

(١) سورة آل عمران من الآية ١٠٢ .

(٢) سورة التغابن من الآية ١٦ .

(٣) الإتقان في علوم القرآن ج٣ ص٦١ .

(٤) سورة النساء الآية ٤٣ .

(٥) سورة المائدة الآية ٩٠ .

(٦) سورة البقرة الآية ١٨٤ .

الله تعالى ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ ﴾[١]. فخصصت السنة الفدية بالعاجزين عن الصيام كالشيخ الهرم؛ ففي هذا تدرج بالتشريع في بيئة كانت تستمرئ الخمر، وتستصعب الصيام إلى أن وقر الدين في النفوس وبدأت آثار الجاهلية تختفي، فأصبح المخاطبون يستوعبون الأحكام ويؤمنون بأنها تنزل لمنافعهم فيؤمنون بها حق الإيمان.

المسألة الثامنة: تفسير القرآن ومدى الحاجة إليه.

التفسير في اللغة من فسّر الشيءَ، أي: بيَّنه وأوضحه فيكون التفسير بمعنى البيان والايضاح[٢].

أما في الاصطلاح فهو (علم) يبحث في معاني القرآن وألفاظه بما يظهر للمفسر من مراد الله مما تدل عليه معاني اللغة التي نزل بها القرآن وهي لغة العرب[٣].

ومن حكمته جل ثناؤه أنه لا يخاطب قوماً إلا بما يفهمون، فما أنزل من كتاب، ولا أرسل من رسول إلى قوم إلا بلغتهم ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾[٤]. وقال لنبيه ورسوله محمد ﷺ

---

(١) سورة البقرة الآية ١٨٥ .

(٢) المعجم الوسيط ج٢ ص٦٨٨ .

(٣) انظر: الإتقان للسيوطي ج٤ ص١٦٩، ومقدمة الدر المنثور ج١ ص٩، ومناهل العرفان للزرقاني ص٩ .

(٤) سورة إبراهيم الآية ٤ .

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[(١)]. وقوله ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[(٢)]. ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾[(٣)]. ﴿ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾[(٤)]. ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾[(٥)]. من هنا وجب أن يكون تفسير القرآن موافقاً للغة العرب، وبيانهم من حيث دلالة الألفاظ على المعاني، مما هو بَيِّنٌ من كلام الله تعالى في الآيات المحكمات. فقوله تعالى ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾[(٦)] واضح في أن المراد يوم القيامة وهو يوم يجازي الله العباد على أعمالهم. وقوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ﴾[(٧)] واضح الدلالة في أن أول البشر آدم وزوجته وقد تسلسل البشر منهما. أما الآيات المتشابهات كقوله تعالى ﴿ الٓمٓ ﴾ ﴿ الٓمٓر ﴾ ﴿ صٓ ﴾ ﴿ حمٓ ﴾ ونحوها، وكذلك العلم بذات الله وصفاته، وكيفية استوائه على العرش، وكذلك المغيبات كعلم الساعة ونحوه، فهذا مما استأثر الله بعلمه فلا أحد يعلمه ولا يجوز لأحد أن يخوض فيه؛ فالمرجع في العلم بذات الله وصفاته واستوائه قوله تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾[(٨)].

---

(١) سورة يوسف الآية ٢ .
(٢) سورة الشعراء الآية ١٩٢ .
(٣) سورة الشعراء الآية ١٩٣ .
(٤) سورة الشعراء الآية ١٩٤ .
(٥) سورة الشعراء الآية ١٩٥ .
(٦) سورة الفاتحة الآية ٤ .
(٧) سورة الحجرات من الآية ١٣ .
(٨) سورة الشورى من الآية ١١ .

والمرجع في المغيبات قوله عز ذكره ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾[١]. وقوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾[٢]. وفي حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ لما تلا قول الله تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ الآية[٣]. قال: (**فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمّى الله فاحذروهم**). ولما سأل رجل الإمام مالكاً عن الاستواء في قوله تعالى ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾[٤]. قال له: الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة وأظنك رجل سوء. أخرجوه عني[٥].

والتفسير علم هو من أول العلوم التي ظهرت في عهد رسول الله ﷺ حين بدأ بعض الصحابة يفسرون القرآن، ويتعلمون معانيه كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ما كنا نقرأ عشر آيات إلا ونتعلم

---

(١) سورة الأنعام الآية ٥٩ .
(٢) سورة لقمان الآية ٣٤ .
(٣) سورة آل عمران الآية ٧ .
(٤) سورة طه الآية ٥ .
(٥) سير الأعلام النبلاء للذهبي ج٨ ص١٠٠ .

تفسيرها[١]. وممن اشتهر من الصحابة بالتفسير: علي بن أبي طالب، وزيد بن ثابت، وابن عباس، وأبي بن كعب، وأبو موسى الأشعري وعبدالله بن عمرو بن العاص، ثم تبعهم عدد من التابعين وتابعيهم ومنهم: عطاء بن أبي رباح، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وطاوس، والإمام مالك. أما أول من ألف فيه: فعبد الملك بن جريج المتوفى ١٤٩هـ ثم صنفت فيه آثار أخرى منها: تفسير محمد بن السائب الكلبي المتوفى عام ١٤٦هـ وهذا التفسير محل الطعن؛ لما فيه من الكذب وخاصة لأن صاحبه كان من أصحاب عبد الله بن سبأ اليهودي الأصل الذي دخل في الإسلام ليطعن فيه، ويفسد على المسلمين عقيدتهم مما هو معروف من سيرته حين ألّه علي بن أبي طالب، ونفى موته وقال: إنه سيرجع إلى الدنيا. وكان لأقواله الفاسدة آثار سيئة فيمن صدقه، واتبعه من المسلمين فأفسدت أقواله عقيدتهم.

أما مدى الحاجة إلى التفسير فقد حوى القرآن صنوف المعرفة بما أودع الله فيه من الأحكام والبراهين، وهذه الأسس هي: السبيل الذي يرشد الأمة إلى صلاح أمورها في السياسة والاقتصاد والاجتماع؛ ففي السياسة نهى الله عن التفرق والاختلاف ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ج٤ ص١٧٥ .

ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾(١). ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾(٢). ولم تجد الأمة في الماضي والحاضر شراً أكثر من افتراقها وتشتتها مما يجعل العدو يستلب قوتها ويغزوها في ديارها. وفي الاقتصاد حرم الله عليها الربا والتعدي على الحقوق ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(٣). ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾(٤). ولم تجد الأمة اليوم شرّاً أكثر من الربا في فساد اقتصادها وضياع أموالها. وفي الاجتماع: أمر الله الأمة أن تربي أجيالها على إقامة العدل وحفظ الحقوق ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾(٥). وليس في الماضي، ولا في الحاضر، ولا في المستقبل شرّ أكثر من الظلم، وعدم العدل.

وحتى تستوعب الأمة هذه القواعد أمر الله نبيه ورسوله محمداً ﷺ أن يبين لها هذه القواعد ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾(٦). ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ

---

(١) سورة آل عمران من الآية ١٠٣ .
(٢) سورة آل عمران من الآية ١٠٥ .
(٣) سورة البقرة الآية ٢٧٨ .
(٤) سورة البقرة الآية ١٨٨ .
(٥) سورة النساء الآية ١٣٥ .
(٦) سورة النحل الآية ٤٤ .

ءَايَٰتِهِۦ ﴾[١]. ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾[٢]. وقد بيَّن عليه الصلاة والسلام هذه القواعد وبلَّغها لأمته لعلها تتفكر فيها وتسترشد بها في حياتها.

وتفسير القرآن وبيانه جزء أساس من هذا التفكر، وقد بدأ ذلك صحابة رسول الله ﷺ وتابعوهم حين انكبوا على حفظ القرآن، وفهمه، واستخراج معانيه. فهذا ابن عمر مثلاً أقام على حفظ البقرة ثمان سنين[٣]. فبهذا التفكر والتدبر تحققت لهم العزة والسعادة في الأرض ففتحوا الممالك، ودانت لهم الأمم، ورفعوا راية الله في بقاع الأرض. ولم يتقهقر خلفهم عن مواقع أسلافهم إلا بعد أن توانوا في حفظ القرآن وفهمه، فأصبح مجرد قراءة تتلى دون التفكر فيه أو استلهام معانيه، أو تدبر أحكامه.

وقد ذكر السيوطي أهمية الحاجة إلى التفسير فقال: «إن القرآن إنما نزل بلسان عربي في زمن أفصح العرب، وكانوا يعلمون ظواهره وأحكامه. أما دقائق باطنه فإنما كان يظهر لهم بعد البحث والنظر مع سؤالهم النبي ﷺ في الأكثر كسؤالهم لما نزل قوله ﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾[٤]. فقالوا: وأينا لم يظلم نفسه؟ ففسره النبي ﷺ

---

(١) سورة ص الآية ٢٩ .

(٢) سورة محمد الآية ٢٤ .

(٣) الإتقان في علوم القرآن ج٤ ص١٧٦ .

(٤) سورة الأنعام من الآية ٨٢ .

مستدلاً بقوله ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[١]. وكسؤال عائشة عن الحساب اليسير فقال: ذلك العرض، وكقصة عدي بن حاتم في الخيط الأبيض والأسود وغير ذلك مما سألوا عن آحاد منه. ونحن محتاجون إلى ما كانوا يحتاجون إليه من أحكام الظواهر؛ لقصورنا عن مدارك أحكام اللغة بغير تعلم، فنحن أشد الناس احتياجاً إلى التفسير، ومعلوم أن تفسير بعضه يكون من قبل بسط الألفاظ الوجيزة، وكشف معانيها وبعضه من قبل ترجيح بعض الاحتمالات على بعض.

ثم أشار رحمه الله إلى شرف تفسير القرآن بقوله تعالى ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ﴾[٢] فالحكمة هي: المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه، ومحكمه، ومتشابهه، ومقدمه، ومؤخره، وحلاله، وحرامه، وأمثاله. وبعد استعراضه للأقوال الواردة في فضل التفسير قال: «إذا عرف ذلك فصناعة التفسير قد حازت الشرف من الجهات الثلاث؛ أما من جهة الموضوع؛ فلأن موضوعه كلام الله تعالى الذي هو ينبوع كل حكمة ومعدن كل فضيلة، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، لا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه. وأما من جهة الغرض؛ فلأن الغرض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقى، والوصول إلى السعادة الحقيقية التي لا تفنى. وأما من جهة

---

(١) سورة لقمان الآية ١٣ .

(٢) سورة البقرة من الآية ٢٦٩ .

شدة الحاجة؛ فلأن كل كمال ديني، أو دنيوي عاجلي، أو آجلي مفتقر إلى العلوم الشرعية والمعارف الدينية؛ وهي متوقفة على العلم بكتاب الله تعالى»[1].

قلت: وكما احتاج المسلمون في سالف عصورهم إلى فهم القرآن وتدبره فعملوا من أجل ذلك وأشادوا الحضارة وبلغوا الرسالة، فإن المسلمين اليوم أشد ما يكونون حاجة إلى فهم القرآن، وفهم معانيه وتدبر أحكامه، وإن آخر هذه الأمة لا يصلح إلا بما صلح به أولها.

المسألة التاسعة: شروط التفسير

للتفسير شروط شأنه شأن أي علم آخر؛ بل هو أعظم العلوم وأجلها قدراً؛ لأن محله كتاب الله وليس في الوجود أعظم من هذا الكتاب. والمفسِّر يبين مراد الله، والخطأ في هذا البيان أمر عظيم لا تحتمله الجبال فإذا أخطأ المفسر في كتاب الله كيف يتحمل هذا الخطأ وهو من الضعف والعجز بمكان. كما قال أبو بكر رضي الله عنه: «أي سماء تظلُّني وأي أرض تقلُّني إن قلت في كتاب الله ما لا أعلم»[2].

وشروط التفسير على قسمين: أولهما: ما مناطه التفسير. وثانيهما:

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ج٤ ص١٧٠ - ١٧٣ .

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص٨٨ .

ما مناطه المفسِّر - بكسر السين وتشديدها - فما مناطه التفسير نذكر منه الشروط التالية:

الأول: أن الله أنزل القرآن هدى ورحمة للعالمين، وهذا يقتضي وجوب سلامة اعتقادهم بإخلاص العبادة له وحده قولاً وعملاً ظاهراً وباطناً ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾[1]. وهذا يقتضي تحريم كل تأويل، أو تفسير، يفسد عقيدة الأمة كما هو مشاهد اليوم من محاولة التأثير على الناشئة ودفعهم إلى التحلل من القيم والثوابت؛ لقصد تثبيط المسلمين وصرفهم عن عقيدتهم الصحيحة.

الثاني: أن الله أنزل القرآن فيه صلاح للأرض التي جعلها صالحة لحياة خلقه ونهى عن الفساد فيها في قوله عز وجل ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا﴾[2]. فأي تأويل أو تفسير يخالف مقاصد القرآن وإرادة الله منه يعد إفساداً في الأرض.

الثالث: أن في القرآن كل التشريع الذي يحتاجه البشر ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ

(١) سورة البينة الآية ٥ .
(٢) سورة الأعراف الآية ٥٦ .

ٱلْحَقِّ ﴾[١]. ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾[٢].

وهذا يقتضي أن كل حكم يخالف القرآن يعد باطلاً فمن أوَّل أو فسر آية تحل ما حرمه القرآن، أو تحرم ما أحله يبتغي من ذلك إنزال حكم أو أحكام عليها، فهو ممن يقول على الله بغير علم ويدخل في أصل قوله تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[٣]. كما يدخل في أصل قول رسول الله ﷺ **(من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار)**[٤].

الرابع: أن في القرآن صلاحاً للأمة في أخلاقها، ومنهج حياتها ﴿إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾[٥]. فكل تأويل أو تفسير يتعارض مع هذا المنهج كما يشاهد اليوم من فتاوى وأقوال تبحث عن مسائل الخلاف والتأويل، وتنفذ منها إلى مخالفة ما أجمع عليه السلف كالقول: بجواز حل السحر بالسحر، والقول بالتسامح في بعض الثوابت بحجة المسالمة مع الآخر، فكل هذا يعد فساداً في الأرض.

---

(١) سورة المائدة الآية ٤٨ .

(٢) سورة المائدة الآية ٤٤ .

(٣) سورة الأعراف الآية ٣٣ .

(٤) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه، سنن الترمذي ج٥ ص١٨٢، برقم (٢٩٥١) .

(٥) سورة الإسراء الآية ٩ .

الخامس: أن القرآن دعوة للبشر أجمعين ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[١]. ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[٢]. ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[٣]. وهذا يدل على أن الأمة مطالبة بنشر الدعوة إلى الله، جهراً وسراً قولاً وعملاً، فكل دعوة، أو تأويل، أو تفسير يهدف إلى حجب هذه الدعوة، أو التنقص منها باسم «المسالمة» أو تحت أي حجة أخرى يعد مخالفاً لكتاب الله وفساداً في الأرض.

القسم الثاني من شروط التفسير ما مناطه المفسر لكتاب الله وهذا يتناول عدة أمور منها: أولاً: وجوب فهم كتاب الله في ألفاظه ومبانيه، ومعانيه، وإجماله، وتفصيله؛ فما أجمل من بعضه في آية أو آيات يكون مفصلاً في آية أو آيات أخرى. فعلى سبيل المثال قول الله تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾[٤]. لفظ عام للفواحش وقد ورد بيان بعضها في آيات أخرى، ومن ذلك الزنا حيث بين الله عزوجل أنه من الفواحش في قوله تعالى ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾[٥].

---

(١) سورة النحل الآية ٤٤ .

(٢) سورة الأنبياء الآية ١٠٧ .

(٣) سورة آل عمران من الآية ١١٠ .

(٤) سورة الأعراف من الآية ٣٣ .

(٥) سورة الإسراء الآية ٣٢ .

الثاني: فهم سنة رسول الله ﷺ ما كان منها لفظاً أو عملاً أو تقريراً، فقد بينت أحكام القرآن وفصَّلت ما أجمله كأركان الصلاة، وأنصبة الزكاة، وأحكام الصيام، والحج. وفي هذا قال عليه الصلاة والسلام: (**ألا إني قد أوتيت القرآن ومثله معه**)[١]. وفي هذا قال الإمام الشافعي رحمه الله: «كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن»[٢]. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: يجب أن يعلم أن النبي ﷺ بيَّن لأصحابه معاني القرآن، كما بيَّن لهم ألفاظه فقول الله تعالى ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ يتناول هذا. ومن هذا ما جاء عن صحابة رسول الله ﷺ، وقد سبقت الإشارة إلى قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «أننا إذا تعلمنا عشر آيات لم نتجاوزها حتى نعلم مافيها من العلم والعمل فتعلمنا العلم والعمل معاً»[٣].

الثالث: سلامة الاعتقاد والمراد به اعتقاد المفسر، فمن كان مدخولاً في دينه فلا يؤمن قوله، ولا يركن إليه؛ لفساد اعتقاده بل تجب محاربته؛ لأنه يقول على الله بغير علم ويلبِّس بقوله على من لا يعرف أحكام القرآن وأسراره، ويدخل في هذا: فرق الباطنية كما يدخل فيه السحرة الذين يضيفون إلى طلاسمهم وأقوال شياطينهم آيات من القرآن يظن

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب البينة، باب في لزوم السنة، سنن أبي داود ج٤ ص٢٠٤، برقم (٤٦٠٤).

(٢) الإتقان في علوم القرآن ج٤ ص١٧٤ .

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ج١٣ ص٣٣١ .

من يسمعها ممن لا يعرف حقيقة أمرهم أنهم ما يقولون إلا حقاً. كما يدخل في حكمهم أهل الأهواء الذين يدسون في تفاسيرهم البدع وأقوال الضلال فيؤولون النصوص وفق هذه الأهواء.

الرابع: سلامة المقصد في القول والعمل. وغاية هذا: أن يكون هدف المفسر خدمة كتاب الله بتيسير فهمه وشرح معانيه بوصفه كتاب الأمة وقاعدة منهجها، وطريق هدايتها، ومنار سبيلها وهذا يقتضي إخلاص النية لله عز وجل، وابتغاء سبيله وطلب مرضاته (**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**).

الخامس: أن يبتغي المفسر الدعوة إلى الله؛ فالقرآن ببشارته، ونذارته، وأحكامه، يعد القاعدة الكبرى للدعوة إلى الله، لتوحيده، وطاعته، وإخلاص العبادة له، وتفسيره ببيان أحكامه يخدم هذه الدعوة؛ فأجيال المسلمين في كافة مواقعهم أحوج ما يكونون في هذا إلى شرح كتابهم، وبيان أحكامه، خاصة في هذا الزمان الذي تكالبت وتطاولت فيه القوى المعادية؛ لسلخهم من دينهم، وهذه القوى تدرك أن هذا الانسلاخ لا يتحقق إلا إذا ابتعد المسلمون عن كتابهم.

المسألة العاشرة: مصادر التفسير.

روي عن الإمام أحمد أنه قال: ثلاثة كتب لا أصل لها المغازي والملاحم، والتفسير. ولعل ما يقصده رحمه الله ما كان مصدره غير

القرآن أو السنة النبوية الصحيحة أو لم يكن له مصدر ثابت من النقل. أما ما كان مصدره القرآن أو النقل الصحيح عن النبي ﷺ فلا مرد له ولا مراء فيه. وسنبين هذه المصادر بإيجاز:

التفسير بالمأثور:

المراد به ما ورد في القرآن الكريم، أو في سنة رسول الله ﷺ، أو ما ورد في كلام الصحابة من تفسير لبعض الآيات. أما القرآن فمنه قوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[١]. وقد ورد تفسير المتقين في قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[٢]. ومنه قوله تعالى ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾[٣]. وقد ورد تفسير هذه الكلمات في قوله تعالى ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[٤]. ومنه أيضاً قوله تعالى ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾[٥]. ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ﴾[٦]. وقد ورد تفسير الطارق في قوله تعالى ﴿ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ﴾[٧]. وقوله عزذكره ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾[٨]. ويفهم مما بعدها من الآيات أنها

---

(١) سورة البقرة الآية ٢ .

(٢) سورة البقرة الآية ٣ .

(٣) سورة البقرة من الآية ٣٧ .

(٤) سورة الأعراف الآية ٢٣ .

(٥) سورة الطارق الآية ١ .

(٦) سورة الطارق الآية ٢ .

(٧) سورة الطارق الآية ٣ .

(٨) سورة الواقعة الآية ١ .

القيامة لقوله تعالى ﴿ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴾[١]. إلى قوله ﴿ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ﴾[٢]. ﴿ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ﴾[٣]. ﴿ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا ﴾[٤]. والآيات في هذا المعنى كثيرة.

أما ما ورد في السنة فمنه: بيان رسول الله ﷺ لعدي بن حاتم أن المراد من قوله تعالى ﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾[٥] سواد الليل وبياض النهار وقال له: إنك لعريض القفا[٦]. ومن السنة: تفسير رسول الله ﷺ للقوة بأنها: الرمي في قوله تعالى ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾[٧].

وأما تفسير القرآن بما ورد من الصحابة رضوان الله عليهم فيعد في حكم المرفوع إلى النبي ﷺ كما قال بذلك الحاكم في تفسيره[٨]. وذلك لأنهم شهدوا الوحي، وعاصروا رسول الله ﷺ، وسمعوا منه، فتفسيرهم حجة ومن باب المأثور، وقد أشرنا إلى عدد منهم كعلي بن أبي طالب رضي الله عنه الذي قال: سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء إلا

---

(١) سورة الواقعة الآية ٢ .

(٢) سورة الواقعة الآية ٤ .

(٣) سورة الواقعة الآية ٥ .

(٤) سورة الواقعة الآية ٦ .

(٥) سورة البقرة الآية ١٨٧ .

(٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج١ ص٢١٠ .

(٧) سورة الأنفال من الآية ٦٠، وانظر تفسير الآية في تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٣٠٧ .

(٨) الإتقان ج٤ ص١٨١ .

أخبرتكم، وسلوني عن كتاب الله فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار أفي سهل أم في جبل(١).

ولم يختلف أحد في صحة التفسير بالمأثور إذا كان مصدره القرآن الكريم أو السنة النبوية الصحيحة، وإنما الخلاف فيما ورد عن بعض الصحابة مما كان عرضة لأقوال أهل الهوى والمغرضين كأسلاف اليهود، أو أصحاب المذاهب الذين أوردوا أقوالاً من الأكاذيب على الصحابة والتابعين، وذلك لتأييد مذاهبهم وأباطيلهم. وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن الاختلاف في التفسير على نوعين: منه ما مستنده النقل فقط، ومنه ما يعلم بغير ذلك، إذ العلم إما نقل مصدق وإما استدلال محقق، والمنقول إما عن المعصوم، وإما عن غير المعصوم، والمقصود: بأن جنس المنقول سواء كان عن المعصوم أو غير المعصوم، وهذا هو النوع الأول منه ما يمكن معرفة الصحيح منه والضعيف، ومنه ما لا يمكن معرفة ذلك فيه. وهذا «القسم الثاني من المنقول» وهو: ما لا طريق لنا إلى الجزم بالصدق منه عامته مما لا فائدة فيه. فالكلام فيه من فضول الكلام.

وأما ما يحتاج المسلمون إلى معرفته: فإن الله نصب على الحق فيه دليلاً، فمثال ما لا يفيد ولا دليل على الصحيح منه اختلافهم في لون كلب أصحاب الكهف، وفي البعض الذي ضرب به موسى من البقرة،

---

(١) الإتقان ج٤ ص٢٠٤ .

وفي مقدار سفينة نوح وما كان خشبها، وفي اسم الغلام الذي قتله الخضر ونحو ذلك، فهذه الأمور طريق العلم بها النقل، فما كان من هذا منقولاً نقلاً صحيحاً عن النبي ﷺ - كاسم صاحب موسى أنه الخضر - فهذا معلوم، وما لم يكن كذلك بل كان مما يؤخذ عن أهل الكتاب كالمنقول عن كعب، ووهب، ومحمد بن إسحاق وغيرهم ممن يأخذ عن أهل الكتاب، فهذا لا يجوز تصديقه ولا تكذيبه إلا بحجة، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: (**إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم، ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالله، وكتبه، ورسله، فإما أن يحدثوكم بحق فتكذبوه، وإما أن يحدثوكم بباطل فتصدقوه**)[(١)].

وكذلك ما نقل عن بعض التابعين وإن لم يذكر أنه أخذه عن أهل الكتاب، فمتى اختلف التابعون لم يكن بعض أقوالهم حجة على بعض، وما نقل في ذلك عن بعض الصحابة نقلاً صحيحاً فالنفس إليه أسكن مما نقل عن بعض التابعين، لأن احتمال أن يكون سمعه من النبي ﷺ أو من بعض من سمعه منه أقوى؛ ولأن نقل الصحابة عن أهل الكتاب أقل من نقل التابعين، ومع جزم الصحابي فيما يقوله، فكيف يقال: إنه أخذه من أهل الكتاب وقد نهوا عن تصديقهم؟ والمقصود أن مثل هذا الاختلاف الذي لا يعلم صحيحه ولا تفيد حكاية الأقوال فيه هو

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ج٦ ص٧١٢، برقم (٢٨٠٠).

كالمعرفة؛ لما يروى من الحديث الذي لا دليل على صحته وأمثال ذلك.

وأما «القسم الأول» الذي يمكن معرفة الصحيح منه فهذا موجود فيما يحتاج إليه ولله الحمد، فكثيراً ما يوجد في التفسير والحديث والمغازي أمور منقولة عن نبينا ﷺ وغيره من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه، والنقل الصحيح يدفع ذلك؛ بل هذا موجود فيما مستنده النقل، وفيما قد يعرف بأمور أخرى غير النقل.

فالمقصود أن المنقولات التي يحتاج إليها في الدين: قد نصب الله الأدلة على بيان ما فيها من صحيح وغيره، ومعلوم أن المنقول في التفسير أكثره كالمنقول في المغازي، والملاحم؛ ولهذا قال الإمام أحمد: -كما ذكر آنفاً- ثلاثة أمور ليس لها إسناد: التفسير، والملاحم، والمغازي، ويروى: ليس لها أصل أي إسناد؛ لأن الغالب عليها المراسيل.

وأما النوع الثاني من مستندي الاختلاف وهو ما يعلم بالاستدلال لا بالنقل، فهذا أكثر ما فيه الخطأ من جهتين: «إحداهما»: قوم اعتقدوا معاني ثم أرادوا حمل ألفاظ القرآن عليها. و«الثانية»: قوم فسروا القرآن بمجرد ما يسوغ أن يريده بكلامه من كان من الناطقين بلغة العرب، من غير نظر إلى المتكلم بالقرآن، والمنزل عليه، والمخاطب به.

فـ«الأولون» راعوا المعنى الذي رأوه من غير نظر إلى ما تستحقه ألفاظ القرآن من الدلالة والبيان.

و«الآخرون» راعوا مجرد اللفظ، وما يجوز عندهم أن يريد به العربي، من غير نظر إلى ما يصلح للمتكلم به ولسياق الكلام. ثم هؤلاء كثيراً ما يغلطون في احتمال اللفظ لذلك المعنى في اللغة، كما يغلط في ذلك الذين قبلهم، كما أن الأولين كثيراً ما يغلطون في صحة المعنى الذي فسروا به القرآن، كما يغلط في ذلك الآخرون، وإن كان نظر الأولين إلى المعنى أسبق، ونظر الآخرين إلى اللفظ أسبق.

والأولون صنفان: تارة يسلبون لفظ القرآن ما دل عليه وأريد به، وتارة يحملونه على ما لم يدل عليه ولم يرد به، وفي كلا الأمرين قد يكون ما قصدوا نفيه أو إثباته من المعنى باطلاً، فيكون خطؤهم في الدليل والمدلول، وقد يكون حقاً فيكون خطؤهم في الدليل لا في المدلول[١].

** ومن الكتب التي اهتمت بالتفسير بالمأثور: تفسير الإمام البخاري، وإسحاق بن راهويه، وسفيان بن عيينة. ومنها: تفسير ابن جرير الذي سماه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، وهذا من أشهر التفاسير وقد تعرض في مقدمته إلى فساد التفسير بالرأي فبعد أن أورد الشواهد على ذم هذا التفسير ومنها: قول رسول الله ﷺ: (**من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار**)[٢] قال: إن ما كان

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ج١٣ ص٣٤٤-٣٥٦ .

(٢) جامع البيان ج١ ص٣٥، وأخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه، سنن الترمذي ج٥ ص١٨٣، برقم (٢٩٥).

من تأويل آي القرآن الذي لا يدرك علمه إلا بنص بيان رسول الله ﷺ أو بنصبه الدلالة عليه فغير جائز لأحد القيل فيه برأيه. بل القائل في ذلك برأيه وإن أصاب الحق فيه فمخطئ فيما كان من فعله بقيله فيه برأيه؛ لأن إصابته ليست إصابة موقن أنه محق، وإنما هو إصابة خارص وظان والقائل في الدين بالظن قائل على الله ما لم يعلم، وقد حرم الله جل ثناؤه ذلك في كتابه على عباده فقال ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[١].

ومن هذه التفاسير: تفسير الإمام ابن كثير وهو من أشهر التفاسير بالمأثور، بل هو أجلّها، ومنذ أن ألفه صاحبه وهو محل الاعتناء والقبول من العلماء والقراء.

ومنها: الدر المنثور، في التفسير بالمأثور للإمام جلال الدين السيوطي قال فيه: «وقد جمعت كتابا مستنداً فيه تفاسير النبي ﷺ والصحابة فيه خمسة عشر ألف حديث ما بين مرفوع وموقوف. وقد تم ولله الحمد في أربع مجلدات وسميته ترجمان القرآن»[٢].

ومن التفسير بالمأثور: معالم التنزيل للإمام البغوي، وأسباب

---

(١) سورة الأعراف الآية ٣٣ .

(٢) الإتقان في علوم القرآن ج٤ ص١٩٣ .

النزول للواحدي، وقد بيّن هذا أسباب نزول بعض الآيات ويعد من أهم ما ألف في هذا الباب.

التفسير باللغة:

القرآن نزل بلسان عربي مبين، ولا يستطيع أحد تفسيره إلا إذا كان عالماً بهذه اللغة، وبيانها، ونحوها، وصرفها، وأسرارها، وأشعار العرب وبيانهم.

ولما سئل أبو الوليد ابن رشد عمن قال: إنه لا يحتاج إلى لسان العرب قال: «هذا جاهل فلينصرف عن ذلك، وليتب منه؛ فإنه لا يصح شيء من أمور الديانة والإسلام إلا بلسان العرب، يقول الله تعالى: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾[(١)]. إلا أن يرى أنه قال ذلك؛ لخبث في دينه فيؤدبه الإمام على قوله بحسب ما يرى، فقد قال عظيماً»[(٢)]. وقد أطال في هذا آخرون فقال الزمخشري في الكشاف: «ثم إنَّ أملأ العلوم بما يغمر القرائح، وأنهضها بما يبهر الألباب القوارح من غرائب نكتٍ يلطف مسلكها، ومستودعات أسرار يدق سلكها علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه، وإجالة النظر فيه، كل ذي علم، فالفقيه وإن برز على الأقران في علم الفتاوى والأحكام، والمتكلم وإن بذّ أهل الدنيا في صناعة الكلام، وحافظ القصص والأخبار وإن كان من ابن القِرِّيَّة أحفظ،

---

(١) سورة الشعراء الآية ١٩٥ .

(٢) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج١ ص٢٠ .

والواعظ وإن كان من الحسن البصري أوعظ، والنحوي وإن كان أنحى من سيبويه، واللغوي وإن علك اللغات بقوة لحييه، لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق، إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن وهما: علم المعاني وعلم البيان»[١].

أما الإمام أحمد فقد روي عنه روايتان: إحداهما: القول بالجواز والثانية: الكراهة، وتحمل على صرف الآية عن ظاهرها إلى معانٍ خارجة محتملة يدل عليها القليل من كلام العرب، ولا يوجد غالباً إلا في الشعر ونحوه ويكون المتبادر خلافها. ولما سئل رحمه الله عن القرآن يمثل له الرجل ببيت من الشعر قال: ما يعجبني[٢].

قلت: وهذا هو الحق فليس المفسر في حاجة إلى الاستشهاد ببيت من الشعر يجده أو يظن أنه يجده في معلقة امرئ القيس أو طرفة بن العبد، بينما يجد المعنى والبيان واضحاً في ظاهر آيات القرآن دونما حاجة إلى هذا الاستشهاد.

التفسير بالرأي:

المراد به: التفسير بالاجتهاد، أو ما سماه السيوطي التفسير بما يقتضيه الكلام، وهو: الذي دعا به النبي ﷺ لابن عباس بقوله: (**اللهم**

(١) الكشاف ج١ ص٩٦ .
(٢) الإتقان في علوم القرآن ج٤ ص١٨٢ .

فقهه في الدين وعلمه التأويل)[١]. والتفسير بهذا المعنى بين رأيين متعارضين: النهي والجواز، ويستند الرأي القائل بالنهي إلى أدلة من الكتاب والسنة. أما الكتاب فقول الله تعالى ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾[٢]. أما السنة فقول رسول الله ﷺ **(من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ)**[٣]. وقوله **(من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار)**[٤].

وبهذا المعنى كان الصحابة رضوان الله عليهم يمتنعون عن الاجتهاد في القرآن، وأولهم في ذلك أبو بكر رضي الله عنه حيث قال: أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في القرآن برأيي أو بما لا أعلم[٥].

أما الرأي القائل بالجواز، فلا يعتبر في الحديثين -الآنفي الذكر- دليلاً على منع التفسير بالاجتهاد، فقد نقل السيوطي عن البيهقي قوله عن الحديث الأول: «إن هذا الحديث إن صح، فإنما أراد -والله أعلم- الرأي الذي يغلب من غير دليل قام عليه، وأما الذي يسنده برهان فالقول به جائز»[٦]. وقد نظر آخرون إلى هذا الحديث من

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، ج٦ ص١٧٢، برقم (٢٥٨٩) .

(٢) سورة الإسراء من الآية ٣٦ .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج١ ص٢٣٣، وأخرجه أبو داود في كتاب العلم، باب الكلام في كتاب الله بغير علم، سنن أبي داود، ج٣ ص٣١٦ .

(٤) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب ما جاء في الذي يفسّر القرآن برأيه، سنن الترمذي ج٥ ص١٨٢، برقم (٢٩٥١).

(٥) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص٨٨ .

(٦) الإتقان في علوم القرآن ج٤ ص١٨٣ .

عدة وجوه: أولها: عدم حمله على ظاهره؛ لأن القول بهذا يمنع من استنباط معاني القرآن بالاجتهاد ولو صحبتها الشواهد ولم يعارض شواهدها نص صريح وهذا عدول عما يقيد الله العباد بمعرفته من النظر في القرآن واستنباط الأحكام كما قال تعالى ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ﴾(١).

وثاني الوجوه: أن النهي إنما ينصرف إلى المتشابه منه لا إلى جميعه كما قال تعالى ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ﴾(٢)، لأن القرآن إنما نزل حجة على الخلق، فلو لم يجز التفسير لم تكن الحجة بالغة، فإذا كان كذلك جاز لمن عرف لغات العرب وأسباب النزول أن يفسره. وثالث الوجوه: أن المراد بالنهي الرأي المبني على الهوى، فمن قال في القرآن قولاً يوافق هواه فلم يأخذه عن أئمة السلف وأصاب فقد أخطأ لحكمه على القرآن بما لا يعرف أصله، ولا يقف على مذهب أهل الأثر والنقل فيه.

وأما الحديث الثاني: وهو قوله ﷺ: **(من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار)** فله معنيان: أحدهما: من قال في مشكل القرآن بما لا يعرف من مذهب الأوائل من الصحابة والتابعين فهو معرض

---

(١) سورة النساء من الآية ٨٣ .

(٢) سورة آل عمران من الآية ٧ .

لسخط الله تعالى. والآخر - وهو الأصح - من قال في القرآن قولاً يعلم أن الحق غيره فليتبوأ مقعده من النار[١].

ويتوسط الرأيين رأي ثالث لا يرى في التفسير بالرأي خطراً أو تجاوزاً على مفهوم الحديثين الآنفي الذكر لأن الله أنزل كتابه أحكاماً لعباده في دنياهم وأخراهم، ولا تعرف هذه الأحكام إلا بفهم كتاب الله من قبل العلماء الراسخين في العلم. وقد فهم ذلك الصحابة وتابعوهم رضي الله عنهم؛ فأبو بكر لما سئل عن الكلالة في آية النساء قال: أقول فيها برأيي فإن كان صواباً فمن الله وإن كان خطأ فمني ومن الشيطان. ولما سئل علي رضي الله عنه قال: ما عندي مما ليس في كتاب الله شيء إلا فهماً يؤتيه الله[٢]. أما الإمام الشافعي فقال: لقد طلبت دليلاً على حجية الاجماع فظفرت به في قوله تعالى ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾[٣][٤]. وفي هذا الإطار من التفسير بالرأي ظهرت تفاسير عدة التزم أصحابها بالمنهج الوسط الذي مراده الحق، ومن هذه التفاسير تفسير الجلالين، وتفسير النسفي والفخر الرازي والبيضاوي.

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ج٤ ص١٨٣ .

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم، ج١ ص٢٠٤، والتحرير والتنوير ج١ ص٣ .

(٣) سورة النساء الآية ١١٥ .

(٤) التحرير والتنوير ج١ ص٢٩ .

قلت: وليس الإشكال فيمن يفسر كتاب الله ويستنبط أحكامه من ظاهر آياته، وبينات ألفاظه، ودلالات معانيه مستعيناً في ذلك بأسباب نزوله ومقاصده لبيان عجائبه وإعجازه، ومستهدياً في ذلك بما سبقه من الأقوال والروايات الصحيحة عن رسول الله ﷺ وصحابته وتابعيهم ممن نور الله قلوبهم وأضاء بصائرهم بحب كتابه وحب رسوله؛ ولكن الإشكال فيمن تصدى أو يتصدى لهذا التفسير وهو مهزوم ومأزوم في نفسه إما بهوى أعمى قلبه وختم على سمعه وبصره، وإما متعصب لمذهب أو نحلة يريد اعتساف آيات كتاب الله لتحقيق أغراضه بعد أن فقد التفكير السليم فلم ير العلم إلا من خلال مذهبه أو نحلته.

ومن ذلك البيانية(١) الذين زعموا كذباً أن قول الله تعالى ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ ﴾(٢) مراد به بيان بن سمعان أصل مذهبهم. ومن ذلك أصحاب الكِسْف(٣) الذين زعموا زوراً أن قول الله تعالى ﴿ وَإِن

---

(١) البيانية من غلاة الشيعة، يقولون بالحلول وبألوهية علي والحسن والحسين ومحمد بن الحنفية، وهم أتباع بيان بن سمعان التميمي النهدي، قتله خالد بن عبد الله القسري سنة ١١٩هـ بالكوفة، انظر: الملل والنحل للشهرستاني ج١ ص١٥١-١٥٢ .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٣٨ .

(٣) هم المنصورية أتباع أبو منصور العجلي الملقب بالكسف بكسر الكاف وسكون السين زعم أنّه خليفة الباقر وأنّه عرج إلى السماء وتلقى من الله الإذن بأن يبلغ عنه، قتله يوسف بن عمر الثقفي والي العراق في أيام هشام بن عبد الملك سنة ١٢٠هـ، انظر: الملل والنحل للشهرستاني ج١ ص١٨١-١٨٣ .

يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴾[١] مراد به إمامهم أبو منصور الكسف وأنه نازل من السماء. ومنهم غلاة الشيعة الذين أوَّلوا قول الله تعالى ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴾[٢]. أنهما علي وفاطمة، وأن قوله ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾[٣]. المراد به الحسن والحسين.

وفي هذا الإطار من منزلق التعصب للمذاهب، وسيطرة الهوى ظهرت عدة تفاسير للمعتزلة وأهل الكلام وتفاسير للشيعة[٤]. وتفاسير للباطنية[٥]. وهؤلاء أشد تعصباً وأكثر انزلاقاً عن الطريق السوي؛ فقد رفضوا الأخذ بظاهر القرآن وقالوا: إن له ظاهراً وباطناً، ويأخذون بباطنه دون ظاهره وفق مذهبهم. وهؤلاء فرق

---

(١) سورة الطور الآية ٤٤ .

(٢) سورة الرحمن الآية ١٩ .

(٣) سورة الرحمن الآية ٢٢ .

(٤) الشيعة على عدة فرق منهم من غالى في حب الإمام علي مغالاة غير صحيحة وعلى رأس هؤلاء فرقة عبد الله بن سبأ اليهودي الذي لم يكن مراده حب علي رضي الله عنه وإنما تفريق وحدة المسلمين وإفساد الإسلام. ومنهم فرق معتدلة لم يكونوا على ذلك النحو ولكنهم خالفوا أهل السنة خاصة في تفضيلهم للإمام علي على أبي بكر وعمر في الخلافة، وقالوا بأحقيته، ثم تطورت الشيعة حتى أصبحت فرقة عقائدية وسياسية، ومن أهم أصولهم: الإمامة، والعصمة، والغيبة. انظر: الملل والنحل للشهرستاني، ج١ ص٤٤-٤٥.

(٥) الباطنية: هي تلك الفرقة المتسترة بالتشيع وحب آل البيت للوصول إلى الناس مع إبطان الكفر المحض، وقد خلطت بين التصوف والفلسفة، وسميت بذلك لأنها ترى أنّ لكل ظاهر باطناً، ولكل تنزيل تأويلاً، وأرادوا بذلك ضرب شوكة الإسلام، وقالوا إن للقرآن ظاهراً وباطناً، والمراد منه باطنه دون ظاهره. انظر: الملل والنحل للشهرستاني ج١ ص٢٠١-٢٢١ .

عدة منهم القرامطة[١]. والإسماعيلية[٢]. والبابكية[٣]. والخُرّمية[٤].

وكما ظهرت التفاسير المشار إليها ظهرت تفاسير للصوفية تسمى الإشارات ويزعمون أنهم لا يفسرون القرآن وإنما يؤلونه بغير ظاهره حسبما يظهر من إشارات خفية يدركها أصحاب السلوك. وحسبك أن هذا ذهاب بالنصوص خلاف ظاهرها والبعد بها إلى معان أخرى لا يعرفها إلا أهل التصوف أنفسهم، وهذا أبعد ما يكون عن الحق، ومن ذلك تفسيرهم لقول الله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ

---

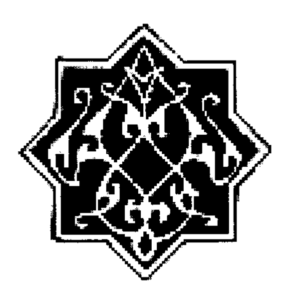
(١) ينسبون إلى حمدان قرمط وكان في بداية أمره أكّاراً من أكرة سواد الكوفة، والقرامطة إحدى الفرق الباطنية التي ترفض الأخذ بظواهر القرآن وتعتقد أن للقرآن ظاهراً وباطناً والمراد منه باطنه، وهي حركة اعتمدت التنظيم السري العسكري، وكان ظاهر مذهبهم التشيع لآل البيت، انظر: فضائح الباطنية للغزالي ص١ وما بعدها، والفرق بين الفرق للبغدادي ج١ ص٩١ - ٢٠٥ .

(٢) فرقة باطنية انتسبت إلى الإمام إسماعيل بن جعفر الصادق، ظاهرها التشيع لآل البيت، يقولون بضرورة وجود إمام معصوم منصوص عليه من نسل محمد بن إسماعيل، والعصمة لديهم ليست في ارتكاب المعاصي والأخطاء، بل إنهم يؤولون المعاصي والأخطاء بما يناسب معتقداتهم، انظر: طائفة الإسماعيلية، تاريخها، نظمها وعقائدها، للدكتور محمد كامل حسين.

(٣) من الفرق الباطنية التي تقول بأن للقرآن ظاهراً وباطناً، نسبة إلى زعيمهم بابك الخرمي، ظهر سنة إحدى ومائتين بأذربيجان، وكان زنديقاً إباحياً حارب جيوش المسلمين، فبعث المعتصم بالله جيوشاً لحربه فهزموه وأتباعه وقتلوه، انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي ص٣٨٢-٣٨٥.

(٤) فرقة من الفرق الباطنية، نسبة إلى لفظ «خرم» بمعنى الشيء المستلذ لأنهم يستبيحون الحرمات وينكرون الشرائع لميلهم إلى استباحة كل ما يميل إليه الطبع، انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي ص٢٩٤ .

﴿يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ (١) بأن هذا إشارة إلى ذبح النفس الحيوانية فإن ذبحها يحيي القلب وإن هذا هو الجهاد الأكبر. ومن ذلك تفسيرهم لقول الله تعالى ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ (٢). أنها النفس والقلب والروح والسر وسر السر، وذكر كل مسجد منها مناسب لذلك المسجد؛ فذكر مسجد النفس والطاعات والعبادات ومنع الذكر فيه بترك الحسنات وملازمة السيئات.. إلخ فهذه الإشارات كما يسمونها أبعد ما تكون عن فهم القرآن، وهي كما قال عز وجل ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ﴾ (٣). ومن تفاسير الصوفية تفسير الألوسي والنيسابوري ومحيي الدين بن عربي المعروف بعقيدة الحلولية الباطلة.



(١) سورة البقرة الآية ٦٧ .

(٢) سورة البقرة الآية ١١٤ .

(٣) سورة النجم الآية ٢٣ .

بسم الله الرحمن الرحيم:

الاستهلال (باسم الله) استهلال بدعائه لرجاء عونه وتوفيقه لأنه هو الموفق والمعين والمعيذ والحافظ، فما ذكر شيء فيه اسمه إلا دل على بركته وما لا فلا. وقد أمر الشرع بذكر اسمه عزوجل، والأصل في ذلك الكتاب والسنة والإجماع. أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴾[١]. وقوله: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ﴾[٢]. وقوله على لسان نبيه نوح: ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ﴾[٣].

وأما السنة فقول رسول الله ﷺ وهو يرشد الطفل الذي أقبل على الطعام: (**يا غلام سم الله وكل بيمينك**)[٤]. وقوله عليه الصلاة والسلام: (**لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان مارزقتنا فقضى بينهما ولد لم يضره الشيطان أبداً**)[٥]. وقال مرشداً لعثمان بن أبي العاص لما شكا إليه ألماً في جسده: (**ضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل بسم الله ثلاثاً وقل سبع مرات**

---

(١) سورة الأنعام الآية ١١٨ .

(٢) سورة الأنعام من الآية ١٢١ .

(٣) سورة هود من الآية ٤١ .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأطعمة باب التسمية على الطعام والأكل باليمنى، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٩ ص١٤٣، برقم (٥٣٧٩).

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء باب التسمية على كل حالٍ، صحيح البخاري مع الفتح ج١ ص٢٩١، برقم (١٤١).

أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر)[١]. وقال عليه صلاة الله وسلامه: (**ستر مابين الجن وعورات بني آدم إذا دخل أحدهم الخلاء أن يقول بسم الله**)[٢]. وقوله لرجل عندما عثرت دابته: (**إذا عثرت بك الدابة فقلت: تعس الشيطان فلا تقل: تعس الشيطان، فإنك إذا قلت ذلك يتعاظم حتى يكون مثل البيت ويقول: بقوتي ولكن قل: بسم الله، فإنك إذا قلت ذلك يتصاغر حتى يكون مثل الذباب**)[٣].

وأما الإجماع فقد أجمع السلف والخلف من الأمة على فضل التسمية (بسم الله الرحمن الرحيم) فعن عبد الله بن مسعود أنه قال: من أراد أن ينجيه الله من الزبانية التسعة عشر فليقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم) ليجعل الله تعالى له بكل حرف منها جُنّة من كل واحد فالبسملة تسعة عشر حرفاً على عدد ملائكة أهل النار الذين قال الله فيهم: ﴿عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ﴾ وهم يقولون في كل أفعالهم: (بسم الله الرحمن الرحيم) فمن هنالك هي قوتهم وببسم الله استضلعوا[٤]. وأخرج أبو نعيم والديلمي عن عائشة قالت: لما نزلت (بسم الله الرحمن الرحيم) ضجت الجبال حتى سمع أهل مكة دويها فقالوا: سحر محمد الجبال فبعث

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب السلام، باب استحباب وضع يده على موضع الألم مع الدعاء، برقم (٢٢٠٢) مسلم بشرح الأبي والسنوسي، ج٧ ص٣٨٣ .

(٢) أخرجه الترمذي في أبواب الصلاة باب ذكر من التسمية عند دخول الخلاء برقم (٦٠٦)، ج٢ ص٥٠٣، وابن ماجة في كتاب الطهارة - باب ما يقول الرجل إذا دخل الخلاء برقم (٢٩٧)، ج١ ص١٠٩ .

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، برقم (٤٩٨٢)، ج٤ ص٢٩٦، وأحمد في المسند ج٥ ص٥٩ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج١ ص٩٢ .

الله دخاناً حتى أظل على أهل مكة فقال رسول الله ﷺ: **(من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم موقناً سبحت معه الجبال إلا أنه لا يسمع ذلك منها)**[١]. وقيل: إن علي بن أبي طالب رضي الله عنه نظر إلى رجل يكتب: بسم الله الرحمن الرحيم فقال له: جوِّدها فإن رجلاً جوَّدها فغُفِر له[٢].

ولا خلاف في فضلها كما أنه لا خلاف في أنها آية من سورة النمل في قول الله عز وجل: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[٣]. أما الخلاف فهو يدور حول ما إذا كانت آية من القرآن تقرأ في بداية كل سورة أم لا، أو أنها آية من سورة الفاتحة.

أما كونها آية من آيات القرآن فقد تباينت في ذلك آراء الفقهاء فعند الإمام أبي حنيفة: ليست آية في أوائل السور وإنما هي استفتاح بها[٤] وقال الإمام مالك بمثل هذا[٥]. والحجة أن القرآن لا يثبت بأخبار الآحاد وإنما ثبت بالتواتر القطعي الذي لا مجال فيه للاختلاف. وقال ابن العربي: «ويكفيك أنها ليست بقرآن للاختلاف فيها والقرآن لا يختلف فيه فإن إنكار القرآن كفر فإن قيل: ولو لم تكن قرآناً لكان مُدخلها في القرآن كافراً، قلنا: الاختلاف فيها يمنع من أن تكون آية ويمنع من

(١) الدر المنثور في التفسير المأثور للإمام جلال الدين السيوطي ج١ ص٣١ .
(٢) الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي ج١ ص٩١ .
(٣) سورة النمل الآية ٣٠ .
(٤) أحكام القرآن للجصاص ج١ ص٨ .
(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج١ ص٩٣ .

تكفير من يعدّها من القرآن؛ فإن الكفر لا يكون إلا بمخالفة النص والإجماع في أبواب العقائد»[١].

وعند الإمام الشافعي أنها آية في سورة الفاتحة أما في السُّور الأخرى فقال مرة: بأنها آية من كل سورة وقال مرة أخرى: إنها ليست آية إلا في سورة الفاتحة وحدها. والحجة في ذلك ما رواه أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (**إذا قرأتم الحمد لله رب العالمين فاقرؤا بسم الله الرحمن الرحيم إنها أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني وبسم الله الرحمن الرحيم إحداها**)[٢]. وما رواه أنس بن مالك قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسماً فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: (**أنزلت علي آنفاً سورة**) فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾[٣]. ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾[٤]. ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾[٥].

وكما وقع الاختلاف في كونها آية من القرآن وقع الخلاف في الجهر بها في الصلاة؛ فمن قال: يجهر بها احتج بما أخرجه البخاري عن أنس أنه سئل عن قراءة رسول الله ﷺ فقال: كانت مدّاً ثم قرأ بسم الله

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي ج١ ص٣ .

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، ج٣ ص١٧٩، برقم (١١٨٣)، قال الألباني: صحيح. والحديث أخرجه مسلم في كتاب الصلاة باب حجة من قال: البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة برقم (٤٠٠)، ج٢ ص٢٧٦، مسلم مع شرح السنوسي.

(٣) سورة الكوثر الآية ١ .

(٤) سورة الكوثر الآية ٢ .

(٥) سورة الكوثر الآية ٣ ، والحديث أخرجه مسلم في كتاب الصلاة برقم (٤٠٠) .

الرحمن الرحيم يمد ببسم الله ويمد الرحمن ويمد بالرحيم(١). وأخرج الحاكم في مستدركه وأحمد في المسند وأبو داود في السنن عن أم سلمة أنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقطع قراءته آية آية بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين(٢).

ومن قال: بعدم الجهر بها احتج بما ورد عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين(٣). وما ورد أيضاً في صحيح مسلم عن أنس قال: صليت خلف رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان فكانوا يفتتحون بالحمد لله رب العالمين لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في أول قراءة ولا في آخرها(٤).

قلت: ورغم هذا الاختلاف فقد جرى عمل المسلمين على أن (بسم الله الرحمن الرحيم) تعد آية من سورة الفاتحة وأنها توضع في ابتداء كل سورة من سور القرآن الكريم سوى براءة ولكنها لا تعد آية من آياتها.

والله تعالى أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن باب مد القراءة برقم (٥٠٤٦)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٧٠٩.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ج٣ ص٣٠٢، وقال الألباني حديث صحيح برقم (٣٣٧٩).

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب من لم ير الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم، برقم (٧٨٣) ج١ ص٢٠٨، والترمذي في كتاب الإقامة، باب افتتاح القراءة، برقم (٨١٢) ج١ ص٢٦٧، وأحمد في المسند ج٦ ص٣١ .

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب حجة من قال لا يجهر بالبسملة، برقم (٣٩٩)، صحيح مسلم بشرح الأبي والسنوسي ج٢ ص٢٧٥ .

سورة الفاتحة

مكية وآياتها سبع آيات

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾.

هذه السورة مكية نزلت على رسول الله ﷺ وهو في مكة(١)، وتشتمل على تعظيم الله بتحميده وتمجيده، وتفرده بالربوبية، وهذا هو مضمون غالب السور المكية خلافاً للسور المدنية التي نزلت على رسول الله ﷺ وتشتمل على الأحكام والتشريع. وسميت الفاتحة لأن القرآن الكريم يُسْتفتح بها. ومن أسمائها أم الكتاب، وأم القرآن، وآياتها سبع، وتستفتح قراءتها باسم الله الرحمن الرحيم كما هو الحال في سور القرآن الأخرى سوى براءة؛ لأن في هذا الاستفتاح تعظيماً له وتبركاً باسمه عز وجل، ووصفه بما وصف به نفسه من الرحمة لخلقه.

بيان الآيات:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الحمد تعظيم للمحمود لصفات فيه، وليس أحد أعظم من الله في أسمائه وصفاته؛ فهو المستحق وحده

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج١ ص٨، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج١ ص١١٥، وتفسير البيضاوي ج١ ص٥، وتفسير أبي السعود ج١ ص٨.

للحمد والثناء عليه، والشكر له بما هو أهله. والحمد نوعان: نوع لا يكون إلا لله كحمده على خلقه وصنعه، وحمده بما يعني عبادته والتوكل عليه، والخضوع له، والاستعانة والاستعاذة والاستغاثة به، وإخلاص العمل له فهذا الحمد لا يكون إلا له حصراً. ونوع في معنى الثناء على فعل اتصف به الممدوح من الخلق في أمور الدنيا كالكرم والشجاعة وحسن الخلق، ونحو ذلك من الأفعال المحمودة. ﴿رَبِّ﴾ الرب هو المالك المتصرف خالق الخلق، ومدبرهم، ومصرفهم، ومحييهم، ومميتهم وباعثهم ليوم الحساب ﴿ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ هم من خلق الله من الملائكة والإنس والجن، وكافة المخلوقات من الحيوان، والنبات وهذا هو توحيد الربوبية.

﴿ٱلرَّحْمَـٰنِ﴾ اسم من أسماء الله عزوجل يدل على اتصافه بالرحمة في ذاته العليا ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ خصوصية أخرى له عزوجل؛ فهو رحيم بعباده رفيق بهم يغفر لهم سيئاتهم وخطيئاتهم، ويتوب عليهم ويغفر لهم جزاء توبتهم قال تعالى: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾[١] وقد تضمنت هذه الآية توحيد الأسماء والصفات[٢].

﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ (المالك) هو المتصرف القادر على فعل مايريد

---

(١) سورة طه الآية ٨٢ .

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر الطبري ج١ ص٥٥-٥٩، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج١ ص١٣٩ .

لقوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾[١]، وقوله عز ذكره ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[٢]، وقوله: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾[٣]. ﴿يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ يوم الجزاء والحساب بعد قيام الساعة، ورجوع العباد إلى ربهم.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أي: إننا خلقك، وعبيدك ما نعبد إلا إياك ولا نتذلل أو نخضع إلا لك؛ فأنت المختص وحدك بالعبادة لأنك خالقنا ورازقنا، والمتصرف فينا بعلمك، وقوتك ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أي: أننا نستعين بك على طاعتك، واجتناب معاصيك. كما نستعين بك على قضاء حوائجنا بما هو خير لنا في ديننا ودنيانا وقد تضمنت هذه الآية توحيد الألوهية.

﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ هذا دعاء يدعو به العبد يسأل فيه ربه أن يهديه إلى الطريق الذي يوصله إلى مرضاته، وذلك باتباعه الصراط المستقيم، وهو هنا دين الإسلام الذي جاء به رسول الله محمد ﷺ كما قال الله عزوجل على لسانه ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٤].

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ بعد أن أرشد الله عباده أن يدعوه للهداية إلى الصراط المستقيم الذي لا عوج فيه، بيَّن عزوجل أن هذا الصراط هو طريق الذين أنعم عليهم واختصهم بفضله، وهم: النبيون

---

(١) سورة الحج من الآية ١٨ .

(٢) سورة الحج من الآية ١٤ .

(٣) سورة البروج الآية ١٦ .

(٤) سورة الأنعام الآية ١٥٣ .

والصديقون والشهداء والصالحون. وقد ورد هذا البيان في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾(١). ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِۚ﴾(٢).

﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ لما بيَّن الله عز وجل وصف وفضل أصحاب الصراط المستقيم بيَّن أن المغضوب عليهم لا يدخلون في هذا الوصف أو الفضل لما فعلوه من معصية الله، وعدم تصديقهم لرسالة نبيه ورسوله محمد ﷺ. ويدخل فيهم اليهود بالأولى الذين أنكروا هذه الرسالة كما يدخل في هذا الوصف كل من كان على شاكلتهم، أو سار على نهجهم إلى يوم الدين.

﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ وكما بيَّن الله حال المغضوب عليهم بيَّن حال الضالين بأنهم ليسوا من المنعم عليهم بسبب ضلالهم حين حادوا عن الطريق الصحيح فعبدوا الله بما لم يشرعه لهم. ويدخل فيهم النصارى بالأولى إما لكونهم أشركوا مع الله غيره حين قالوا: إن المسيح ابن الله، أو لكونهم يعبدون الله على جهل وضلال.

أحكام ومسائل الآيات:

الأحكام في سورة الفاتحة نوعان: حكم من خارجها لا يدل عليه

---

(١) سورة النساء الآية ٦٩.

(٢) سورة النساء من الآية ٧٠.

سياق النص، وحكم أو أحكام دلت عليه آياتها. أما الحكم الذي من خارجها فوجوب قراءتها في الصلاة وعدم صحة الصلاة إلا بقراءتها سواء كان المصلي إماماً أو مأموماً أو منفرداً أو كان يصلي فرضاً أو نفلاً لقول رسول الله ﷺ: (**لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب**)[١]. وقوله: (**من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج -ثلاثاً- غير تمام**)[٢]. وقوله عليه الصلاة والسلام: (**قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، يقول الله تعالى: حمدني عبدي. وإذا قال: الرحمن الرحيم، يقول الله تعالى: أثنى علي عبدي. وإذا قال: مالك يوم الدين، قال: مجدني عبدي. فإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين، يقول الله تعالى: فهذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل. فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، يقول الله: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل**)[٣].

أما مادلت عليه آياتها من أحكام فهي: وجوب توحيد الله في ربوبيته وتفرده المطلق بهذه الربوبية. والأصل فيه قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأذان باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها برقم (٧٥٦)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٢ ص٢٧٦ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، برقم (٣٩٥)، صحيح مسلم بشرح الأبي والسنوسي ج٢ ص٢٦٢ .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، برقم (٣٩٥)، صحيح مسلم بشرح الأبي والسنوسي ج٢ ص٢٦٢ .

﴿ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ فهذا يقتضي أنه لا رب للعالمين من الملائكة والجن والإنس وغيرهم إلا هو. وجوب توحيد الله في ألوهيته وتفرده المطلق بهذه الألوهية لقوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ وهذا يقتضي حكماً إثبات العبادة، والاستعانة، وما في حكمهما لله عز وجل، ونفي ذلك عما سواه. وجوب توحيد الله في أسمائه وصفاته بما يقتضي أنه لا ند له، ولا شبيه، ولا نظير وقوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ يقتضي حكماً أن هاتين الصفتين من أسمائه وما في حكمهما من الأسماء القدسية لذاته العلية ولا تليق إلا بالله عز وجل.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة البقرة

مدنية وآياتها ست وثمانون ومائتان

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ الٓمٓ ﴾ هذه الآية ونحوها في القرآن الكريم مثل ﴿ الٓر ﴾

و﴿الٓمٓر﴾ و﴿صٓ﴾ و ﴿طسٓ﴾ آيات استأثر الله بعلم معانيها فلم يرد فيها نص يدل على هذه المعاني فوجب الإيمان بها دون تعليل أو تأويل.

﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ (ذلك) بمعنى هذا، والمراد بالكتاب القرآن الذي نزل على رسول الله محمد ﷺ منجماً بما فيه من أحكام الدين والدنيا ليكون منيراً للمسلمين طريقهم، وموجهاً لهم في أمور دينهم ودنياهم ﴿لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ أي: لا شك فيه لأنه منزل من عند الله محفوظ عنده في اللوح المحفوظ لا تتطرق إليه الشبهات، ولا يدخله شك كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[1] وفي هذا رد على المشركين الذين لم يؤمنوا به، ولم يصدقوا نزوله حين قال لهم: هذا من عند الله فخاطبهم الله بأن الكتاب منزل من عنده بلا ريب، وأن رسوله لم يكن إلا مبلغاً له.

﴿هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ الهدى الموصل إلى الطريق القويم الذي تحصل به السعادة في الدارين، وهذا الهدى لا يحصل إلا للمتقين الذين يرجون رحمة الله ويخافون عقابه وهؤلاء خلاف الغالين الذين ينكرون الحق، ويكذبون الرسول فالقرآن إذاً لا ينفعهم لأنهم لم يؤمنوا به أصلاً بسبب غوايتهم وضلالهم. ولهذا قال الله فيهم: ﴿قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ

---

(١) سورة الحجر الآية ٩.

ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ﴾(١).

﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ بعد أن بيّن الله عز وجل هداية القرآن للمتقين، بيَّن صفتهم وهي أولاً أنهم: ﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ وهذا يشمل كل ما غيبه الله عن الخلق واختص هو بعلمه كالوقت الذي تقوم فيه الساعة، وأجل الإنسان ونحو ذلك من المغيبات. الصفة الثانية: قوله ﴿ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ والإقامة تشمل أداءها في أوقاتها وفق شروطها وأركانها، وما تقتضيه من الطهارة وإخلاص النية بها لله عزوجل. الصفة الثالثة: قوله عزوجل ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ وهذا الإنفاق إما أن يكون على أنفسهم، ومن يعولون بما تقتضيه أحكام النفقة الموجبة، وإما أن يكون إنفاقهم في سبيل الله كإخراج زكاة أموالهم والصدقة على المحتاجين والفقراء، وبذل ما ينفع الأمة في دينها ودنياها. والإنفاق مما رزق الله العبد مضاد للبخل والشح لأن الباخل إنما يبخل عن نفسه كما قال الله عز وجل: ﴿ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾(٢). ولهذا فإن من صفات المؤمنين تسارعهم إلى البذل والعطاء في سبيل الله حتى يحصل التوازن النسبي بين أغنياء الأمة وفقرائها، وحتى

---

(١) سورة فصلت من الآية ٤٤ .

(٢) سورة محمد من الآية ٣٨ .

لا يكون المال دولة بين أغنيائها فتكون هدفاً للنزاع والشقاق. قوله عز وجل. ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ ﴾ هذه هي الصفة الرابعة أي: أنهم يؤمنون أشد الإيمان بما نزل الله إليك (يامحمد) وهو الكتاب بآياته، وحروفه، ومحكماته، ومتشابهه كما قال تعالى عنهم ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ ﴾[١] كما أنهم يؤمنون بالسنة التي جاءت عن رسول الله ﷺ من قوله، أو فعله، أو تقريره؛ لأنه عليه الصلاة أوتي الحكمة لما وصفه الله به في قوله تعالى ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ﴾[٢]. ومن صفات هؤلاء أيضاً أنهم يؤمنون بما أنزل الله من الكتب على الرسل الذين أرسلهم قبل محمد عليه الصلاة والسلام؛ ومن ذلك نزول التوراة على موسى ونزول الإنجيل على عيسى ونزول الزبور على داود عليهم السلام. وهذا الإيمان يجب أن ينصب على التصديق بهذه الكتب كما نزلت من عند الله. أما إذا دخل عليها التحريف بالزيادة أو النقص فلا يجب الإيمان بما حصل من التحريف بها بل يجب الكفر به وإنكاره. والإيمان بهذه الكتب إيمان بالرسل الذين جاؤوا بها، وهذا الإيمان مُنْصَبٌّ على أنهم رسل من عند الله ولكنهم بشر ليس لهم خصائص أخرى غير هذه كما

(١) سورة آل عمران من الآية ٧ .

(٢) سورة النساء من الآية ١١٣ .

زعمت اليهود أن عزيراً ابن الله، وما زعمته طوائف من النصارى أن عيسى ابن الله (تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً).

الصفة الخامسة قول الله عز وجل ﴿ وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ أي: يؤمنون إيماناً راسخاً برجوع الناس إلى ربهم حين تقوم الساعة فيجزى المحسنون بإحسانهم، ويجزى المسيئون بما عملوا وهؤلاء بإيمانهم بالآخرة قد آمنوا بأحد أركان الإيمان، وهم بهذا الإيمان على خلاف المنكرين للبعث من الدهريين والماديين ومن على شاكلتهم الذين قالوا: ﴿ وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾[1]. فنفى الله عنهم صفة العلم وأكد أنه هو الذي يحييهم ويميتهم ويجمعهم يوم القيامة فقال عز وجل ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾[2].

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ أي: إن هؤلاء الموصوفين بهذه الصفات الخمس أصبحوا على هدى من الله بسبب إيمانهم وصلاحهم، واستقامتهم، وتصديقهم بما جاء عن ربهم على لسان نبيه ورسوله محمد ﷺ، فلما اجتمعت فيهم هذه الخصال استحقوا بسببها هذا الهدى والمنزلة العظيمة ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ في هذا تأكيد من الله عز وجل بأن هؤلاء هم الجديرون برضى ربهم.

---

(١) سورة الجاثية من الآية ٢٤ .

(٢) سورة الجاثية من الآية ٢٦ .

أحكام ومسائل الآيات:

وجوب نفي الريبة أو الشك في كتاب الله مع وجوب التصديق به في كلماته وحروفه ومحكمه ومتشابهه. وجوب الإيمان بكل ما غيبه الله عن خلقه واختص هو بعلمه ووقت حدوثه. وجوب إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والإيمان بالقرآن الذي أنزله الله على رسوله ونبيه محمد ﷺ. وجوب الإيمان بالكتب التي أنزلها الله على الأنبياء والرسل الذين أرسلوا قبله إلى الأمم السابقة. وجوب اليقين بيوم الآخرة وهو اليوم الذي يجمع الله فيه عباده للحساب والجزاء.

قلت: فهذه وإن جاءت في كلام الله صفات للمتقين فهي أحكام معروفة من دين الله بالضرورة قضى بها على عباده ووردت نصّاً في آيات أخرى من كتابه كقوله ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾[١]. وقوله ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ ﴾[٢]. وقوله ﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴾[٣].

وهذه الأحكام واجبة على المخاطبين بها من العباد فمن آمن بها نجا، ومن كفر بها هلك.

---

(١) سورة البقرة من الآية ٤٣ .

(٢) سورة البقرة من الآية ١٣٦ .

(٣) سورة الحج الآية ٧ .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٧ ﴾.

بيان الآيتين:

لما بيَّن الله صفات المؤمنين بيَّن صفات ضدهم من الكفار فقال لنبيه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ أي: إنهم بكفرهم قد مالوا عن الحق فعصوا الله، وعصوا رسوله وكذبوه؛ فهم بهذا السلوك لن يستجيبوا للحق سواء خوفتهم بالعقاب أم لم تخوفهم، والسبب في هذا أن الله قد طبع على قلوبهم وأسماعهم وأبصارهم بقوله عز وجل ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ ﴾. وإصابتهم بهذه الآفات راجعة إلى معاندتهم للحق وهذا من عند أنفسهم وليس من عند الله لأنه بيّن للإنسان الطريق المستقيم في قوله عز وجل ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾[1] أي: بيَّنا له طريق الخير وطريق الشر، وطريق الهدى والضلال فهو إلى ما اختار منهما، فإذا اختار طريق الشر طبع الله على قلبه وسمعه فصار عليه غشاوة لا يسمع ولا يبصر بسببها. ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ أي: أنهم بسبب كفرهم وجحودهم، وعنادهم للحق أصبحوا

(١) سورة البلد الآية ١٠ .

مستحقين لمقت الله وسخطه لأن الجزاء من جنس العمل، والأنفس مرهونة بعملها كما قال الله تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[1].

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن الكفرة يصرون على غيهم وضلالهم رغم ما يأتيهم من البينات لأن الكفر يطبع على قلوبهم وأسماعهم وأبصارهم، فلا يهتدون إلى الحق وهذا يقتضي التحذير من اتباع سبيلهم.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ بعد أن بيَّن الله صفة المؤمنين وصفة الكافرين بيَّن صفة المنافقين الذين ظهروا في المدينة بعد هجرة رسول الله ﷺ إليها، وخاصة بعد معركة بدر؛ ذلك أن الله لما أعز المسلمين، وقويت شوكتهم، وظهرت قوتهم، عزّ ذلك على المنافقين خاصة عبد الله بن أبي بن سلول وأتباعه فأظهروا الإسلام

(١) سورة المدثر الآية ٣٨ .

ولكنهم كانوا في حقيقتهم منافقين، ففضحهم الله في هذه الآيات وفي سورة التوبة كما سيأتي.

ولأنهم لم يكونوا في بواطنهم مثل ظواهرهم بيَّن الله لرسوله حقيقتهم فقال ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ وهذا نفي لما كانوا يدّعونه.

﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ وفي هذا بيان من الله أنهم كانوا يعتقدون أنهم يخادعون الله والمؤمنين فيخفُون عنهم نفاقهم، وهذا دليل على جهلهم وضلالهم لأنهم بفعلهم هذا ما يخدعون إلا أنفسهم؛ لأن الله منزه عما يقولون ولن يضارّ بخداعهم وكذبهم. كما أن المؤمنين لن يضاروا كذلك بخداعهم، فالذي يتضرر من الخداع هم أنفسهم لما يحصل لهم من العذاب وسوء العاقبة. ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ بأنَّهم يخادعون أنفسهم وذلك بسبب جهلهم وسفاهتهم وضعف عقولهم.

﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ المرض هنا مرض نفسي وعقلي سببه الشك والنفاق وعدم الإيمان، وهذا المرض أخطر من المرض الجسماني لأن مرض الجسم قد يشفى منه أما مرض القلب فهو داء قاتل لأن سببه المعاصي لكونها تتابع على صاحبها؛ فالسيئة تتبع السيئة كما أن الحسنة تتبع الحسنة. ولهذا قال الله تعالى ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ أي: بسبب نفاقهم وكذبهم كما قال في آية أخرى ﴿وَأَمَّا

ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾[١]. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾ أي: أنهم يتعرضون للعذاب الشديد جزاء كذبهم ونفاقهم.

أحكام ومسائل الآيات:

تحريم الكذب كما قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾[٢]. ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٣]. ومن الأحكام: تحريم النفاق وله نوعان: نفاق اعتقادي، وهو شأن من ذكرهم الله في الآية وهذا يعدّ كفراً ويخرج من الملة، ونفاق عملي أو ظاهري وهو ما عناه رسول الله ﷺ بقوله: (**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان**)[٤]، وهذا لا يخرج من الملة.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾.

---

(١) سور التوبة الآية ١٢٥ .

(٢) سورة النحل من الآية ١١٦ .

(٣) سورة النحل الآية ١١٧ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ج١ ص٢٠٠، وتفسير القرآن العظيم ج١ ص٤٧، والحديث أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق برقم (١٠٧)، صحيح مسلم بشرح الأبي والسنوسي ج١ ص٢٧٧ .

بيان الآيات:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ يخبر تعالى عن حال هؤلاء المنافقين أنهم إذا قال أحد الناصحين لهم: لا تفسدوا في الأرض بارتكابكم المعاصي، وسلوككم سبيل النفاق ﴿ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ فكشف الله سرائرهم، وبيَّن حالهم، وصفتهم فقال ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ وفي هذا بيان منه تعالى ذكره أن النفاق إفساد في الأرض لأنه إما كفر وإما كبيرة من كبائر الذنوب. والكفر فساد لأن الله لما خلق الإنسان أراد منه الإصلاح بإعمار الأرض بعبادته وطاعته أولاً ثم بإعمارها بما يصلح دنياه فإذا كفر فقد أفسد في الأرض خلافاً لما أراده الله منه بإعمارها. والمعاصي كذلك إفساد في الأرض فالكذب، وخيانة الأمانة، والفجور في الخصومة علامات للنفاق وهذه كلها إفساد في الأرض. ولهذا وصف الله الأخنس بن شريق[١] بأنه من المفسدين في الأرض لكونه من المنافقين فقال ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ

---

(١) هو الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب بن علاج وكان اسمه أبياً فلما أشار على بني زهرة بالرجوع إلى مكة في غزوة بدر فقبلوا منه فرجعوا قيل: خنس بهم فسمِّي الأخنس وكان حليفاً لبني زهرة وأعطاه رسول الله ﷺ مع المؤلفة قلوبهم. وذكر ابن عطية عن السدي أن الأخنس جاء إلى النبي ﷺ فأظهر الإسلام وقال: الله يعلم إني صادق، ثم هرب بعد ذلك فمرّ بقوم من المسلمين فحرق زرعاً وقتل حراً فنزلت فيه ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ.. ﴾ الآية. وتوفي في خلافة عمر رضي الله عنه. الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر، ج١ ص٢٣، وأسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ج١ ص٦٥ .

ٱلْخِصَامِ﴾[١]. ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾[٢].

وقول الله عزوجل عن هؤلاء المنافقين ﴿وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ بيان عن المرض الذي أصابهم في عقولهم فأصبحوا لا يفرقون بين الحق والباطل بادعائهم أنهم مصلحون بينما هم في الحقيقة فاسدون في أنفسهم، ومفسدون في الأرض بسلوكهم.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾ وهذا أيضاً إخبار عن المنافقين بأنهم إذا قال أحد من الناصحين لهم: آمنوا كما آمن الناس أي: صدّقوا بكتاب الله، ورسالة نبيه محمد ﷺ، وبما جاء به من وجوب الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر قالوا بصيغة الإستفهام الإنكاري: ﴿أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ﴾ ويقصدون بذلك صحابة رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار مما يدل على كفرهم. ولأن الله يعلم سرائرهم، وفساد عقيدتهم قال عزوجل ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ أي: أنهم الجهلة الذين فقدوا بصيرتهم لضعف عقولهم، وقصور مداركهم، وسوء معرفتهم، فهم لا يعلمون حقيقتهم، وما هم عليه من الضلال لأن الجاهل لا يدرك مصلحته فيضر نفسه .

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٠٤ .

(٢) سورة البقرة الآية ٢٠٥ .

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن المفسدين في الأرض يدَّعون دائماً أنهم مصلحون وهم على خلاف ذلك. تقرير أن المنافقين والمخادعين مفسدون في الأرض لأن المصلح هو من يكون عمله خالصاً لله عز وجل فإذا خالف باطنه ظاهره كان منافقاً. تقرير أن المنافقين يصفون المصلحين الحقيقيين بالسفاهة بينما هم السفهاء ولكن مرض قلوبهم يجعلهم لا يشعرون بما هم فيه من الضلال.

﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَـٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ يخبر الله تعالى أيضاً عن صفة من صفات المنافقين حين يلقون المؤمنين أو يجالسونهم فيقولون: نحن مؤمنون مثلكم نؤمن بما تؤمنون به، ونصدق بما تصدقون به، ولكنهم إذا خلوا إلى شياطينهم أي: رؤسائهم وكبرائهم وعاتبوهم على صنيعهم

مع المؤمنين اعتذروا لهم، وقالوا: إنا معكم، وما عملناه مع المؤمنين ليس إلا مجرد استهزاء وسخرية بهم، فكافأهم الله على فعلهم هذا بالاستهزاء بهم بقوله ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾.

ومن سوء عاقبتهم بسبب نفاقهم أن الله يمهلهم ويستدرجهم في مجاوزتهم للحدِّ، وفيما هم فيه من مرض قلوبهم لتتضاعف لهم العقوبة كما قال تعالى ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[١].

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ ﴾ وفي آخر وصف للمنافقين بيَّن الله أنهم بنفاقهم قد اشتروا الضلال بالهدى أي: باعوا الإيمان بالضلال، والحق بالباطل، فهم كمثل من باع سلعة ثمينة فاشترى مكانها سلعة فاسدة، ولا يفعل هذا إلا من سفه عقله فلم يعد يفرق بين الثمين والخسيس من الأشياء؛ فهؤلاء لم ولن يربحوا تجارة، وليسوا بمهتدين إلى الحق ومصداقه قول الله تعالى ﴿ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴾.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن للمنافقين صفتين متضادتين: صفة يلقون بها المؤمنين فيدعون أنهم منهم وهم كاذبون. وصفة يلقون بها رؤساءهم وأمثالهم

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٧٨ .

فيقولون لهم: إنا معكم ومنكم وما نفعله مع الآخرين إنما هو استهزاء وسخرية بهم. تقرير أن الله مطلع على سرائرهم فيمهلهم حتى يضاعف لهم العقوبة إن لم يتوبوا. وصف الله للمنافقين بأنهم قد اشتروا الضلال بالهدى والحق بالباطل وهم بذلك قد خسروا أنفسهم في الدنيا والآخرة.

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ ضرب الله مثلاً لهؤلاء المنافقين بالذي يوقد أو يستوقد من غيره ناراً كي تضيء له ما هو فيه من الظلمة؛ فإذا أضاءت ما حوله وفرح بها وانتفع منها سلبت منه،

وهذا هو حال المنافقين الذين يتظاهرون بالإسلام لحمايتهم وأهليهم وأموالهم، ولكنهم سرعان ما يجدون حقيقة فعلهم عند مماتهم، وما يلاقونه من العذاب بسبب ما كانوا يخفونه في بواطنهم.

﴿ صُمٌّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴾ أي: أنهم لا يريدون سماع الحق، ولا يحبون أن ينطقوا به، أو يبصروه فهم لن يرجعوا إلى الحق لأنهم لم يكونوا جهلة به حتى يرجى رجوعهم إليه بعد معرفته، وإنما هم قد عرفوه فأنكروه عن علم وإصرار فكانت هذه صفاتهم.

﴿ أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ ﴾ وهذا مثال آخر لحال المنافقين فمثلهم كمثل الذي واجه مطراً من السماء فيه ظلمة ورعد وبرق فجعل أصابعه في آذانه حتى لا يسمع الصواعق المصاحبة للمطر؛ فالمنافقون مثله يضعون أصابعهم في آذانهم حتى لا يسمعوا الحق ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ أي: أنه عالم بسرائرهم وأحوالهم وسوف يجازيهم على أفعالهم .

﴿ يَكَادُ ٱلۡبَرۡقُ يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ وفي هذا تشبيه للمنافقين بالذي يمشي إذا أضاء له البرق،

وإذا اختفى عنه توقف؛ فالمنافقون إذا رأوا في الإسلام ما ينفعهم في دنياهم آمنوا به، وإذا لم يروا فيه ما ينفعهم في دنياهم نافقوا وقالوا بألسنتهم ما ليس في قلوبهم. ولو أراد الله أن يعذبهم في الدنيا لذهب بأسماعهم وأبصارهم عقوبة لهم فهو القادر على ذلك دون غيره.

أحكام ومسائل الآيات:

منها: التقرير بأن الله يضرب الأمثال للناس لتقريب الأحكام إليهم لعلهم يعقلونها كما قال عز وجل: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾[1]. وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ﴾[2]. ومنها: تنديد الله بالمنافقين وتوكيده على كفرهم وسوء عاقبتهم. ورغم شرورهم وآذاهم فقد صبر عليهم رسول الله ﷺ وكان بإمكانه معاقبتهم لما ثبت عنهم من الأذى وتواطئهم مع المشركين في مكة والكيد له وأصحابه والاستهزاء بهم. وقيل: إن لصبره عليه الصلاة والسلام أسباباً منها: أنه لا يعلم حالهم إلا هو بموجب ما أوحي إليه فهو قاضٍ والقاضي لا يحكم بعلمه. ومنها: أنه لم يعاقبهم لما رأى في ذلك من المصلحة لأنه لو فعل لقال الناس: إنه يقتل أصحابه خاصة والناس لا يعرفون حقيقتهم فهم في ظاهرهم مسلمون وقد

---

(١) سورة العنكبوت الآية ٤٣ .

(٢) سورة الحج من الآية ٧٣ .

أشار عليه الصلاة والسلام إلى هذا فقال: (**لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه**)(١). ولا شك أنه ﷺ بعث مبشراً لا منفراً، ومؤلفاً لا مفرقاً، وميسراً لا معسراً، وساتراً للعورات لا كاشفاً لها فرجا من ربه أن يهدي هؤلاء فيتركوا النفاق ويعودوا إلى سبيل الهدى والرشاد. وكان هذا دأبه عليه الصلاة والسلام فلما لقي من المشركين ما لقيه من الأذى والطرد سأله جبريل بأن ربه يسأله عما إذا كان يطبق عليهم الأخشبين فرجا ربه ألا يفعل وقال: (**بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً**)(٢).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ هذا أمر من الله لجميع الناس في مختلف أجناسهم، وألوانهم، وأماكنهم،

(١) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب ما ينهى من دعوى الجاهلية برقم (٣٥١٨)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٦ ص٦٣١ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين، برقم (٣٢٣١)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٦ ص٣٦٠ .

وأزمانهم أن يعبدوه، ويوحدوه لأنه الخالق لهم ولمن قبلهم من جنسهم، ولأن مقتضى الخلق أصلاً هو عبادته كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[1]. والإشارة إلى الخلق والعبادة في الآية أمر للناس بتوحيد الله في ربوبيته وأمر بتوحيده في ألوهيته لتلازمهما في وجوب الاعتقاد والعمل. ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ والمعنى أنكم إذا عبدتم الله ووحدتموه في هذه العبادة حصلت لكم التقوى، وهذه غاية ما يتمناه العبد المؤمن.

﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً ﴾ الآية. لما أمر الله العباد أن يوحدوه في ربوبيته وألوهيته بيَّن لهم أنه جعل لهم الأرض سهلة قابلة للإقامة فيها كما قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا ﴾[2]. كما جعل لهم السماء بناء أي: بمثابة السقف الواقي لهم من الحرارة والبرودة كما قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴾[3]. ثم بعد ذلك أنزل لهم المطر ليكون وسيلة إلى إنبات الزروع وسائر أنواع النبات التي تسد حاجاتهم من الطعام لهم. وفي هذا قال تعالى: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴾[4]. ﴿ أَنَّا صَبَبْنَا

(١) سورة الذاريات الآية ٥٦ .

(٢) سورة الملك من الآية ١٥ .

(٣) سورة الأنبياء الآية ٣٢ .

(٤) سورة عبس الآية ٢٤ .

ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴾[١]. ﴿ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴾[٢]. ﴿ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴾[٣]. ﴿ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴾[٤]. ﴿ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴾[٥]. ﴿ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴾[٦]. ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾[٧]. ﴿ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾[٨].

ولما كان هذا هو الحال من نعم الله على خلقه فقد وجب عليهم ألا يجعلوا له شريكاً لأنهم يعلمون حقاً أنه لا ند له ولا شريك؛ فإن أشركوا معه أحداً غيره في ربوبيته أو ألوهيته أو أسمائه وصفاته فقد ارتكبوا إثماً عظيماً وخسروا رحمته ومغفرته وفي هذا قال عز وجل ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[٩]. وقال رسوله محمد ﷺ: (**أعظم الذنوب عند الله أن تجعل لله ندّاً وهو خلقك**)[١٠].

---

(١) سورة عبس الآية ٢٥ .
(٢) سورة عبس الآية ٢٦ .
(٣) سورة عبس الآية ٢٧ .
(٤) سورة عبس الآية ٢٨ .
(٥) سورة عبس الآية ٢٩ .
(٦) سورة عبس الآية ٣٠ .
(٧) سورة عبس الآية ٣١ .
(٨) سورة عبس الآية ٣٢ .
(٩) سورة النساء من الآية ٤٨ .
(١٠) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب قوله تعالى: (فلا تجعلوا لله أنداداً) برقم (٧٥٢٠) صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٣ ص٥٠٠، بلفظ: «أي الذنب أعظم عند الله قال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك».

أحكام ومسائل الآيتين:

وجوب عبادة الله وحده لكونها السبب في خلق الخلق فاختص بها حكماً الذي خلقهم (وهو الله) وفرش لهم الأرض وبنى لهم السماء وأنزل لهم المطر الذي فيه طعامهم وشرابهم. ومن الأحكام في الآية: وجوب توحيد الله لكونه الواحد المتفرد بالعبادة وهذا يقتضي حكماً تحريم إشراك غيره معه فمن أشرك به فقد حبط عمله كما قال عزوجل لنبيه: ﴿ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾[1]. ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ ﴾[2].

﴿ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ ﴾

الآية لما بيَّن الله عز وجل ما يجب على الخلق من توحيده بيَّن أن ما جاء به رسوله ونبيه محمد ﷺ منزل من عنده وهو القرآن، ثم تحدى

---

(١) سورة الزمر الآية ٦٥ .

(٢) سورة الزمر من الآية ٦٦ .

الذين كذّبوا رسوله وعاندوه بأن يأتوا بسورة من مثله في إعجازه وعليهم أن يدعوا أعوانهم لمساعدتهم إن كانوا صادقين حقاً. وقد كرر الله هذا التحدي في سور أخرى من القرآن فقال عزوجل ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[١]. وقال ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[٢]. وقال ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[٣]. فدل هذا حكماً وعدلاً وصدقاً على أن القرآن معجزة من معجزات الله أوحى الله به إلى نبيه ورسوله كما قال عليه الصلاة والسلام: (**ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحى الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة**)[٤].

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾ الآية. وفي هذا نفي من الله -وهو العليم- أنهم لن يفعلوا لأن القرآن كلامه المعجز في حروفه وآياته

---

(١) سورة يونس الآية ٣٨ .

(٢) سورة هود الآية ١٣ .

(٣) سورة الإسراء الآية ٨٨ .

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته، برقم (٢٣٩) مسلم بشرح الأبي والسنوسي ج١ ص٤٣٨ - ٤٣٩.

وأحكامه، ولا يمكن بأي حال أن يكون كلام المخلوقين مثل كلامه لأن ذلك من المستحيل، فهل الأبكم -ولله المثل الأعلى- يستطيع أن يتكلم بمثل ما يتكلم به الفصيح المعافى في لسانه، وهل يستطيع الأصم أن يسمع مثل ما يسمع السليم في سمعه؟ كلا. ورأفةً بهؤلاء المعاندين الجاحدين لرسالة نبيه حذرهم الله من النار إذا استمروا على ما هم عليه من العناد والجحود لأن وقود هذه النار هم الناس الذين على شاكلتهم من أهل الكفر، كما أن وقودها من الحجارة ذات الحرارة الشديدة التي يزداد حرها شدة إذا ألقيت في النار.

أحكام ومسائل الآيتين:

منها: أن القرآن منزل من عند الله، وأنه كلام معجز، وأن البشر مهما أوتوا من العلم والبيان لا يستطيعون أن يأتوا بسورة مثله. وهذا يقتضي كفر من يشكك في القرآن، أو يكذب به، أو ينسبه إلى غير الله في بعضه أو كله. ومنها: دعوة الله لعباده أن يتقوا النار وهذا لا يكون إلا بتوحيد الله وطاعته وطاعة رسوله وتصديق رسالته.

﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾.

بيان الآية:

﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ لما ذكر الله في الآيات السابقة صفة المنافقين والكافرين وأحوالهم، وما أعد لهم من العذاب، أمر الله رسوله ونبيه محمداً ﷺ أن يبشر المؤمنين -والمراد بهم المهتدون بهدي القرآن المؤتمرون بما أمر الله به والمنتهون عما نهى عنه - بأن لهم جنات فيها جميع الخيرات والملذات تجري من تحتها الأنهار، فكلما أوتوا من هذه الجنات ثمرات قالوا: هذا الذي رزقنا من قبل، وذلك لتشابهها عليهم في اللون والرائحة مع اختلاف في الطعم والمذاق. وفي هذه الجنان زوجات لهم يختلفن عن زوجاتهم في الدنيا، وذلك لطهارتهن من الحيض والقذر وغير ذلك. ويبشرهم كذلك أنهم في هذه الجنان خالدون لا يخرجون منها أبداً.

أحكام ومسائل الآية:

منها: تقرير البشرى من الله لعباده المؤمنين وهذه البشرى وعد منه وحاشاه أن يخلف الميعاد. ومنها: تذكير العباد أن طاعتهم لله ولرسوله ليست عبثاً بل لها جزاء عظيم هو الجنة. ومنها: أن هذه البشرى وردت بعد ذكر جزاء الكافرين للدلالة على أن العمل يجزى بمثله وهذا غاية العدل.

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ ﴾ لما ضرب الله مثلاً للمنافقين بمن استوقد ناراً ثم أذهب الله نوره كحال المنافق، ومثلاً بالصيب من السماء وما فيه من الظلمات والرعد والبرق وما يجعله السامع والرائي في أذنيه من الخوف كما هو حال المنافق في صمم أذنيه عن الحق، قال المنافقون: كيف يضرب الله الأمثال، ولماذا يضربها ؟ فبين تعالى في هذه الآية أنه لا يستحي من ضرب الأمثلة بأي شيء كان كبيراً أو صغيراً، ونظير ذلك ضربه عز وجل المثل بالذباب كما في قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ﴾[1]. كما ضرب مثلاً

---

(١) سورة الحج من الآية ٧٣ .

بالعنكبوت في قوله تبارك وتعالى ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾(١).

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ أي: أن ضرب الأمثال حق من ربهم فيصدقونها ويعتبرون بها ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ﴾ أي: أن ضربه عزوجل للأمثال مما يضل به كثيراً من الناس لعلمه أنهم يكذبونها ويعترضون عليها وهؤلاء هم الكافرون. كما أن ضربه تبارك وتعالى للأمثال مما يهدي به كثيراً من الناس لعلمه أنهم يؤمنون بها ويصدقونها. ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ وقد وصفهم في الآية التالية بقوله عز وجل ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ والعهد المراد في هذه الآية عهدان: عهد بين الله وعباده أن يعبدوه، ويوحدوه ولا يشركوا به، ويأتمروا بأوامره وينتهوا عن نواهيه وفي هذا قال تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾(٢). ﴿أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً

(١) سورة العنكبوت الآية ٤١ .

(٢) سورة الأعراف الآية ١٧٢ .

﴿مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ أَفَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ﴾[(١)]. أما العهد الثاني فهو ما يكون بين العباد من العهود والمواثيق في أمور دنياهم كما قال عزوجل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾[(٢)]. وقوله ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا﴾[(٣)].

﴿وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ وهذا يشمل عقوق الوالدين، وقطع صلة الأرحام من الأقارب كما قال تعالى ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ﴾[(٤)]. كما يشمل ذلك قطع كل ما أمر الله به أن يوصل في أمور الدين أو الدنيا، وهؤلاء على نقيض المؤمنين الذين مدحهم الله بقوله ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ﴾[(٥)]. ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ﴾[(٦)].

﴿وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ الإفساد في الأرض له وجوه كثيرة، وجماعه الكفر وارتكاب المعاصي كالتعدي على الحرمات والطغيان والظلم، وتسلط الأقوياء على الضعفاء، وضياع الحقوق، وأكل الأموال

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٧٣ .
(٢) سورة المائدة من الآية ١ .
(٣) الإسراء من الآية ٣٤ .
(٤) سورة محمد الآية ٢٢ .
(٥) سورة الرعد الآية ٢٠ .
(٦) سورة الرعد الآية ٢١ .

بالباطل، والربا، والرشا، وكل مخالفة لأمر الله وأمر رسوله محمد ﷺ ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ الخسران فقدان الربح، ووصف الله لهؤلاء بالخسران لكونهم فقدوا حظوظهم في رحمة الله ومغفرته، وذلك بمعصيتهم له وعدم تصديقهم بما جاء به نبيه ورسوله محمد ﷺ. وقد بيَّن عز وجل أن الإنسان يكون دائماً خاسراً إلا إذا عمل الصالحات فقال ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾(١). ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾(٢).

أحكام ومسائل الآيتين:

تحريم نقض المواثيق سواء منها ما يتعلق بحقوق الله المتمثلة في طاعته والقيام بما أمر به والانتهاء عما نهى عنه، أو ما يتعلق بالحقوق التي تقوم بين الناس في أمور حقوقهم كزواجهم وبيوعهم وكل ما فيه عهد بينهم. ومن الأحكام: تحريم عقوق الوالدين، وقطيعة الأرحام وسائر أحكام الفساد في الأرض كالظلم والقذف والطعن في الأنساب، وجور الولاة، وعدم إعطاء الحقوق لأصحابها ونحو ذلك.

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَـٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ

(١) سورة العصر الآية ٢ .

(٢) سورة العصر الآية ٣ .

لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا ﴾ الآية. هذا استفهام من الله بمعنى التعجب والإنكار على هؤلاء الكافرين الذين يجحدون وجوده؛ وهو الذي أنشأهم من العدم فأحياهم فخرجوا إلى الدنيا ثم يميتهم بعد انتهاء آجالهم ثم يحييهم بعد النفخ في الصور ثم يرجعون إليه ليوم الحساب والجزاء، فمن كان هذا سلوكه من أهل الكفر فهو دليل على ضلاله وفساد عقله.

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ بعد أن بيَّن الله كمال قدرته في الخلق والبعث، بيّن عز وجل أنه هو الذي خلق جميع ما في الأرض من الجبال والبحار والأنهار وسائر أنواع النبات وغيرها كما قال تعالى ﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴾[١]. ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴾[٢]. ﴿ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴾[٣]. ﴿ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾[٤].

فمن كان هذا عمله وهذه قدرته فهو بلا ريب المستحق للاعتراف المطلق

---

(١) سورة النازعات الآية ٣٠ .

(٢) سورة النازعات الآية ٣١ .

(٣) سورة النازعات الآية ٣٢ .

(٤) سورة النازعات الآية ٣٣ .

بربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍۚ﴾ ولعل المراد أنه عز وجل بعد أن خلق الأرض وما فيها قصد إلى السماء فجعلها سبع سماوات بعضها فوق بعض في العلو والترتيب ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ أي: أن علمه وقدرته محيطة بكل ما في السموات والأرض وما فيهما فتقدست أسماؤه وصفاته، وله الحمد في الأولى والآخرة .

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير عجب الله من الإنسان الذي يكفر به وهو يعلم أنه الذي أحياه من العدم ثم يميته ثم يعيده إليه. ومن الأحكام: إباحة ما خلق الله في الأرض لعباده؛ ومع أن الآية جاءت في معرض الدلالة على قدرة الله إلا أنها دليل على منته على خلقه بتسخير ما في الأرض لهم سواء كان ذلك في مجال المطعومات كالنبات أو المشروبات وأساسها الماء، أو في مجال الانتفاع كالمعادن واستغلال الجبال والبحار والأنهار، أو في مجال الاستمتاع كالسياحة في الأرض ونحو ذلك. فكل ما سخره الله لعباده مباح لهم، ولا يمنع منه إلا ما حرمه عليهم بحكم كتحريمه لحم الخنزير، وذوي الناب من السباع، وذوي المخالب من الطيور، وكذا الخمر ونحو ذلك من المحرمات مما هو معروف من دين الله بالضرورة.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةًۖ قَالُوٓا۟

أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٠)﴾.

بيان الآية:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ الآية هذا إخبار من الله تعالى لنبيه ورسوله محمد ﷺ أنه قال للملائكة: إني جاعل في الأرض خليفة، والمراد بذلك آدم وذريته، فقال الملائكة على سبيل الاستفهام: أتجعل فيها من يفسد فيها، وذلك بارتكاب المعاصي والقتل وغيره بينما نحن نسبح بحمدك ونقدسك ونعبدك، فأجابهم الله بقوله تعالى ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

أي أنكم ترون أن سلوك بني آدم على ذلك النحو الذي ذكرتم من الفساد إلا أني أعلم ما لا تعلمونه أنتم؛ وعلم الله أحق وأوسع وأحكم من علم خلقه سواء الملائكة عليهم السلام، أم غيرهم من الإنس والجن؛ فهو يعلم أن في بني آدم عصاة كما يعلم أن فيهم الرسل الذين يبلغون رسالته، وفيهم الأنبياء والصالحون والشهداء الذين يموتون في سبيله، وفيهم العلماء والعُبَّاد والزُّهَّاد الذين يسبحون بحمده ويستغفرونه بكرة وعشياً.

أحكام ومسائل الآية:

تقرير أن سؤال الملائكة لربهم كان سؤال استفهام وليس سؤال اعتراض؛ فهم يعرفون أنه إذا أراد أمراً فلا راد لأمره وإذا حكم فلا

معقب لحكمه؛ وقد أجابهم جل وعلا بلطف ورفق بأنه يعلم ما لا يعلمونه. وفيها: تقرير فضل آدم وشرفه فقد علم الله بعلمه المطلق أن من ذريته الرسل والصالحين والمجاهدين في سبيل إعلاء دينه.

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ أي: أن الله علّم آدم أسماء الإنسان، والماء، والنبات، والحيوان وسائر الأسماء ومعانيها، وتعليم الله لآدم تعليم لذريته؛ فما علمه الإنسان في الماضي، وما يعلمه في الحاضر، وما سيعلمه في المستقبل من علم فهو من عند الله. ولا غرابة في هذا فهو الذي خلقه وهو الذي يسر له طريق العلم، ووسيلته إليه وهي العقل؛ فما يعلمه الإنسان من علم في الطب أو الفيزياء أو الفضاء أو في أي: علم آخر فكله من عند الله وفي هذا قال تعالى ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[١]. ولهذا علم آدم الأسماء حتى تعلم

---

(١) سورة العلق الآية ٥ .

الملائكة أنه ما من أحد يعلم علماً إلا هو، وذلك جواباً لهم حين قالوا ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ وحتى يكون ذلك أبلغ في الجواب عرض عليهم المسمَّيات وقال ﴿أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي: إن كنتم أفضل من آدم الذي خلقته وأردت أن يكون هو وذريته في الأرض.

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾ نستغفرك وحاشا أن نعترض على حكمتك وقدرك ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾ مطلقاً ﴿إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ كرماً وفضلاً منك ومنة علينا ﴿إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ أي: المحيط علمه بكل ما كان وما هو كائن وما سيكون لا تخفى عليه خافية ولا تغيب عنه غائبة يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ﴾ لما اعترف الملائكة بعجزهم أمر الله آدم أن يخبرهم بالأسماء التي عجزوا عن معرفتها فلما عرفوا الأسماء التي أخبرهم بها آدم عرفوا مكانته، وما أراده الله من الحكمة في خلقه وذريته وحينئذٍ قال الله لهم ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ أي: ألم أقل لكم إني أعلم ما لا تعلمون، وإن علمكم قاصر عن علمي فأنتم مخلوقون وأنا الخالق لا إلَه غيري.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير قدرة الله تعالى في تعليمه آدم أسماء الموجودات ومنها: أسماء الملائكة. الحكم بأنه ما من علم علمه الإنسان في أي زمان أو مكان إلا بتعليم الله له كما قال عز وجل ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[1]. وفيها: الحكم أن الله يعلم ما في الغيب في الكون في علوه وسفله فلا تخفى عليه خافية.

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾.

بيان الآية:

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ لما عرف الملائكة فضل آدم أمرهم الله بالسجود له فسجدوا، ولعل المراد بالسجود هنا تكريمه طاعة لله، وامتثالاً لأمره أما السجود الحقيقي بمعناه العبادي فهو لله وليس لأحد غيره. وقد أبى إبليس واستكبر عن السجود لآدم حسداً له فأصبح بذلك من الكافرين العاصين لله بالامتناع عن طاعته. ولما سأله الله عن سبب امتناعه عن السجود ﴿ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾[2]، فبذلك حقت عليه اللعنة لقاء كفره وعصيانه.

---

(١) سورة العلق الآية ٥ .

(٢) سورة الحجر الآية ٣٣ .

أحكام ومسائل الآية:

السجود الذي أمر الله به الملائكة أن يسجدوا لآدم هو تكريمه طاعة لله وامتثالاً لأمره، وقد يكون على نحو الانحناء أو وضعه أمامهم كحال القبلة(١). أما السجود بمعناه العبادي والاعتقادي فهذا لا يكون إلا لله وحده. ولهذا قال رسول الله ﷺ: **(لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها)**(٢) فنفى عليه الصلاة والسلام بهذا السجودَ إلا لله. تقرير عداوة إبليس لآدم وذريته حيث أبى عن السجود تكبراً وحسداً؛ وهذا يقتضي من بني آدم الحذر منه، ووجوب معصيته فيما يأمرهم به.

﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ الآية. لما أكرم الله آدم

---

(١) أحكام القرآن، ج١ ص١٦.

(٢) أخرجه أحمد ج٤ ص٣٨١، وأبو داود في كتاب النكاح باب حق الزوج على المرأة، برقم (٢١٤٠)، ج٢ ص٢٤٤، وابن ماجة في كتاب النكاح، باب حق الزوج على المرأة، برقم (١٨٥٢)، سنن ابن ماجة، ج١ ص٥٩٤.

وأمر الملائكة بالسجود له أسكنه وزوجه الجنة يعيشان فيها عيشاً هانئاً ويحييان فيها حياة كريمة ثم نهاهما عن الأكل من شجرة معينة[١] لحكمة أرادها، وقدر قدَّره وقال لهما: لا تأكلا منها ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

ولما كان من شأن إبليس الغواية والضلال صار يوسوس لهما حتى أطاعاه فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما كما قال تعالى ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾[٢] ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[٣].

وبسبب طاعتهما إبليس أخرجهما الله من الجنة ليهبطوا إلى الدنيا بما فيها من المشاق والمتاعب، وتستمر العداوة بين إبليس وآدم وذريته إلى أجل معلوم هو قيام الساعة وفي هذا قال عز وجل ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾.

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ والمعنى أن آدم أخذ ما ألقاه الله إليه من كلمات التوبة والاستغفار من خطيئته وعصيانه لربّه، وهذه

---

(١) لم يرد في الأثر الصحيح اسم للشجرة المذكورة.

(٢) سورة الأعراف الآية ٢١.

(٣) سورة الأعراف من الآية ٢٢.

الكلمات هي قوله ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾(١).

﴿فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ أي: على آدم وغفر له خطيئته. وكما فتح الله باب التوبة له وتاب عليه فتح باب التوبة لذريته رأفة ورحمة بهم من العذاب كما قال تعالى ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾(٢). وقال عزوجل ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ ﴾(٣). وقال تقدست أسماؤه ﴿ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾(٤). وقال ﴿ وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾(٥).

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ أي: الذي يحب من عباده أن يتوبوا إليه من ذنوبهم لأنه أرحم بهم من أنفسهم؛ فبالتوبة ينجيهم من عذابه.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير عاقبة المعصية التي أخرجت آدم من الجنة كما قال عز وجل ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾(٦). ومن الأحكام: وجوب التوبة من الذنب الذي يرتكبه العبد، وكما علم الله آدم التوبة فتاب من ذنبه واستغفر

(١) سورة الأعراف من الآية ٢٣ .
(٢) سورة النساء من الآية ٢٧ .
(٣) سورة التوبة من الآية ١٠٤ .
(٤) سورة الأحزاب من الآية ٧٣ .
(٥) سورة هود الآية ٩٠ .
(٦) سورة طه من الآية ١٢١ .

منه، بيَّن لعباده قبوله لتوبتهم في قوله جل ذكره ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ ﴾[١]. وبين وقتها بأنها قبل حلول الأجل كما سيأتي في سورة النساء. ثم بيَّن رسوله محمد ﷺ شروطها وهي كما سيأتي: الندم على المعصية وتركها والعزم على عدم العودة إليها[٢].

﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ﴾ الآية هذا بيان من الله عز وجل أنه قال لآدم وزوجه وإبليس اهبطوا كلكم إلى الأرض فإن جاءكم مني هدى فاتبعوه لأن من اتبعه لن يخاف، ولن يحزن، ولن يشقى كما قال عزوجل ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾[٣].

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ والمعنى أن الذين يكذبون بآيات الله، وما أنزله من البينات، ومن أرسله إليهم من الرسل سيكونون من أصحاب الخلود في النار.

---

(١) سورة طه من الآية ٨٢ .

(٢) تفسير البيضاوي ج١ ص٥٥ .

(٣) سورة طه من الآية ١٢٣ .

أحكام ومسائل الآيتين:

منها: أن معصية الله والخروج على أمره سبب لشقاء الإنسان، فما كان هبوط آدم إلى الأرض إلا بسبب عدم طاعته أمر ربه بترك الأكل من الشجرة كما قال عز وجل ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾[1]. ومنها: تقرير العذاب الأبدي للذين يكفرون بالله ويكذبون آياته.

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ٤٠ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ٤١ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٤٢ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ٤٣﴾.

بيان الآيات:

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾[2] لما ذكر الله تعالى حال المنافقين والكافرين الذين ناصبوا رسول الله ﷺ العداوة وعلى رأسهم اليهود الذين كانوا يقيمون في المدينة[3] مكان هجرة رسول الله ﷺ ويتحدثون عن أسلافهم ليغيظوا بذلك المسلمين،

---

(١) سورة طه من الآية ١٢١.

(٢) بنو إسرائيل أي: ذرية إسحاق بن يعقوب بن إبراهيم عليهم السلام.

(٣) وجود طوائف من اليهود في المدينة كان نتيجة هجرة طارئة كحالهم في التفرق بعد الشتات الذي ضرب عليهم أي: أنهم لم يكونوا أصلاً من المدينة.

خاطبهم الله بتذكيرهم بما أنعم عليهم، وبما كان من أسلافهم من المعاصي، وعدم طاعة الله، وعدم طاعة أنبيائهم ثم حذرهم من عواقب فعلهم، وأن ما حل بأسلافهم من العذاب سيحل بهم إذا لم يتوبوا فقال عزوجل ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ﴾ أي: اصدقوا وآمنوا بما أخذته عليكم من الإيمان بكتبي، ورسلي ومنهم محمد ﷺ كما قال تعالى في الآية الأخرى ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾(١).

﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ أي: أضمن لكم الجزاء الحسن ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ أي: اخشوني ولا تخشوا أحداً غيري.

﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ وفي هذا دعوة لليهود أن يؤمنوا بالقرآن الذي نزل على محمد ﷺ لكونه مصدقاً أي: موافقاً للتوراة التي نزلت على نبيهم موسى، وفي هذا دليل على أن الكتب السماوية متفقة على توحيد الله، وطاعته، والائتمار بأوامره، والانتهاء

(١) سورة المائدة الآية ١٢.

عن نواهيه؛ فمن أنكر القرآن من أهل التوراة، أو من أهل الإنجيل فهو منكر أصلاً لكتابه ويعد غير مؤمن بكتابه ﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ﴾ أي: لا تكونوا أول من يكفر بالقرآن، وبالذي أنزل على محمد ﴿وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ﴾ أي: لا تجعلوا الدنيا أهم من طاعتي وتصديق رسولي فإنها زائلة وتقوى الله وطاعته أهم من الدنيا وما فيها.

﴿وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ الآية وفي هذا نهي لهم عن خطيئتين: أولاهما: إلباس الحق بالباطل أي: تصوير الباطل وكأنه حق بينما هو في حقيقته باطل. ومن ذلك ما كانوا يقومون به في المدينة من الدسائس والفتن، وقولهم: إن نبيهم موسى وليس محمداً. وثانيتهما: كتمان الحق أي: إخفاء ما يعلمونه في كتابهم عن نبوة ورسالة محمد ﷺ، وأنه مرسل للثقلين الجن والإنس، وأن رسالته ناسخة للرسالات السابقة ودينه آخر الأديان.

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ وهذا أمر لليهود أن يقيموا الصلاة أي: يؤدوها بأركانها وشروطها، وأن يدفعوا الزكاة إلى رسول الله ﷺ مثل المسلمين، وأن يركعوا معهم في ركوعهم وسجودهم. وجماع هذا كله أن الله أمرهم أن يدخلوا في دين الإسلام، ويتركوا دين اليهودية والنصرانية بوصفه أصبح منسوخاً بدين الإسلام.

أحكام ومسائل الآيات:

وجوب الوفاء بالعهد، وهذا عام لجميع العباد. وهذا يشمل -كما سبق ذكره- العهد مع الله بطاعته والعهد مع عباده في أمور دنياهم.

وجوب الجهر بالحق وتحريم كتمانه كما قال عزوجل ﴿وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ وفي هذا تشديد في الإثم وقال في كتمانه الشهادة ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾[1]. وكما أوجب الله الوفاء بالعهد وحرم كتم الحق، حرم التلبيس وإيهام الناس وإضلالهم بخلط الحق بالباطل بقصد تزيين الباطل في عقول الناس ليظنوا أنه الحق وهو ليس كذلك. ومن الأحكام: الأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والركوع. أما الصلاة فهي ركن من أركان الإسلام لا يصح الإسلام إلا بها. وأما الزكاة فهي قرينتها وهي ركن من أركان الإسلام ولا يصح الإسلام إلا بالاقرار بها وإخراجها من صاحب المال. وأما الركوع فيشمل الركوع والسجود وفيه دلالة على وجوب صلاة الجماعة، وقد ذكره الله لأن أهل الجاهلية كانوا يستثقلونه.

﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَـٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾.

---

(١) سورة البقرة من الآية ٢٨٣ .

بيان الآيات:

﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ﴾ في هذا توبيخ لليهود حين يأمرون غيرهم بالخير والصلاح، وينسون أنفسهم فيتعارض قولهم مع فعلهم وهذا من أكبر الإثم وأشنعه لما فيه من النفاق، ومخادعة الله. وفي هذا قال تعالى على لسان شعيب ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ﴾[١]. ﴿وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾. أي: أنكم مع نسيانكم أنفسكم تعرفون ما في كتابكم من أمركم بتصديق رسولي وكتابي ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ أي: لا تدركون ما أنتم عليه من الخطأ والإثم بسلوككم هذا لأن العاقل هو الذي يفعل الخير حين يأمر به، وينتهي عن السوء حين ينهى عنه.

﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾ الاستعانة بالصبر دعوة إلى ترويض النفس على طاعة الله، والبعد عن محارمه ونواهيه، والصبر على أقداره، وعلى مصائب الدنيا، ومن يستعن بالصلاة يتصف بالإيمان والعمل الصالح، والبعد عن السوء كما قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ﴾[٢]. ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ﴾. أي: إنها ثقيلة إلا على الذين يخشعون من مخافة الله، ويرجون ثوابه. ثم بيّن تعالى هؤلاء بقوله ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ

(١) سورة هود من الآية ٨٨.

(٢) سورة العنكبوت من الآية ٤٥.

رَٰجِعُونَ ﴾ الظن هنا بمعنى اليقين قال ابن جرير: «العرب قد تسمي اليقين ظناً والشك ظناً نظير تسميتهم الظلمة سدفة والضياء سدفة والمغيث صارخاً والمستغيث صارخاً وما أشبه ذلك من الأسماء التي يسمى بها الشيء وضده»[١]. وعلى هذا فهم يظنون أي: يوقنون أنهم راجعون إلى ربهم يوم القيامة يرجون ثوابه ويخافون عقابه.

أحكام ومسائل الآيات:

يجب أن يكون الآمر بالخير فاعلاً له حتى يكون أمره به أبلغ في نفس المأمور به، وقد وصف الله من يفعل خلاف ذلك بالمقت فقال عزوجل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾[٢]. ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾[٣].

فضيلة الاستعانة بالصبر والصلاة فقد أمر الله عباده أن يصبروا على ما يلاقونه في جهادهم فقال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ ﴾[٤]. وأمرهم بالاستعانة بالصلاة كما أمرهم بذلك رسول الله ﷺ فكان إذا نزل به أمر فزع إلى الصلاة لما فيها من مناجاة الله وطلب العون منه في السراء والضراء.

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج٢ ص١٧ .

(٢) سورة الصف الآية ٢ .

(٣) سورة الصف الآية ٣ .

(٤) سورة آل عمران من الآية ٢٠٠ .

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ في هذا تذكير من الله لبني إسرائيل بنعمه التي أنعم بها عليهم -ومنها: ما سيأتي ذكره من النجاة من آل فرعون- وتفضيله لهم (على العالمين) والمراد منه تفضيلهم على أهل زمانهم لاتباعهم نبيهم موسى، وليس المراد منه تفضيلهم على غيرهم من الأمم لجنسهم كما يزعمون؛ ذلك أنهم لما كانوا مؤمنين برسالة نبيهم طائعين الله فضّلهم على غيرهم من الأمم التي كانت عاصية في زمانهم. أما بعد أن عصوا أنبياءهم، واعتدوا عليهم، فقد غضب الله عليهم، وسلط عليهم الأمم وشتتهم في الأرض وضرب عليهم الذلة والمسكنة كما سيأتي ذكره. ونظير هذا قول الله تعالى لأمة محمد ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾[١]. فهذه الخيرية مقرونة بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإيمان بالله، فإذا انتفت هذه الصفات لم يكن للخيرية معنى؛ ذلك أن الله لا

---

(١) سورة آل عمران من الآية ١١٠ .

ينظر إلى الأمم إلا حسب تقواها كما قال عز وجل ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[(١)].

﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ الآية. في هذا تحذير لبني إسرائيل من إنكارهم للرسالة، وأمر لهم أن يتقوا يوم القيامة وهو اليوم الذي لا تغني فيه نفس عن نفس شيئاً ولو كانت أقرب ما تكون لها في الدنيا. وهو كذلك اليوم الذي لا تقبل فيه شفاعة من أحد لأحد إلا بإذن الله كما قال تعالى ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[(٢)]. وهو أيضاً اليوم الذي لا يؤخذ فيه من النفس عدل أي: فداء، وليس فيه نصير لأحد إلا بعمله الصالح أو رحمة الله له.

أحكام ومسائل الآيتين:

لما كانت النعم التي يتمتع بها العباد سواء في أنفسهم أو في حياتهم هي من عند الله كما قال عز وجل ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾[(٣)] وجب عليهم الاعتراف بها من جهة ذكرها، وجهة شكرها. أما ذكرها فيكون بالقلب واللسان كما قال تعالى ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾[(٤)] ومن ذكره ذكر نعمه ويكون بالأثر أي بما يظهره الإنسان من نعم الله عليه تجاه نفسه وتجاه غيره فمن حيث نفسه قال رسول الله ﷺ:

---

(١) سورة الحجرات من الآية ١٣ .
(٢) سورة البقرة من الآية ٢٥٥ .
(٣) سورة النحل من الآية ٥٣ .
(٤) سورة البقرة من الآية ١٥٢ .

(إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده)[١]. ومن حيث غيره بما ينفقه من صدقة وبر ونحو ذلك.

أما جهة شكرها فهو إقرار بنعم الله وشكره عليها يزيد منها كما قال عز وجل ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[٢].

ومن هذه الأحكام: أن الشفاعة يوم القيامة لا تكون إلا للمؤمنين.

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ (٤٩) وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ (٥٠) وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ (٥١) ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٥٢) وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (٥٣)﴾.

بيان الآيات:

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ هذه نعمة امتن الله بها على بني إسرائيل، حيث نجاهم من فرعون وقومه فقد كانوا يعذبونهم أشد العذاب

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الأدب باب ما جاء إن الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده، برقم (٢٨١٩)، سنن الترمذي ج٥ ص١١٤، وأبو داود في كتاب اللباس باب في غسل الثوب وفي الخلقان، برقم (٤٠٦٣)، سنن أبي داود ج٤ ص٥١ .

(٢) سورة إبراهيم من الآية ٧ .

وأقساه، وذلك بقتل ذكورهم، واستحياء نسائهم أي: إبقائهنّ أحياء حتى يكنَّ رقيقاً. قوله ﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ المراد من البلاء إما أن يكون ما فعله بهم فرعون امتحاناً لهم بسبب سوء أفعالهم، أو يكون المراد من البلاء نعمة من الله عليهم لكونه أنجاهم مما كانوا فيه من العذاب. ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ﴾ أي: إن الله شق لهم البحر شقين والمراد به بحر القلزم (البحر الأحمر) فقد تحول إلى فرقتين، وبينهما أرض يابسة لكي يسيروا عليها ﴿وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ أي: أغرق الله فرعون وجنده بعد أن أطبق عليهم البحر وبنو إسرائيل ينظرون إليهم يتشفّون منهم. ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ﴾ المراد أنه بعد نجاة موسى وقومه من ظلم فرعون واعده الله أربعين ليلة هي ذو القعدة وعشر ذي الحجة ليعطيه التوراة ليحكم بها بين بني إسرائيل، ومع أنه كان عليهم أن يشكروا الله على نجاتهم من فرعون فقد عبدوا العجل في قصة السامري التي سيأتي إن شاء الله تفسيرها.

﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي: إن الله عفا عنهم رغم ظلمهم وعبادتهم العجل الصنم بعد أن ذهب موسى لميقات ربه عند انتهاء مدة المواعدة. ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ وهذه إحدى النعم التي أنعم الله بها على بني إسرائيل

وهي إنزال التوراة والفرقان على نبيهم موسى ابتغاء هدايتهم وتوبتهم إلى الله من معاصيهم.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات تقرير ابتلاء الله لبني إسرائيل وما تعرضوا له من العذاب من قبل فرعون وقومه. تقرير نعمه عليهم بنجاتهم من هذا العذاب حين عبروا البحر وأغرق الله فرعون وجنده وهم ينظرون إليه. ومنها: تقرير عفو الله عنهم رغم ظلمهم في عبادتهم العجل حين اتخذوه صنماً يعبدونه. ومنها: تقرير امتنان الله عليهم بإنزال التوراة على نبيهم لعلهم يهتدون.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم﴾ الآية

لما نجّى الله بني إسرائيل من فرعون ذهب نبيهم موسى ليناجي ربه وترك فيهم أخاه هارون فجعل السامري لهم عجلاً من ذهب وقال لهم: هذا إلَهكم وإلَه موسى فعليكم عبادته، فصدّقه أكثرهم فخرجوا بذلك من دينهم، فكان تكفيرهم عن ذنوبهم أن يقتل من لم يعبد منهم العجل مَن عَبَده، فتاب الله عليهم .

ثم بعد ذلك اختار موسى منهم عدداً ممن لم يعبد العجل وذهب بهم إلى جبل الطور ليعلنوا براءتهم ممن عبدوا العجل من قومهم ويدعوا الله أن يعفو عنهم. وكعادتهم في اللجاج والخصام قالوا لنبيهم لما وصلوا الطور: ادع لنا ربك أن يسمعنا كلامه .

وكانوا قالوا لموسى -لما قال لهم: إن الله قبل توبتهم- ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ فغضب الله عليهم بسبب تكذيبهم لموسى فأنزل عليهم صاعقة أهلكتهم .

﴿ثُمَّ بَعَثْنَـٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ وفي هذا أيضاً نعمة ومنة عليهم من الله فقد أحياهم بعد موتهم من الصاعقة لعلهم يتوبون إليه ويشكرونه على نعمه ويصدقون بما جاء به موسى ويتبعونه.

﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ﴾ وهذه أيضاً نعمة من الله عليهم أثناء وجودهم في (التيه)[١]. وهي تظليلهم بالسحاب ليقيهم من حرارة الشمس، وقسوة

---

(١) التيه الذي ابتلي به اليهود كان في صحراء سيناء .

البرد، وإنزال المن عليهم وهو اسم للرزق الذي كانوا يرزقونه أثناء محنتهم في التيه. ثم أنزل السلوى عليهم وهو طائر صغير يسمى السمانى طيب اللحم، وهذا كله من الطيبات التي رزقهم الله بها ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ المراد أنهم لم يضروا الله بأفعالهم، ومخالفتهم لأمره وعبادتهم الصنم، ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ أي: أنهم بفعلهم ذلك كانوا يظلمون أنفسهم لأن المعصية تعود على أصحابها بالضرر. أما الله عز وجل فلا تنفعه طاعة الطائعين، ولا تضره معصية العاصين.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأن الشرك بالله ظلم بل هو أشد الظلم وشاهده قول الله عزوجل ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾[1]. وهذا يقتضي حكماً عقاب المشرك بالله كما قال عزوجل ﴿وَمَن يَظۡلِم مِّنكُمۡ نُذِقۡهُ عَذَابٗا كَبِيرٗا﴾[2]. ومن الأحكام: وجوب التوبة وقد وعد الله التائبين بالعفو عنهم. ومنها: التنديد بالخصام والجدال كما فعل بنو إسرائيل حين قالوا لموسى ادع لنا ربك حتى يسمعنا كلامه. ومنها: وجوب شكر الله على نعمه على عباده.

﴿وَإِذۡ قُلۡنَا ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ فَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ رَغَدٗا وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ وَسَنَزِيدُ

(١) سورة لقمان من الآية ١٣ .
(٢) سورة الفرقان من الآية ١٩ .

ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ الآية والمعنى أنهم لما انتهوا من (التيه) الذي ابتلاهم الله به قادهم يوشع بن نون إلى قتال العمالقة فأمروا أن يدخلوا القرية التي فتحت لهم، وأن يدخلوها من بابها وهم ساجدون ويقولوا ﴿حِطَّةٌ﴾ أي: يطلبوا من الله أن يحط عنهم خطيئاتهم التي ارتكبوها وقد وعدهم أن يغفر لهم هذه الخطايا، ويزيد المحسنين منهم إذا امتثلوا لما قيل لهم، إلا أنهم لم يأتمروا بما أمروا به، فدخلوا وهم يزحفون، فمقت الله الظالمين منهم كما في قوله تعالى ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ والمعنى أنهم بدلوا القول الذي قيل لهم بقول آخر فلم يقولوا ﴿حِطَّةٌ﴾ بل قالوا: (حبة في شعيرة)[1] من باب الاستهزاء بدينهم ﴿رِجْزًا﴾ أي: عذاباً عذبوا به.

---

(١) روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (قيل لبني إسرائيل ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة فدخلوا يزحفون على أستاههم فبدلوا وقالوا حبة في شَعْرَه).
صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص١٤، كتاب التفسير باب قوله تعالى ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ ..﴾ برقم (٤٤٨٩) .

أحكام ومسائل الآيتين:

لما أُمِرَ اليهود أن يقولوا ﴿حِطَّةٌ﴾ أي: يدعوا الله أن يحط عنهم خطاياهم قالوا: (حبة في شعيرة) فارتكبوا بذلك إثمين أولهما: أنهم بدلوا ما أمروا به من القول، وهذا يقتضي تحريم تبديل أي أمر شرعي أو تحريفه أو تأويله بما يخرجه عن معناه كما قال تعالى ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾[1].

الثاني: أنهم استهزؤا بأمر الله، أو أمر نبيهم حين قالوا: حبة في شعيرة، وهذا يقتضي أن الاستهزاء بالدين كفر به. وفي هذا قال عزوجل في حق المنافقين الذين استهزؤوا برسول الله ﷺ وأصحابه ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾[2]. ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾[3].

﴿۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا

(١) سورة المائدة من الآية ١٣ .
(٢) سورة التوبة من الآية ٦٥ .
(٣) سورة التوبة من الآية ٦٦ .

تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَاۖ قَالَ أَتَسۡتَبۡدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدۡنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيۡرٌۚ ٱهۡبِطُواْ مِصۡرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡۗ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ (٦١)﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ﴾ الآية. وهذا أيضاً تذكير من الله تعالى بنعمه على بني إسرائيل لما استسقى لهم نبيهم موسى لإنقاذهم من العطش زمن (التيه) أمره الله أن يضرب حجراً معيناً فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً لكل قبيلة منهم عين يشربون منها، وهو معنى قوله تعالى ﴿قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۖ﴾ فلا يكون هناك مجال لأن يتزاحموا على السقيا ويختلفوا. وقيل لهم: ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ﴾ أي: كلوا مما أنزل الله عليكم من المن والسلوى، واشربوا من الماء الذي تفجر لكم ﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾ أي: عليكم ألا تعثوا فساداً في الأرض فتقابلوا نعم الله عليكم بالكفر والجحود.

﴿وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ﴾ الآية. في هذه الآية يخبر الله تعالى أن اليهود نادوا موسى باسمه قائلين له: لن نصبر

على طعام واحد، والمراد المن والسلوى الذي أنزله الله عليهم ﴿فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۢ بَقۡلِهَا﴾ والمراد منه النباتات الورقية وأنواع الخضروات كالبطاطس ﴿وَقِثَّآئِهَا﴾ أي: الخيار وما في حكمه ﴿وَفُومِهَا﴾ أي: ثومها ﴿وَعَدَسِهَا﴾ وهو المعروف باسمه ﴿وَبَصَلِهَا﴾ وهو معروف أيضاً باسمه. فقال لهم نبي الله موسى منكراً عليهم طلبهم: ﴿أَتَسۡتَبۡدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدۡنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيۡرٌۚ﴾ أي: أنكم ترغبون عن الأفضل من الطعام، وتطلبون ما هو أقل منه؛ فما طلبتم موجود في أي مصر كنتم فيه بينما طعامكم مما منَّ الله به عليكم من المن والسلوى لا تجدونه أينما اتجهتم. كما قال تعالى ﴿ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡۗ﴾. ولما كان هذا صنيعهم، وتكبّرهم على طعامهم، وازدراءهم له، ضرب الله عليهم الذلة والمسكنة كما قال تعالى ﴿وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾ والمراد أن الله ضرب عليهم الهوان[١]، والبوء أي: الرجوع بغضب الله، ونقمته عليهم لكفرهم بآيات الله الدالة على حكمته وقدرته، وقتلهم الأنبياء وعصيانهم واعتدائهم على محارم الله.

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج١ ص٣١٥-٣١٦، وتفسير القرآن العظيم ج١ ص٩٨.

أحكام ومسائل الآيتين:

وجوب شكر الله على نعمه، وتحريم الفساد في الأرض. ومن الأحكام: وجوب التأدب مع الأنبياء إذ أن مناداة اليهود لنبيهم موسى عليه السلام بقولهم: (يا موسى) فيه عدم تأدب معه بل احتقار له. ولما كان مرسلاً من الله فإن التأدب معه مما أمر الله به. ولهذا وصف الله الأعراب الذين نادوا نبينا محمد ﷺ بعدم العقل بقولهم: (يا محمد..) فقال جل ذكره ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[1]. ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾[2].

ومن الأحكام أيضاً: وجوب التأدب مع الله فقول اليهود لنبيهم موسى: ﴿ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ ﴾ سوء أدب مع الله فهو عزوجل ليس رب موسى وحده بل ربهم ورب الخلق أجمعين. ولهذا أمر الله المؤمنين بقوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾[3]. وهذا أمر يقتضي وجوب الأدب مع الله عز وجل في أقوالنا ومناجاتنا ودعائنا.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ

---

(١) سورة الحجرات الآية ٤ .
(٢) سورة الحجرات من الآية ٥ .
(٣) سورة الحجرات من الآية ١ .

ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾.

بيان الآية:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ الآية. المراد بالذين ﴿ءَامَنُوا۟﴾ المسلمون الذين آمنوا بالله، ووحدوه في ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته وصدقوا رسوله ونبيه محمداً ﷺ. والمراد بالذين ﴿هَادُوا۟﴾ اليهود الذين أرسل إليهم موسى وعدد من أنبيائهم. والمراد بـ ﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ أتباع نبي الله عيسى، وسموا بذلك لأنهم يتناصرون فيما بينهم أو لأن عيسى ولد في قرية (الناصرة) من قرى فلسطين[١]. أما (الصابئة) فهم فرقة لا تزال موجودة في العراق، ولهم ديانة وطقوس ليست من الإسلام أو اليهودية، أو النصرانية، وإن كان يتخللها شيء من هذه الديانات. وقد حكم الله أن المراد من العباد جميعاً هو الإيمان بالله، واليوم الآخر، وعمل الصالحات، وأن من كان هذا شأنهم وسبيلهم فلن يخافوا ولن يحزنوا لأنهم سيكونون من أولياء الله. وقد وعد الله أولياءه بذلك في قوله تعالى ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٢]. ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج١ ص٣١٨ .

(٢) سورة يونس الآية ٦٢ .

يَتَّقُونَ ﴾[1]. ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ﴾[2].

أحكام ومسائل الآية:

تقرير أن الديانة اليهودية والنصرانية لم تعودا صالحتين؛ لأن الإسلام نسخ كل دين قبله. ومصداق ذلك قول الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[3]، وقوله عزوجل ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْأَخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[4]. والعبرة ليست في المسميات والألفاظ ولا في تاريخ نزول الديانة، وإنما هي حقيقة الإيمان الذي جاء به رسول الله ﷺ بمعانيه، وأركانه، وحقيقته. ومن أحكام الآية: نفي أي ميزة لأي جنس أو قوم اتبعوا ديناً سابقاً، وحصر هذه الميزة في المؤمن المتبع لشريعة الله التي جاء بها نبيه ورسوله محمد ﷺ.

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِي ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ ﴾.

---

(١) سورة يونس الآية ٦٣ .

(٢) سورة يونس من الآية ٦٤ .

(٣) سورة آل عمران من الآية ١٩ .

(٤) سورة آل عمران الآية ٨٥ .

بيان الآيات:

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ ﴾ يذكّر الله بني إسرائيل أنه أخذ عليهم المواثيق بما فرض عليهم، وحتى يكون ذلك أبلغ وأشد عليهم فقد رفع الطور فوق رؤوسهم (والمراد به الجبل) ليقرّوا بهذه المواثيق، ويلتزموا بتنفيذها. ونظيره قول الله تعالى في موضع آخر ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ ﴾[1].

﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ ﴾المراد الالتزام بالتوراة بما فيها من توحيد الله، وعدم الإشراك به والإيمان برسله، وخاتمهم محمد ﷺ، وليس المراد الالتزام بها ديناً دائماً لكم كما قد يتوهم متوهم؛ ذلك أنه لا دين إلا دين الإسلام فمن لم يؤمن به بعد نزوله فهو كافر. ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ أي: إذا عملتم بما فيها فسيكون ذلك من تقواكم.

﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾ يقول الله: ورغم هذه المواثيق التي أخذت عليكم فقد أعرضتم، ولم تقوموا بما وجب عليكم القيام به حسب هذه المواثيق وكان فعلكم هذا يوجب لكم العذاب إلا أن فضل الله ورحمته لكم لم يجعلكم من الخاسرين.

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ ﴾وفي هذا توكيد من

(١) سورة الأعراف من الآية ١٧١ .

الله لليهود الذين كانوا مع رسول الله ﷺ في المدينة بما حدث لأسلافهم من المسخ؛ ذلك أن الله حرم عليهم صيد الحيتان يوم السبت امتحاناً لهم ليرى الله مدى التزامهم بهذا التحريم فاحتالوا عليه بما وضعوه من شباك وحبائل للصيد في اليوم السابق للسبت؛ فإذا حل هذا اليوم ووقعت الحيتان في الشباك والحبائل وانتهى يوم السبت جمعوها وأخذوها. ولما فعلوا ذلك مسخهم الله قردة وخنازير ﴿خَٰسِـِٔينَ﴾ أي: تغلبهم الذلة وتعلوهم المهانة جزاء فعلهم. وتفصيل هذه القصة سيرد إن شاء الله في سورة الأعراف.

أحكام ومسائل الآيات:

وجوب الوفاء بالمواثيق والعهود كما قال عز وجل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾[١]. وقوله عز ذكره ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا﴾[٢]. ومن الأحكام: تحريم الحيل التي تؤدي إلى تحليل ما لم يحله الله وفي ذلك روى سالم بن عبد الله عن أبيه عن رسول الله ﷺ قال: (**لا يجمع بين متفرق ولا يفرق بين مجتمع خشية الصدقة**)[٣]. وما رواه أيضاً أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول

---

(١) سورة المائدة من الآية ١ .

(٢) سورة الإسراء من الآية ٣٤ .

(٣) صحيح سنن ابن ماجة للألباني ج١ ص٣٠١، برقم (١٤٥٧)..

الله ﷺ قال: (**لعن الله المحلل والمحلل له**)[١]. قال الإمام ابن القيم: «إن الحيل المحرمة مخادعة لله، ومخادعة الله حرام. أما المقدمة الأولى فإن الصحابة والتابعين وهم أعلم الأمة بكلام الله ورسوله ومعانيه سموا ذلك خداعاً، وأما الثانية فإن الله ذم أهل الخداع وأخبر أن خداعهم إنما هو لأنفسهم وأن في قلوبهم مرضاً وأنه تعالى خادعهم، فكل هذا عقوبة لهم. ومدار الخداع على أصلين: أحدهما إظهار فعل لغير مقصوده الذي جعل له. الثاني: إظهار قول لغير مقصوده الذي وضع له، وهذا منطبق على الحيل المحرمة. وقد عاقب الله المتحيلين على إسقاط نصيب المساكين وقت جذاذ جنتهم عليهم وإهلاك ثمارهم فكيف بالمتحيل على إسقاط فرائض الله وحقوق خلقه ولعن أصحاب السبت وجعلهم قردة وخنازير على احتيالهم على فعل ما حرم عليهم»[٢].

﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ (٦٦)﴾

بيان الآية:

﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا﴾ أي: عقوبة المسخ التي حلت بهؤلاء لم تكن عقوبة لهم فحسب بل كانت تحذيراً وعقاباً لمن يفعل مثل ما فعلوا سواء من الأمم التي كانت في زمانهم، أو الأمم اللاحقة، وهو أصل قول

---

(١) صحيح سنن ابن ماجة للألباني ص٣٢٦، برقم (١٥٧٢).

(٢) إعلام الموقعين، ج٣ ص١٧٣-١٧٤ .

الله تعالى ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ أي: إن هذه العقوبة عبرة للغير كما قال تعالى ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ أي: الذين يتقون الله في أقوالهم وأفعالهم طمعاً في رحمته وخشية من عذابه.

أحكام ومسائل الآية:

تقرير أن العقوبة التي تصيب قوماً تكون تحذيراً لقوم آخرين؛ فإذا زلزل الله الأرض في مكان مَّا فإن الله يحذر أهل مكان آخر بأنه قد يحلّ بهم ما حلّ بغيرهم إذا لم يتوبوا ممَّا هم فيه من المعاصي كما قال تعالى ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾(١). ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾(٢).

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا

---

(١) سورة محمد الآية ١٠.

(٢) سورة محمد الآية ١١.

وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (٧٠) قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ (٧١) ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ ﴾ وهذا أيضاً تذكير لليهود بما حصل من أسلافهم فقد قتل أحدهم قريبه طمعاً في ثروته فاختلفوا فيما بينهم في القاتل من هو ؟ فذهبوا إلى موسى ليدعو الله أن يبين لهم القاتل، فقال لهم موسى: إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة فتضربوا بأحد أجزائها القتيل فيتكلم ويخبركم عن قاتله، فلم يصدقوا موسى في قوله فقالوا ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ﴾ أي: أنك تستهزئ منا، فردّ عليهم قائلاً: ﴿قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ أي: إني أستعيذ بالله أن أكون جاهلاً يقول لكم ما لا يعقله ولا يعرفه. فلما علموا صدق ما قاله موسى ﴿ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴾ ﴿فَارِضٌ ﴾أي: غير مسنة ﴿وَلَا بِكْرٌ ﴾أي: غير صغيرة بل هي ﴿عَوَانٌۢ ﴾ أي: متوسطة في عمرها بين الكبيرة والصغيرة، ولهذا عليكم أن تنفذوا ما أمرتم به من ذبح البقرة.

﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ

﴿صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾ أي: أنها شديدة الصفرة وجميلة المظهر، ودعاهم إلى القيام بما أمروا به ومع ذلك تمادوا في مكابرتهم.

﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا﴾ أي: أننا لم ندرك بعدُ ما هي البقرة التي علينا ذبحها لأن الأمر تشابه علينا.

﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ﴾ أي: أنها ليست سهلة الانقياد ﴿تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾ أي: لا تحرك الأرض ﴿وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ﴾ أي: أنها لم تعمل في حرث الزرع ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ أي: خالية من العيوب التي تصيب البقر. ﴿لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾ أي: لا شيء فيها من العيوب ﴿قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بما كنا نريده فنقبل إذاً ماذكرته لأنه حق. ولما اقتنعوا بالأوصاف التي ذكرت بحثوا عن البقرة فلم يجدوها بهذه الأوصاف إلا عند شخص باعها لهم بثمن عال ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ أي: أنهم ترددوا فيما أمروا به، وكان يغلب عليهم عدم ذبحها نظراً لتشددهم الذي آل بهم إلى بقرة غالية الثمن بينما كان من الممكن لهم ذبح أي بقرة، وتحقيق ما أمروا به دون هذا التشدد.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير ما كان عليه موسى مع قومه بني إسرائيل من الجدال وعدم الانقياد لتوجيهه لهم وعدم تصديقهم له مما يدل على سوء أدبهم معه وفي ذكر هذا فائدتان: الأولى: بيان الله لرسوله عن حال اليهود أيام دعوة

موسى لهم ليعرف من ذلك طبيعة اليهود والتعامل معهم. والثانية: توجيه الله لأمة محمد بألا يكونوا على تلك الحال التي كان عليها اليهود من عدم التأدب مع نبيهم ومجادلتهم له وخصامهم معه.

﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَءْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا ﴾ والمعنى أنكم قتلتم نفساً ﴿ فَادَّارَءْتُمْ فِيهَا ﴾ أي: تدافعتم كل منكم يدفع تهمة القتل عن نفسه، تقول طائفة منكم: قتلته الطائفة الأخرى، وهذه تتهم تلك، فكل يدفع تهمة القتل عنه ﴿ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ أي: سيكشف كتمانكم للقاتل.

﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ﴾ الآية والمعنى أنهم لما ذبحوا البقرة قيل لهم: اضربوا القتيل بجزء منها ففعلوا فأحياه الله فأخبرهم عمن قتله، وفي هذا دليل لهم على آيات الله ومعجزاته في إحياء الموتى لعلهم يعقلون فيعرفون أن الله حق فيما يقول ويفعل.

أحكام ومسائل الآيتين:

دل قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَءْتُمْ فِيهَا ﴾ على أن قتيلاً من

بني إسرائيل قتل غيلة وأمرهم الله أن يضربوا القتيل بجزء من البقرة التي ذبحوها ففعلوا فقام حياً فأخبرهم بقاتله. فهذا حكم جرى في بني إسرائيل، وإحياء القتيل معجزة من معجزات الله.

والمراد هو ما إذا كان هذا الحكم الذي جرى في بني إسرائيل شرع لنا بمعنى هل يقبل قول ولي الدم في قتل وليه ؟

إن شرع من قبلنا شرع لنا إذا كان يوافق شرعنا. وقد استدل الإمام مالك على صحة القول بالقسامة بقول المقتول دمي عند فلان ويقسم عليه، وذكر قصة عبد الله بن سهل الأنصاري ومحيصة بن مسعود فقد خرجا إلى خيبر فتفرقا في حوائجهما فقتل عبدالله بن سهل فقدم محيصة فأتى هو وأخوه حويصة وعبدالرحمن بن سهل إلى رسول الله ﷺ .. إلى أن قال عليه الصلاة والسلام: (**أتحلفون وتستحقون دم صاحبكم**) قالوا: يا رسول الله لم نشهد ولم نر قال: (**فتبرئكم يهود بخمسين؟**) فأبوا فوداه رسول الله ﷺ من عنده[1].

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ۚ

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجزية، باب الموادعة والمصالحة مع المشركين برقم (٣١٧٣) صحيح البخاري مع فتح الباري ج٦ ص٣١٧ .

﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾.

بيان الآية:

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ الآية. يخبر تعالى أنه رغم ما أنعم به على بني إسرائيل، وما أراهم من الآيات فقد قست قلوبهم فلم تعد تستجيب للمواعظ ولا للذكر. وقد شبهها عزوجل بالحجارة الصماء بل إنها أشد قسوة منها. ثم ذكر عز وجل أن من الحجارة ما هو ألين من قلوبهم فمنها: ما يتفجر منه الأنهار، ومنها: ما يشقق فيخرج منه الماء، ومنها: ما يهبط من خشية الله. وفي مقارنة خصائص هذه الحجارة مع قلوبهم بيان لفضلها على قلوبهم لما فيها من الفوائد على عكس قلوبهم. ثم ذكرهم عز وجل بأنه غير غافل عما يعملونه من الدسائس والمكايد، ومعاندة الرسول، وإنكار ما جاء به.

أحكام ومسائل الآية:

التنديد ببني إسرائيل لقسوة قلوبهم وعدم انتفاعهم بالمواعظ التي أتتهم على يد أنبيائهم. ومنها: ذم قسوة القلب وجفائه عن ذكر الله وعدم الخشية منه كما قال تعالى ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾[1].

(١) سورة الحديد الآية ١٦ .

﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ في هذا إخبار من الله للمؤمنين بأن الطمع في هداية اليهود ورجوعهم إلى الحق غير ممكن ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾ أي: أن الفريق الذي كان منهم يسمع القرآن كان يحرفه، ويؤوّله على غير حقيقته ومعناه رغم فهمه لهذه الحقيقة ولهذا المعنى. ونظير هذا قوله تعالى في موضع آخر ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾[1]. ﴿مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أي: يفعلون هذا التحريف بعد فهمهم له ومعرفتهم به.

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾ في هذا بيان من الله عن

---

(١) سورة المائدة من الآية ١٣ .

سلوكهم فإذا التقى اليهود بالمؤمنين، وخالطوهم، وتحدثوا معهم قالوا: آمنا برسولكم نفاقاً منهم بهذا القول ﴿وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أي: إذا اجتمعوا برؤسائهم وكبرائهم أنكروا عليهم هذا السلوك وقالوا لهم على سبيل الإنكار: كيف تحدثونهم بما تعرفونه في كتابنا عن صدق نبوته ورسالته ؟ لأنكم إذا فعلتم ذلك حاجّوكم عند ربكم فحقت حجتهم وبطلت حجتنا. ثم يستمرون في الإنكار عليهم فيقولون ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أي: أفلا تعلمون أنكم بفعلكم هذا ترتكبون خطأً في حقنا جميعاً.

﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ هذا في سبيل الإنكار عليهم ونعتهم بالجهل فلم يعلموا أن الله يعلم سرهم بتكذيب رسوله، ويعلم علانيتهم بما ينافقون به المؤمنين من تصديقه. قال جل ذكره ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ أخبر تعالى أن من اليهود أميين لا يعلمون من كتابهم إلا أماني أي: مجرد الظن فلا يعتمد على ما يقولون؛ فهم أي: اليهود الذين تطمعون في إيمانهم قسمان: قسم منهم محرف لكتابه كما أخبر الله عن ذلك بقوله ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾[1].

---

(١) سورة المائدة من الآية ١٣ .

وقسم أمي لا يفهم ما في الكتاب الذي يقرؤه فما يقوله مجرد ظن.

أحكام ومسائل الآيات:

منها: التنديد باليهود لكون فريق منهم يحرفون كلام الله بعد فهمهم له وعلمهم به وإصرارهم على هذا التحريف. ومنها: وصفهم بالكذب فحين يلتقون بالمؤمنين يؤكدون لهم إيمانهم وإذا ذهبوا إلى إخوانهم أنكروا ما قاله بعضهم: عن إيمانهم برسالة رسول الله ﷺ. ومنها: التنديد بجهلهم بكتابهم وهذا ينطبق على كل من يجهل ما أمره الله به.

﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ هذا وعيد من الله للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون: هذا من عند الله والمراد اليهود عطفاً على ما سبق من تحريفهم الكتاب واعتماد النفاق في

سلوكهم مع المسلمين[1]. ﴿ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ والمراد أنهم يأتون بأحكام من عندهم خلاف ما جاءت به التوراة ثم ينسبون هذه الأحكام إليها، وكأنها جاءت من عند الله رغم ما فيها من الباطل ومجانبة الحق، ويقصدون من فعلهم هذا تحقيق غرض دنيوي تافه. ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: لهم العذاب بسبب افترائهم الكذب والتحريف، ثم توعدهم عز وجل مرة أخرى بقوله ﴿وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ أي: مما حصلوا عليه من أغراض الدنيا بسبب تحريفهم للتوراة فيكون لهم ويلان من العذاب: ويل بسبب التحريف، وويل بسبب الكسب نتيجة هذا التحريف.

﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ هذا إخبار من الله بما قاله اليهود لأن الكلام السابق كلام عنهم؛ فهم قد نفوا مس النار لهم واستثنوا من ذلك أياماً معدودة قيل: إنها أربعون يوماً التي عبدوا فيها العجل. ولما كان هذا تقولاً منهم على الله قال الله لنبيه أن يقول لهم ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ﴾ أي: هل اتخذتم عهداً من عند الله بما تدَّعونه فإن كان

---

(١) من المتواتر في التاريخ أن التوراة قد تعرضت للتحريف في زمن بختنصر وفي زمن القائد الروماني طيطس وأن اليهود بعدما تعرضوا للمحن التي مرت بهم وضياع التوراة اتفقوا على جمعها مما يعرفونه عنها فكتبوا مالم يكن فيها ونقص منها ما كان موجوداً فيها. انظر: التحرير والتنوير، ج١ ص٥٧٧-٥٧٨ .

الأمر كذلك فإن الله لا يخلف عهده أم إنكم ﴿تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. وقيل: إن ﴿أَمْ﴾ هنا تقع بمعنى (بل) أي: بل إنكم تقولون على الله ما لا تعلمون.

أحكام ومسائل الآيتين:

تحريم القول على الله أو على رسوله بغير حق، والأصل فيه قوله جل ذكره ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾[١]. ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٢]. والأصل فيه أيضاً قول رسول الله ﷺ: **(من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)**[٣]. وقد روى البخاري عن أبي هريرة أن خيبر لما فتحت أهديت لرسول الله ﷺ شاة فيها (سم) فقال رسول الله ﷺ: **(اجمعوا لي من كان من اليهود ههنا)** فقال لهم رسول الله ﷺ: **(إني سائلكم عن شيء فهل أنتم صادقي عنه؟)** فقالوا: نعم. قال لهم النبي ﷺ: **(من أبوكم؟)** قالوا: فلان، فقال: **(كذبتم بل أبوكم فلان)** فقالوا: صدقت ثم قال: **(فهل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه ؟)** فقالوا: نعم يا أبا القاسم، وإن كذبناك عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا فقال لهم رسول الله ﷺ: **(من أهل النار؟)**

---

(١) سورة النحل الآية ١١٦ .

(٢) سورة النحل الآية ١١٧ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء باب ما ذكر عن بني إسرائيل، برقم (٣٤٦١)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٩ ص٥٧٢ .

قالوا: نكون فيها يسيراً ثم تخلفونا فيها فقال لهم رسول الله ﷺ: **(اخسؤوا فيها والله لا نخلفكم فيها أبداً)** ثم قال لهم رسول الله ﷺ: **(هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه؟)** فقالوا: نعم يا أبا القاسم قال: **(هل جعلتم في هذه الشاة سمّاً؟)** فقالوا: نعم قال: **(ما حملكم على ذلك؟)** قالوا: إن كنت كاذباً نستريح وإن كنت نبياً لم يضرك»[1].

﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً ﴾ المعنى أن مدار الأمر على السيئات والحسنات، وليس على الادعاء والتقول على الله فإذا كسبتم سيئات وأحاطت بكم فتكونوا عندئذٍ من أصحاب الخلود في النار.

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ والمراد بهم الذين آمنوا بالله وصدقوا رسوله وامتثلوا ما أمروا به، وانتهوا عما نهوا عنه. وقد مدحهم الله في آيات عدة منها: قوله عزوجل ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجزية باب إذا غدر المشركون بالمسلمين هل يعفى عنهم، برقم (٣١٦٩)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٦ ص٣١٤ .

أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾[١].

وقوله عز ذكره ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[٢].

أحكام ومسائل الآيتين:

المراد بالسيئات تلك التي لم يعد لأصحابها ملجأ من عذاب الله بسبب عظمها، ومن ذلك الشرك ونحوه من أنواع الكفر التي يرتكبها أصحابها عن عمد واصرار، ومحادّة لله ولرسوله. أما السيئة بمعنى الذنوب التي لا تصل إلى حدِّ الشرك فإن ذلك داخل في مشيئة الله تعالى كما في قوله عز وجل ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[٣]. ومن الأحكام: أن التقوى هي الأصل في علاقة العباد بربهم وما عدا ذلك فباطل كما قال عزوجل ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[٤].

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا

(١) سورة النساء الآية ١٢٤ .

(٢) سورة النحل الآية ٩٧ .

(٣) سورة النساء من الآية ١١٦ .

(٤) سورة الحجرات من الآية ١٣ .

وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ ﴾ هذا بيان من الله تعالى عما أخذه على بني إسرائيل من المواثيق، ومنها: أن تكون عبادتهم له وحده فلا يعبدوا غيره كما فعلوا حين عبدوا العجل. ومنها: البر بوالديهم والإحسان إليهم، والإحسان كذلك إلى أقربائهم، واليتامى والمساكين منهم ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ ﴾ المراد أن يتعاملوا مع غيرهم بطيب الكلم، وأن يقيموا

الصلاة، ويؤتوا الزكاة فهذه أحكام جامعة للدين ليست خاصة ببني إسرائيل وحدهم، بل هي عامة لكل الأمم الذين أرسل الله إليهم الرسل والكتب كما في ديننا الإسلامي؛ ذلك أن هذه الأحكام تشريع من الله لضبط سلوك عباده في مختلف أزمانهم وأماكنهم كما قال تعالى ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾ الآية[1]. ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ وفي هذا بيان أن اليهود تولوا أي: أعرضوا عن الوفاء بهذا الميثاق مع استثناء قلة منهم.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾ الآية. يخبر تعالى أنه أخذ على بني إسرائيل الميثاق في التوراة بألا يسفكوا دماءهم ولا يخرجوا أنفسهم من ديارهم، وأقروا بذلك وشهدوا عليه ورغم ذلك خالفوه كما قال تعالى ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾. السبب في هذا سلوكهم لما كانوا مجاورين للأوس والخزرج في المدينة. فقد كانت هاتان القبيلتان العربيتان على ملة الشرك، ولكل منهما حلفاء من اليهود فقد تحالف بنو قينقاع وبنو النضير مع الخزرج وتحالف بنو قريظة مع الأوس، فإذا نشبت الحرب بين الأوس والخزرج

---

(١) سورة الشورى من الآية ١٣ .

قاتل كل حليف يهودي مع حليفه العربي فيقتل اليهودي من يرى أنهم أعداؤه، وهذا العدو قد يكون يهودياً فيقتله ويخرجه من داره ويتعاون عليه بالإثم والعدوان وهذا محرم عليه في كتابه، ثم إذا انتهت الحرب فاداه من الأسر لدى عدوه عملاً بما ورد في التوراة، فوبخهم الله على فعلهم ذلك بقوله ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ أي: المفاداة ثم قال عزوجل ﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ أي: أن جزاء من فعل ذلك منهم الخزي في الحياة الدنيا ثم العذاب الشديد يوم القيامة لأن الله لم يغفل ما فعلوه من نقض الميثاق الذي أخذ عليهم في كتابهم.

﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ﴾ وفي هذا بيان من الله عز وجل أن أولئك في سلوكهم بنقض ميثاقهم إنما اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة، أي: فضّلوا الدنيا الفانية على الآخرة الباقية فلن يخفف عنهم العذاب، ولن يجدوا لهم ناصراً ينصرهم من هذا العذاب.

أحكام ومسائل الآيات:

وجوب عبادة الله وحده. وجوب بر الوالدين، والإحسان إلى الأقارب والأيتام والمساكين، ومخاطبة الناس بالقول الحسن. وجوب إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، فهذه مواثيق أخذها الله على عباده كلهم، فمن

تولى منهم وأعرض عنها أصبح آثماً مستحقاً لسخط الله وعقابه. ومن أحكام الآيات: تحريم نقض المواثيق والعهود التي يفرضها الله على عباده. تحريم الكفر ببعض ما أُمِرُوا به فالدين وحدة لا تتجزأ ولا تتبعض فمن أقام الصلاة وكفر بالزكاة فلا صلاة ولا إسلام له. ومن أقام الصلاة وارتكب الفواحش لم يقم الصلاة فعلاً لأن الصلاة تنهى عن الفحشاء، وهكذا في كل أمر آخر. ومن الأحكام: تقرير كفر من يشتري الحياة الدنيا بالآخرة.

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾.

بيان الآية:

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ يبين تعالى أنه آتى موسى بن عمران التوراة رسولاً بها إلى بني إسرائيل تحكم سلوكهم، وتبين لهم الحلال من الحرام ﴿ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ﴾ أي: أرسلنا إليهم من بعد موسى رسلاً يقفو أي: يتبع بعضهم بعضاً، ومنهم داود ويوشع بن نون وإلياس وغيرهم، وكان هؤلاء يتبعون ما سبق أن جاء به موسى ويؤكدون عليه وقد سماه النصارى (بالعهد القديم) ﴿ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ أي: أرسلت

إليهم بعد ذلك عيسى ابن مريم بما يسمونه (بالعهد الجديد). ورسالة عيسى كانت تؤيد بعض ما جاء في التوراة، وتنسخ بعضها وقد أوتي كثيراً من البينات أي: المعجزات مثل إحياء الموتى وإبراء الأسقام وتأييده بروح القدس أي: جبريل كما قال الله عزوجل ممتنّاً عليه ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِي ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ﴾ الآية[1]. ومع ما آتى الله بني إسرائيل من النعم لعلهم يهتدون فقد عاملوا ذلك بضده فقال عز وجل في حقهم ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ أي: أنهم بفعلهم هذا يتبعون أهواءهم فإن جاءهم الرسول بما يتفق مع أهوائهم صدقوه، وإن خالفهم تكبروا عليه فإما كذبوه، وإما قتلوه. قال الزمخشري في تفسير قوله: ﴿ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ إنما لم يقل فريقاً قتلتم لأنه أراد بذلك وصفهم في المستقبل أيضاً لأنهم حاولوا قتل النبي ﷺ بالسم والسحر[2]. وقد قال عليه السلام في مرض موته:

---

(١) سورة المائدة من الآية ١١٠ .

(٢) الكشاف ج١ ص٢٩٤ .

(وما زالت أكلة خيبر تعاودني فهذا أوان انقطاع أبهري)[١].

أحكام ومسائل الآية:

التنديد بالهوى وما يؤدي إليه من الضلال، وقد ذم الله الهوى بل وحرم اتباعه في مواضع كثيرة من كتابه العزيز. وفيها: التشنيع بجريمة القتل وهي في حق الأنبياء والرسل أشد وأفظع.

﴿ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾.

بيان الآية:

﴿ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ﴾ لما دعي اليهود إلى الإسلام قالوا: إن على قلوبنا حاجزاً فلا نفهم معه ما يقال لنا، فيحتمل أن قولهم هذا موجه لرسول الله ﷺ حين دعاهم إلى الإسلام، ويحتمل أنه موجه لأنبيائهم ورسلهم الذين تتابعوا عليهم بعد موسى. ولأن الله يعلم سرائرهم ويعلم أنهم يفقهون ما جاءت به الرسل قال ﴿ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ أي: لا يؤمنون أبداً أو أنهم يؤمنون ببعض ما جاءهم، ويكفرون ببعضه، فإيمانهم على هذا النحو لا معنى له لأن الإيمان لا يتبعض ولا يتجزأ.

---

(١) صحيح سنن أبي داود للألباني برقم (٣٧٨٤)، ج٣ ص٨٥٤، وتفسير القرآن العظيم، ج١ ص١١٨.

أحكام ومسائل الآية:

التنديد بمن يدعي أنه لا حاجة له إلى العلم، والقول بهذا يقتضي حلول غضب الله عليه وطرده من رحمته.

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾.

بيان الآية:

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ كان اليهود أقلية يعيشون في المدينة وقد طرؤوا عليها بعد تشردهم وشتاتهم في الآفاق -كما سبق ذكره- فإذا أحسوا ضيماً من الأوس أو الخزرج توعدوهم بأنهم سيثأرون منهم عندما يأتي النبي الذي عرفوا أوصافه في التوراة وهو معنى قوله تعالى ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: يستنصرون به بعد مبعثه، فلما بعث محمد ﷺ ونزل عليه القرآن وعرفوا أن هذا هو الحق كفروا به أي: لم يصدقوه كما قال تعالى ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ﴾ فقال لهم بشر بن البراء بن معرور: يامعشر يهود اتقوا الله وأسلموا، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ﷺ ونحن أهل شرك، وتخبروننا بأنه مبعوث

وتصفونه بصفته، فرد عليه سلام بن مشكم اليهودي قائلاً: ما جاءنا بشيء نعرفه وما هو بالذي كنا نذكر لكم فأنزل الله هذه الآية[١].

﴿فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ أي: الذين يعرفون الحق وينكرونه.

أحكام ومسائل الآية:

ذمّ الحسد وفي هذا قال عز وجل ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ الآية[٢]. وفيها: تقرير طرد الذين يعرفون الحق وينكرونه من رحمة الله.

﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾﴾.

بيان الآية:

﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾ وهذا ذم وتحقير لهم على فعلهم فقد اشتروا الباطل بالحق حين كفروا بما أنزل الله على رسوله محمد ﷺ حسداً له وأمته لأن الله تفضل عليهم بالنبوة والرسالة ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ أي: استحق المنكرون لذلك غضباً على غضب أي:

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج١ ص١١٩ .

(٢) سورة النساء من الآية ٥٤ .

غضباً على تكذيب نبي الله محمد ﷺ، وغضباً على تكذيبهم لرسلهم ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ أي: أن لهم الذل والمهانة جزاء بغيهم وحسدهم وعنادهم.

أحكام ومسائل الآية:

التنديد بمن باع نفسه بالكفر فكذب رسول الله محمداً ﷺ وأنكر القرآن واتبع هواه. وفيها: وعيد الله للكافرين بالمهانة والخزي يوم القيامة.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ الآية. ما زال السياق في

ذم اليهود فيخبر تعالى أنه إذا قيل لهم: آمنوا بما أنزل الله أي القرآن، قالوا: نؤمن بما أنزل علينا أي نكتفي بالتوراة، ولا حاجة لنا في غيرها، ويكذبون ما بعدها مع أنهم يعلمون أن القرآن حق، وأنه مصدق لما معهم من التوراة. ثم يقول الله لهم: إن كنتم صادقين بالإيمان بما جاءت به رسلكم فلماذا قتلتم أنبياء الله إن كنتم حقاً مؤمنين.

﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ وفي هذا ذم وتسفيه لهم، ووصفهم بالظلم فقد جاءهم موسى بالبينات أي: المعجزات مبلغاً لهم أوامر الله ونواهيه ومنها: توحيده وعدم الإشراك معه، ومع ذلك فقد عبدوا العجل بعد غياب موسى كما قال تعالى ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ﴾[١].

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ الآية. يعيد الله ذكر ما سبق أن أخذ على أسلاف اليهود من المواثيق ورفع الطور فوق رؤوسهم للتأكيد على هذه المواثيق. وجوب الوفاء بها كما أمروا أن يمتثلوا وأن يسمعوا لهذا الأمر. ومع ذلك قالوا ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ إمعاناً في الغي والطغيان وذلك بسبب حبهم العجل وتغلغل هذا الحب

(١) سورة الأعراف الآية ١٤٨ .

في نفوسهم فإذا كان هذا إيمانهم فبئس هذا الإيمان! وهذا ذم وتحقير لهذا الإيمان الذي يدعونه كما قال تعالى ﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

أحكام ومسائل الآيات:

في هذه الآيات ذم اليهود على عدم إيمانهم بالقرآن مع أنهم يعرفون من كتابهم أنه حق لا ريب فيه. وفيها: التنديد بهم على قتلهم الأنبياء الذين يقولون إنهم يتبعونهم. وفيها: تسفيههم ووصفهم بالظلم بسبب إنكارهم لما جاءهم به نبيهم موسى بالمعجزات. وفيها: ذم إيمانهم وتحقيره لأنه إيمان باطل وذلك بسبب حبهم العجل.

﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ

﴿ٱلنَّاسِ﴾ الآية. هذا أمر من الله لرسوله ونبيه محمد ﷺ أن يباهل اليهود بأن الجنة إن كانت لهم كما يزعمون لقولهم ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾[١]. وقولهم ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾[٢] فعليهم أن يتمنوا الموت إن كانوا صادقين.

وقد ذكر الإمام ابن جرير في تفسيره أن النبي ﷺ قال: (**لو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا، ولرأوا مقاعدهم من النار، ولو خرج الذين يباهلون رسول الله ﷺ لرجعوا لا يجدون أهلاً ولا مالاً**)[٣].

﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وهذا حكم قاطع من الله الذي يعلم سرائرهم بأنهم لن يتمنوا الموت لأنهم يعلمون مآلهم بعده، وما سينالهم من العذاب جزاء تكذيبهم لرسول الله وتكذيبهم لأنبيائهم ورسلهم .

﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾ الآية. في هذا تأكيد من الله جل ذكره أنه مع عدم تمنيهم الموت فهم على الحياة أكثر حرصاً من كل الناس، بل ومن المشركين الذين لا يؤمنون بكتاب، وإن كل واحد منهم يتمنى لو يعمر ألف سنة، ولو عمر أحد منهم -أي من هؤلاء الموصوفين بالكذب- هذا العمر فلن ينجيه ذلك من العذاب.

---

(١) سورة آل عمران من الآية ٢٤ .

(٢) سورة البقرة من الآية ١١١ .

(٣) جامع البيان، ج٢ ص٣٦٢ .

﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾ أي: يعلم ما يفعله خلقه من الحسنات والسيئات، ومن الخير والشر فيجازي كلاًّ منهم بما عمل.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أنّ اليهود فشلوا في المباهلة فلم يتمنوا الموت، كما زعموا أن النار لن تمسهم إلا أياماً معدودات. التقرير بحرصهم على الحياة لخوفهم مما بعدها.

﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوّٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ﴾ الآية[1] الملك جبريل عليه السلام

---

(١) روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن عبد الله بن سلام لما سمع بقدوم رسول الله ﷺ وهو في أرض يخترف أتى النبي ﷺ فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: فما أول أشراط الساعة وما أول طعام أهل الجنة وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال: (أخبرني جبريل آنفاً قال: جبريل ؟ قال: نعم قال عبد الله ذاك عدو اليهود من الملائكة فقرأ هذه الآية ﴿مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ﴾ أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب وأما أول طعام أهل الجنة فزيادة كبد الحوت وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد وإذا سبق ماء المرأة نزعت) قال: أشهد ألا إلَه إلا الله وأشهد أنك رسول الله. يا رسول الله إن اليهود قوم بهت وإنهم إن يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم يبهتونني فجاءت اليهود فقال النبي ﷺ: (أي رجل عبد الله فيكم؟) قالوا: خيرنا وابن خيرنا أو سيدنا وابن سيدنا قال:=

هو الذي كان ينزل بالقرآن على رسول الله ﷺ كما قال تعالى ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾[١]. ولأن اليهود يكذبون رسول الله ﷺ، ولا يؤمنون برسالته فهم يرون أن جبريل الذي نزل بهذه الرسالة عدو لهم لهذا أمر الله نبيه أن يقول لهم: إن من يعادي جبريل فهو على ضلال لأن جبريل إنما ينزل بالحق وهو القرآن مصدقاً للكتب السابقة التي أرسل الله بها الرسل، وكان جبريل ينزل بها عليهم كما ينزل بالحق عليك ﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي: أن ما كان ينزل به جبريل هدى وبشرى للمؤمنين.

﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ ولبيان ضلال الذين يعادون جبريل بيّن الله أن من يعاديه، أو يعادي ميكال، أو سائر الملائكة يُعدّ عدوّاً لله. وحتى يكون الحكم عاماً وبيناً لليهود وغيرهم بين جل وعلا أن من يعادي رسل الله يُعدّ عدوّاً لله لأنه يكون بهذه المعاداة كافراً، والله عدو للكافرين، ومن كان الله عدوه فقد خسر خسراناً مبيناً.

=(أرأيتم إن أسلم عبد الله بن سلام) قالوا: أعاذه الله من ذلك فخرج عبد الله فقال: أشهد ألا إلَه إلا الله وأن محمداً رسول الله، فقالوا: شرنا وابن شرنا وانتقصوه قال: فهذا الذي كنت أخاف يا رسول الله. صحيح البخاري مع الفتح ج٨ ص١٥.

(١) سورة الشعراء الآية ١٩٣ .

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن من كان عدوّاً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال وغيرهما من الملائكة يعد عدواً لله وعداوة الله إما أن تكون بعدم الإقرار بربوبيته أو ألوهيته أو أسمائه وصفاته، وبكل ما أنزل من الكتب والآيات. أو تكون بعداوة ملائكته إما بإنكارهم أو بوصفهم بما لا يجب أن يوصفوا به كما وصفهم المشركون بالإناث أو بغضهم كحال اليهود مع جبريل عليه السلام.

وعداوة رسله - وآخرهم وخاتمهم نبينا محمد ﷺ - تكون إما بتحقيرهم، أو ذمهم، أو التنقص منهم، أو الاعتراف ببعضهم وإنكار البعض الآخر. فمن كان هذا شأنه فإن الله عدو له وعداوة الله تقتضي معاداة كل من يكفر به والبراءة منه.

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَـٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ﴾ الآيات أي: العلامات الدالة

على نبوة محمد ﷺ، وأولها كتاب الله، وقد بيّن الله فيه لرسوله كيد المنافقين من اليهود وغيرهم ممن كان يعادي رسالته. وقد فسر الإمام ابن جرير هذه الآية بقوله: «أي أنزلنا إليك يا محمد علامات واضحات دالات على نبوتك وتلك الآيات هي ما حواه كتاب الله من خفايا علوم اليهود ومكنونات سرائر أخبارهم وأخبار أوائلهم من بني إسرائيل والنبأ عما تضمنته كتبهم التي لم يكن يعلمها إلا أحبارهم وعلماؤهم وما حرفه أوائلهم وأواخرهم وبدلوه من أحكامهم التي كانت في التوراة فاطلع الله في كتابه الذي أنزله على نبيه محمد ﷺ فكان في ذلك من أمره الآيات البينات لمن أنصف نفسه ولم يدعها إلى هلاكها الحسد والبغي إذ كان في فطرة كل ذي فطرة صحيحة تصديق من أتى بمثل ما جاء به محمد ﷺ من الآيات البينات التي وصف من غير علم تعلمه من بشر، ولا أخذ شيئاً منه عن آدمي»[١].

﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ ليس المراد بالفاسقين هنا العاصين بصغائر الذنوب، وإنما المراد فسق الكفر؛ إذ إن من يكفر بكتاب الله ويجحده يُعَدّ كافراً خارجاً عن الملة.

﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾ هذا توبيخ وتأنيب،

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج١ ص٤٤٠ .

وتسفيه لهم فإن العهود قد أخذت عليهم في التوراة أن يؤمنوا بكل ما فيها، ومن ذلك التصديق برسالة محمد ﷺ إلا أن فريقاً منهم نبذ هذه العهود فلم يلتزم بها، ولم يحدد الله هذا الفريق إلا أنه قال ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ فدل على أن أكثر اليهود لم يؤمنوا بتوراتهم، وأن المؤمنين بها منهم قلة.

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ الآية. يخبر تعالى أن رسول الله محمداً ﷺ لما جاءهم بالبينات من عند الله يصدق ما معهم من التوراة نبذ فريق منهم -أي اليهود- كتاب الله (أي القرآن) وراء ظهورهم مبالغة منهم في الاستهانة به، وعدم تصديقه، وكأنهم لا يعلمون أنه منزل من عند الله مع أنهم يعلمون ذلك لأنه وارد في كتابهم فهم بهذا السلوك لم يؤمنوا بالقرآن، ولم يؤمنوا بالتوراة التي بينت لهم حقيقة نزوله على محمد ﷺ.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أنّ من كفر بآيات الله يعد فاسقاً، والفسق هنا بمعنى الكفر المخرج من الملة لأن من كذب بآيات الله والمراد بها القرآن يعد منكراً له ومكذباً لرسول الله ﷺ وهذا غاية الكفر. ومن الأحكام: التنديد بمن يعاهد عهداً ولا يفي به كما قال تعالى ﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ

وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾[١].

﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٢) وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٣)﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَاتَّبَعُوا﴾ المراد بالذين (اتبعوا) اليهود لأنهم وصفوا في الآيات السابقة بنبذ العهود، وعدم تصديق الرسول ﴿مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ قال ابن جرير: كانت الشياطين تصعد إلى السماء فتقعد منها مقاعد للسمع فيستمعون كلام الملائكة ما يكون في الأرض من موت أو غيب أو أمر فيأتون الكهنة فيخبرونهم فتحدث الكهنة الناس فيجدونه كما

(١) سورة البقرة الآية ٢٧ .

قالوا فلما أمنتهم الكهنة كذبوا لهم وأدخلوا فيه غيره فزادوا مع كل كلمة سبعين كلمة فاكتتب الناس ذلك الحديث في الكتب وفشا ذلك في بني إسرائيل أن الجن تعلم الغيب فبعث سليمان في الناس فجمع تلك الكتب فجعلها في صندوق ثم دفنها تحت كرسيه ولم يكن أحد من الشياطين يستطيع أن يدنو من الكرسي إلا احترق وقال: لا أسمع أحداً يذكر أن الشياطين يعلمون الغيب إلا ضربت عنقه. فلما مات سليمان، وذهبت العلماء الذين كانوا يعرفون أمر سليمان، وخلف من بعد ذلك خلف تمثل الشيطان في صورة إنسان ثم أتى نفراً من بني إسرائيل فقال لهم: هل أدلكم على كنز لا تأكلونه أبداً ؟ قالوا: نعم قال: فاحفروا تحت الكرسي فذهب معهم وأراهم المكان وقام ناحيته فقالوا له: فادن فقال: لا ولكني هاهنا في أيديكم فإن لم تجدوه فاقتلوني فحفروا فوجدوا تلك الكتب فلما أخرجوها قال الشيطان: إن سليمان إنما كان يضبط الإنس والشياطين والطير بهذا السحر ثم طار وذهب وفشا في الناس أن سليمان كان ساحراً واتخذت بنو إسرائيل تلك الكتب فلما جاء محمد ﷺ خاصموه بها فذلك حين يقول الله تعالى ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟﴾[1].

قلت: هذا ما ذكره الإمام ابن جرير في تفسيره، ولا ندري إن كان

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج١ ص٤٤٥ .

مصدر هذه القصة الإسرائيليات التي كان يحكيها كعب الأحبار أم غيرها، ولكن محاولة الشياطين استراق السمع من السماء مما أثبته الله في قوله تعالى عن السماء ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾[١]. ﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾[٢]. وقوله: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾[٣]. فتكون القصة أن الشياطين يحاولون استراق السمع فيكذبون على الكهنة بأشياء قد تحدث ليس لأنهم علموها على وجه اليقين نتيجة استراقهم السمع وإنما قد تكون مجرد حادث حدث دون أن يكون له علاقة بصدق الشياطين، أو أن يكون في الأمر ابتلاء من الله لعباده ليعلم ما إذا كانوا يصدقون الكهنة والعرافين فيخالفوا بذلك نهيه عن تصديقهم أم أنهم سيكذبونهم ليدل ذلك على صدق إيمانهم، وإخلاص العبادة لله. وما نؤمن به في هذا المجال هو أن نبي الله سليمان منزه عن الكفر وأن الشياطين هم الذين كفروا لأنهم كانوا يعلمون الناس السحر لقوله عز وجل ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾.

﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ ورد في تفسير الملكين عدة تأويلات ففي قراءة ابن عباس رضي الله عنهما

---

(١) سورة الحجر الآية ١٧ .

(٢) سورة الحجر الآية ١٨ .

(٣) سورة الملك الآية ٥ .

أنهما ملِكان -بكسر اللام- وينبني على هذه القراءة أن (مَلِكين) ببابل هما (هاروت) و(ماروت) قد علما علم السحر وعلى قراءة -فتح اللام- (ملَكين) أي: من الملائكة فالأظهر في تأويله أنه استعارة وأنهما رجلان صالحان كانا حكما مدينة بابل وكانا قد اطلعا على أسرار السحر التي كانت تأتيها السحرة ببابل أو هما وضعا أصله، ولم يكن فيه كفر فأدخل عليه الناس الكفر بعد ذلك. وقيل: هما ملكان أنزلهما الله تعالى تشكلا للناس يعلمانهم السحر لكشف أسرار السحرة لأن السحرة كانوا يزعمون أنهم آلهة، أو رسل فكانوا يسخرون العامة لهم فأراد الله تكذيبهم ذبّاً عن مقام النبوة فأنزل ملكين لذلك[1].

وعند القرطبي ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ (ما) نفي والواو للعطف على قوله ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ وذلك أن اليهود قالوا: إن الله أنزل جبريل وميكائيل بالسحر فنفى الله ذلك، وفي الكلام تقديم وتأخير والتقدير وما كفر سليمان وما أنزل على الملكين ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت فهاروت وماروت بدل من الشياطين في قوله ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾ هذا أولى ما حملت عليه الآية من التأويل وأصح ما قيل فيها ولا يلتفت إلى سواه. انتهى كلامه[2].

---

(١) التحرير والتنوير للشيخ الطاهر بن عاشور، ج١ ص٦٤١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، ج٢ ص٥٠.

قلت: لم يرد حديث عن رسول الله ﷺ في تأويل هذه الآية أو تفسيرها فتؤخذ على ظاهرها.

قوله ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ أي: إن هذين الملكين ما كانا يعلمان السحر لأحد حتى ينصحاه ويقولا له: إنما نحن فتنة فلا تكفر أي: لا تتعلم السحر لأنه كفر. قوله ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ أي: يتعلم الناس من هاروت وماروت ما يفرقون به بين المرء وزوجه وإفساد حياتهما وهذا من عمل الشياطين؛ ولكنهم أي الشياطين لا يستطيعون فعل شيء إلا بمشيئة الله وإرادته لأن أفعال المخلوقات من الملائكة، أو الجن، والإنس وغيرهم مترتبة على مشيئته، فما أراده أن يكون كان، وما لم يرده لم يكن لقوله تعالى ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾(١). وقوله ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(٢). فاقتضى هذا أن ضرر السحر متحقق ولكنه لا يكون إلا بإرادة الله لقوله تعالى ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ﴾ المراد بهذا من يتعلم السحر فهو يتعلم ما يضره ولا ينفعه فإن كان يعتقد أنه ينفعه

(١) سورة البقرة من الآية ٢٥٥ .

(٢) سورة التكوير الآية ٢٩ .

في الدنيا بما قد يحصل عليه من المنافع الدنيوية بسببه فإنه لا محالة سيضره في الآخرة لأن السحر كفر، وعاقبة الكفر النار.

﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ المراد بذلك اليهود لأن سياق الكلام مناط بهم أي: أنهم يعلمون أن من فضَّل السحر على متابعة الرسول ﷺ ماله في الآخرة من خلاق أي: نصيب، وأنهم في ذلك أسوأ ما شروا به أنفسهم لو أنهم كانوا يعلمون علماً صحيحاً.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟﴾ الآية أي: لو أن الذين فعلوا هذه الأفعال من السحر وغيره آمنوا بما أنزل الله، واتقوا في أنفسهم وأفعالهم لكان ذلك ثواباً وخيراً لهم لو كانوا يعلمون العلم الصحيح. وفي هذا بيان من الله لعباده كافة أنه يحب الخير لهم فلا يريد أن يعذبهم بل يريد رحمتهم فيذكرهم عند سوء أفعالهم أن من الخير لهم أن ينتهوا عن هذه الأفعال، ويتوبوا إليه ويتقوه.

أحكام ومسائل الآيتين:

منها: أن السحر حقيقة وأن من أنواعه العمل على تفريق الزوجين، ومن تعاطاه ليعمل به أو يعلّم من يعمل به فقد كفر. والأصل في شناعته أنه يضر العالم به والمتعلم له؛ فإن كانا يظنان نفعه لهما في الدنيا بما يكتسبانه من الأجر الدنيوي عليه فهما يضران نفسيهما لأن

عاقبته العذاب والهلاك. والسحر لا يضر أحداً إلا بإذن الله أي: بحكمته وقضائه، وليس بأمره لأن الله منزه عن الأمر بالفحشاء. والأصل في كفر صاحبه قول الله تعالى ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ وقول رسول الله ﷺ: (**اجتنبوا السبع الموبقات ومنها: السحر**)[1]. وقوله: (**ليس منا من تطير أو تطير له أو تكهن أو تكهن له أو سحر أو سحر له**)[2]. وقوله: (**ومن أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ**)[3]، فهذه الأحاديث تدل كل الدلالة على أن السحر في مختلف مسمياته، وأصنافه التي تؤثر في النفس وتمرضها يعد حراماً، وأن صاحبه يعد كافراً، وأن من يصدقه هو والساحر في الجرم والخطيئة سواء.

ولم يختلف الأئمة -رحمهم الله- في هذه المسألة، ففي مذهب الإمام أبي حنيفة: أن السحر حرام بلا خلاف بين أهل العلم، واعتقاد إباحته كفر، ويكفر الإنسان بتعلمه وفعله، سواء اعتقد الحرمة أم لا ويقتل ولا يستتاب إذا عرفت مزاولته لعمل السحر؛ وذلك لسعيه

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب بيان الكبائر وأكبرها برقم (١٤٥)، صحيح مسلم مع شرح الأبي والسنوسي ج١ ص٣٢٥ .

(٢) أخرجه الألباني في السلسلة الصحيحة ج٥ ص ٢٢٨، رقمه (٢١٩٥) وقال: «صحيح».

(٣) أخرجه مسلم في كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، صحيح مسلم مع شرحه إكمال إكمال المعلم للأبي ج٧ ص٤٣٨ - ٤٣٩، رقمه «٢٢٣٠».

بالفساد في الأرض[١]. وفي مذهب الإمام مالك: يعد مرتداً، وقد عرف الدردير الردة أنها كفر المسلم بصريح من القول أو لفظ يقتضيه أو فعل يتضمنه كإلقاء مصحف بقذر وسحر. وفيه: إن تعلم السحر كفر وإن لم يعمل به. وفي المذهب أن عقوبة الساحر القتل[٢]. وفي مذهب الإمام الشافعي: إذا اعتقد حل السحر كفر[٣]، وفي مذهب الإمام أحمد: يكفر الساحر بتعلم السحر وفعله، سواء اعتقد تحريمه أو إباحته، وعلى هذا جماهير الأصحاب[٤].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٠٤ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ١٠٥﴾.

بيان الآيتين:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا﴾

---

(١) حاشية رد المحتار لابن عابدين ج٤ ص٢٤٠ .

(٢) أوجز المسالك ج١٣ ص١١٧.

(٣) المجموع شرح المهذب للنووي ج٩ ص٢٤٠ - ٢٤٣ .

(٤) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف للمرداوي ج١٠ ص٣٤٩، وكشاف القناع ج٦ ص١٨٦.

بعد أن بيَّن الله أفعال اليهود، واتباعهم للشياطين، واتهامهم لنبيهم سليمان بالسحر بيّن الله لنبيه سلوكاً من سلوكهم؛ فقد كان المسلمون الذين يستمعون رسول الله ﷺ وهو يعلمهم شرع الله يقولون ﴿رَٰعِنَا﴾ أي: تمهل في التعليم حتى نفهم ما تقول فهم بذلك حسنوا النية، ولكن هذه الكلمة في لغة اليهود تعني السب وهذا نظير قولهم: السام عليكم عندما يسلمون على رسول الله ﷺ ومعناه الموت لك. ولأن الله أراد أن ينزه المؤمنين من عدم التأدب مع رسول الله ﷺ أمرهم أن يقولوا: (انظرنا) مخالفة لليهود﴿وَٱسْمَعُواْۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ والمراد منه اسمعوا أي: استمعوا إلى ما يقوله لكم الرسول ﷺ واقبلوه فإنه خير لكم. وهذا إن كان موجها للذين كانوا يتلقون العلم من رسول الله ﷺ في زمانه فهو أيضاً موجه لأمته أن تستمع وتمتثل لعلمه سواء كان قولاً أو فعلاً أو تقريراً.

﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ في هذا بيان من الله للمسلمين أن الكافرين من أهل الكتاب اليهود والنصارى - وكذلك المشركون - لا يودون أبداً أن ينزل الله على المسلمين من خير من ربهم، وهو هنا القرآن ورسالة رسول الله ﷺ فهم يحسدونهم على هذا الفضل. ثم بيّن عز وجل أن الله يختص برحمته من يشاء أي خص المسلمين بهذا الفضل، وهو بهذا ذو فضل عظيم عليهم.

أحكام ومسائل الآيتين:

وجوب التأدب مع رسول الله ﷺ سواء في حياته أو بعد موته. وكما يجب التأدب مع رسول الله يجب التأدب مع صحابته وعدم التعرض لهم بما يتنقص منهم، أو يحقرهم، أو التعريض بأفعالهم، وما حدث بينهم بما يفهم منه الإساءة إليهم. وجوب الأدب يشمل ما يتلفظ به المسلم نحو أخيه المسلم لقول رسول الله ﷺ: (**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره**)[1]. فكل ما يؤذي المسلم في شعوره أو كرامته يعد من سوء الأدب وقد يتحول إلى قذف فيه حد. ومن الأحكام: تحذير المؤمنين من المشركين والكفار وعدم موالاتهم وذلك لما في قلوبهم من الحسد وكفرهم بدين الله وتكذيبهم لرسوله ﷺ فهم لا يودون الخير للمؤمنين بأي حال.

﴿ ۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ ﴾.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره، برقم (٢٥٦٤)، صحيح مسلم مع شرح الأبي والسنوسي ج٨ ص٥١٢ .

بيان الآيات:

﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآ﴾ النسخ التبديل، ونُسِخَ الشيء أي: أزيل وقد يكون للشرع المنسوخ بديل يحل محله، وقد لا يكون له فيزول من أصله. والمرَاد أن الله سبحانه وتعالى عندما ينسخ آية من كتابه، أو ينسيها يأت بخير منها أو مثلها فهو أعلم بأحوال خلقه، وما يضرهم، وما ينفعهم؛ فقد يحوِّل الحكم بحل أمر إلى حرمته، وقد يحوِّل حرمة أمر إلى حله وفي هذا رد على اليهود الذين أنكروا النسخ. وقوله ﴿أَوۡ نُنسِهَا﴾ دليل على أنه قد ينزل الحكم ثم ينسيه من نزل عليه لما يرى في ذلك من الحكمة. وقد ورد في الأثر أن رجلاً قام من الليل ليقرأ سورة من القرآن فلم يقدر على شيء منها، وقام آخر فلم يقدر على شيء منها، وقام آخر فلم يقدر كذلك فغدوا على رسول الله ﷺ فقال أحدهم: قمت الليلة يا رسول الله لأقرأ سورة من القرآن فلم أقدر على شيء منها، وقام الآخر فقال: وأنا والله كذلك فقام الآخر وقال مثل ما قاله صاحباه فقال رسول الله ﷺ: (**إنها مما نسخ الله البارحة**)[١]. ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ هذا استفهام تقريري أي: يجب أن تعلم أن الله قادر على كل شيء فهو يتصرف في عباده بما يشاء؛ فهو كما أنشأهم من العدم إلى الوجود يحكم فيهم بما يريد فينسخ حكماً ليحل محله حكماً آخر لحكمة

(١) الجامع لأحكام القرآن ج١ ص٦٣، و معالم التنزيل ص٥٦ .

أحكمها، وأمر قدَّره كما قال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[1]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾[2].

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قال الإمام ابن جرير في تأويل هذه الآية: «ألم تعلم يا محمد أن لي ملك السموات والأرض وسلطانها دون غيري أحكم فيهما وفيما فيهما بما أشاء، وآمر فيهما وفيما فيهما بما أشاء، وأنهى عما أشاء وأنسخ وأبدل وأغير من أحكامي التي أحكم بها عبادي بما أشاء إذا أشاء وأقر فيهما ما أشاء .. وهذا إن كان خطاباً من الله تعالى لنبيه محمد ﷺ على وجه الخبر عن عظمته فإنه منه جل ثناؤه تكذيب لليهود الذين أنكروا نسخ أحكام التوراة، وجحدوا نبوة عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام لمجيئهما بما جاءا به من عند الله بتغيير ما غير الله من حكم التوراة، فأخبرهم الله أن له ملك السموات والأرض وسلطانهما، وأن الخلق أهل مملكته وطاعته وعليهم السمع والطاعة لأمره ونهيه، وأن له أمرهم بما يشاء ونهيهم عما يشاء، ونسخ ما يشاء، وإقرار ما يشاء، وإنشاء ما يشاء من إقراره وأمره ونهيه»[3]. فاقتضى ما ذكر في الآية وقوع النسخ في الكتاب أي النسخ بالكتاب نفسه، والنسخ بالسنة وكل ذلك لمصالح

(١) سورة الحج من الآية ١٤ .

(٢) سورة الحج من الآية ١٨ .

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج١ ص٤٨٢-٤٨٣ .

العباد في دينهم ودنياهم. ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ أي: ليس لكم من ولي يواليكم أو نصير ينصركم إلا الله.

﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ﴾ الآية. الخطاب موجه للمسلمين ترتيباً على ما قبله (ألم تعلم)، وفي هذا التوجيه تحذير للمسلمين ألا يكونوا مثل اليهود الذين آذوا أنبياءهم بكثرة أسئلتهم كما فعلوا في مسألة البقرة فشددوا بكثرة السؤال فشدد الله الحكم عليهم، وكما طلبوا من موسى أن يريهم الله جهرة. وقد استتبع هذا التحذير أيضاً تحذير رسول الله ﷺ لأمته بقوله: (**ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه**)[1]. وكان عليه الصلاة والسلام ينهى عن قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال[2]. ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ والمراد أن من يفضل الكفر على الإيمان فهو ضال لأنه ينكر حكم الله فيكذب أنبياءه، ورسله، ويؤذيهم بكثرة الأسئلة والمحاجّة والمجادلة التي لا يريد منها النصح والهداية بل يقصد منها العنت والأذى.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الحج باب فرض الحج مرة في العمر، برقم (١٣٣٧)، صحيح مسلم مع شرح الأبي والسنوسي ج٤ ص٤٢٧ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الاستقراض، باب ما ينهى عن إضاعة المال برقم (١٤٠٨)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٥ ص٨٣، بلفظ «كره لكم قيل وقال ..» .

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بثبوت النسخ في كتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ وهذا النسخ لا يكون إلا لمصلحة العباد؛ فمن الكتاب على سبيل المثال نسخت الآيات التي تدعو إلى عدم قتال المشركين وأنزلت آيات تدعو إلى قتالهم إذا لم يتركوا الشرك. ومن السنة نسخ الأمر بجواز المتعة إلى النهي عنها. ومن الأحكام: ذم كثرة السؤال والتشدد بكثرته وكثرة الجدال.

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾.

بيان الآية:

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا ﴾ الآية المراد بأهل الكتاب اليهود والنصارى، وقد بيَّن الله لنبيه ورسوله محمد ﷺ ولأمته أن كثيراً من هؤلاء يحبون أن ترتدوا عن دينكم الإسلام فتدخلوا في دينهم. ومصدر هذا الحسد هو ما أفضل الله به على المسلمين من بعث نبيهم، ونزول رسالته إلى الخلق أجمعين. ثم يأمر الله عباده أن يعفوا ويصفحوا ليكونوا بذلك القدوة في الدعوة إلى الله، وأن يبقوا على حالهم تلك حتى يأمرهم الله بأمره. وقد أمرهم

عز وجل بقتال المشركين والمنافقين في قوله ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾(١). وقوله ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ﴾(٢). وكان ذلك إيذاناً لرسول الله بقتال المشركين والمنافقين حتى مكنه الله من النصر عليهم.

قلت: وأما مودة أهل الكتاب أن يرتد المسلمون عن دينهم كما بين ذلك الله عز وجل فلا تزال قائمة منذ أربعة عشر قرناً؛ فلا زالت طوائف منهم بكل أسف يكيدون للإسلام، ويحتلون أرضه، وينشرون دينهم في بلاد المسلمين بالترغيب والترهيب، كما أنهم ينشرون حول الإسلام الأقاويل والأباطيل ويجمعون كل من خرج عليه من الملحدين والعلمانيين والمفسدين.

أحكام ومسائل الآية:

تحريم الحسد بنوعيه وهما: تمني زوال النعمة عمن أنعم الله بها عليه، ورجاء حصولها للحاسد وتمني زوال هذه النعمة ولو لم تحصل له والأصل فيه ذم الله تعالى لأهل الكتاب على حسدهم لنبيه محمد ﷺ وأمته. والأصل فيه أيضاً قول رسول الله ﷺ: (**إياكم والحسد**

(١) سورة التوبة من الآية ٢٩ .
(٢) سورة الحج الآية ٣٩ .

فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب)[١]. ومن الأحكام في هذه الآية: توجيه الله للمؤمنين للاستعداد للدعوة التي أمروا بها؛ وهو أنه إذا كان الظرف غير مُوات لهذه الدعوة بالجهاد وغيره فعليهم الانتظار حتى تكون لهم القدرة عليه. ولكن هذا يقتضي أن يكون ظرف الانتظار ظرف استعداد بإقامة دين الله أولاً ثم ما يتطلبه الجهاد من الاستعداد بالعدة والعتاد، وهذا هو ما فعله رسول الله ﷺ حين مكث سنوات وهو يدعو إلى الله إلى أن تمكن من القوة وأذن الله له فقاتل حتى نصره الله وأظهر دينه وأعلى كلمته.

وهذا التوجيه ليس لرسول الله ﷺ في زمانه فحسب بل هو لأمته إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب في الحسد برقم (٤٩٠٣)، سنن أبي داود ج٤ ص٢٧٩، وابن ماجة في كتاب الزهد باب الحسد برقم (٤٢١٠)، سنن ابن ماجة ج٢ ص١٤٠٨.

ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ الآية. يأمر تعالى المسلمين في تلك الفترة التي ينتظرون فيها أمره بالجهاد أن يجتهدوا في إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة لأن ما يقدمونه في هذا المجال وفي مجالات التقوى وطاعة الله سيجدونه عند الله في الدنيا بالنصر والتمكين لهم في الأرض كما قال عز وجل ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾[1]. كما أنهم سيجدون ما يقدمونه محفوظاً لهم في الآخرة ويجزون عليه لأن الله بصير بما يعملون.

﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ الآية. وفي هذا أيضاً إخبار من الله تعالى أن أهل الكتاب قالوا: لن يدخل الجنة إلا من كان يهودياً أو نصرانياً وهذا كقول اليهود ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾[2]. وقولهم ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾[3].

(١) سورة النور من الآية ٥٥ .

(٢) سورة آل عمران من الآية ٢٤ .

(٣) سورة المائدة من الآية ١٨ .

وهذا حكم منهم على حصر الجنة لهم، وهو باطل من وجهين: أولهما: أنه تقول على الله بغير حق. وثانيهما: أنه مجرد أماني لقول الله تعالى ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ وهذا نفي وتكذيب لادعائهم وقد أمر الله نبيه محمداً ﷺ أن يقول لهم ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي: قولوا لنا حجتكم فيما ادعيتموه بأن الجنة لكم إن كنتم على حق، وهذا بيان من الله أنهم كاذبون فأراد قيام الحجة عليهم إذا لم يثبتوا ما ادعوه، وهم لم يثبتوه بحال بدليل الآية التالية.

﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ الآية. وفي هذه الآية نفي لادعائهم بحصر الجنة عليهم فكلمة ﴿بَلَىٰ﴾ جواب عليهم بما يخالف هذا الادعاء أي: أن الجنة لمن أسلم وجهه لله أي من كان مسلماً مخلصاً عمله لله عز وجل، وفي هذا قال لنبيه ﷺ للرد عليهم عند محاجّتهم: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا﴾(١). والمسلم هنا من اتبع نبي الله محمداً ﷺ وآمن بما جاء به من الكتاب والسنة فإن كان عمله مخالفاً له فعمله مردود عليه لقول الله جل ذكره ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾(٢).

---

(١) سورة آل عمران من الآية ٢٠ .

(٢) سورة آل عمران من الآية ٨٥ .

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ الآية. في هذه الآية إخبار من الله تعالى عن اختلاف اليهود والنصارى، وتكفير بعضهم لبعض؛ ذلك أن وفد نجران لما قدم على رسول الله ﷺ في المدينة جاء أحبار اليهود فتنازعوا بينهم في مجلس رسول الله ﷺ كل منهم ينكر ما للآخر، ويجحد نبوة نبيه مع أنهم يتلون كتبهم التي ورد فيها وجوب تصديق أنبيائهم، وقول هؤلاء عن بعضهم مثل قول من سبقهم من أسلافهم ممن كانوا يكذبون بعضهم فيدعي كل فريق أن دينه حق، وأن دين غيره باطل ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ أي: أن مردهم إليه عز وجل يوم يبعثهم يوم القيامة فيحكم بينهم بالحق والعدل والميزان في الكتاب الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة بوصفهما ركنين من أركان الإسلام. تقرير أن أهم ما للعبد هو ما يقدمه من عمل صالح يبتغي به وجه الله. وهذا يقتضي نفي كل شيء غير هذا العمل من نسب أو ولد أو مال أو نحو ذلك من الأعمال الدنيوية. بيان ما يعتقده اليهود من أن النصارى على غير هدى، وما يعتقده النصارى بأن اليهود ليسوا على هدى. تقرير أن دين الإسلام هو الدين الصحيح الذي يجب على خلق

الله الإيمان به لأنه طريق الفوز بالجنة والنجاة من العذاب.

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي ٱلْأَخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١٤) ﴾.

بيان الآية:

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾ الآية. في بداية الآية استفهام إنكاري أي: لا أحد أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها؛ ذلك أن المساجد أعدت لعبادة الله وهذه العبادة أساس الخلق كما قال تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾(١). والمنع منها يكون بالصد عنها سواء صداً كلياً، أو تضييقاً على من يرتادها ﴿وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ ﴾ وهذا السعي يكون بأي صورة تمنع الصلاة فيها كهدمها مثل ما يفعل المحتلون للبلاد الإسلامية من هدم المساجد وتدميرها.

وقد نزلت هذه الآية في كفار قريش الذين منعوا رسول الله ﷺ وصحبه عام الحديبية من الطواف والصلاة في المسجد الحرام(٢)

---

(١) سورة الذاريات الآية ٥٦ .

(٢) أسباب نزول القرآن للواحدي ص١٤٣، وزاد المسير لابن الجوزي ص٧٣ .

فأخبر الله تعالى أنه لا أحد أظلم منهم فيما صنعوا. وهذا الحكم عام في كل من يمنع المصلين من الصلاة في المساجد وقوله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ﴾ عهد منه عز وجل أن المشركين الذين منعوا المسلمين من دخول المسجد الحرام لن يدخلوه في المستقبل إلا وهم خائفون، وفي هذا دلالة عظمى على ما سيتحقق للمسلمين من نصر على المشركين كما قال تعالى ﴿لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَۖ﴾[1]. وقد تحقق لرسول الله ﷺ وصحبه النصر، ودخول المسجد الحرام في العام القابل وهم آمنون، والمشركون خائفون ونزل فيهم قول الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ﴾[2]. ثم أمر عليه الصلاة والسلام أن ينادى في الناس في جمعهم في منى (**ألا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له أجل فأجله إلى مدته**)[3]. ﴿لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ ما حدث للمشركين الذين لم يسلموا هو الخزي لهم في الدنيا بما أصابهم من

---

(١) سورة الفتح من الآية ٢٧ .

(٢) سورة التوبة من الآية ٢٨ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب لا يطوف بالبيت عريان ولا يحج مشرك، مختصراً برقم (١٦٢٢)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٣ ص٥٦٥ .

المهانة والخوف، وأما في الآخرة فسيكون لهم العذاب العظيم على ما فعلوه من منع عباد الله من دخول المسجد الحرام .

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية الكريمة عظَّم الله أشد تعظيم حرمة المساجد ووصف من تعرض لها بأنه ظالم بل نفى أن يكون هناك من هو أظلم منه؛ ذلك أن المساجد هي بيوت الله لعبادته وطاعته ومن يتعدى على بيوته يتعدى على حرماته وعلى منع عباده من طاعته.

والتعرض للمساجد بالظلم إما بهدمها أو تخريبها أو الإساءة فيها أو منع المصلين من دخولها، أو الإساءة إليهم فيها. ويشمل ذلك من يحدد عدد المصلين فيها كالذي يمنع الشباب من دخولها أو الذي يحدد أماكنها خوفاً من إكثارها، أو الذي يمنع العُبَّاد من ذكر ربهم فيها، أو الذي يهوِّن من الصلاة فيها.

ومن الأحكام في هذه الآية: عظم أمر الصلاة فالمساجد إنما تقام أصلاً لأدائها والتعرض للمساجد بالظلم يؤدي إلى منع الصلاة فيها والمانع لها في حكم المنكر لها.

ومن أحكام هذه الآية: أنه لا يجوز لغير المسلم دخول المسجد لأنه غير طاهر طهارة معنوية فيكون حكمه حكم المشرك الذي قال الله فيه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ

﴿ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾[١]. وحكم المسجد الحرام من حيث الحرمة حكم المساجد كلها.

﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾.

بيان الآية:

﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ المراد أن الله هو المالك لمشرق الأرض ومغربها وقد خص الله هاتين الجهتين لقربهما إلى ذهن الإنسان لما يراه من شروق الشمس وغروبها. أما هو عز وجل فمالك الأرض في جهاتها كلها كما أنه مالك السموات بما فيها؛ فأينما صلى العبد فهو في مواجهة الله يعلم زمانه ومكانه. كما قال تعالى ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ وقد نزلت هذه الآية رداً على اليهود الذين عابوا على رسول الله ﷺ التحول من قبلة بيت المقدس إلى الكعبة بعد أن نسخت القبلة الأولى[٢] بقول الله تعالى ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾[٣]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ أي: في ملكوته عليم بأحوال عباده فيما يأمرهم به، وما ينهاهم عنه.

---

(١) سورة التوبة من الآية ٢٨ .

(٢) أسباب نزول القرآن للواحدي ص١٤٦، ومعالم التنزيل للبغوي ص٥٩ .

(٣) سورة البقرة من الآية ١٤٤ .

أحكام ومسائل الآية:

وجوب استقبال القبلة لكونها شرطاً من شروط الصلاة في الحضر والسفر، وعلى المصلي أن يجتهد في معرفة جهتها إن كان خارج مكة. أما إن كان قبل الكعبة فلا تصح صلاته إلا باستقبال الكعبة عينها. وتصح صلاة من صلى في ليلة مظلمة ولم يعرف القبلة كما تصح صلاة المصلي في السفر إلى حيث شاء فيها راكباً لما روي أن رسول الله ﷺ كان يحرم في السفر على الراحلة مستقبل القبلة ثم يصلي حيث توجهت به راحلته(١).

﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَـٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾﴾.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب تقصير الصلاة باب من تطوع في السفر في غير دبر الصلوات برقم (١١٠٤ - ١١٠٥)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٢ ص٦٧٣، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب جواز صلاة النافلة على الدابة في السفر حيث توجهت برقم (٧٠٠)، صحيح مسلم مع شرح الأبي والسنوسي ج٣ ص٢٠-٢١، وأبو داود في كتاب الصلاة باب التطوع على الراحلة والوتر، برقم (١٢٢٥)، سنن أبي داود ج٢ ص٩.

بيان الآيات:

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ﴾ يخبر تعالى عن مقولة اليهود، والنصارى، والمشركين من العرب؛ فاليهود يقولون: إن عزيراً ابن الله، والنصارى يقولون: المسيح ابن الله، ومشركو العرب يقولون: الملائكة بنات الله، فكذبهم الله جميعاً بقوله ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[١]. وقوله ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾[٢]. ﴿سُبْحَانَهُ﴾ أي: تنزه وتقدس عن هذا القول السيء ﴿بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وفي هذا رد بليغ على اليهود والنصارى والمشركين بأن ما في السموات والأرض كله ملك لله فهو المنشئ لهما، والمدبر، والمتصرف فيهما فمن كان هذا صنعه فلا يعقل أبداً أن يكون له ولد لأنه أجل وأقدس من أن يتخذ ولداً وهو المالك للكل وفي هذا قال عزوجل ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٣]. وقال تقدست أسماؤه ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[٤].

---

(١) سورة التوبة الآية ٣٠ .

(٢) سورة النحل الآية ٥٧ .

(٣) سورة الأنعام الآية ١٠١ .

(٤) سورة الإخلاص الآية ١.

﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾[1]. ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾[2]. ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾[3]. ﴿ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾ أي: مطيعون وخاضعون لمشيئته وقدره.

﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ المبدع الذي يعمل عملاً لا مثيل له فهو المنشئ له والمختص به وحده. ومبدع السموات والأرض المنشئ والمكون لهما هو الله، وبالتالي فهو المالك لهما ومن فيهما. فاقتضى هذا أن كل المخلوقات فيهما هم خلقه وعبيده فلهذا لا يحتاج إلى ولد لأنه نزه نفسه عن ذلك ﴿ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ وهذا دليل على عظمته وقدرته لأنه لا ند، ولا نظير، ولا شبيه له.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ﴾ يخبر تعالى عما طلبه المشركون من العرب من رسوله محمد ﷺ بأن يكلمهم الله فقد قالوا له: يا محمد إن كنت صادقاً فيما تقول إنك مرسل من ربك فقل له يُكَلِّمْنا حتى نسمع كلامه، فأنزل الله هذه الآية ﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ﴾ والمراد به اليهود فقد سألوا نبيهم موسى أن يريهم الله جهرة كما سأل النصارى نبيهم عيسى أن ينزل عليهم مائدة من السماء ﴿ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ أي: أن

---

(١) سورة الإخلاص الآية ٢.

(٢) سورة الإخلاص الآية ٣.

(٣) سورة الإخلاص الآية ٤.

قلوب مشركي العرب قد تشابهت مع قلوب اليهود والنصارى في الزيغ والضلال، ومعاندة الرسل، ومجادلتهم بالباطل. ﴿قَدْ بَيَّنَّا ٱلْآيَـٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ أي: أننا قد أوضحنا الآيات الدالة على قدرة الله وصنعه، وما أرسل به الرسل من وجوب توحيده، وطاعته.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ بيَّن تعالى أنه هو الذي أرسل رسوله محمداً ﷺ، وفي ذلك تكذيب وتسفيه للمشركين واليهود الذين زعموا أنه لم يكن مرسلاً من ربه وكانوا يقصدون تحديه حين قالوا ﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ﴾. قوله ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ تأكيد من الله عزوجل أن ما أرسل به محمداً هو الحق الذي لا يأتيه الباطل لأنه كتاب الله، وما يوحى إليه من ربه فيبشر بهذا الحق أولئك الذين يؤمنون به، ويصدقونه ويتبعونه بأن لهم رحمة ربهم ومغفرته ورضاه عنهم. وينذر بالعذاب أولئك الذين يعاندون ويتمادون في غيهم وضلالهم رغم علمهم ومعرفتهم بهذا الحق. وهذا هو المراد من قوله تعالى ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ أراد الله في هذه الآية وفي الآية السابقة أن يخفف على نبيه ورسوله محمد ﷺ وطأة ما كان يجده من العنت في سبيل دعوته إلى الله، ومعاندة المشركين وغيرهم لهذه الدعوة فقال: ولا تُسأل عن هؤلاء فما عليك إلا إبلاغهم بما أنزل إليك، أما جزاؤهم فالله هو المتكفل به. ونظير هذا قوله تعالى ﴿فَإِنَّمَا

عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴾[1]. وقوله ﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾[2]. وقوله ﴿ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾[3].

أحكام ومسائل الآيات:

تحريم القول على الله بغير دليل ومن ذلك نسبة الولد إليه، وهذا من أشد الكفر لأنه عز وجل لم يتخذ صاحبة ولا ولداً بل هو منزه ومقدس عن ذلك. تقرير أن أهل الكفر يتشابهون في سلوكهم في كل زمان ومكان. وأنّ رسالة رسول الله ﷺ بشارة للمؤمنين ونذارة للمعرضين عن الحق. أما الهداية فمردها إلى الله كما قال عز وجل ﴿ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾ وهذا يقتضي أن على الدعاة وهم المبلغون عنه دعوة الناس إلى الهدى بالرفق واللين أما أمر هدايتهم فهو إلى ربهم.

﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ﴾.

بيان الآية:

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ المخاطب

(١) سورة الرعد من الآية ٤٠ .
(٢) سورة ق الآية ٤٥ .
(٣) سورة الغاشية الآية ٢٢ .

هنا هو رسول الله ﷺ وأمته لأن الخطاب له خطاب لها، وهو خطاب بيّن وصريح في أن اليهود والنصارى لن يرضوا عنه، أو عن أمته إلا باتباع دينهم اليهودية والنصرانية، وهذا عطف على ما ذكره الله من قبل عن قولهم: بأنه لن يدخل الجنة إلا من كان متبعاً لدينهم، وأنهم أحباء الله ونحو ذلك مما يزعمونه من الخصوصية لهم. وقوله عزوجل ﴿وَلَن﴾ نفي لرضاهم عن رسول الله ليس في الوقت الذي خاطب الله فيه نبيه فحسب بل هو نفي لرضاهم في المستقبل إلا بالشرط الذي يشترطونه وهو التخلي عن دين الإسلام، واتباع ملتهم. ومصداق ذلك ما قام به سلفهم ومنذ نزول الرسالة على رسول الله ﷺ وما يقوم به خلفهم إلى عصرنا هذا من عداء مستحكم تمثل في احتلال بلاد المسلمين وسفك دمائهم، ومحاولة غزوهم فكرياً، وخلخلة عقيدتهم بشتى الطرق والأساليب ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ هذا تقرير وبيان لكون كتاب الله وما أوحى الله به إلى رسوله هو الهدى والحق الذي يجب اتباعه، ونفي ما سواه من العقائد والملل سواء تلك التي كانت سماوية ثم نسخها الإسلام، أو كانت عقائد مادية من صنع البشر ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ وفي هذا تحذير لرسول الله ﷺ، وأمته من اتباع أهوائهم

وقد سماها الله (أهواء) لأنها لم تكن من عند الله بل من عند أنفسهم، ومن صنعهم فلا يجوز لمن جاءه العلم الحق أن يعدل عنه إلى غيره مما هو في حقيقته هوى وضلال ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ أي: لن تجد أنت وأمتك من معين أو نصير إذا اتبعتم أهواءهم.

أحكام ومسائل الآية:

يحرم على المسلم طلب رضا اليهود أو النصارى لأن رضاهم لا يحصل إلا باتباع دينهم، ومن اتبع دينهم فقد خلع الإسلام من عنقه وأصبح مرتدّاً تنطبق عليه أحكام الردة. ويدخل في حكم رضاهم موافقتهم على الطعن في دين الإسلام أو التخلي عن أحكامه كلاًّ أو بعضاً أو قبول ما يقولونه في أي أمر يتعارض مع قواعد الإسلام.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾

قد يكون المراد بمن أوتي الكتاب اليهود والنصارى الذين آمنوا برسلهم، وآمنوا بجميع الرسل، ومنهم محمد ﷺ فيتلون كتابهم فيحلون ما أحله، ويحرمون ما حرمه فهذا هو الإيمان به. وقد يكون المراد بالذين أوتوا الكتاب أصحاب رسول الله ﷺ الذين آمنوا بالكتاب الذي جاء به وهو القرآن؛ فأحلوا ما أحل وحرموا ما حرم. والمعنى عام ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ أي: أن من يكفر بالكتاب فلا يتبع ما جاء فيه فيحل ما حرمه ويحرم ما أحله فهذا هو الخاسر في دنياه، والخاسر في أخراه بما سيناله من العقاب جزاء كفره.

﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ في هذا تذكير بنعمة الله على بني إسرائيل وتفضيلهم لكونهم أهل كتاب (على أهل زمانهم المشركين وليس تفضيلهم لجنسهم أو أي خصيصة أخرى فيهم). وتذكير الله لهم بنعمته عليهم في هذه الآية إضافة إلى ما سبق أن ذكرهم به من نعمه عليهم يأتي في ضمن محبة الله تعالى لخلقه، ورحمته بهم، وتحذيرهم من معصيته فهو يحب أن يطيعه خلقه ولا يعصوه وفي هذا قال رسول الله ﷺ: (**لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فآيس منها فأتى شجرة فاضطلع في ظلها قد أيس من راحلته فبينا هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ**

بخطامها فقال: اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح)[١].

وفي الحديث القدسي: (**يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً أتيتك بقرابها مغفرة)**[٢].

﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ والمعنى يا بني إسرائيل يا من أنعمت عليكم بنعمي فجحدتم، ودعوتكم فأبيتم، وأمرتكم فعصيتم اتقوا يوم القيامة الذي لا تغني فيه نفس عن نفس شيئاً، ولا يقبل منها ﴿عَدْلٌ﴾ أي: فداء، ﴿وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ﴾ من أحد ولا يجد فيه الظالمون العاصون من ينصرهم فيه.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن المؤمنين هم الذين يتلون كتاب الله حق تلاوته ولا يحرفونه عن مواضعه أو يؤلونه على غير تأويله وإنما يحلون ما أحله ويحرمون ما حرمه. ومن الأحكام: وجوب تذكر نعم الله على العباد وشكره عليها. ومنها: وجوب تقوى الله ليوم لا ينفع فيه الفداء فلا يجزي أحد عن أحد ولا يغني عنه شيئاً.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب التوبة باب في الحض على التوبة والفرح بها، برقم (٢٦٧٥)، صحيح مسلم مع شرح الأبي والسنوسي ج٩ ص١٥١-١٥٦ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء باب فضل الذكر والدعاء والقرب إلى الله تعالى، برقم (٢٩٨٧)، صحيح مسلم مع شرح الأبي والسنوسي ج٩ ص٨٥، والترمذي في كتاب الدعوات باب فضل التوبة والاستغفار، برقم (٣٥٤٠)، ج٥ ص٥١٢، واللفظ للترمذي.

﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾.

بيان الآية:

﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ﴾ الابتلاء: الاختبار، وإبراهيم نبي الله يدَّعي الانتساب إليه اليهود والنصارى ومشركو العرب وقد أنكر الله ذلك عليهم بقوله﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَـٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا ﴾[(١)]. والمبتلي هو الله عز وجل وقد اختلف في (الكلمات) التي ابتلاه الله بها فقيل: إنها ذبح ابنه إسماعيل وبناء بيت الله في مكة والحج إليه كما قال تعالى﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾[(٢)]. ومن هذه (الكلمات) التي ابتلي بها هجرته من مكان إلى آخر فراراً من الوثنية؛ فقد هاجر من مكان مولده العراق إلى الشام ثم إلى مصر ثم إلى الحجاز. ولعل جماع هذه (الكلمات) ما أمره الله به من أوامر، وما نهاه عنه من نواه (فَأَتَمَّهُنَّ) فيه إخبار من الله أن إبراهيم قام بما أُمِرَ به، وانتهى عما نهي عنه ونظير هذا قوله عز وجل﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾[(٣)].

---

(١) سورة آل عمران من الآية ٦٧ .

(٢) سورة الحج الآية ٢٧ .

(٣) سورة النجم الآية ٣٧ .

﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ أي: ستكون في مقدمة الناس يتبعونك في قولك، وفعلك جزاء طاعتك، وما قمت به من الدعوة في سبيلي ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ وهذا جواب من إبراهيم عليه السلام، أو هو دعاء منه لربه أن يجعل الإمامة في ذريته وهذا رحمة منه وحبٌ لذريته أن يكونوا على الحال التي قام عليها من الدعوة إلى الله، وقبلها الله منه وأثنى عليه بسببها. وقد استجاب الله لدعائه كما قال تعالى ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾[1]، ولكنه استثنى الظالمين منهم بقوله ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وفي هذا بيان منه عز وجل أن عهده وميثاقه؛ والمراد منه الإمامة في دين الله لا يناله الظالمون لأن العهد شرف، والذين يكفرون بآيات الله ويكذبون رسله، ويجحدون نعمه - كما فعل بنو إسرائيل وغيرهم من الكافرين - لا يستحقون هذا الشرف.

أحكام ومسائل الآية

تقرير أن الله جعل الإمامة في ذرية إبراهيم استجابة لدعائه، واستثنى من ذلك الظالمين من ذريته لكونهم لا يستحقونها لأن الإمامة شرف والظلمة لا يستحقون هذا الشرف. وهذا يقتضي أنه يجب ألا يتولى الإمامة إلا أهل الخير والصلاح وحرمان الظلمة والفاسدين منها.

---

(١) سورة العنكبوت من الآية ٢٧ .

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ ﴾.

بيان الآية:

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ﴾ هذا تنبيه من الله أنه جعل البيت الذي بناه إبراهيم عليه السلام مثابة للناس يرجعون إليه فلا يسأمون منه بل يحبون أن يعودوا إليه كلما أرادوا الخروج منه، وهذا من تعظيم الله له في النفوس وهذا هو المحسوس؛ إذ إن كل من أتى بيت الله من أقاصي الدنيا يتمنى ألا يخرج منه وإذا خرج يتمنى أن يعود إليه ﴿ وَأَمْنًا ﴾ وهذا من تعظيم الله أيضاً لهذا البيت حيث حرم الاعتداء فيه، وتوعد من ظلم فيه أن يجعل عذابه أليماً كما قال عزوجل ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[1]. ولحرمته وتعظيمه في النفوس فقد عظمه المشركون وكل من تولاه؛ ففي جاهلية العرب التي كان الثأر فيها سائداً كان ولي المقتول يرى قاتل مولاه فلا يتعرض له بسوء رغم شدة الثأر في نفسه ﴿ وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ اختلف في ذلك هل المراد المقام المعروف الآن

---

(١) سورة الحج من الآية ٢٥ .

بمقام إبراهيم قِبَلَ الكعبة أم أن المراد مشاعر الحج وقد وردت في ذلك أقوال كثيرة قال الإمام ابن جرير: وأولى هذه الأقوال بالصواب ما قاله القائلون: أن مقام إبراهيم هو المقام المعروف بهذا الاسم الذي هو في المسجد الحرام لما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وما روي عن جابر قال: استلم رسول الله ﷺ الركن فرمل ثلاثاً ومشى أربعاً ثم تقدم إلى مقام إبراهيم فقرأ ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ فجعل المقام بينه وبين البيت فصلى ركعتين؛ فهذا الخبر ينبئ أن الله تعالى ذكره إنما عنى بمقام إبراهيم الذي أمرنا الله باتخاذه مصلى هو الذي وصفنا ولو لم يكن على صحة ما اخترنا في تأويل ذلك خبر عن رسول الله ﷺ لكان الواجب فيه من القول ما قلنا وذلك أن الكلام محمول معناه على ظاهره المعروف دون باطنه المجهول حتى يأتي ما يدل على خلاف ذلك مما يجب التسليم له(١).

قلت: ولعل هذا هو الصحيح لأن الناس تعارفوا على ذلك أخذاً بما ورد عن رسول الله ﷺ في حديث جابر عن الحجة النبوية(٢).

---

(١) جامع البيان، ج١ ص٥٣٧ .

(٢) وهذا نص حديث جابر رضي الله عنه قال الإمام مسلم: «حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وإسحاق بن إبراهيم. جميعاً عن حاتم. قال أبو بكر: حدثنا حاتم بن إسماعيل المدني عن جعفر بن محمد، عن أبيه. قال: دخلنا على جابر بن عبد الله. فسأل عن القوم حتى انتهى إلي. فقلت: أنا محمد بن علي ابن حسين. فأهوى بيده إلى رأسي فنزع زري الأعلى. ثم نزع زري الأسفل. ثم وضع كفه بين ثديي وأنا يومئذ غلام شاب. فقال: مرحباً بك. يابن أخي! سل عما شئت. فسألته. وهو أعمى. وحضر=

=وقت الصلاة. فقام في نساجة ملتحفاً بها. كلما وضعها على منكبه رجع طرفاها إليه من صغرها. ورداؤه إلى جنبه، على المشجب. فصلى بنا. فقلت: أخبرني عن حجة رسول الله ﷺ. فقال بيده. فعقد تسعاً. فقال: إن رسول الله ﷺ مكث تسع سنين لم يحج. ثم أذّن في الناس في العاشرة؛ أن رسول الله ﷺ حاج. فقدم المدينة بشر كثير. كلهم يلتمس أن يأتم برسول الله ﷺ. ويعمل مثل عمله. فخرجنا معه. حتى أتينا ذا الحليفة. فولدت أسماء بنت عميس محمد بن أبي بكر. فأرسلت إلى رسول الله ﷺ: كيف أصنع؟ قال: «اغتسلي. واستثفري بثوب وأحرمي» فصلى رسول الله ﷺ في المسجد. ثم ركب القصواء. حتى إذا استوت به ناقته على البيداء. نظرت إلى مد بصري بين يديه. من راكب وماش. وعن يمينه مثل ذلك. وعن يساره مثل ذلك. ومن خلفه مثل ذلك. ورسول الله ﷺ بين أظهرنا. وعليه ينزل القرآن. وهو يعرف تأويله. وما عمل به من شيء عملنا به. فأهل بالتوحيد «لبيك اللهم لبيك. لبيك لا شريك لك لبيك. إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك». وأهل الناس بهذا الذي يهلون به. فلم يرد رسول الله عليهم شيئاً منه. ولزم رسول الله ﷺ تلبيته. قال جابر رضي الله عنه: لسنا ننوي إلا الحج. لسنا نعرف العمرة. حتى إذا أتينا البيت معه. استلم الركن فرمل ثلاثاً ومشى أربعاً. ثم نفذ إلى مقام إبراهيم عليه السلام فقرأ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ (البقرة: ١٢٥). فجعل المقام بينه وبين البيت. فكان أبي يقول: «ولا أعلمه ذكره إلا عن النبي ﷺ»: كان يقرأ في الركعتين: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، و﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾. ثم رجع إلى الركن فاستلمه ثم خرج من الباب إلى الصفا. فلما دنا من الصفا قرأ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ (البقرة: ١٥٨). «أبدأ بما بدأ الله به» فبدأ بالصفا. فرقى عليه حتى رأى البيت فاستقبل القبلة. فوحد الله، وكبره. وقال: «لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له. له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. لا إلَه إلا الله وحده. أنجز وعده. ونصر عبده. وهزم الأحزاب وحده». ثم دعا بين ذلك. قال مثل هذا ثلاث مرات. ثم نزل إلى المروة. حتى إذا انصبت قدماه في بطن الوادي سعى. حتى إذا صعدتا مشى. حتى إذا أتى المروة. ففعل على المروة كما فعل على الصفا. حتى إذا كان آخر طوافه على المروة فقال: لو أني استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهدي. وجعلتها عمرة. فمن كان منكم ليس معه هدي فليحل. وليجعلها عمرة». فقام سراقة بن مالك بن جعشم فقال: يا رسول الله! ألعامنا هذا أم لأبد؟ فشبك رسول الله ﷺ أصابعه واحدة في الأخرى. وقال: «دخلت العمرة في الحج» مرتين «لا بل لأبد أبد» وقدم علي من اليمن ببدن النبي ﷺ. فوجد فاطمة -رضي الله عنها- ممن حل. ولبست ثياباً صبغاً. واكتحلت. فأنكر ذلك عليها. فقالت: إن أبي أمرني بهذا. قال: فكان علي يقول، بالعراق: فذهبت إلى رسول الله ﷺ محرّشاً على فاطمة. للذي صنعت. مستفتياً لرسول الله ﷺ فيما ذكرت عنه. فأخبرته أني أنكرت ذلك عليها. فقال: «صدقت صدقت. ماذا قلت حين فرضت الحج؟» قال قلت: اللهم! إني أهل بما أهل به رسولك. قال:=

=«فإن معي الهدي فلا تحل» قال: فكان جماعة الهدي الذي قدم به علي من اليمن والذي أتى به النبي ﷺ مائة. قال. فحل الناس كلهم وقصروا. إلا النبي ﷺ ومن كان معه هدي. فلما كان يوم التروية توجهوا إلى منى. فأهلوا بالحج. وركب رسول الله ﷺ فصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر. ثم مكث قليلاً حتى طلعت الشمس، وأمر بقبة من شعر تضرب له بنمرة. فسار رسول الله ﷺ ولا تشك قريش إلا أنه واقف عند المشعر الحرام. كما كانت قريش تصنع في الجاهلية. فأجاز رسول الله ﷺ حتى أتى عرفة. فوجد القبة قد ضربت له بنمرة. فنزل بها. حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء. فرحلت له فأتى بطن الوادي. فخطب الناس وقال: «إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم. كحرمة يومكم هذا. في شهركم هذا. في بلدكم هذا. ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع. ودماء الجاهلية موضوعة. وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث. كان مسترضعاً في بني سعد فقتلته هذيل. وربا الجاهلية موضوع. وأول ربا أضع ربانا. ربا عباس بن عبد المطلب. فإنه موضوع كله. فاتقوا الله في النساء. فإنكم أخذتموهن بأمان الله. واستحللتم فروجهن بكلمة الله. ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه. فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح. ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف. وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به. كتاب الله. وأنتم تسألون عني. فما أنتم قائلون؟» قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت. فقال بإصبعه السبابة، يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: «اللهم! اشهد اللهم! اشهد» ثلاث مرات. ثم أذن. ثم أقام فصلى الظهر. ثم أقام فصلى العصر. ولم يصل بينهما شيئاً. ثم ركب رسول الله ﷺ. حتى أتى الموقف. فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات. وجعل حبل المشاة بين يديه. واستقبل القبلة. فلم يزل واقفاً حتى غربت الشمس. وذهبت الصفرة قليلاً حتى غاب القرص. وأردف أسامة خلفه. ودفع رسول الله ﷺ وقد شنق للقصواء الزمام. حتى إن رأسها ليصيب مورك رحله. ويقول بيده اليمنى: «أيها الناس! السكينة، السكينة كلما أتى جبلاً من الجبال أرخى لها قليلاً. حتى تصعد. حتى أتى المزدلفة. فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين. ولم يسبح بينهما شيئاً. ثم اضطجع رسول الله ﷺ حتى طلع الفجر. وصلى الفجر، حين تبين له الصبح، بأذان وإقامة. ثم ركب القصواء. حتى أتى المشعر الحرام. فاستقبل القبلة. فدعاه وكبره وهلله ووحده. فلم يزل واقفاً حتى أسفر جداً. فدفع قبل أن تطلع الشمس. وأردف الفضل بن عباس. وكان رجلاً حسن الشعر أبيض وسيماً. فلما دفع رسول الله ﷺ مرت به ظعن يجرين. فطفق الفضل ينظر إليهن. فوضع رسول الله ﷺ يده على وجه الفضل. فحول الفضل وجهه إلى الشق الآخر ينظر. فحول رسول الله ﷺ يده من الشق الآخر على وجه الفضل. يصرف وجهه من الشق الآخر ينظر. حتى أتى بطن محسر. فحرك قليلاً. ثم سلك الطريق الوسطى التي تخرج على الجمرة الكبرى. حتى أتى الجمرة التي عند=

﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ في هذا أمر لنبي الله إبراهيم وابنه إسماعيل اللذين بنيا البيت أن يطهراه من نوعين من النجاسات: النجاسة المعنوية وهي ألا يكون مكاناً للمشركين والكافرين وفي هذا قال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ بعدما فتح مكة ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾(١). فامتثل لذلك رسول الله عليه الصلاة والسلام فنادى -كما تقدم- في الناس ألا يطوف بالبيت مشرك. والنجاسة المعنوية تشمل كل مشرك، أو كافر، أو ملحد، أو خارج عن ملة الإسلام. أما النجاسة الأخرى فهي النجاسة المادية وتشمل القاذورات، والأوساخ، وكل ما تكرهه النفس وتعافه؛ ذلك أن هذا المكان بيت الله، وهو أولى وأحق بأن يكون نظيفاً خالياً من كل ما يكدر النفوس فيه. وقد ذكر الله الذين يجب أن يُطَهَّر البيت لهم وهم: الطائفون والعاكفون سواء كان الاعتكاف بمعنى العبادة كما يفعل العبَّاد في رمضان، أو كان الاعتكاف بمعنى الإقامة لمجاورة

=الشجرة. فرماها بسبع حصيات. يكبر مع كل حصاة منها. حصى الخذف. رمى من بطن الوادي. ثم انصرف إلى المنحر. فنحر ثلاثاً وستين بيده. ثم أعطى علياً. فنحر ما غبر. وأشركه في هديه. ثم أمر من كل بدنة ببضعة. فجعلت في قدر. فطبخت. فأكلا من لحمها وشربا من مرقها. ثم ركب رسول الله ﷺ فأفاض إلى البيت. فصلى بمكة الظهر. فأتى بني عبد المطلب يسقون على زمزم. فقال: «انزعوا. بني عبد المطلب! فلولا أن يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم» فناولوه دلواً فشرب منه».

أخرجه مسلم في كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، صحيح مسلم بشرح النووي ج٥ ص٣٣٢٣-٣٣٢٧ .

(١) سورة التوبة من الآية ٢٨ .

المسجد الحرام من أهل مكة، أو من وفد إليهم بقصد الإقامة فيها وهم: الراكعون والساجدون، وهذا كناية عن الصلاة فيه .

أحكام ومسائل الآية:

الأمن المراد من قول الله عز وجل ﴿وَأَمْنًا﴾ هو الأمن من عذاب الله لمن قصده حاجّاً أو معتمراً أو مصلياً ابتغاء وجه الله لما ثبت أن العبادة فيه تضاعف أكثر منها فيما سواه، وليس الأمن كما يظن من سقوط الحد فيه عمن يستحقه بل يقتص فيه من الجاني حسب جنايته.

ومن الأحكام في الآية: سنة الصلاة في مقام إبراهيم. ومنها: وجوب تطهير البيت من النجاسات وهي كل ما يشمله مسمى الأوساخ والقاذورات وكل ما تعافه النفس وتستقذره. تحريم دخوله لغير المسلمين.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٢٦)﴾.

بيان الآية:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ أي: دعا إبراهيم ربه أن يجعل مكة بلداً آمناً، والأمن بمعناه العام يشمل الأمن من عقاب

الله وسخطه، وما يحصل في الدنيا من الكوارث كالبراكين والزلازل والفيضانات. كما يشمل الأمن بمعنى أن يكون للمقيم فيها أمن من تسلط الظلمة والطغاة كما فعل ذلك أبرهة ملك الحبشة وجنده حين أتوا بالفيل لهدم البيت فسلط الله عليهم الطير ورمتهم بالحجارة حتى هلكوا فرد الله كيدهم.

وحرمة البيت مما هو معروف من الدين بالضرورة لقول رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: (**إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي ولم يحل لي إلا ساعة من نهار فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة لا يعضد شوكه، ولا ينفر صيده، ولا يلتقط لقطته إلا من عرَّفها، ولا يختلى خلاها**)[1].

﴿وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾

هذا أيضاً دعاء من نبي الله إبراهيم لربه أن يتكفل برزق أهل مكة، وقيَّده بالمؤمنين منهم، وقد استجاب الله لدعائه مع عدم التخصيص بالمؤمنين، ووجه ذلك قوله عز وجل ﴿قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ وفي هذا إشارة إلى أن الله عز وجل يرحم الكافر فلا يمنعه رزقه من طعام وشراب وغيره وإنما

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجزية، باب إثم الغادر للبرِّ والفاجر، برقم (٣١٨٩)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٦ ص٣٢٧ .

يمتعه بهذا الرزق ثم يحاسب على كفره. وقد يسر الله للمشركين في مكة رزقهم؛ فقد كانت الميرة تأتيهم من وسط الجزيرة، وتأتيهم الثمرات من كل مكان. والمتاع الذي يهبه الله للكافر مرهون بأجل مسمى لعل الكافر يراجع فيه نفسه فيتوب إلى الله فيكون من الناجين من عذابه، أو يستمر على كفره فيدفعه الله إلى النار وهي كما قال تعالى ذكره ﴿أَضۡطَرُّهُۥٓ﴾ إليها وبئس المكان الذي يصير إليه.

أحكام ومسائل الآية:

تقرير دعوة إبراهيم عليه السلام أن يجعل مكة بلداً آمناً يأمن فيه كل من أقام فيه، أو دخله حاجاً أو معتمراً. تقرير دعوته عليه السلام لأهل مكة المؤمنين بالرزق وقد استجاب الله دعوته مع عدم التخصيص بالمؤمنين فالله -وهو أرحم الراحمين- يرحم الكافر فلا يمنع عنه الرزق ولكنه يحاسبه عليه. ومن الأحكام: تقرير العذاب لمن مات ولم يسلم وجهه إلى الله.

﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ الآية. في هذا إخبار من الله جل ذكره أن إبراهيم وابنه إسماعيل وضعا قواعد البيت أي: أساسه الذي بني عليه فكان إبراهيم يبني وإسماعيل يناوله الحجارة، وكانا أثناء عملهما يدعوان الله أن يتقبل منهما عملهما في تأسيس البيت ليكون مكاناً لذكر الله، وإقامة عبادته فيه ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ أي: أنهما دعوا الله باسمين من أسمائه العلية فهو يسمع دعاءهما، ويعلم سرائرهما وإخلاصهما في هذا البناء طاعة لله.

﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ وهذا أيضاً دعاء من نبي الله إبراهيم، وابنه إسماعيل وهما يبنيان البيت بأن يجعلهما مسلمين له أي: منقادين له مسلمين وخاضعين لأمره، وأن يجعل من ذريتهما أمة مسلمة له تكون على ملة أبيها في انقيادها وخضوعها وطاعتها له. ولعل إبراهيم عليه السلام كان يعرف بفطرته أن من أمته من يعصى الله، وفيها من يطيعه لقضاء الله أن يكون من خلقه من يطيعه ومنهم من يعصيه فلم يطلب من الله أن تكون كل ذريته مسلمة، وذلك تأدباً مع الله عز وجل في سابق علمه على خلقه فقال ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ﴾. وقد استجاب الله دعاءه فمن أمته المسلمون الذين أخلصوا الطاعة لله ونفوا كل شريك معه، ومنهم العصاة. ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ قيل: إنها مناسك

الحج؛ روى الطبري بسنده إلى السدي أن إبراهيم لما فرغ وإسماعيل من بنيان البيت أمره الله أن ينادي قال ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ ﴾ فنادى بين أخشبي مكة: يا أيها الناس إن الله يأمركم أن تحجوا بيته قال: فوقرت في قلب كل مؤمن فأجابوه بالتلبية: لبيك اللهم لبيك وأتاه من أتاه فأمره الله أن يخرج إلى عرفات ونعتها فخرج فلما بلغ الشجرة عند العقبة استقبله الشيطان فرماه بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة فطار فوقع على الجمرة الثانية أيضاً فصده فرماه وكبر فطار فوقع على الجمرة الثالثة فرماه وكبر، فلما رأى أنه لا يطيقه ولم يدر إبراهيم أين يذهب فانطلق حتى أتى ذا المجاز فلما نظر إليه فلم يعرفه جاز فلذلك سمي ذا المجاز ثم انطلق حتى وقع بعرفات فلما نظر إليها عرف النعت قال: قد عرفت فسميت عرفات فوقف إبراهيم بعرفات حتى إذا أمسى ازدلف إلى جمع فسميت المزدلفة فوقف بجمع ثم أقبل حتى أتى الشيطان حيث لقيه أول مرة فرماه بسبع حصيات سبع مرات ثم أقام بمنى حتى فرغ من الحج وأمره وذلك قوله ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾[1].

قلت: ويحتمل أن يكون دعاء إبراهيم أن يعلمه الله وذريته مناسكهم في العبادة بما فيها الحج وبما تعنيه المناسك من الإخلاص فيها لله قولاً وعملاً .

---

(١) جامع البيان، ج١ ص٥٥٣-٥٥٤ .

﴿ وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ التوبة الرجوع إلى الله سواء كان ذلك بعد فعل معصية رجاء غفرانها من الله، أو كان بمعنى الإنابة إليه في كل أمر، ولو كان المنيب لا يعتقد أنه عمل عملاً سيئاً ومعيناً بعينه يتوب إلى الله منه مع أنه ما من أحد من عباد الله إلا وهو في حاجة إلى التوبة إلى الله واستغفاره ولو كان نبياً معصوماً. ﴿ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ أي: الذي يتوب على من تاب إليه وهو الرحيم بعباده حيث يقبلون عليه تائبين من ذنوبهم.

﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ ﴾ وهذه أيضاً دعوة من دعاء إبراهيم أن يبعث في أمته رسولاً يتلو عليها آيات الله أي يقرأ عليهم ما يوحى إليه من ربه، ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ أي القرآن ﴿ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ أي ما ينور الله به قلبه من الإيمان، ودعوة أمته إلى الحق ﴿ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ أي: يطهر قلوبهم من الشرك وغيره من أنواع المعاصي. وفي هذه الآية بشارة لأمة المسلمين التي أرسل الله إليها محمداً ﷺ بعد أن بشرت به الكتب السماوية السابقة؛ فقد سأله عليه الصلاة والسلام نفر من الصحابة قائلين حدثنا عن نفسك يا رسول الله فقال: (**أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى قومه ورؤيا أمي**)[١]. أما دعوة إبراهيم فقد ذكرها الله تعالى ذكره في هذه الآية، وأما بشارة

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ج٥ ص٢٦٢ .

عيسى فذكرها الله أيضاً في قوله على لسان عيسى ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾(١). وأما رؤيا أمي فقد رأت نوراً يخرج منها أضاء منها قصور الشام)(٢).

﴿ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ أي: أنت القادر الذي لا يعجزه شيء فاقبل دعاءنا.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير عظم عمارة المساجد عمارة مادية بمعنى تشييدها وعمارة روحية بمعنى عبادة الله فيها. تقرير أهمية سؤال العبد لربه أن يثبته وذريته على دين الإسلام ويميته عليه. تقرير أهمية الدعاء والإلحاح فيه والتوسل إلى الله بقبوله. ومن الأحكام: وجوب معرفة مناسك الحج.

﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٣٠) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١) وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٣٢) ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾ ملة إبراهيم

---

(١) سورة الصف من الآية ٦.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ج٥ ص٢٦٢.

هي الحنيفية المسلمة بيَّنها الله في قوله جل ذكره ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا ﴾(١). وقال تقدست أسماؤه ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾(٢). وقال عز من قائل ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾(٣). فملة رسول الله محمد ﷺ وأمته هي ملة إبراهيم. أما اليهود فقد حادوا عن هذه الملة فجعلوا اليهودية ديناً لهم، وجعل النصارى النصرانية ديناً لهم، وقد أنكر الله عليهم هذا الفعل بأن إبراهيم لم يكن يهودياً ولا نصرانياً كما زعموا.

وفي قوله تبارك وتعالى ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ ﴾ أن من سمَّى لنفسه ديناً أو ملة غير ملة إبراهيم فقد رغب عن هذه الملة ويعد سفيهاً جاهلاً ﴿ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ ﴾ ليكون خليلاً لنا كما قال تعالى ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾(٤). ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ أي: إنه من عباد الله الذين عملوا الصالحات في الدنيا فكان من الصالحين في الآخرة المستحقين للجزاء في أعلى الدرجات.

﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ﴾ والمعنى أن الله أمر إبراهيم أن يسلم أي:

---

(١) سورة آل عمران من الآية ٦٧ .

(٢) سورة النحل الآية ١٢٣ .

(٣) سورة الحج من الآية ٧٨ .

(٤) سورة النساء من الآية ١٢٥ .

يستسلم لأمر الله، ويخلص في ذلك فأجاب إبراهيم ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: انقدت واستسلمت مخلصاً له الدين لا رب غيره ولا إلَه سواه .

﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ الوصية بمثابة العهد، أو الأمر من إنسان يملك هذا الأمر إلى آخر يستجيب له في الغالب كوصية الوالد لولده. والمراد أن إبراهيم وصى بنيه بالملة الحنيفية المسلمة قائلاً لهم ﴿يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾ أي: الإسلام فعليكم التمسك به، وعليكم أن تموتوا وأنتم عليه لأن الله اصطفاه لكم، ونفى عنكم غيره كما قال تعالى ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ وفي هذا حجة على اليهود في عدم دخولهم في الإسلام؛ سيما وأن الله خص يعقوب جد اليهود بالاسم من بين بني إبراهيم حتى يكون ذلك أبلغ في الحجة عليهم كما أنه حجة على النصارى الذين يقولون بتبعيتهم لإبراهيم بينما هم يخالفون حقيقة هذه الملة بإنكارهم للإسلام.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن من يرغب عن الملة الحنيفية المسلمة التي وصى بها إبراهيم بنيه يعد سفيهاً. الحكم أن الإسلام هو الدين الحق الذي

نسخ جميع الأديان فمن ابتغى غيره فقد ضل سواء السبيل. ومن الأحكام: أهمية وصية المريض لأسرته بأن يلتزموا بدين الإسلام ويموتوا عليه.

﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ ﴾ في هذا رد على اليهود الذين يقولون: إن يعقوب كان على الملة اليهودية، وإنه وصى بها بنيه عند موته فأبطل الله ادعاءهم بقوله ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ ﴾ وهذا استفهام إنكاري عليهم لأنهم لم يحضروا يعقوب عند موته. ثم بين حقيقة الفعل، وهي أن يعقوب حرص عند موته أن يتأكد من عقيدة أبنائه، وما إذا كانوا على الطريقة التي تلقاها من أبيه إبراهيم -وهي الملة الحنيفية المسلمة- فسألهم ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى ﴾ فأجابوه بصيغة الجزم والإثبات ﴿ نَعْبُدُ

﴿إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ أي: إننا نعبد إلَهك أنت يا أبانا، وإلَه آبائك ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ وهذا تأكيد لكونهم مسلمين وهذا ينفي قطعاً ادعاء اليهود بأن يعقوب كان على اليهودية، وأنه وصى بها بنيه.

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ إن من مزاعم اليهود أن صلاح أسلافهم ينفعهم وقد يقول بهذا بعض الجهلة من المسلمين، وقد بين الله خطأ هذا الزعم فقال ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ أي: أن أسلافكم لهم ما كسبوا من الأعمال الصالحة، ولن تنفعكم هذه الأعمال إذا كنتم على خلافهم ﴿وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ﴾ أي: أن ماينفعكم، أو يضركم هو الذي كسبتموه إن خيراً فخير وإن شراً فشر ﴿وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ أي: لن تسألوا عن عمل أسلافكم بل سوف تسألون عن أعمالكم أنتم.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير كذب الذين قالوا من اليهود: إن يعقوب على الملة اليهودية وإنه وصَّى بها بنيه. ومن الأحكام: النهي عن الاعتماد على صلاح السلف والتحدث بماضيهم وترك العمل اتكالاً على صلاحهم لأن لكل عمله ولا يسأل أحد عن عمل أسلافه، وإنما يسأل عن نفسه وما قدم لها.

﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟﴾ الآية. لم يكن اليهود والنصارى يعتقدون في ملتهم فحسب، بل كانوا يدعون إليها في زعمهم أنها الملة الحق؛ فكان اليهود في المدينة يأتون رسول الله ﷺ ويقولون له: إن ملتهم هي الحق ويدعونه إليها كما كان يقول عبدالله بن حوريا الأعور وقال مثل قولهم نصارى نجران لما وفدوا إليه فأمره الله أن يقول لهم: إنكم بقولكم هذا على ضلال لأن الملة الحق هي ملة إبراهيم الحنيفية لأنه كان موحداً لله، ولم يكن من المشركين.

﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ لما دعا اليهود والنصارى رسول الله ﷺ إلى ملتهم بما أخبر الله عنه في الآية السابقة بقولهم ﴿كُونُوا۟ هُودًا

﴿أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُواْ﴾ أرشد الله نبيه محمداً ﷺ، وأمته أن يقولوا لهم: إن دينهم هو الإيمان بالله، والإقرار بأنه الخالق فلا خالق غيره، وأنه المعبود فلا معبود بحق سواه، وأنهم كما يوحدونه في ربوبيته وألوهيته يوحدونه في أسمائه وصفاته، فلا ند له ولا نظير ولا شبيه، وأنه الأول والآخر، والظاهر والباطن، وأنه بكل شيء عليم يخلق خلقه، ويحييهم ثم يميتهم ثم يبعثهم يوم القيامة للحساب والجزاء. ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ أي: نؤمن بما أنزل الله على محمد ﷺ، وهو القرآن فنؤمن أنه كلام الله نزل به جبريل، وأن الله أمر نبيه أن يبلغه لكل الخلق إنسهم وجنهم. كما نؤمن بما سنه رسول الله ﷺ من قول قاله، أو فعل فعله، أو أمر قرره ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ﴾ وكما نؤمن بما أنزل إلينا نؤمن بما أنزل الله على أنبيائه، وأولهم نبيه وخليله إبراهيم لأنا نؤمن أن ما أنزل إليهم هو الحق الذي نزل على رسول الله محمد ﷺ ﴿وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ وفي هذا بيان أن المسلم يؤمن بأن ما أنزل الله على موسى من التوراة حق، وما أنزله على عيسى من الإنجيل حق، وما أنزله الله على كافة النبيين حق؛ فهذه الكتب على اختلاف نزولها تقوم على توحيد الله وطاعته،

وعدم الاشراك به. كما تقوم على الإيمان بما فطر الله عليه خلقه، وما قضى به من أحكام فلا تفرق بين أحد وأحد، ولا تميز بين جنس وجنس، أو لون ولون وفي هذا قال رسول الله ﷺ: (**الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد**)(١).

وإيمان المسلمين على النحو الذي ذكره الله في الآية لا ينافي إيمانهم بأن الإسلام قد نسخ كافة الأديان، وأنه لا دين بعد مبعث رسول الله محمد ﷺ إلا دين الإسلام، وأن كل من يدعي أن له ديناً غيره حق فدعواه باطلة، وعمله زيغ وضلال. قوله ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ وقد ختم الله إرشاده لنبيه ورسوله محمد ﷺ وأمته أن يبينوا أنهم مسلمون.

﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟﴾ وفي هذا إرشاد وعزاء لرسول الله ﷺ فالإرشاد قوله ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟﴾ أي: إن آمنوا بمثل ما آمنتم به من الإيمان بجميع الرسل، والكتب المنزلة من السماء، ومن ذلك الإيمان بالقرآن ونبوة ورسالة محمد ﷺ، وعدم التفريق في هذا الإيمان كقولهم: نؤمن ببعض ونكفر ببعض، إذا فعلوا ذلك أي: آمنوا بمثل ما آمن به المسلمون فقد

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى «واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها» برقم (٣٤٤٣)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٦ ص٥٥٠ .

أصبحوا من المهتدين. وأما العزاء فقول الله تعالى ذكره ﴿وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ والمعنى إن هم أعرضوا عما بينته لهم من الحق فهم مشاقّون أي: مشاكسون لأمر الله وتدبيره؛ فحينئذٍ سيقيك شرهم، وسوف تنتصر عليهم. وهذا ما حدث فقد انتصرت الرسالة، وقامت دولة المسلمين، وانتشر الإسلام في أصقاع الأرض ودخل الناس فيه أفواجاً فلله الحمد والمنة على ما أنجز لرسوله، وما وعده به من النصر على الكافرين. ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ أي: أنه يسمع ما كانوا يبدونه، ويخفونه ويبيتونه من الشقاق وهو العليم بكل ما يقولون وما يفعلون.

قلت: وهذا من سنن الله في خلقه ومعجزاته فهو يعلم وعلمه الحق أن من بين خلقه أناساً أبراراً، وأناساً أشراراً، وأن الصراع بين الخير والشر صراع أزلي، وأن الشر قد ينتصر في مرحلة أو مراحل من الزمن، وأن من خلقه من يكفر به ويكذب رسله، ويهلك عباده ويمنعهم من عبادته في بيوته فيدمرها كما يفعل المحتلون والطغاة عندما تكون لهم جولة من جولات الصراع. ولكن الذي لا شك فيه أن الحق سوف ينتصر -بإذن الله- على الباطل، وأن الخير سيغلب الشر وأن العاقبة للمتقين المتبعين لرسول الله محمد ﷺ وهو ما ذكره الله في كتابه في

قوله عزوجل ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾(١).

﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ لكل من اليهود والنصارى صبغة حسب طقوسهم؛ فصبغة اليهود مايصطبغ به (أي يغتسل) الكاهن إذا قدم قرباناً تكفيراً عن خطيئته هو أو ذريته، أو تكفيراً عن خطايا قومه بني إسرائيل. وأما صبغة النصارى فما يعرف بـ(التعميد) أي: غسل الأطفال في ماء يسمى المعمودية لكي يطهرهم مثل التنصير وقد أمر الله رسوله محمداً ﷺ أن يقول لليهود والنصارى: نحن على صبغة الله أي: على دينه، وفطرته التي فطرنا عليها، وأحكامه التي قضى بها وليس هناك صبغة أعلى، وأجل، وأعظم من هذه الصبغة؛ فنحن له عابدون أي: متعبدون له بدينه الذي ارتضاه لنا.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأنه لا هداية إلا باتباع دين الإسلام، وهذا يقتضي أن من اتبع غيره فقد ضل سواء السبيل. ومن الأحكام: وجوب الإيمان بكل الرسل فمن كفر بواحد منهم فقد كفر بهم جميعاً، وهذا يقتضي أن الذين كفروا أو يكفرون برسالة رسول الله ﷺ يعدون كافرين بالرسل الذين يزعمون أنهم الذين يتبعونهم. ومن الأحكام: أنه يجب

(١) سورة التوبة الآية ٣٢ .

على المسلم وجوب عين الإيمان برسل الله، ورسالاتهم، وعدم التفريق بينهم، والإيمان بأنهم بلغوا رسالات ربهم. ولكن هذه الرسالات قد انتهت بمبعث رسول الله ﷺ فرسالته خاتمة الرسالات ودينه خاتم الأديان كما قال الله عز وجل ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[1].

﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ﴾ الآية. في الآيات السابقة أخبر الله عن زعم اليهود والنصارى أنهم على الحق، وأنهم يدعون إليه فأرشد الله رسوله عليه الصلاة والسلام أن يقول لهم على سبيل التعجب والإنكار: أأنتم تحاجوننا في الله وتخاصموننا فيه وهو ربنا الذي نوحده ونخلص العبادة له وحده، وهو أيضاً ربكم الذي خلقكم من العدم إلى الوجود

(١) سورة الأحزاب من الآية ٤٠ .

فما دمتم تحاجوننا في باطل وهو تكذيبكم للرسالة فلنا أعمالنا المبنية على دين الإسلام، ولكم أعمالكم الباطلة التي نبرأ إلى الله منها ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ﴾ أي: أننا مخلصون لله فيما نقول ونفعل.

﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ سبق القول عما أخبر الله عن زعم اليهود والنصارى أن إبراهيم وبنيه كانوا على الملة اليهودية، وهنا يوبخهم الله وينكر عليهم زعمهم كما أنكره عليهم من قبل ويقول ﴿ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ وفي هذا تعجيز، وتحدٍّ لهم فإن قالوا: نحن أعلم فقد كذبوا وكفروا وإن قالوا الله أعلم فقد كذبهم بقوله ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾[١]. فهم في كلتا الحالتين كاذبون.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ لما كان اليهود والنصارى يعرفون في كتبهم أن إبراهيم وبنيه مسلمون، وليسوا يهوداً أو نصارى فقد كتموا بذلك معرفتهم حين زعموا أنهم لم يكونوا كذلك فبيّن الله أنه ما من أحد أظلم من هؤلاء لكتمانهم الشهادة ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ أي: قل لهم يا محمد: إن الله ليس بغافل عن كتمانكم الشهادة، وعدم إظهار الحقيقة الواردة في كتبكم.

(١) سورة آل عمران من الآية ٦٧ .

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ في هذه الآية يرشد الله نبيه أن يقول لليهود والنصارى: إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط قد مضوا، وأن لهم ما عملوا في الدنيا، وسيجزون عليه؛ فإن كنتم تزعمون أن عملهم سوف ينفعكم فأنتم على خطأ وضلال لأن لهم ما كسبوا من عمل، ولكم ما كسبتم أنتم من عمل وكل سيجزى على عمله، ولن تسألوا إلا عن عملكم أنتم، وستجزون عليه إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بأنه لا قيمة للعمل إذا لم يكن خالصاً لوجه الله. تقريرأنّه ليس هناك ديانة يهودية أو نصرانية فهذه مما ابتدعها أصحابها كما قال تعالى ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾. ومن الأحكام: أنه ليس هناك أحد أظلم ممن كتم شهادة من الله ومن ذلك من كتم ما ورد في التوراة والإنجيل عن رسالة رسول الله ﷺ كما فعل أسلاف اليهود والنصارى.

﴿۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٤٢)﴾.

بيان الآية:

﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾

لما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة صلى نحو بيت المقدس سبعة عشر شهراً، وكان عليه الصلاة والسلام يتمنى في نفسه أن تكون قبلته، وأمته إلى الكعبة لأنها بيت الله، وقبلة نبيه إبراهيم. وقد نزل عليه قول الله تعالى ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾[1]. فبينما كان يصلي في مسجد بني سلمة (المعروف الآن في المدينة بمسجد القبلتين) تحول إلى الكعبة فحول الناس وجهتهم نحو الكعبة، وقد أنكر ذلك اليهود، والمنافقون، والمشركون وهم المراد بالسفهاء؛ فجاء منهم نفر من بينهم كعب بن الأشرف فقالوا: يا محمد ما ولاك أي: صرفك عن قبلتك التي كنت عليها فارجع إلى قبلتك الأولى، وسوف نصدقك ونتبعك[2]. أما كفار قريش والمنافقون فقالوا لبعضهم إن محمداً قد اشتاق إلى موطنه، وسوف يرجع عن دينه إلى دينكم فانتظروا ذلك[3]. وقد أخبر الله عما قاله هؤلاء قبل قولهم فنعتهم بالسفه والجهل، وعلم نبيه محمداً وأصحابه أن يقولوا لهم ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ﴾ أي: أن جهتي المشرق والمغرب جهتان لله وهذا كان على سبيل التخصيص

---

(١) سورة البقرة من الآية ١٤٤ .

(٢) أسباب نزول القرآن للواحدي ص١٤٩-١٥٠، معالم التنزيل ص٦٩، وزاد المسير لابن الجوزي ص٩٢ .

(٣) معالم التنزيل للبغوي ص٦٩، وزاد المسير لابن الجوزي ص٩٢ .

بما مناطه جهة المقدس، وجهة المشرق محل الحكم أما في العموم فكل جهات الأرض ملك لله، وأن المراد وجهه إلى الجهات فكما أن جهة بيت المقدس ملك لله فإن جهة الكعبة ملك أيضاً لله، وأن اعتراضهم على التحول إلى الكعبة إنما هو اعتراض على إرادة الله وحكمته.

﴿يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ والمعنى أن الله يرشد من يشاء من عباده إلى سلوك الطريق المستقيم إذا عرف امتثاله لأوامره، واجتنابه لنواهيه؛ فهو بتحويل القبلة إلى الكعبة قد هدى بذلك عبده ورسوله محمداً ﷺ وأمته.

أحكام ومسائل الآية:

في هذه الآية حكمان: أولهما- أن هذا أول نسخ في الإسلام ويدل على الجواز لقول الله تعالى ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾[1] وقد تقدم تفسيرها. الثاني- وجوب استقبال القبلة في الصلاة فرضاً كانت أو نفلاً بوصف ذلك أحد شروط الصلاة التي لا تصح الصلاة إلا به ما لم يكن ثمة ضرورة كالسفر، أو جهالة القبلة لأي سبب وقد تقدمت الإشارة إليه.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ

(١) سورة البقرة من الآية ١٠٦.

ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٤٣﴾﴾

بيان الآية:

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾ الآية. قيل: في مسألة (الوسطية) عدة أقوال؛ فالإمام الطبري يرى «.. أن الله تعالى ذكره إنما وصفهم بأنهم وسط لتوسطهم في الدين فلا هم أهل غلو فيه غلو النصارى الذين غلوا بالترهب وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه، ولا هم أهل تقصير فيه تقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله وقتلوا أنبياءهم وكذبوا على ربهم وكفروا به ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه فوصفهم الله بذلك إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها»[١].

والمعنى أن الله كما جعل هذه الأمة وسطاً أي: عدلاً جعلها كذلك شاهدة على الناس يوم القيامة حين تنكر الأمم التي أرسل إليها الرسل البلاغ الذي بلغه لهم رسلهم؛ لما رواه أبو سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: (**يجيء نوح عليه السلام وأمته فيقول الله تعالى هل بلغت فيقول نعم أي رب فيقول لأمته هل بلغكم فيقولون لا ما جاءنا من نبي فيقول لنوح من يشهد لك فيقول محمد ﷺ وأمته فيشهد أنه قد بلغ**)[٢].

---

(١) جامع البيان، ج٢ ص٦ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء باب قول الله عز وجل {ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه} برقم (٣٣٣٩)، البخاري مع فتح الباري ج٦ ص٤٢٧ .

وهذه الشهادة من خصائص هذه الأمة، وخيريتها وفي هذا قال رسول الله ﷺ: **(أعطيت أمتي ثلاثاً لم تعط إلا للأنبياء كان الله إذا بعث نبياً قال له: ادعني أستجب لك وقال لهذه الأمة: ادعوني أستجب لكم وكان الله إذا بعث النبي قال له: ماجعل عليك في الدين من حرج وقال لهذه الأمة: وما جعل عليكم في الدين من حرج وكان الله إذا بعث النبي جعله شهيداً على قومه وجعل هذه الأمة شهداء على الناس)**[1].

قلت: ويلزم من هذه الخصيصة والخيرية لازمان: أولهما- العدل ويعني ذلك عدل الأمة في أقوالها وأفعالها وأهمها امتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه لأن العدل في هذا المعنى الميل إلى الحق، والميل عن الباطل. وجماع ذلك كله حفاظ الأمة على ما عهد الله به إليها وهو كتابه وسنة رسوله محمد ﷺ. الثاني- إبلاغ الدعوة إلى من لم تبلغه وقد أمر الله رسوله بهذا في قوله ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ﴾[2]. وقوله جل ذكره ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾[3]. وهذا الأمر كما كان لازماً لرسول الله في حياته فهو لازم لأمته بعد وفاته إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. ومن لوازم الخيرية أيضاً الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عملاً بقول الله

---

(١) قال السيوطي خرّجه الفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن أبي حاتم عن كعب، الدر المنثور ج١ ص٢٦٧ .

(٢) سورة المائدة من الآية ٦٧ .

(٣) سورة النحل من الآية ١٢٥ .

تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[١]. وهذه الصفة من الخيرية مقيدة بوجوب الأمر بالمعروف بين الأمم بما يشمل دعوتها إلى توحيد الله وطاعته، ونهيها عن المنكر بما يشمله من أوجه الفساد والفواحش التي تشيع بينها سواء في هذا العصر أو في غيره من العصور؛ فإذا لم تكن الأمة عدلاً في نفسها ولم تقم بما يجب عليها من الدعوة وتحمل الأعباء في سبيلها فلن تكون لها صفة الخيرية لأنها مناطة بشروطها. وقوله ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ أي: بما بلغكم إياه من رسالة ربه، وما علمكم به ونصحكم به مما جاء في سنته فكما أنكم تشهدون على الأمم سيكون الرسول شهيداً عليكم، وستكون شهادته على أمته بما عملت من خير أو شر، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: (**وليردن عليّ أقوامٌ أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم فأقول: إنهم مني فيقال: إنك لا تدري ما عملوا بعدك فأقول سحقاً سحقاً لمن بدل بعدي**)[٢]. وحتى يبرئ عليه الصلاة والسلام نفسه من مسؤولية البلاغ للرسالة، قال في حجته التي ودع فيها الأمة: (**ألا هل بلغت**) قال الحاضرون: نعم قال: (**اللهم اشهد**) قالها ثلاثاً[٣].

---

(١) سورة آل عمران من الآية ١١٠ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب فضائل باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، برقم (٢٢٨٩)، صحيح مسلم مع شرح الأبي والسنوسي ج٨ ص٢٥ .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الحج باب حجة النبي ﷺ وصفاته، برقم (١٢١٨)، صحيح مسلم مع شرح الأبي والسنوسي ج٤ ص٢٤٣ .

﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ أي: ما جعلناك تتجه إلى القبلة الأولى، وهي بيت المقدس ثم حولنا قبلتك إلى الكعبة إلا لنعلم من يتبعك ممن لا يتبعك؛ ذلك أن بعض الناس لما علموا بالتحول إلى القبلة ارتدوا وبدأ بعضهم ينافق ويشكك في ذلك، وهؤلاء هم المراد بالانقلاب على عقبيهم ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ أي: أن هذا التحول كبير على أولئك المرتدين والمنافقين، ولكنه ليس كبيراً أو شاقّاً على الذين هدى الله فيتبعون ما جاء به رسوله ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ لا خلاف في أن الذين كانوا يصلون إلى بيت المقدس قبل التحول إلى الكعبة كانوا على حق؛ ذلك أن منهم من مات قبل نزول الأمر، ومنهم من كان يتجه إليه وهو حي قبل نزوله ومن هؤلاء رسول الله ومن كان معه، وفي ذلك روى ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ لما وُجِّه إلى الكعبة قالوا يارسول الله كيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس فأنزل الله تعالى ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾[1]. أي: صلاتكم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ الرأفة والرحمة من لطف الله بخلقه؛ فهو يرحمهم ويشفق عليهم من العذاب فكما أنه رؤوف رحيم

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص١٥٠، والترمذي في كتاب التفسير برقم (٢٩٦٤)، سنن الترمذي ج٥ ص١٩٢، وأبو داود في كتاب البينة باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، برقم (٤٦٨٠)، سنن أبي داود ج٤ ص٢٢٠ .

بكل خلقه فهو رؤوف رحيم بأولئك الذين كانوا يُصَلُّون إلى بيت المقدس بدافع من إيمانهم أن لا يضيع ثوابهم.

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بأن الشهادة لا تصح إلا من العدول. وفيها: دليل على صحة الإجماع، ووجوب الحكم به كما ذكر الإمام القرطبي لأنهم إذا كانوا عدولاً شهدوا على الناس فكل عصر شهيد على من قبله[1]. ومن هذه الأحكام: أن من كان يصلي إلى بيت المقدس قبل نزول الأمر بالتحول إلى الكعبة فصلاته صحيحة، وأن من صلى إلى غير القبلة وهو لا يعلم فصلاته صحيحة ولا تلزمه الإعادة كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

﴿ قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ (١٤٤) ﴾.

بيان الآية:

﴿ قَدۡ نَرَىٰ ﴾ قيل: إن هذه الآية مقدمة في النزول على قول الله تعالى ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾، وذلك لدلالة الحكم فيها على

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، ج٢ ص١٥٦.

التحول إلى الكعبة ثم الإخبار عما سيقوله السفهاء ﴿ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ وقد عبر الله بالوجه عن العينين حيث كان رسول الله ينظر إلى السماء وهو في صلاته ينتظر الأمر له بالتحول إلى الكعبة ﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ وفي هذا منة على رسول الله بتحقيق رغبته في التوجه إلى الكعبة، وهو المعنى من قوله تعالى﴿ تَرْضَىٰهَاۚ ﴾. ثم أتى بعد ذلك الأمر له بالانصراف في صلاته إلى شطر المسجد الحرام والمراد به جهة الكعبة ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥۗ ﴾ في هذا أمر للأمة أن تكون الكعبة قبلتها لأن الله عبَّر بقوله﴿ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ﴾ ولم يقل (حيث ما كنت) لأنه لو قال ذلك لكان المراد به الرسول وحده وليس أمته. ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْۗ﴾ المراد بذلك علماء اليهود والنصارى لكونهم يعلمون من كتبهم أن رسالة رسول الله حق، وأنه مرسل من ربه، وأن ما ينقله عن ربه أو يقوله حق أي: أنهم يعلمون أن تحوله إلى الكعبة ليس من عنده، وإنما هو أمر من الله أمره به.﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ والمراد به العموم والخصوص. أما العموم فإن الله ليس بغافل عما يعمله العباد من خير أو شر. وأما الخصوص فهو مناسبة الآية وهو علم الله بما قاله الذين أنكروا الأمر بالتحول إلى القبلة.

أحكام ومسائل الآية:

وجوب استقبال الكعبة (عينها) لمن كان في المسجد الحرام، واستقبال جهتها لمن كان غير معاين لها، وعليه أن يجتهد في إصابة عينها، وأن يكون هذا الاستقبال في أي مكان يكون فيه المصلي سواء على طائرة أو سفينة، أو غير ذلك.

﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾.

بيان الآية:

﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ﴾ يخبر الله تعالى نبيه أنه مهما آتى أهل الكتاب اليهود والنصارى من دليل أو علم، أو بينة فلن يتبعوا القبلة التي أرادها الله له ولأمته لأنهم معاندون للحق مشاكسون له، وفي هذا جواب لهم حين قالوا لرسول الله: ابق على قبلتك الأولى، وحينئذٍ نصدقك ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ﴾ أي: إنك يا محمد لن تتبع قبلتهم؛ فاليهود لهم قبلة، والنصارى لهم كذلك قبلة، وأنت لك قبلة أرادها الله لك ﴿وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ﴾ وفي هذا بيان لما بين اليهود والنصارى من الخلاف فكل منهم

لا يتبع قبلة الآخر. ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ وفي هذا تحذير لرسول الله أن يتبع أهواء أهل الكتاب خاصة بعد أن نزل عليه القرآن والبينات، وما ارتضاه الله له ولأمته من دين الإسلام. وقد عبر الله جل ذكره بـ﴿أَهْوَآءَهُم﴾ لأن ما يقولونه ليس مبنياً على علم من عند الله بل هو أهواء من عند أنفسهم. ﴿إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: يا محمد إن اتبعت أهواءهم فستكون من الظالمين المخالفين لأمر ربهم العاصين له، وحاشاه ﷺ أن يكون كذلك. وتحذير رسول الله تحذير لأمته فكل من يتبع منها أهواء هؤلاء داخل في هذا التحذير[1].

أحكام ومسائل الآية:

وجوب الثبات على ما أمر الله به من استقبال الكعبة في الصلاة، ونفي اتباع أهل الكتاب لما جاء به رسول الله وبيان اختلافهم بينهم، وتحذير رسول الله وأمته من اتباع أهوائهم.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾.

---

(١) والمراد من الهوى كل فعل أو سلوك يتنافى مع دين الإسلام سواء كان مناط هذا الفعل السياسة أو الاقتصاد أو أي فعل آخر.

بيان الآيتين:

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ﴾ أي: أن علماء اليهود والنصارى يعرفون من كتبهم صحة ما جاء به رسول الله ﷺ، وأن ما يقوله حق يعرفونه مثل معرفتهم لأولادهم لأن معرفة الإنسان بابنه غاية المعرفة وشاهده قول الله تعالى﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ ومنهم عبدالله بن سلام الذي جهر بالقول وأكد ما ورد في التوراة من رسالة رسول الله ﷺ ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ وفي هذا استثناء لفريق آخر منهم يكتمون صفة رسول الله في كتابهم وهم يعلمون ذلك.

﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ في هذا بيان من الله أن ما نزل على رسوله من القرآن، أو ما أوحي إليه به (ومن ذلك تحويل القبلة إلى الكعبة) هو الحق الذي لا ريب فيه وليس كما تقوله اليهود والنصارى من أهوائهم.﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ أي: من الشاكين قال الإمام ابن جرير عند تفسير الآية: فإن قال لنا قائل: أكان النبي ﷺ شاكّاً في أن الحق من ربه، أو في أن القبلة التي وجهه الله إليها حق من الله حتى نهي عن الشك في ذلك فقيل له ألا يمتري قيل: ذلك من الكلام الذي تخرجه العرب مخرج الأمر أو النهي للمخاطب به (والمراد به غيره) أي: أمته[١].

---

(١) جامع البيان، ج٢ ص٢٧ .

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن كثيراً من علماء اليهود والنصارى يعرفون من كتبهم أن ما جاء به رسول الله ﷺ حق. وقد صرح المؤمنون منهم بذلك ومنهم عبد الله بن سلام فقد قال له عمر رضي الله: عنه أتعرف محمداً كما تعرف ولدك قال: نعم وأكثر من ذلك[1]. ومن الأحكام: أن على أمة محمد أن تعرف أن ما جاء به رسولها حق لا مراء فيه.

﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٤٨) ﴾.

بيان الآية:

﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾ المراد أن لليهود وجهة، وللنصارى وجهة، وكل منهم يتجه إلى قبلته حسب هواه وأنتم يا محمد لكم قبلة اخترناها لكم هي الكعبة فالزموها، واتركوا قبلة غيركم ﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ أي: أن عليكم التنافس في فعل الخيرات من صلاة، وزكاة وصيام، وحج وغير ذلك من أنواع الطاعات فذلكم أنفع لكم من جدال هؤلاء أو التخاصم معهم. ﴿ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا ﴾ أي: حيثما كنتم في أي مكان أو متم في البر أو البحر سوف يجمعكم الله يوم القيامة، ونظير هذا قوله جل ذكره ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج٢ ص١٦٣ .

﴿ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖ﴾[١]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ أي: أن كل شيء في الكون خاضع لقدرته، وسوف يبعثكم بعد موتكم كما أخرجكم من العدم إلى الوجود.

أحكام ومسائل الآية:

الأمر بالمبادرة في فعل الواجب بوصفها من استباق الخيرات، وقد اختلف الفقهاء في مسألة التبكير للصلاة وما إذا كان ذلك هو الأفضل ففي مذهب الإمام أبي حنيفة: أن التأخير فيها أفضل لأن ذلك وقت الوجوب فلا تكون قبله[٢]. وفي المذاهب الأخرى تفصيل فعند الإمام مالك أن أول الوقت في صلاة الصبح والمغرب هو الأفضل وكذا الأمر في العصر أما الظهر فتؤخر قليلاً والتأخير في العشاء أفضل[٣].

قلت: ولعل التبكير في الصلاة أفضل من تأخيرها لما روي عن رسول الله ﷺ **(أن الوقت الأول من الصلاة رضوان الله وأوسطه مغفرته والوقت الآخر عفو الله)**[٤]. وقد روي أن أبا بكر رضي الله عنه لما سمع

---

(١) سورة النساء من الآية ٧٨ .

(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع للكاساني، ج١ ص١٢٥-١٢٦، أما في المغرب قال الكاساني فالمستحب فيها التعجيل في الشتاء والصيف جميعاً، وتأخيرها إلى اشتباك النجوم مكروه.

(٣) أسهل المدارك شرح إرشاد السالك لأبي بكر بن حسن الكشناوي، ج١ ص١٥١-١٥٦ .

(٤) أخرجه الترمذي في أبواب الصلة، باب ما جاء في الوقت الأول من الفضل، سنن الترمذي، ج١ ص٣٢١، برقم (١٧٢) بدون ذكر و(أوسطه مغفرته)، والدارقطني في كتاب الصلاة باب النهي عن الصلاة بعد صلاة الفجر وبعد صلاة العصر برقم (٢٢)، سنن الدارقطني مع التعليق المغني على الدارقطني ج١ ص٢٥٠ .

ذلك قال: رضوان الله أحب إلينا من عفوه فإن رضوانه للمحسنين، وعفوه للمقصرين(١).

﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ أي: من حيث خرجت، وفي أي مكان كنت ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أي: اتجه في صلاتك نحوه. ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ أي: أنه عليم بعملكم لا يسهو ولا يغفل عنه.

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ وهذا أمر لنبي الله ولأمته باستقبال القبلة، وقد كرر الله هذا الأمر لأهمية المأمور به وهو استقبالها وعدم التهاون في ذلك بأي وجه. ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ والمراد أنه بجعل الكعبة قبلة لنبي الله وأمته فقد دحضت حجة أهل الكتاب الذين قالوا إن محمداً يتبع قبلتنا

(١) الجامع لأحكام القرآن، ج٢ ص١٦٥، وأحكام القرآن لابن العربي ج١ ص٤٥ .

في القدس ولا يتبع ديننا، ودحضت كذلك حجة المشركين في مكة الذين قالوا إن محمداً يقول إنه يتبع ملة إبراهيم بينما هو لا يتجه إلى قبلته وهي الكعبة. ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ أي: أنه بسبب توجهكم إلى الكعبة لم يعد لأحد مجال للقول أما الذي يجادل بغير حق كقول المشركين إن محمداً رجع إلى مولده في مكة؛ فهذا يعد ظالماً لا ينفع معه قول، ولا تقنعه حجة فاتركه. ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي﴾ أي: لا تخافوا هؤلاء الظالمين المعاندين المجادلين بغير حق وإنما الخشية مني. ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ أي: إنني قد أتممت نعمتي عليكم بهدايتكم إلى القبلة ولعلكم تهتدون دائماً إلى الصواب والرشاد.

أحكام ومسائل الآيتين:

وجوب استقبال الكعبة حال الصلاة في أي موقع يكون فيه المسلم.

وجوب خشية الله في كل أمر وعدم خشية المخالفين لدينه من أهل الكتاب وغيرهم مهما كانت حجتهم وأقاويلهم. ويدخل تحت هذا الحكم أمر المسلم بألا يخاف من أعدائه وإنما عليه الخوف من الله، وخشيته والالتزام بأوامره مع أخذه بالأسباب لأن الله بهذا ينصره عليهم مهما كانت قوتهم، وأساليبهم وطغيانهم. ونظير هذا قول الله جل ذكره ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم

فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾[1].

﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ ﴾ في هذا بيان من الله للعرب، ومن كان معهم من أحلافهم بأنه كما تمت نعمتي عليكم بجعل الإسلام ديناً لكم فقد بعثت فيكم رسولاً منكم أي: من جنسكم يتكلم لغتكم، ويعرف سلوككم، وتقاليدكم، وأعرافكم وعاداتكم. ﴿ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا ﴾ أي: القرآن المنزل عليه، وما اشتمل عليه من البشارة للمؤمنين وهديهم للصراط المستقيم. ﴿ وَيُزَكِّيكُمْ ﴾ أي: يطهركم من عبودية الوثنية، ورجس الشيطان، وارتكاب المحرمات. ﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ أي: يبين لكم الفرقان والسنة وهي المراد بالحكمة. ﴿ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴾ أي: أنه يعلمكم ما تجهلون من أمور العقيدة وأحوال الأمم التي قبلكم، وما

---

(١) سورة النور من الآية ٥٥ .

أرسل إليهم من الرسل، وما حدث لتلك الأمم التي طغت وعصت رسلها. كما أنه يعلمكم ما تجهلونه من أمور الدنيا كالبيع، وتحريم الربا، وتحريم الفواحش، وغير ذلك من الأخلاق والآداب التي تجهلونها بسبب جاهليتكم.

﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ والمراد أن عليكم أيها المؤمنون الصادقون أن تذكروني بالطاعة فيما أمرتكم به، والانتهاء عما نهيتكم عنه. فإذا فعلتم ذلك ذكرتكم في نفسي فحقت لكم رحمتي ومغفرتي وفي الحديث يقول الله (**فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم وإن تقرب إليّ شبراً تقربت إليه ذراعاً وإن تقرب إليَّ ذراعاً تقربت إليه باعاً وإن أتاني يمشي أتيته هرولة**)[١].

﴿ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ أي: اشكروا لي ما أنعمت عليكم من نعمة الإسلام، وإرسال رسول من أنفسكم لكم، وجعل الكعبة قبلة لكم فإذا فعلتم ذلك زدتكم من نعمي. ﴿ وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ أي: لا تجحدوا ما أنعمت عليكم وتكفرون به ونظير هذا قوله جل ذكره ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾[٢].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى {ويحذركم الله نفسه}، برقم (٣٤٠٥)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٣ ص٣٩٥ .

(٢) سورة إبراهيم الآية ٧ .

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير منة الله على العرب أن أرسل رسولاً منهم يتلو عليهم كتاب ربهم. ومن الأحكام: وجوب شكر الله على نعمه الظاهرة والباطنة وأولها شكره على نعمة الدين. والشكر نوعان: شكر خفي، وشكر علني، فالشكر الخفي هو شكر الله وذكره في السر حين مناجاته في عبادته وفي كل ما ينزل بالعبد من سراء أو ضراء أو فرح أو حزن. وشكر علني أو عملي وهو ما يظهره العبد من أثر نعمة الله عليه فيما يكون لنفسه من ملبس ومركب من غير إسراف، أو ما يكون تجاه غيره من الصدقة والعون للمحتاجين.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ ﴾ المخاطب هنا المؤمنون لأنهم الذين يستجيبون لما يأمرهم به ربهم. والمراد أن الله لما أتم نعمته بإظهار دينه، وانتهاء الوثنية، وانهزام المشركين ذكَّر المؤمنين أن عليهم الاستعانة بالصبر على ما سيواجهونه في الحياة، فعليهم الصبر على

طاعة الله ولكن هذه الطاعة لا تنال إلا بالجهد والعمل والمشقة كما قال تعالى في أمر الحج ﴿لَّمْ تَكُونُوا۟ بَـٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ﴾[١]. ومن الصبر على طاعته الجهاد لإعلاء كلمته، وما يقتضيه ذلك من المخاطر في منازلة الأعداء من الكر والفر. ومن الصبر على طاعة الله الدعوة للدين، وتحمل المصاعب في سبيل ذلك من السفر إلى البلدان النائية لدعوة أهلها إلى الدين. وكما يجب الصبر على طاعة الله يجب الصبر على ترك محارمه من الملذات التي تتوق إليها النفوس ويزينها لها الشيطان كالخمر والميسر والربا، وغير ذلك من أنواع المحرمات. وكما يجب الصبر على طاعة الله يجب الصبر على ما يصيب الإنسان من نوائب الحياة ومصائبها، وما قد يواجهه فيها الإنسان من المشاق والمصاعب كالفقر وضيق العيش، والاغتراب، وفقدان الأهل والولد.

قوله ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ والاستعانة بالصلاة مما أمر الله به عباده فهي عمود الدين لأنها صلة بينه وبينهم فإذا ازدادت هذه العلاقة ازداد إيمانهم، وأعانهم الله على ما يواجهونه في حياتهم من المصاعب والمشاق. وقد أثبت الطب الحديث أنه كلما ازداد الإيمان في النفس ازدادت مناعة الجسم ضد الأمراض العضوية والنفسية. كما دلت الوقائع المحسوسة أن وثيقي الصلة بالله هم أكثر الناس اطمئناناً في أنفسهم، وفي سلوكهم وتصرفاتهم.

---

(١) سورة النحل من الآية ٧.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ في هذا تأكيد من الله جل ذكره على أنه سيكون مع الصابرين فيعينهم على ما صبروا عليه من فعل الطاعات، وترك المحرمات وما يواجهونه من مصائب الحياة.

﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ﴾ بعد أن أمر الله المؤمنين بالاستعانة بالصبر والصلاة لما في ذلك من القوة الروحية والمادية لهم هيأهم لما سيواجهونه أثناء الجهاد في سبيل الرسالة والدعوة إلى الله، ومن ذلك ما يتوقع من القتل والفداء فقال جل ذكره ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ﴾ ففي هذا نهي وبيان: أما النهي فلا يجوز القول بأنّ المقتول في سبيل الله قد مات لأنه بالمعنى الحقيقي لم يمت لأن روحه باقية تعيش في ملكوت الله. أما البيان فقوله ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ﴾ والحياة هنا ليست الحياة المادية المعروفة في الدنيا بوجود الجسد بل هي حياة الروح التي تختلف عن حياة الدنيا وقد بينها الله بقوله ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[1]. ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2]. كما بينها رسول الله ﷺ بقوله: **(إن أرواح الشهداء في جوف طير خضر لها**

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٦٩ .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٧٠ .

قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت)[١].

﴿وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ أي: أنكم في الدنيا لا تحسون بهذه الحياة لأنها حياة غير مادية مجسمة بل حياة روحية يتنعم أصحابها بما كرمهم الله به من النعيم جزاء جهادهم وقتلهم في سبيله .

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير فضل الصبر وفضل الاستعانة بالصلاة على ما قد يواجهه المسلم من نوائب الحياة ومصائبها. ومن الأحكام: أن للشهيد درجة رفيعة عند الله كما قال عز وجل ﴿فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[٢]. وفي الحديث: **(ما من أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وأن له ما على الأرض من شيء غير الشهيد فإنه يتمنى أن يرجع فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة)**[٣].

وقد ذهب عامة الفقهاء إلى أن الشهيد الذي يقتل في المعركة لا يغسل ولا يصلَّى عليه. وفي مذهب الإمام أبي حنيفة: تجب الصلاة عليه استدلالاً بأن رسول الله ﷺ صلى على شهداء أحد كما صلى على

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة برقم (١٨٨٧)، صحيح مسلم مع شرح الأبي والسنوسي ج٦ ص٦١٣ .

(٢) سورة النساء الآية ٧٤ .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة باب فضل الشهادة في سبيل الله تعالى برقم (١٨٧٧)، صحيح مسلم مع شرح الأبي والسنوسي ج٦ ص٦٠٣ .

شهداء آخرين[١]. وفي مذهب الإمام مالك: عدم غسله وعدم الصلاة عليه[٢]. وفي مذهب الإمام الشافعي: يحرم غسل الشهيد والصلاة عليه لأنه حي كما نص عليه القرآن في قول الله تعالى ﴿بَلۡ أَحۡيَآءٌ﴾ واستدلوا بما ورد من روايات حديث أن رسول الله ﷺ لم يصل على شهداء أحد وأنه قال: (**زملوهم بدمائهم**)[٣]. وفي مذهب الإمام أحمد: لا يغسل الشهيد ما لم يكن جنباً أو امرأة حائضاً أو نفساء وسواء كان سقوطه في المعركة أو سقط من شاهق وهو في القتال أو رفسته دابته أو ارتد إليه سهمه ويشمل ذلك من قتل مظلوماً[٤].

﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾.

بيان الآيات:

﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ﴾ الآية. يخبر تعالى أن الإنسان معرض

---

(١) بدائع الصنائع ج١ ص٣٢٤-٣٢٥.

(٢) أسهل المدارك شرح إرشاد السالك ج١ ص٣٥٦.

(٣) المجموع شرح المهذب للإمام النووي ج٥ ص٢٦٠، والحديث أخرجه النسائي في كتاب الجنائز باب مواراة الشهيد في دمه، برقم (٢٠٠١)، سنن النسائي ج٤ ص٣٨٢، وأحمد في المسند ج٥ ص٤٣١.

(٤) المغني لابن قدامة ج٣ ص٤٦٧-٤٧٦.

للابتلاء بمعنى الاختبار لمعرفة صبره ونظير هذا قوله جل ذكره ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾[١].

وللابتلاء سببان: إما أن يكون عقاباً على خطيئة ارتكبت فيكون هذا جزاء على فعلها؛ كما يكون اختباراً لأصحابها ليتوبوا عما فعلوا. وإما أن يكون العقاب مجرد اختبار للمؤمن لمعرفة مدى صبره؛ فإن صبر استحق الجزاء وإن جزع لم يحصل له إلا ما عمل. والابتلاء يكون في الخوف من الأعداء وتسلطهم بشن الحروب، وتخريب البلاد، وقتل الأنفس، والاستيلاء على الأموال، وهتك الأعراض كما حدث في الماضي ويحدث في الحاضر. كما يكون الابتلاء بضعف تدبير المبتلى في نفسه في مواجهة الأعداء، وخوفه منهم بسبب ضعف عقيدته، وضعف عدده وعدته. كما يكون الابتلاء في ضياع الأموال، أو نقصها، وفساد الزروع والنبات وحدوث القحط، وتوالي السنين العجاف. وقد يكون الابتلاء بتفشي الأمراض ونحو ذلك مما يبتلي الله به عباده.

﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ هذا أمر من الله لنبيه أن يبشر الذين يصبرون على بلائه فيواجهونه بقوة الإيمان، والإقرار بأن ما يحدث لهم هو من الله، والاحتساب فيه وعدم الجزع منه، ومقابلته بالرضاء واطمئنان القلب ولهذا قال رسول الله ﷺ: (**إن الصبر عند أول صدمة**)[٢].

---

(١) سورة محمد الآية ٣١ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام باب ما ذكر أن النبي ﷺ لم يكن له بواب برقم (٧١٥٤)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٣ ص١٤٢ .

﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٌ ﴾ لما ذكر الله البشارة للصابرين بيَّن أنهم الذين إذا ابتلوا بالخوف، أو نقص الأنفس أو الأموال قابلوا ذلك بالرضا بقدر الله وقضائه فأقروا أنهم عبيد الله خلقهم من العدم إلى الوجود، وأغناهم من الفقر، وأمنهم من الخوف، وأن ما يحدث لهم هو من حكمته وأنهم صابرون محتسبون لما أراده لهم، وأنهم راجعون إليه بعد مماتهم.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمۡ ﴾ لما بيَّن تعالى ما للصابرين من البشارة بَيَّن أن لهم المغفرة من ربهم، وهو المراد بالصلاة، وأن رحمته ستنالهم جزاء صبرهم وتسليمهم بقضائه وقدره ثم وصفهم بأنهم المهتدون الذين أصابوا في فعلهم وصبرهم على أقدار الله.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير فضل من استشهد في سبيل الله ابتغاء إعلاء كلمته ورسالته إلى خلقه. تقريرأن الإنسان في الدنيا معرض للمصائب في نفسه وولده وماله وأهله ليعلم الله مدى صبره فيرفع أجره ومنزلته وتكون له البشرى. ومن الأحكام: استحباب الاسترجاع عند المصيبة وشاهده قول رسول الله ﷺ (**ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم آجرني في مصيبتي وأخلف لي خيراً منها إلا أخلف الله في مصيبته وأخلف له خيراً منها**)[١].

﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجنائز باب ما يقال عند المصيبة، برقم (٩١٨)، صحيح مسلم مع شرح الأبي والسنوسي ج٣ ص٣١٢-٣١٤ .

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾.

بيان الآية:

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ﴾ (الصفا) جبل صغير مقابل الكعبة من الجهة الشرقية الجنوبية، والمروة جبل آخر صغير مقابل الصفا من الجهة الشمالية الشرقية والمسافة بينهما محل السعي للحاج والمعتمر ﴿مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ الشعيرة هي العلامة التي مناطها عبادة الله، ويجب تعظيمها كما قال الله عز وجل ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾(١).

﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ قد يفهم ظاهراً من ذلك أن الطواف أو السعي بين الصفا والمروة لا إثم فيه والمراد أن السعي بينهما ركن في الحج والعمرة وفي ذلك روى عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها قال «قلت: أرأيت قول الله تعالى ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ فما أرى على أحد شيئاً ألا يطوّف بهما فقالت عائشة كلا لو كانت كما تقول كانت فلا جناح عليه ألا يطوَّف بهما إنما أنزلت هذه الآية في الأنصار كانوا يهلون (لمناة) وكانت مناة(٢). حذو

---

(١) سورة الحج من الآية ٣٢ .

(٢) اسم صنم من جهة البحر مما يلي قديد بالمشلل على سبعة أميال من المدينة كانت الأزد وغسان يهلّون له ويحجون إليه وكان أول من نصبه عمرو بن لحي الخزاعي. معجم معالم الحجاز لعاتق البلادي ج٨ ص٢٧٤.

قديد[1]. وكانوا يتحرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة فلما جاء الإسلام سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك فأنزل الله هذه الآية قالت عائشة: ثم قد سنَّ رسول الله ﷺ الطواف بهما فليس لأحد أن يدع الطواف بهما»[2].

قال الإمام ابن العربي في شرح الحديث: إن قول القائل لا جناح عليك أن تفعل إباحة للفعل. وقوله فلا جناح عليك ألا تفعل إباحة لترك الفعل فلما سمع عروة قول الله سبحانه ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ قال: هذا دليل على أن ترك الطواف جائز ثم رأى الشريعة مطبقة على أن الطواف لا رخصة في تركه فطلب الجمع بين هذين التعارضين فقالت له عائشة رضي الله عنها ليس قوله تعالى ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ دليلاً على ترك الطواف إنما كان يكون الدليل على تركه لو كان (فلا جناح عليه ألا يطوّف) فلم يأت هذا اللفظ لإباحة ترك الطواف ولا فيه دليل عليه، وإنما جاء لإفادة إباحة الطواف لمن كان يتحرج منه في الجاهلية أو لمن كان يطوف به في الجاهلية قصداً للأصنام التي كانت فيه فأعلمهم الله تعالى أن الطواف ليس بمحظور إذا لم يقصد الطائف قصداً باطلاً. أدت الآية الطواف فيهما وسل سخيمة الحرج

---

(١) وادٍ فحل من أودية الحجاز قرب مكة خصيب كثير العيون والمزارع فيه ويبلغ طوله قرابة (١٥٠) كيلاً. ويمر سيل قديد على (١٣٠) كيلًا شمالاً من مكة. معجم معالم الحجاز لعاتق البلادي ج٧ ص٩٦-٩٧.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ برقم (٤٤٩٥)، وفي كتاب الحج باب وجوب الصفا والمروة برقم (١٦٤٣)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٢٤، و ج٣ ص٥٨١.

التي كانت في صدور المسلمين منها قبل الإسلام» اهـ[١].

﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ لعل المراد من الآية أن كل من يعمل عملاً يتطوع فيه من صلاة، وصيام وصدقة وحج ونحو ذلك من أفعال الطاعات فهو خير له. وقد يراد به التطوع بالحج أو العمرة بعد أداء الحج الواجب عليه بصفته ركناً من أركان الإسلام فذلك خير له. ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ والمراد به جزاء الله للعبد على طاعته، وامتثاله لأوامره لأنه عليم بما يفعله عباده.

أحكام ومسائل الآية:

السعي بين الصفا والمروة ركن في الحج والعمرة لقول رسول الله ﷺ: (**اسعوا إن الله كتب عليكم السعي**)[٢]. وهو مذهب الإمام الشافعي[٣]، وأحمد[٤]، والمشهور في مذهب الإمام مالك[٥]، استدلالاً بفعل رسول الله ﷺ لما روي أنه كان يسعى بين الصفا والمروة وهو يقول: (**لا يقطع الأبطح إلا شداً**)[٦]. وفي مذهب الإمام أبي حنيفة: ليس

---

(١) أحكام القرآن لأبي بكر المعروف بابن العربي ج١ ص٤٧ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند ج٦ ص٤٢٢، والدارقطني في سننه، كتاب الحج ج٢ ص٢٥٥.

(٣) الحاوي الكبير للإمام أبي الحسن علي بن حبيب الماوردي ج٥ ص٢٠٥-٢٠٦ .

(٤) المغني لابن قدامة ج٥ ص٣٣٨.

(٥) أسهل المدارك شرح إرشاد السالك ج١ ص٤٥٣-٤٥٤ .

(٦) أخرجه ابن ماجة في كتاب المناسك، باب السعي بين الصفا والمروة، برقم (٢٩٨٧)، ابن ماجة ج٢ ص٩٩٥، وأخرجه النسائي في كتاب المناسك، باب السعي في بطن المسيل، ج٥ ص١٤٢، وأخرجه أحمد في المسند، ج٦ ص٤٠٤-٤٠٥ .

السعي بواجب فإن تركه الحاج ورجع إلى بلاده جبره بالدم لكونه سنة من سنن الحج[1].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ ﴾ الآية تدل على خصوص وعموم. أما الخصوص فيراد بالذين يكتمون اليهود الذين كتموا ما ورد في التوراة عن نبوة رسول الله ﷺ ورسالته، وصدقه. كما يراد به النصارى الذين يكتمون ما ورد في الإنجيل عن البشارة بنبوته عليه الصلاة والسلام بعد عيسى. كما تدل الآية على العموم فيراد بالذين يكتمون كل من يكتم علماً عَلِمَه ونظيره قول رسول الله ﷺ: **(من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار)**[2]. ﴿مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ج٢ ص١٣٣ .

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب العلم باب كراهية منع العلم برقم (٣٦٥٨)، ج٣ ص٣٢١، والترمذي في كتاب العلم، باب ما جاء في كتمان العلم، برقم (٢٦٤٩)، ج٥ ص٢٨، وابن ماجة في المقدمة باب من سئل عن علم فكتمه برقم (٢٦٤)، سنن ابن ماجة ج١ ص٩٧.

﴿مَا بَيَّنَّـٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلْكِتَـٰبِ﴾ أي: كتم هذا العلم بعد أن أنزلنا القرآن، وما فيه من الهدى للناس. ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ﴾ المراد باللعن الإبعاد، والطرد من رحمة الله وهذا من أشد أنواع العقاب قال تعالى ﴿وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا﴾(١). ﴿وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ﴾ المراد به الذين يلعنون الكفرة والعصاة والمفسدين؛ ذلك أن المؤمنين يلعنون كل من كفر بالله، وجحد آياته كما أن البهائم تلعن من يكون سبباً في منع القطر بسبب عصيانه.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَـٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ في هذا استثناء من حكم ﴿ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ فإذا تاب أولئك بأن رجعوا عن كتمانهم العلم وحققوا بذلك شروط التوبة من عدم الاستمرار في كتمانه مع الندم على كتمانه والعزم على عدم معاودته؛ بحيث يبين اليهود والنصارى ما في التوراة والإنجيل عن نبوة محمد ﷺ ورسالته، وأن يبين الذين كتموا العلم ما عندهم منه لمن سألهم عنه فإن الله حينئذٍ قد تكفل بالتوبة عليهم فهو يتوب على من تاب إليه لأنه رحيم بعباده ويفرح بتوبتهم وفي ذلك روى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**لله أفرح بتوبة العبد من رجل نزل منزلاً وبه مهلكة ومعه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد**

(١) سورة النساء من الآية ٥٢ .

ذهبت راحلته حتى اشتد عليه الحر والعطش أو ما شاء الله قال: أرجع إلى مكاني فرجع فنام نومة ثم رفع رأسه فإذا راحلته عنده)[١].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾ قد يكون المراد بالذين كفروا الذين كتموا العلم ولم يبينوه للناس وخاصة أهل الكتاب الذين كتموا ما جاء في كتبهم عن نبوة محمد ﷺ خاصة وأن هذه الآية جاءت تالية للآية التي قبلها وتتعلق باللعنة لمن يكتمون العلم. وقد يكون المراد بالذين كفروا في عمومهم وماتوا على كفرهم رغم ماجاءهم من بلاغ رسول الله لهم، ويدخل فيهم المشركون الذين ماتوا على شركهم. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ اللعن الطرد والإبعاد عن رحمة الله كما تقدم ذكره.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ والمراد الخلود فيما تستحقه اللعنة من الجزاء وهو هنا أنهم خالدون أي: دائمون في الطرد من رحمة الله ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ أي: لا يفتر عنهم العذاب بل يلاقونه دائماً.

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أنّه يجب على العالم تبليغ العلم لمن سأل عنه. ويشمل ذلك العالم بالعلم الشرعي، وبالطب، وكل من يملك علماً فيه منفعة للناس،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب التوبة، برقم (٦٣٠٨)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١١ ص١٠٥ .

ودفع الضرر عنهم بدلالة الحديث المذكور آنفاً الذي جاء باسم العلم مطلقاً دون قيد. وجوب تبليغ العلم لمن سأله يقتضي تحريم كتمانه وأن من كتمه يكون معرضاً للعنة الله بما يعني طرده من رحمة الله. وقد اختلف في لعن الكافر فقيل: لا يجوز لعن الكافر المعين لظاهر أمره وذلك لعدم معرفة حاله حقيقة، وإطلاق اللعن يجب أن يكون على الكفر. وقيل: يجوز لعنه لظاهر حاله ولأن رسول الله ﷺ لعن أقواماً من الكفار مثل لعنه رعلاً وذكوان وعصية الذين عصوا الله ورسوله وهذه الثلاثة قبائل من العرب(١).

وأما العاصي المعين فلا يجوز لعنه اتفاقاً ودليل ذلك الرجل الذي جيء به إلى رسول الله ﷺ وهو شارب الخمر فقال بعض من حضره: ما له لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به، فقال رسول الله ﷺ: (**لا تكونوا عون الشيطان على أخيكم**)(٢).

قلت: ولعل الصواب والله أعلم عدم جواز اللعنة على كافر بعينه لأن حاله مستورة فقد يظن أن فلاناً من الناس كافر أخذاً بظاهر حاله، وقد يكون مؤمناً في باطنه لما قد يجده من العنت في إظهار دينه خاصة عندما يكون في مكان لا يسمح له بذلك. وقد نهى الله رسوله

---

(١) رياض الصالحين للنووي، باب جواز لعن بعض أصحاب المعاصي غير المعينين، ص٤٦٧-٤٦٨.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الحدود، باب ما يكره من لعن شارب الخمر وأنه ليس بخارج من الملة، برقم (٦٧٨١)، صحيح البخاري مع فتح الباري، ج١٢ ص٧٧.

محمداً ﷺ عن لعن سهيل بن عمرو وصفوان بن أمية وذلك في قول الله تعالى ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾[1]. وهذا على خلاف ما إذا كان الكافر المعين مجاهراً بكفره معادياً للمسلمين.

أما إطلاق اللعنة على أصحاب الكفر والمعاصي دون تعيين فهذا جائز. وقد يكون المراد باللعنة على من يموت وهو كافر بدليل قول الله جل ذكره ﴿ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾ لأن إيمانهم لم يعد ممكناً لانتهاء عملهم في الدنيا. ومن الأحكام: تقرير خلود الكفار في العذاب.

﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ لما بيّن الله تعالى ما يجب من عدم كتمان العلم، وما يستحقه من يكتمه من الجزاء وهو الطرد من رحمته بيّن أن أول ما يجب على أهل العلم تعليم الناس بأن إلَههم إلَه واحد، وليس

(١) معالم التنزيل ص٢٤٢، والآية في سورة آل عمران الآية ١٢٨ .

من إلَه غيره، وأنه المعبود وحده، وأنه لا شريك له في خلقه، ولا في ملكه، ولا في تصرفه، وأن جميع من في السماء والأرض من الملائكة والإنس والجن وغيرهم خلق من خلقه. ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ فيها: نفي وإثبات. أما النفي فإنه -كما ذكر- لا إلَه بحقٍّ إلا الله. وأما الإثبات فهو ﴿إِلَّا هُوَ﴾ أي: إلا الله ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ أي: في ذاته العلية ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ في ذاته، والرؤوف بخلقه.

﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ من عادة المشركين والكفار المجادلة والخصام في الحق لما في نفوسهم من المرض؛ ذلك أنه لما نزلت الآية السابقة ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ قال بعض كفار مكة: كيف يكون للناس إلَه واحد، وكيف يسعهم ذلك (تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً). وقال البعض الآخر: هل هناك دليل على أنه إلَه واحد فنزل قول الله تعالى ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وذلك لإثبات وجوده وقدرته، وتحدي كفار قريش بما يشاهدونه فقوله ﴿فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أي: أنه أوجدها بغير عمد كما هو المحسوس والمشهود، وأنه هو الذي يمسكها أن تقع على الأرض، ويتحكم فيها تحكم المالك المطلق، ويتصرف فيها تصرف القادر الفاعل. وقد وضع فيها النجوم بكل أسمائها وصفاتها فهي تسير بإذنه، وتتوقف بإذنه نعرف القليل من أسمائها كالزهرة، وعطارد، والمريخ، والمشتري، وزحل، ولا نعرف

الكثير منها ويعجز العقل بكل ما أوتي من فهم أن يدرك هذا الصنع العجيب قال تعالى ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾[١].

وكما خلق السموات بكل ما فيها من عظمة الخلق والصنع خلق الأرض بكل ما فيها من عظمة الحياة فجعلها سهلة لاستقرار الإنسان ومعاشه، وجعل فيها حاجاته من طعامه وشرابه وفي هذا قال جل ذكره ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾[٢]. وما كانت الأرض على النحو التي هي عليه في قابليتها وصلاحها للحياة إلا بعد أن دحاها بالتراب، وأرساها بالجبال، ومدها بالمياه كما قال جل ذكره ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾[٣]. ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا﴾[٤]. ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا﴾[٥].

﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ المراد منه تعاقبهما في الظلمة والضياء، وهذا من بديع خلقه وصنعه فقد جعل النهار بضيائه وشمسه ساحة للإنسان للعمل فيه، وتوفير حاجاته من الطعام والشراب، وجريان الحياة بكل حركاتها. وجعل الليل بكل سكونه ملاذاً تهدأ فيه

---

(١) سورة ق الآية ٦ .

(٢) سورة ق الآية ٧ .

(٣) سورة النازعات الآية ٣٠ .

(٤) سورة النازعات الآية ٣١ .

(٥) سورة النازعات الآية ٣٢ .

النفوس من عناء الجهد في حركة الحياة. وقد بين ذلك في قوله جل ذكره ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ﴾[١]. ولو لم يكن هذا التعاقب بين الليل والنهار لما استطاع الإنسان أن يعيش على الأرض إذ ليس من الممكن له أن يعيش دائماً في ضياء وشمس. وليس من الممكن له أن يعيش في ظلام دائم ولو أراد أن يغير في هذا التنظيم الإلَهي لما استطاع لأن واقع المحسوسات ودلائل الأشياء وشواهدها تؤكد أن حركة الحياة لا تصلح إلا في النهار، وطمأنينة النفس لا تكون إلا في الليل وهذا من بديع حكمة الله وإرادته.

﴿ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ ﴾ الفلك السفن، والمراد أن الله سخر للإنسان السفن التي تعبر البحار، وتنقله من مكان إلى آخر، وأول من صنعها نبي الله نوح عليه السلام؛ فقد ألهمه الله صنعها ويسر له الوسائل والأدوات المكونة لها حتى نجا عليها من الطوفان هو ومن معه. وقد استفاد منها المسلمون في دعوتهم لدين الله فركبوها لفتح قبرص والقسطنطينية وغيرها من البلاد[٢]. وقد استمر إلهام الله للإنسان في صناعة السفن حتى أصبحت من أهم صناعاته في هذه الأزمنة فتحمل الطائرات، وترسو عليها في البحار، وتنطلق منها في حالات الحروب. كما أصبحت من أهم الوسائل بل أهمها على الإطلاق في نقل التجارة بين مواقع الإنسان، ونقل الإنسان

---

(١) سورة غافر من الآية ٦١ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج٢ ص١٩٤، والتحرير والتنوير ج٢ ص٨٢ .

نفسه بأعداد تصل إلى الآلاف في حالات الحج إلى بيت الله الحرام، وفي حالات التنقل المختلفة للبشر وهذا من نعم الله وفضله عليهم ومصداق ذلك قوله ﴿بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾.

﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ وهذه آية إلَهية أخرى؛ فالماء عماد الحياة على الأرض سواء منه ما كان لحاجة الإنسان من الشراب، أو حاجته من النبات فهو لا يستطيع الحياة إلا مع وجود الماء وهذا أساس قول الله جل ذكره ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ ونظيره قوله ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾[1]. وإنزال الله الماء إلى الأرض مبنيّاً على نظام إلَهي محكم لا يتغير ولا يتبدل، وفي هذا قال جل ذكره ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾[2]. وقوله ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ والمراد ما يجري على الأرض من الدواب، وفي هذا البث حكمة إلَهية قد لا يدركها الإنسان؛ ذلك أنه ما من دابة مهما كان حجمها أو ضعفها إلا ولها حكمة. ومن ذلك أن إحدى شركات الزراعة في إحدى البلاد الغربية وجدت أن ثمة دابة تأكل من بعض الثمار بما لا يخل بها فأرادت التخلص منها بأحد المبيدات القاتلة ثم اكتشفت بعد

---

(١) سورة يس الآية ٣٣ .

(٢) سورة الحجر الآية ٢١ .

ذلك وجود دابة أخرى أكبر منها تأكل كل الثمار وبعد تحليل عناصر الدابتين وجدت الشركة أن الدابة الأولى على صغر حجمها كانت تمنع وجود الدابة الأخرى فعادت الشركة تربي الدابة الأولى لمنع ضرر الأخرى. والمعنى أن كل ما في الأرض من دابة هو لحكمة إلَهية أصبح الإنسان يدركها ويسميها (التوازن في الطبيعة).

﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ وهذه آية من آيات الله الإلَهية فالله بقدرته وحكمته يوجه الرياح حيثما أراد فتكون شمالاً أو جنوباً أو غرباً أو شرقاً، أو تكون باردة أو حارة فتوجه السحاب إلى مكان، وتصرفه عن مكان آخر. وقد تكون الرياح رحمة، وقد تكون إنذاراً أو عقاباً للخلق على سوء فعلهم، وفي ذلك روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**الريح من روح الله تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب فإذا رأيتموها فلا تسبوها واسألوا الله خيرها واستعيذوا بالله من شرها**)[1]. كما روى ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: (**نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور**)[2]. والمراد بالصبا يوم الأحزاب مصداقاً لقول الله ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب ما يقول إذا هاجت الريح، برقم (٥٠٩٧)، سنن أبي داود ج٤ ص٣٢٦، والترمذي في كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا هاجت الريح، برقم (٣٤٤٩)، الترمذي ج٥ ص٤٦٩، وابن ماجة في كتاب الأدب، باب النهي عن سب الريح برقم (٣٧٢٧)، ابن ماجة ج٢ ص١٢٢٨ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الاستسقاء، باب قول النبي ﷺ «نصرت بالصبا»، برقم (١٠٣٥)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٢ ص٦٠٤ .

﴿تَرَوْهَا﴾[1]. والمراد بالدبور قول الله جل ذكره عن عاد ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2]. ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾[3]. وما نشهده في هذه الأزمنة من هبوب الرياح والعواصف في بعض بلاد العالم، وما تسببه من موت البشر، وتشردهم وهيجان البحار والأنهار[4]، واقتلاع الأشجار إنذار لهم لعلهم ينتهون عن سوء أفعالهم.

﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وهذه آية كونية من آيات الله، وعظمته فالسحاب هو المدر للمطر المنزل إلى الأرض، وتصريفه من حكمة الله فقد يرسل إلى مكان ويمنع منه آخر كما قال جل ذكره

(١) سورة الأحزاب من الآية ٩ .

(٢) سورة الأحقاف الآية ٢٤ .

(٣) سورة الأحقاف الآية ٢٥ .

(٤) مثل حادثة (تسونامي): وكلمة تسونامي يابانية تعني حرفياً «موجة الميناء» وتعرف بالعربية بالموجة الزلزالية المحيطية والموجة المدية العظيمة والموجة السنامية وهي سلسلة من الأمواج الضخمة التي تتولد عادة بفعل تحرك مفاجئ في باطن الأرض قرب الساحل أو المحيط نتيجة انهيارات وانفجارات بركانية، وضربت أمواج المد العاتية ما يقرب من (١١) دولة في آسيا وأحدثت دماراً هائلاً وبلغت الخسائر ذروتها في جزيرة سومطرة الإندونيسية التي كانت قريبة من مركز الزلزال وذلك في ديسمبر كانون الأول ٢٠٠٤م، وتعدى عدد الضحايا في إندونيسيا وحدها ما يقرب (١٦٦) ألف قتيل بخلاف آلاف المفقودين.

ومثال آخر: الإعصار المدمر الذي ضرب عدة ولايات أمريكية ومن أشهرها إعصار (كاترينا) الذي ضرب ولاية لويزانا عام ٢٠٠٥م وتسبب في أضرار بشرية واقتصادية كبيرة وغرق أكثر من (٨٠٪) من نيو أورليانز في مياه إعصار كاترينا.

﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ ﴾[١]. وقال ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ ﴾[٢].

والمطر قد يكون رحمة وقد يكون تخويفاً أو عذاباً لما تقتضيه حكمة الله، وإرادته، وتصرفه في خلقه بما يعلمه عنهم فقد روت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا كان يوم الريح والغيم عرف ذلك في وجهه وأقبل وأدبر فإذا مطرت سُرَّ به، وذهب عنه ذلك قالت عائشة فسألته فقال: (**إني خشيت أن يكون عذاباً سلِّط على أمتي**)[٣].

﴿ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾ بعد أن بين الله جل ذكره آياته الكونية في خلق السموات والأرض، واختلاف الليل والنهار وجريان السفن في البحار، وإنزال الماء، وتصريف الرياح، والسحاب؛ بيَّن أن هذه الآيات الدالة على وجوده وخلقه وحكمته وإرادته علامات على وجوده للذين يعقلون؛ فيعرفون أن هذه الآيات لا تكون إلا من موجد وفاعل وخالق لها. أما الذين لا يعقلون بسبب سفههم، أو جهلهم، أو ضلالهم فهم لا يدركون هذه الآيات وبالتالي سيجزون على جحودهم وإنكارهم لخالقها.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأنه لا إلَه إلا إلَه واحد هو الله المتعالي في ملكوته، وأن من عبد أو

---

(١) سورة فاطر من الآية ٩ .

(٢) سورة الأعراف من الآية ٥٧ .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الاستسقاء، باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم والفرح بالمطر، برقم (٨٩٩)، صحيح مسلم مع شرح الأبي والسنوسي ج٣ ص٢٨٥ .

اتخذ إلَهاً غيره فهو ضال وعمله باطل. ومن الأحكام: أن آيات الله المشهودة والمحسوسة من الليل والنهار والشمس والقمر وسائر الأفلاك تدل دلالة قطعية على وجود الله وقدرته المطلقة ولا يدرك هذا إلا الذين يعقلون حقيقة الكون، ويؤمنون بخالقه وصانعه ومسيره. أما الذين غلب عليهم الجهل والسفه فلم يدركوا هذه الحقيقة فسوف يجزون على جحودهم.

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ بعد أن بيَّن الله في الآية السابقة قدرته وعظمته بيَّن أنه رغم هذه الآيات ثمَّة أناس يتخذون شركاء لله يحبونهم كحبهم له ويساوون بين أندادهم وبينه، وهذا أعظم الذنوب لما رواه ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ أي الذنب أعظم عند الله قال: (**أن تجعل لله نداً**

وهو خلقك)[١]. ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ هذه الآية معترضة وفيها: بيان من الله أن المؤمنين يختلفون عن أولئك المشركين؛ فإذا كان هؤلاء يحبون أندادهم كحبهم الله، فإن المؤمنين أشد حباً لله من حب هؤلاء لأندادهم فلا يحبون أشد الحب إلا الله، ولا يعبدون إلا إياه، ولا يوحدون إلا إياه، ويؤمنون بأنه لا ند له ولا مثيل ولا نظير.

﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾ المراد أنهم لو رأوا العذاب يوم القيامة - وسيرونه- لأدركوا أن القوة كلها لله، وأن أندادهم لم ينفعوهم، وأن حبهم لهم في الدنيا وإشراكهم مع الله عاد عليهم يوم القيامة بسوء العذاب.

﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ﴾ لما كان المتبوع لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً لعجزه، وعدم قدرته بوصفه مخلوقاً فقد تبرأ من تابعه، وتنصل من علاقته به في الدنيا لما رأى العذاب في الآخرة لأنه لا يريد أن يعذب بسبب قبوله لتبعية تابعه، فهو يريد البراءة منه بسبب ما رأى من العذاب. ونظير هذا قول الله عن إبليس ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى (فلا تجعلوا لله أنداد وأنتم تعلمون)، برقم (٤٤٧٧)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص١٣ .

أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[١]. وقوله جل ذكره ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴾[٢]. ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴾[٣].

﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ أي: أن التواصل قد انتهى بين التابعين والمتبوعين فلم يعد بينهم صلة ولا علاقة بعد أن رأى كل منهم مارأى من عذاب الله.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ﴾ ومن شدة الهول وما يراه التابعون من العذاب وتبرؤ المتبوعين منهم، يتمنون حينئذٍ أن يرجعوا إلي الدنيا فيتبرؤوا ممن كانوا يتبعونهم فيخلصون العبادة لله وحده، ولا يشركون معه أحداً كما كانوا يفعلون. ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ﴾ المراد أن الله يكشف لهم أعمالهم الشركية التي ارتكبوها في الدنيا، وقيل: يتركون ينظرون

---

(١) سورة إبراهيم الآية ٢٢ .

(٢) سورة سبأ من الآية ٣١ .

(٣) سورة سبأ الآية ٣٢ .

إلى الجنة وما أعد لهم فيها لو كانوا قد أخلصوا العبادة لله وحده فحين يرون ذلك يتحسرون فتنكسر نفوسهم حزناً وندماً على ما صنعوا في الدنيا. ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ وهذا دليل على خلودهم في النار جزاء شركهم.

أحكام ومسائل الآيات:

وجوب حب الله فمن أحب الله أحبه ومن أحب غيره مثل حب الله أبغضه الله وطرده وهذا غاية العدل لأن الحب لا يتجزأ. فمن يشرك مع الله غيره في ربوبيته أو ألوهيته أو أسمائه أو صفاته فقد ابتعد عن الله ومن العدل أن يبتعد الله عنه. ومن أحب الله أحب من يحبه، ولهذا فإن المؤمنين يتحابون في الله لأن كل واحد منهم يحب الله فأحبوا بعضهم من حبهم الله وشاهد هذا قوله تعالى ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾(١). تقرير أن أصحاب الضلال يتبرؤون بعضهم من بعض حين يرون يوم القيامة عاقبة ضلالهم واتباعهم لأهوائهم فيتبرأ المتبوعون من التابعين، ويندم التابعون على تبعيتهم لرؤسائهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ

(١) سورة الزخرف الآية ٦٧ .

وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ قيل: إن هذه الآية نزلت في بعض قبائل العرب وهم ثقيف، وبنو مدلج، وخزاعة فيما حرموه على أنفسهم من الأنعام[1]. والمراد أنه نداء عام لجميع الناس لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فلفظ ﴿ٱلنَّاسُ﴾ يشمل المؤمنين وغيرهم، وهو أمر من الله لهم أن يأكلوا مما في الأرض مما أحله الله، وعدم الامتناع عن أكله كتحريم القبائل المذكورة للسائبة والوصيلة مما ورد في سورة الأنعام مما سيأتي ذكره. ﴿حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ المراد به ما أحله الله، ويخرج منه ما حرمه كالميتة، والموقوذة، والمتردية، والنطيحة وغير ذلك من المحرمات. والطيب ما تقبله النفس من النباتات وغيرها فتدرك بطبعها نفعه فتأكله كما تدرك بطبعها ضرره فتعافه. ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ اتباع خطوات الشيطان أي: طرائقه وسلوكه، ومختلف أعماله كتحليل ما حرمه الله كالخمر والميسر ومختلف الفواحش، وتحريم ما أحله من الطيبات. وطرائق

---

(١) زاد المسير لابن الجوزي ص ١٠٠، ومعالم التنزيل للبغوي ص٨٠-٨١ .

الشيطان ووساوسه كثيرة ولا يتغلب عليها إلا ذوو الإيمان والإرادة الذين عرفوا الحق فثبتوا عليه.

﴿إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ﴾ عداوة الشيطان مما بينه الله للإنسان وحذره منه. والشيطان اسم جنس والشياطين كثيرون من الجن والإنس، وأصلهم وكبيرهم إبليس الذي لعنه الله وطرده من رحمته جزاء استكباره وعناده، وهو في عداوته ووساوسه امتحان للإنسان ليعلم الله مدى إيمانه، وقدرته على محاربته حيث إنه حذره منه في هذه الآية وفي آيات أخرى منها قوله ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[1].

﴿إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ﴾ هذا عطف على ما سبق ذكره عن عداوة الشيطان، والمراد أنه لا يأمر بالخير بل بضده وهو السوء الذي يؤدي فعله إلى سوء عاقبته ويؤدي إلى حزن الفاعل وهمه وغمه وندمه ﴿وَٱلۡفَحۡشَآءِ﴾ هي كل ما حرمه أو استقبحه الشرع لكونه المصدر في حل الفعل أو تحريمه. ويشمل ذلك الزنى والخمر والميسر والربا وكل أنواع المحرمات. ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ أي: تكذبون على الله فتقولون إن الله حرم هذا الشيء مع أنه لم يحرمه، وهذا من عمل الشيطان الذي يأمر به.

---

(١) سورة فاطر الآية ٦.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ لعل هذا متصل بما قبله وهو ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾، والمراد بهم في الآية الكافرون والمشركون، فإذا قيل لهؤلاء: اتبعوا ما أنزل الله -وهو القرآن- قالوا: بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا. ويؤيده ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ دعا اليهود من أهل الكتاب إلى الإسلام، ورغبهم فيه، وحذرهم عقاب الله ونقمته فقال رافع بن خارجة ومالك بن عوف: بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا فإنهم كانوا أعلم وخيراً منا فأنزل الله هذه الآية[1]. ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ والمراد أنهم يتبعون آباءهم مع أن آباءهم لا يعقلون شيئاً مما يعرفه العقلاء وهم بعدم العقل لا يهتدون إلى الحق.

أحكام ومسائل الآيات:

وجوب الأكل من الطعام الحلال وهذا يقتضي اجتناب ما حرم الله من الطعام كالميتة والمنخنقة من الأنعام، وما حرمه كذلك من الشراب كالخمر وما في حكمه. كما يقتضي أن يكون كسب الطعام والشراب من الحلال. فكل طعام تأتى من ربا يعد محرماً. وكل طعام تأتى من كسب محرم أياً كانت صفته فهو محرم. ومن الأحكام: تحريم اتباع

---

(١) معالم التنزيل للبغوي ص٨١، وزاد المسير لابن الجوزي ص١٠٠.

طرق الشيطان ومسالكه في القول أو الفعل. ومنها: تحريم تقليد من ليس له علم، وعلى المكلف إذا لم يعرف أمر دينه أن يسأل من هو أعلم منه لقول الله تعالى ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(١).

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾.

بيان الآية:

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾ المراد من الآية تشبيه حال من يعظ الكافرين ويدعوهم إلى الخير بحال الراعي الذي ﴿يَنْعِقُ﴾ أي: يصيح بالحيوان الذي يناديه فيسمع نداءه، ولكن لا يعقل ما يقوله؛ فالكافر يسمع من يعظه، ولكنه لا يفقه معنى الوعظ ذلك أن الكفر قد ضرب على قلبه فأصبح مريضاً به ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ فهذه الصفات المجازية لم تكن من نشأتهم لأنهم يولدون على الفطرة، لكنهم اكتسبوها بسبب كفرهم، وتكذيبهم لرسول الله وما جاء به من البينات فهم بسبب هذا الكفر لا يعقلون ما يوعظون به.

أحكام ومسائل الآية:

تشبيه الكافر بالحيوان الذي لا يعقل لأن الكافر المصر على كفره

---

(١) سورة النحل من الآية ٤٣ .

لا تنفع فيه الموعظة. ومن الأحكام: تحريم تقليد أهل الضلال والفساد كما كان المشركون يفعلون فيما حكاه الله عنهم بقوله تعالى ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ لما أمر الله الناس في عمومهم مؤمنهم وكافرهم أن يأكلوا مما في الأرض من الحلال فلا يحرموا ماأحل الله لهم كما كانت بعض قبائل العرب تفعل مما أشير إليه آنفاً خص الله في هذه الآية (المؤمنين) كما خص (الرسل) بمثل ذلك بقوله جل ذكره ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[2]. والمراد الأكل من الطيبات مما أحل الله وضده الأكل من الخبائث التي حرمها الله من المطعومات أو المشروبات. ﴿وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ والمعنى

(١) سورة الزخرف من الآية ٢٢ .

(٢) سورة المؤمنون الآية ٥١ .

إذا كنتم ممن يعبد الله ويطيعه فاشكروه على ما هيأه وأباحه لكم من الطيبات مما فيه قوامكم وقوتكم.

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ﴾ بعد أن أباح لعباده الطيبات في عمومها خص في هذه الآية ما حرمه عليهم. والعلة في ذلك أن هذه المحرمات ضارة في ذاتها فجنبهم الله ما ينتقل إليهم من ضررها. وضررها إما أن يكون ضرراً مادياً أو روحياً كما سنرى. ﴿ٱلْمَيْتَةَ﴾ ما فارقته الروح من غير ذكاةٍ مما يذبح. ﴿وَٱلدَّمَ﴾ هو المسفوح الذي سال من الحيوان ولم يكن مختلطاً بعظم. ﴿وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ﴾ الحيوان المعروف الموصوف بأكل القاذورات. ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ أي: كل ما ذبح لوثن أو صنم أو آلهة. ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ الاضطرار هو الوضع الملجئ الذي إذا لم يُتَدَارَك يؤدي إلى هلاك النفس. والباغي المريد للأكل المحرم أو الآكل منه فوق الحاجة. والعادي آكل المحرم مع وجود غيره. ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: لا جناح عليه لأن الله غفور يغفر لعباده خطيئاتهم، ولأنه رحيم يرأف بهم عن الهلاك ومن العقاب.

أحكام ومسائل الآيتين:

وجوب الأكل من الطيبات وهذا يقتضي تحريم الأكل من الخبائث.

تحريم أكل الميتة رأفة من الله بعباده من ضررها لكونها في الغالب الأعم لا تموت إلا من مرض، وقد اختلف الفقهاء في الانتفاع بأجزاء

الميتة غير الأكل كالجلد والصوف والشعر، فعند الإمام أبي حنيفة: لا يجوز الانتفاع بالميتة بأي وجه ولا يطعمها للكلاب ولا للجوارح لأن ذلك ضرب من الانتفاع[١]. وعند الإمام مالك: يجوز الانتفاع بالأظلاف والقرون[٢]. ويرى الإمام الشافعي: تحريم الانتفاع بكل أجزائها إلا إهابها بالدباغ ويباع[٣]. وفي مذهب الإمام أحمد: لا يجوز الانتفاع بالميتة وأجزائها[٤].

وقد أحل الله لعباده ميتتين ودمين. أما الميتتان فالحوت والجراد وأما الدمان فالطحال والكبد. والأصل في حل ميتة البحر قول الله تعالى ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ﴾[٥]. وفيه حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أنّه قال: بعثنا رسول الله ﷺ، وأمّر علينا أبا عبيدة، نتلقّى عيراً لقريش، وزودنا جراباً من تمر لم يجد لنا غيره، فكان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمرة، قال فقلت: كيف كنتم تصنعون بها؟ قال: نمصها كما يمص الصبي، ثم نشرب عليها من الماء. فتكفينا يومنا إلى الليل، وكنا نضرب بعصينا الخَبَط، ثم نبله بالماء فنأكله، قال: وانطلقنا على ساحل البحر. فرُفع لنا على ساحل البحر كهيئة الكثيب الضخم،

---

(١) أحكام القرآن للجصاص، ج١ ص١٠٧ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج٢ ص٢١٨ .

(٣) الحاوي الكبير ج١٩ ص١٨٩ .

(٤) المغني لابن قدامة ج١٣ ص٣٤٩ .

(٥) سورة المائدة من الآية ٩٦ .

فأتيناه فإذا هي دابة تدعى العنبر. قال: قال أبو عبيدة: ميتة. ثم قال: لا. بل نحن رسل رسول الله ﷺ. وفي سبيل الله. وقد اضطررتم فكلوا. قال: فأقمنا عليه شهراً، ونحن ثلاث مائة حتى سمنّا. قال: ولقد رأيتنا نغترف من وقب عينه، بالقلال، الدهن، ونقتطع منه الفِدَر كالثور (أو كقدر الثور)، فلقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلاً، فأقعدهم في وقب عينه. وأخذ ضلعاً من أضلاعه، فأقامها، ثم رحل أعظم بعير معنا، فمر من تحتها، وتزودنا من لحمه وشائق، فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله ﷺ، فذكرنا ذلك له. فقال: (**هو رزق أخرجه الله لكم، فهل معكم من لحمه شيء فتطعمونا؟**) قال: فأرسلنا إلى رسول الله ﷺ منه. فأكله[١].

وأما الجراد ففيه حديث عبد الله بن أبي أوفى قال: غزونا مع رسول الله ﷺ سبع غزوات أو ستاً كنا معه نأكل الجراد[٢]. والإجماع على جواز أكله بدون تذكية لتعذر ذلك خلافاً لمن قال بوجوبها.

وأما الدم فهو محرم لنجاسته فيحرم أكله، أو الانتفاع به في أي صورة من صور الانتفاع. والمراد بالتحريم الدم المسفوح لأن التحريم

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الصيد، باب إباحة ميتات البحر، صحيح مسلم بشرح النووي، ج٨ ص٣٢٥، برقم (١٩٣٥). الخبط ضرب الشجر بالعصا وهو علف للإبل، وشائق اللحم يغلى ولا ينضج.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الذبائح والصيد، باب أكل الجراد برقم (٥٤٩٥)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٩ ص٥٣٥ .

انصب عليه في قول الله تعالى ﴿أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾[١]. فانتفى التحريم عن الدم الذي يختلط بالعظم.

وأما لحم الخنزير فمحرم بالنص من الكتاب، ويعم التحريم كل أجزائه، واستثنى العلماء شعره للخرازة به لما روي أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن الخرازة بشعر الخنزير فقال: **(لا بأس بذلك)**[٢]. وأما ما أهل به لغير الله، فهو كل ما ذكر غير اسم الله عليه بأي وجه، أو بأي صفة كالذبح للأولياء والصالحين، والذبح للسحرة، وللجن ونحو ذلك من الذبائح التي تذبح لغير الله.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ المراد بالذين

(١) سورة الأنعام من الآية ١٤٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج٢ ص٢٢٣.

يكتمون ما أنزل الله من الكتاب اليهود، أو أحبارهم لأنهم كتموا ما في التوراة عن نبوة ورسالة محمد ﷺ. وقد يراد به العموم أي: الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتب والبينات هداية للناس. ﴿وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ أي: يأخذون المال لقاء كتمانهم لما أنزل الله من البينات فيفتون للناس بأهوائهم، ويتقاضون على ذلك أموالاً. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ﴾ والمراد أن الأموال التي يأخذونها ستكون ناراً عليهم وقد ذكر الله (البطون) إشارة إلى أكل هذه الأموال ونظيره قوله جل ذكره ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾(١). ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ وهذا إشارة إلى غضبه وسخطه عليهم. ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ أي: لا يطهرهم، ولا يرحمهم. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: شديد.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ هذا وصف للذين يكتمون ما أنزل الله فقد ضلوا بفعلهم هذا وتركوا الهدى والحق. ﴿وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ﴾ أي: أخذوا الكتمان بما يوقع عليهم العذاب، وتركوا بيان ما أنزل الله الذي يوجب لهم المغفرة لو فعلوه. ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ هذا تعجب من الله بمعنى ما (أصبرهم)

---

(١) سورة النساء الآية ١٠ .

أي: ما أجرأهم على فعل ما فعلوا مما أوجب لهم النار.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ في هذا إيضاح وتأكيد بأن الكتاب الذي كتموه هو الكتاب الذي أنزله الله حقاً وصدقاً وعدلاً. كما قال جل ذكره ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾[١]. ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ المراد بهم اليهود والنصارى فقد كفر اليهود بالقرآن كما كفر به النصارى، وقبل ذلك كتموا ما في كتبهم عن نبوة ورسالة محمد ﷺ. كما كفر اليهود بما في الإنجيل؛ فهم دائماً في شقاق بينهم ونظير هذا قول الله جل ذكره لنبيه ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ﴾[٢].

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير تحريم كتمان العلم ويشمل ذلك من يكتمه للحصول على منفعة كما هو الحال لمن يكتم شهادة عنده ما لم يعط شيئاً من المال، أو من يطلب رشى على أداء واجب عليه، أو من يمنع عن الناس علماً كلف بإبلاغه لهم. وفيها أيضاً: تقرير أنّ الذين اختلفوا في كتبهم من اليهود والنصارى يبقون دائماً في نزاع وخصام.

﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ

(١) سورة البقرة من الآية ٢ .

(٢) سورة البقرة من الآية ١٣٧ .

مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾.

بيان الآية:

﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ ﴾ في هذه الآية أحكام هامة عما يجب أن يكون عليه الإنسان في سلوكه مع ربه، ومع غيره من أقربائه وإحسانه إلى من يجب الإحسان إليه والبر به، وما يجب عليه من الوفاء بعهده إذا عاهد. ففي الآية يبين الله ماهو البر ونفى أولاً أن يكون البر أن يولي عباده جهة المشرق أو المغرب. وقد يكون المراد منه إشعار المسلمين حين تساءل بعضهم عن الحكمة في تغيير القبلة وقد يكون المراد منه أهل الكتاب الذين يتجهون إلى بيت المقدس أو إلى الشرق. ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ ﴾ أي: آمن بأنه لا إلَه إلا الله، وأنه لا معبود بحق إلا هو، وأنه المالك والمتصرف في خلقه الموصوف بعلو الكمال، والمنزه عن الأضداد والأنداد. ﴿ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ المراد يوم القيامة اليوم الذي يجتمع فيه الناس بعد بعثهم ليشهدوا حسابهم على ما فعلوا في الدنيا. ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾

أي: التصديق بوجودهم وأنهم مقربون من الله خاضعون لإرادته وتصرفه. ﴿وَٱلْكِتَٰبِ﴾ المراد كلام الله المنزل على رسله حقاً وصدقاً وأعظمه وأهمه القرآن المنزل على رسول الله محمد ﷺ. ﴿وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ والمعنى الإيمان بأن النبيين حق، وأن خاتمهم وأشرفهم محمد ﷺ، وأن رسالته أشرف الرسالات وأعظمها.

وقوله ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ أي: أعطاه زكاة أو صدقة في أي وجه من وجوه الخير، وهو يحبه. والمعنى أنه يعطي المال ابتغاء البر رغم رغبته فيه. وشاهده قول رسول الله ﷺ: (**أعظم الصدقة أن تتصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى**)[1]. ويدخل في إيتاء المال على حبه الإيثار به كما فعل الأنصار مع المهاجرين وشاهده قول الله جل ذكره ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[2]. ﴿ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ بعد أن بيَّن الله البر في إعطاء المال بَيَّن أصحابه، ومنهم ذوو القربى وهم قرابة الرجل من إخوانه وأخواته وسائر رحمه ومن أصحاب المال الذين يستحقون البر ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ لفقدهم معيلهم وضعفهم حال صغرهم ﴿وَٱلْمَسَٰكِينَ﴾ المراد بهم الفقراء المعدمون الذين أعوزتهم الحاجة، وتقطعت بهم سبل العيش. وشاهده قول رسول الله ﷺ: (**ليس**

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب بيان أن أفضل الصدقة صدقة الصحيح الشحيح، برقم (١٠٣٢)، صحيح مسلم مع شرح الأبي والسنوسي ج٣ ص٥٠٩ .

(٢) سورة الحشر من الآية ٩ .

المسكين الذي يطوف على الناس ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن به فيتصدق عليه ولا يقوم فيسأل الناس)[١]. ﴿وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ وهو المسافر الذي يحتاج إلى ما يكفيه للوصول إلى أهله بعد أن نفد ما في يده. ﴿وَٱلسَّآئِلِينَ﴾ وهم الذين يطلبون الصدقة لحاجتهم فيعطون من الزكاة والصدقات ما يغنيهم عن السؤال، وشاهده قول رسول الله ﷺ: **(أغنوهم في هذا اليوم** (يوم العيد) **بما يكفيهم عن السؤال)**[٢]. ﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾ والمراد بهم المكاتبون الذين يعجزون عن أداء ما كوتبوا عليه للحصول على حريتهم.

﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وهذا من أهم أنواع البر؛ ذلك أن الصلاة أحد أركان الإسلام، وهي عمود الدين لكونها الصلة بين الله وعباده ومعنى أقامها أي: حقق أفعالها من طهارة، وركوع، وسجود، وخشوع، وطمأنينة ونحو ذلك مما تقتضيه أحكامها. ﴿وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾ وهي الركن الثالث من أركان الإسلام، والمراد بها دفع زكاة المال بعد تمام الحول عليه وحصول النصاب، وبما تقتضيه أحكامها المبينة لأنواعها ومستحقيها. ﴿وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْ﴾ الوفاء بالعهد

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى (لا يسألون الناس إلحافاً)، برقم (١٤٧٩)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٣ ص٣٩٩ .

(٢) أخرجه الدارقطني في كتاب زكاة الفطر ج٢ ص١٥٣، بدون ذكر «بما يكفيهم عن السؤال».

من أهم أنواع البر فهو من أوامر الله لعباده لقوله جل ذكره ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾(١). وقوله في ذم الناكثين لعهودهم ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾(٢). ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ والمراد بهم الذين يصبرون على مايصيبهم من الفقر والفاقة فلا يجزعون ولا يحزنون، وهم كذلك الذين يصبرون في حال الضراء وهي الأمراض والآلام فيواجهونها بالاحتساب والتوكل على الله وطلب الشفاء منه. ﴿وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ أي: في حال القتال أثناء الجهاد لعلمهم أن صبرهم على القتال، ومواجهة المخاطر إنما هو في سبيل الدعوة إلى الله، والدفاع عن دينه وعن حرماته. ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ وهذا بيان من الله أن هؤلاء الذين ذكرهم هم الذين صدقوا في إيمانهم فتعلقوا بالله، وعملوا في طاعته، واتصفوا بالصفات التي أمرهم بها فكانوا من حزبه وجنده الذين وعدهم بالغلبة والنصر في قوله جل ذكره ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾(٣). وقوله ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(٤).

(١) سورة الإسراء من الآية ٣٤ .

(٢) سورة الرعد الآية ٢٥ .

(٣) سورة الصافات الآية ١٧٣ .

(٤) سورة المجادلة من الآية ٢٢ .

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ صفة أخرى لهم لكونهم حققوا التقوى ببرهم وإخلاصهم، وصدق إيمانهم.

أحكام ومسائل الآية:

تقرير أنّ البر ليس مجرد قيام المسلم بالتوجه المجرد نحو القبلة وإنما البر له وجوه كثيرة وهي: أركان الإيمان وهي الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين. ومن الأحكام: وجوب إيتاء المال لمستحقيه من ذوي القربى، واليتامى، والمساكين، وابن السبيل والسائلين للصدقة. ومن الأحكام: وجوب إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة. ومنها: وجوب الوفاء بالعهد. ومنها: وجوب الصبر في البأساء والضراء والصبر على النوائب والشدائد طمعاً في أجر الله ومثوبته.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٧٨﴾.

بيان الآية:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ﴾ أي: فرض عليكم ولزمكم القصاص في القتلى. قيل: إنها نزلت في بني النضير وبني قريظة فكان الرجل من بني النضير إذا قتل رجلاً من بني قريظة لا

يقتل به بل يدفع ديته. وإذا قتل الرجل من بني قريظة الرجل من بني النضير قُتِلَ به[١]. وقيل: إنها نزلت في قبيلتين من قبائل العرب ترى إحداهما أنها أشرف من الأخرى[٢]. ﴿ٱلْقَتْلَى﴾ جمع ومفرده قتيل، والمراد به هنا من يقتله غيره من جنسه. ﴿ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ﴾ فيها أقوال كثيرة وقد ذكر الإمام القرطبي قول طائفة: بأن الآية جاءت مبينة لحكم النوع إذا قتل نوعه فبينت حكم الحر إذا قتل حراً، والعبد إذا قتل عبداً، والأنثى إذا قتلت أنثى، ولم تتعرض لأحد النوعين إذا قتل الآخر؛ فالآية محكمة وفيها إجمال يبينه قوله تعالى ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾[٣] وبينه النبي ﷺ لما قُتِلَ اليهودي بالمرأة قاله مجاهد وذكره أبو عبيد عن ابن عباس. وروي عن ابن عباس أيضاً أنها منسوخة بآية المائدة وهو قول أهل العراق والنخعي قال: يقتل الحر بالعبد والمسلم بالذمي..[٤].

﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾ المراد أن ولي القتيل إذا تنازل عن القصاص فله المطالبة بالعوض وهو الدية، وعلى القاتل أداء ذلك إليه بإحسان من غير مماطلة. ﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ المراد به الخصوصية

---

(١) معالم التنزيل بالاختصار ص٨٦، وتفسير القرآن العظيم ج١ ص١٩٨ .

(٢) معالم التنزيل ص٨٦، والدر المنثور ج١ ص٣١٦ .

(٣) سورة المائدة من الآية ٤٥ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن، ج٢ ص٢٤٦ .

لهذه الأمة بحيث جعل لولي الدم إما القصاص، أو العفو، أو أخذ الدية بينما لم يكن ذلك في الأمم السابقة فقد كتب على اليهود القصاص فقط، وكتب على أهل الإنجيل العفو دون غيره .

﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: أن من قتل بعد قبوله الدية من القاتل فله عذاب أليم أي: شديد وهذا رد على ما كان العمل عليه في الجاهلية؛ فقد كان القاتل يذهب إلى قومه ليختفي عندهم فيأتون إلى أولياء المقتول فيصالحونهم على الدية فيقبل ولي المقتول الدية وقصده أن يؤمن القاتل لكي يخرج فيقتله ثم يرد عليهم الدية.

أحكام ومسائل الآية:

لقد عصم الله الأنفس، وحرم قتلها دون حق وشاهده قول الله جل ذكره ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾[١]. وقوله ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾[٢]. ويتساوى في هذه العصمة الذكر والأنثى، والصغير والكبير، والقوي والضعيف، والشريف والوضيع؛ ذلك أن الله في هذه الآية قرر أحكام القصاص نفياً للوضع الاجتماعي الذي كان عليه العرب في جاهليتهم من الحروب التي تبدأ نتيجة اعتداء فرد من قبيلة على فرد من قبيلة أخرى، وعدم القصاص منه بحكم قوة

---

(١) سورة المائدة من الآية ٤٥ .

(٢) سورة الإسراء من الآية ٣٣ .

هذه، أو ضعف تلك، وما ينشأ عن ذلك من التحالف بين القبائل وأخذ الثأر، وقتل المئات منها. فأنزل الله أحكامه لإحقاق الحقوق، وحقن الدماء، وسلامة الأمة من الفتن والإحن. والقول بالتفاوت بين النوعين لا يتفق أبداً مع حكمة الله عز وجل في عصمة الأنفس. فبالرغم من أن العبد فيما مضى يعد في حكم مال مولاه إلا أنه عندما يتعلق الأمر بالاعتداء على النفس يتغير الحكم فيقاد من مولاه إذا قتله عملاً بقول رسول الله ﷺ: **(من قتل عبده قتلناه ومن جدعه جدعناه ومن أخصاه أخصيناه)**[١].

وتبقى مسألة قتل المسلم بغير المسلم محلاً للنظر فالجمهور: على أنه لا يقتل به، واحتجوا بما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: **(أن لا يقتل مسلم بكافر)**[٢]. وفي مذهب الإمام أبي حنيفة: ذكر الإمام أبو بكر الجصاص أنه ليس في توجيه الخطاب إلى المؤمنين بإيجاب القصاص عليهم في القتلى بموجب أن يكون القتلى مؤمنين لأن الواجب اتباع عموم اللفظ ما لم تقم دلالة الخصوص وليس في الآية ما يوجب خصوص الحكم في بعض القتلى دون بعض. فإن قال قائل: يدل على خصوص الحكم في القتلى وجهان: أحدهما في نسق الآية ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ

---

(١) أخرجه النسائي في كتاب القسامة، باب القود من السيد للمولى، ج٨ ص٢١، وأبو داود في كتاب الديات، باب من قتل عبده أو مثل به أيقاد منه، برقم (٤٥١٥-٤٥١٦)، سنن أبي داود ج٤ ص١٧٦، وأحمد في المسند ج٥ ص١٨ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الديات، باب لا يقتل المسلم بالكافر، برقم (٦٩١٥)، صحيح البخاري مع فتح الباري، ج١٢ ص٢٧٢ .

﴿شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾، والكافر لا يكون أخاً للمسلم فدل على أن الآية خاصة في قتلى المؤمنين. والثاني قوله ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ﴾ قيل له: هذا غلط من وجهين: أحدهما أنه إذا كان أول الخطاب قد شمل الجميع فما عطف عليه بلفظ الخصوص لا يوجب تخصيص عموم اللفظ، وذلك نحو قوله تعالى ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾[١]. وهو في عموم المطلقة ثلاثاً ومادونها ثم عطف عليه قوله تعالى ﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾[٢]. وهذا حكم خاص في المطلق لما دون الثلاث ولم يوجب ذلك تخصيص عموم اللفظ في إيجاب ثلاثة قروء من العدة على جميعهن. والوجه الآخر أن يريد الأخوة من طريق النسب لا من جهة الدين كقوله تعالى ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾[٣].

قلت: وتبقى هذه المسألة محل الاجتهاد، والمرجح فيها قول الله جل ذكره ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾[٤]. وهذا إن كان شرع لمن قبلنا فهو شرع لنا ما لم يرد ما ينفيه. وهذا يقابل قول الله تعالى ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ

(١) سورة البقرة من الآية ٢٢٨ .

(٢) سورة البقرة من الآية ٢٣١ .

(٣) أحكام القرآن للجصاص، ج١ ص١٦٥، والآية في سورة الأعراف من الآية ٦٥ .

(٤) سورة المائدة من الآية ٤٥ .

﴿خَٰلِدًا فِيهَا﴾[1]. فدل هذا على أن القاتلين محرومان من الجنة فما دام أنهما يتساويان في هذا الحكم في الآخرة فيقال بتساويهما في الحكم في الدنيا من حيث القصاص.

﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١٧٩﴾.

بيان الآية:

﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ هذا تشريع من الله فيه الرحمة للعباد؛ فقد كان العرب في جاهليتهم يحمون القتلة بمعنى أن قبيلة القاتل تحميه فتقتتل بسببه مع قبيلة المقتول فيقتل أناس أبرياء فلما شرع الله القصاص انصب على القاتل، وسلم الأبرياء. وفيه معنى آخر وهو أن القاتل إذا عرف أنه سوف يقتص منه ارتدع عن القتل ففي هذا كله حياة للأمة. ﴿يَٰٓأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أي: أهل العقول الذين يدركون هذا المعنى وهذه الحكمة الإلَهية. ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾أي: تتقون فتمتنعون عن القتل.

أحكام ومسائل الآية:

القصاص هو العدل الذي وضعه الله حين يعتدي قوي على ضعيف. ولو لم يكن القصاص لتسلط الأقوياء على الضعفاء، وعم

---

(١) سورة النساء من الآية ٩٣.

الجور والظلم وفسدت الأرض خلافاً لما أراد الله أن تكون صالحة لمقام عباده فيها إلى أجلهم. ولهذا سمى الله القصاص حياة وهو تعبير عن عمارة الأرض وعدم فسادها. والذين يطعنون في القصاص تحت أي حجة يصادرون عقولهم إذ كيف يسمح لمعتد تعدى بقوته على آخر أن يظل طليقاً بعد أن أنهى حياة إنسان مثله دون حق.

قلت: والذين يحاولون إغراء أولياء المقتول ظلماً بالعفو تحت أي حجة يعارضون معنى (الحياة) الذي جعله الله سبباً موجباً للقصاص. بلى إذا كان ولي المقتول قد تبرع بالعفو من نفسه دون إغراء أو إكراه نفسي فله ذلك لأنه بمثابة من يملك شيئاً له الحق أن يتصرف فيه.

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ ﴾.

بيان الآية:

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ ﴾ لم يكن وضع الورثة في الجاهلية مشروعاً، ولا معقولاً فكان الذكور يحصلون على مال أبيهم وحدهم فإن لم يكن له أولاد ذكور استأثر بماله أقاربه فأبطل الله بهذه الآية أحكام الجاهلية. قوله ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ الخير المال، وجمهور المفسرين على أن هذه

الآية منسوخة بآية المواريث التي حددت الأنصبة للوالدين والأولاد والأزواج في قول الله جل ذكره ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾[1]. وينبني على هذا أنه لا وصية لهؤلاء، وشاهده أيضاً قول رسول الله ﷺ: (**إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث**)[2]. ويبقى للمورث الحق في الوصية، وهذا الحق محدد بالثلث لحديث سعد بن أبي وقاص قال: قلت يا رسول الله أوصي بمالي كله؟ قال: (**لا**) قلت: فالشطر، قال: (**لا**) قلت فالثلث؟ قال: (**فالثلث والثلث كثير إنك أن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس**)[3].

قوله ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ أي: ما هو من عرف الناس مع عدم الزيادة على الثلث. ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ المراد به أن الإيصاء للندب لمناطه بالمتقين وليس فرضاً على الكافة.

---

(١) تفسير الضحاك ج١ ص١٧٢، تفسير ابن وهب، ج١ ص٥٩، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج٢ ص١١٦، ومعالم التنزيل ص٨٧، وزاد المسير في علم التفسير ص١٠٤، والدر المنثور ج١ ص٣١٩، وتفسير القرآن العظيم ج١ ص٢٠٠، والآية في سورة النساء الآية ٧ .

(٢) أخرجه الدارمي في باب الوصية للوارث، ج٢ ص٥١١، والترمذي برقم (٢١٢١)، ج٤ ص٣٧٧.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الوصايا، باب أن يترك ورثته أغنياء خير من أن يتكففوا الناس، برقم (٢٧٤٢)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٥ ص٤٢٧ .

أحكام ومسائل الآية:

تقرير نسخ الوصية في حق الورثة كالآباء والأولاد والأزواج ومن الأحكام: الندب والتأكيد على كتابة الوصية في حال صحة الموصي لما رواه ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: (**ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده**)[1]. ومن الأحكام: أن الوصية تكون بثلث المال والباقي قسمة بين الورثة.

﴿ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿١٨١﴾ ﴾.

بيان الآية:

﴿ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ ﴾ أي: الإيصاء والمراد أن المورث إذا أوصى بشيء كإخراج دينه من ماله برئت ذمته، وأصبح الوارث أو المتولي هو المطالب ولا تبرأ ذمته إلا بأداء الوصية. ﴿ بَعۡدَ مَا سَمِعَهُۥ ﴾ أي: بعد ما عرف الوصية لأنه لا إثم على من لم يعرف. ويشمل التبديل التحريف في وصية الميت، أو تغيير أحكامها، أو تفسيرها بما لا يتفق مع نصوصها. كما يشمل ذلك كتمانها، أو دفع الموصي إلى الإيصاء خلاف رغبته كما لو كان التأثير عليه في مرضه. ﴿ فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ﴾ أي: أن الإثم ينصب على

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الوصايا، باب الوصايا وقول النبي ﷺ «ووصية الرجل مكتوبة عنده»، برقم (٢٧٣٨)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٥ ص٤١٩ .

المبدل، أو المحرف، ومن في حكمهما. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أي: أنه يطلع على ما أوصى به الميت ويعلم ما يفعله المبدل، أو المحرف في الوصية.

أحكام ومسائل الآية:

من الأحكام في هذه الآية: تحريم العبث في الوصية. وجوب تنفيذها كما أوصى بها الموصي.

﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾﴾.

بيان الآية:

﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا﴾ قد يخطئ الموصي في وصيته، ويجنف فيها (أي يميل) فيتحايل ليعطي من لا يستحق، ويمنع المستحق. ومن ذلك الإيصاء لبعض أولاده دون بعض تحت مسمى العطية، أو الهبة، أو سداد حقوق مزعومة ونحو ذلك مما لم يأذن الله فيه فهذا هو الميل. ﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾ المراد أن من حضر الموصي ورآه يميل في وصيته فعليه أن يصلح بين الموصى له وبين الورثة، والإصلاح المراد هنا واجب على الكافة من حيث العموم، ولكنه على الأقرب إلى الميت أخص. وقد يكون الواجب على ولي الأمر ويمتد هذا الواجب إلى ما بعد ممات الموصي. ذلك أن الإصلاح ليس لصالح الورثة فحسب بل إن من

منفعة الميت إصلاح وصيته إذا مال فيها لما سيناله من الإثم في استمرارها مع ميلها، لما روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **(إن الرجل ليعمل والمرأة بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران في الوصية فتجب لهما النار)**[١]. وقوله ﴿فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ﴾ أي: لا يلحق المصلح في الوصية الإثم الذي يلحق المبدل أو المحرف لها لأن مراد المصلح إصلاح الفاسد فلا إثم عليه إذاً بل يكون له أجر فيما أصلحه. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ والمراد منه أن الله يغفر ويرحم الذي يعدل عن الميل إذا عرض عليه إصلاح ما مال فيه فأصلحه.

أحكام ومسائل الآية:

من أحكام هذه الآية تكليف عموم المسلمين بإصلاح الخطأ في وصاياهم؛ فإذا قام بعضهم أو أحدهم بهذا الصلح سقط الإثم عن الباقين. وفيها -كما قال الإمام أبو بكر بن العربي-: دليل على الحكم بالظن لأنه إذا ظن قصد الفساد وجب السعي في الصلاح وإذا تحقق الفساد لم يكن صلح إنما يكون حكم بالدفع أو الرفع وإبطال للفساد وحسم له[٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الوصايا، باب ما جاء في كراهية الإضرار في الوصية، برقم (٢٨٦٧)، سنن أبي داود ج٣ ص١١٣، والترمذي في كتاب الوصايا باب ما جاء في الضرار في الوصية، برقم (٢١١٧)، سنن الترمذي ج٤ ص٣٧٥ .

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ج١ ص٧٣ .

ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٤﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الآية. وهذا أحد أحكام التشريع التي توالت على رسول الله ﷺ بعد هجرته إلى المدينة، وقيام الدولة، وحاجة الأمة إلى تعليمها أمر دينها فبعد بيان أوجه البر، ومن يجب عليه القصاص في حال القتل، وبيان الوصية انتقل الحكم إلى بيان فرض الصيام، وكان ذلك في السنة الثانية من الهجرة النبوية؛ ذلك أن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم عن الحكمة في ذلك فقالوا: إنه اليوم الذي نجى الله فيه موسى فقال عليه الصلاة والسلام: (**نحن أحق بموسى منكم**) ثم صامه وقال: (**لئن بقيت إلى قابل لأصومن يوماً قبله أو يوماً بعده**). ولما نزل الأمر بصوم شهر رمضان أصبح صيام يوم عاشوراء سنة وليس فرضاً عملاً بقول رسول الله ﷺ: (**من شاء صام يوم عاشوراء ومن شاء لم يصمه**)(١).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب وجوب صوم رمضان، برقم (١٨٩٣، ٢٠٠٤)، صحيح البخاري مع فتح الباري، ج٤ ص١٢٤، ٢٨٧، ومسلم في كتاب الصيام، باب صوم عاشوراء، برقم (١١٢٧، ١١٣٣)، صحيح مسلم بشرح الأبي والسنوسي ج٤ ص٧٠-٧٥.

والمراد من قوله جل ذكره ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي: الذين صدقوا بكتاب ربهم ورسالة نبيه، وامتثلوا ما جاء به من أمر أو نهي. ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ﴾ أي: فرض ووجب. ﴿ٱلصِّيَامُ﴾ هو الإمساك عن الطعام والشراب وجميع المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، والإمساك كذلك عن الغيبة والنميمة والرفث وكل ما حرمه الله. ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ المراد أهل التوراة وأهل الإنجيل فقد كتب عليهم الصيام فغيروا في أيامه بأن جعلوها خمسين يوماً بينما كان المفروض عليهم صيام ثلاثين يوماً ثم غيروا في وقته فجعلوه في أيام الربيع اتقاء للحر أيام الصيف[١]. ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ لعل المراد لعلكم تزدادون بذلك تقوى وإيماناً بسبب امتثالكم للأمر بالصوم وشاهده قول رسول الله ﷺ: (**يقول الله تبارك وتعالى: كل عمل ابن آدم له إلا الصوم هو لي وأنا أجزي به**)[٢].

﴿أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖ﴾ المراد بها أيام شهر رمضان وهي إما ثلاثون يوماً، أو تسعة وعشرون يوماً حسب رؤية الهلال والمعنى أنه لم يكتب على المسلمين (أي يفرض) عليهم إلا هذه الأيام المعدودة. ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا﴾ المراد بالمرض الذي لا يستطيع المريض

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ص١٠٥، ومعالم التنزيل ص٨٩ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الصيام باب فضل الصيام، برقم (١١٥١)، صحيح مسلم مع شرح الأبي والسنوسي ج٤ ص٩٦ .

معه الصوم بسبب شدة المرض، أو المرض الذي يؤدي الصيام إلى شدته ومن ذلك آلام الكلى، وآلام القلب، والحمى المفرطة ونحو ذلك من الأمراض التي يضعف معها الجسم في حال الصيام ويزداد معها المرض. وليس المراد المرض في إطلاقه؛ فألم السن يعد مرضاً، وألم الإصبع يعد مرضاً وألم العين كذلك، ولكن هذه الأمراض لا تؤثر على قدرة المريض بها على الصيام لأن الاستطاعة معها ممكنة. وقوله ﴿أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ﴾ المراد به انتقال الإنسان من مكان إقامته إلى مكان آخر قد يتعرض فيه للمشقة. ويشمل السفر السفر إلى الجهاد، أو إلى الحج ونحو ذلك من أنواع السفر المباح. وفي السفر للمعصية قول بالجواز، وقول بالمنع، ولعل المنع أولى لأن السفر للمعصية معصية، ولا يجوز أن يبر العاصي برخصة أرادها الله للمتقين وليس للعاصين، والسفر الذي يباح فيه الفطر أربعون ميلاً تقريباً.

قلت: وهذا التحديد اجتهاد من الفقهاء، ولعل الأربعين ميلاً في الزمن الماضي مدعاة للمشقة لضعف سير وسائل النقل كالإبل وغيرها؛ فقد يجهد الصائم خلال سيره هذه الأميال، أمَّا وقد تغيرت هذه الوسائل فأصبحت السيارات تجتاز هذه الأميال خلال ثلاثين دقيقة، أو أكثر قليلاً فقد انتفت المشقة، ويصبح الصيام هو الأولى؛ خاصة أن بعض الصحابة يرون أن الصوم في السفر هو الأفضل لمن قدر عليه، ومنهم

أنس بن مالك وبه قال الإمام أبو حنيفة[١]، وخالفهم في ذلك البعض الآخر، ومنهم ابن عباس وعبد الله بن عمر وعمر بن عبد العزيز وأحمد وغيرهم[٢]، استدلالاً بقول الله تعالى ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[٣].

وقوله ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ لما بَيَّن الله جل ذكره حكم الصيام في المرض والسفر بيَّن ما يجب على المفطر فيهما من قضاء الأيام التي أفطرها من غير زيادة أو نقصان؛ فإذا أفطر عشرة أيام وجب عليه صيامها بنفس العدد متتالية، أو متقطعة. وقوله ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ هذا بيان لحال كانت قائمة في أول الإسلام لعدم تعود المسلمين في بداية إسلامهم على الصيام فخيروا بين الإفطار أو الصوم؛ فمن أفطر فعليه إطعام كل يوم مسكيناً. ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾ أي: من أطعم مسكينا آخر فهو خير له. ﴿وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ فيه تفضيل، ووعد بالخيرية لمن يصوم ثم نسخت هذه الآية بقوله ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾[٤]، وبقيت الرخصة لمن يعجز فعلاً عن الصيام لمرض، أو كبر.

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ج٢ ص٩٦ .

(٢) الكافي لابن قدامة، ج٢ ص٢٢٤ .

(٣) سورة البقرة من الآية ١٨٥ .

(٤) معالم التنزيل للبغوي ص٩٠، وزاد المسير لابن الجوزي ص١٠٦ .

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير أن الصيام كتب على اليهود والنصارى فغيروا في أحكامه.

ومن الأحكام: أن صيام شهر رمضان فرض على المسلمين مع الترخيص للمسافر بالفطر ثم القضاء. والترخيص كذلك للمريض والمسن بالفطر، والقضاء إلا إذا كانا لا يستطيعان الصيام أصلاً فعليهما إطعام مسكين عن كل يوم. وكذا الحامل والمرضع إذا خافتا على وليديهما أو نفسيهما أفطرتا، وعليهما أن تصوما ما أفطرتاه وتطعما مع كل يوم تصومانه مسكيناً.

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾.

بيان الآية:

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ﴾ الشهر جزء من شهور السنة القمرية، وسمي شهراً لاشتهاره. وسمي رمضان بهذا الاسم لأنه يرمض الذنوب أي: يحرقها وقيل: لأنه يرمض الصائم من شدة الحر والعطش. ﴿ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ أي: أنزل فيه القرآن من اللوح المحفوظ،

وشاهده قول الله تعالى ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾[١]. وهذه الليلة من ليالي رمضان، وقيل: إنه أنزل من اللوح المحفوظ جملة من الذكر، وجعل في بيت العزة ثم أنزل على محمد ﷺ متتالياً[٢]. ولرمضان فضائل عظيمة وردت بها أحاديث عدة منها: قول رسول الله ﷺ: **(إن الله تعالى فرض صيام رمضان عليكم وسننت لكم قيامه فمن صامه وقامه إيماناً واحتساباً خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه)**[٣].

وفي حديث آخر: **(أتاكم رمضان شهر مبارك فرض الله عزوجل عليكم صيامه تفتح فيه أبواب السماء، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه مردة الشياطين، لله فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم)**[٤].

﴿هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ﴾ الموصوف هنا القرآن وقد وصفه الله بأنه هدى للناس لما فيه من أحكام الله الهادية للناس إلى طريق الحق والرشاد. ﴿وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ﴾ أي: ما اشتمل عليه من بيان الأحكام. ﴿وَٱلۡفُرۡقَانِ﴾ أي: ما اشتمل عليه أيضاً من بيان الحق من الباطل والحلال من الحرام والخير من الشر.

---

(١) سورة القدر الآية ١ .

(٢) زاد المسير في علم التفسير ص١٠٩، ومعالم التنزيل ص٩١ .

(٣) أخرجه النسائي في كتاب الصيام، باب ثواب من قام رمضان وصامه إيماناً واحتساباً والاختلاف على الزهري في الخبر في ذلك ، سنن النسائي ج٤ ص١٥٨ .

(٤) أخرجه النسائي في كتاب الصيام، باب فضل شهر رمضان، سنن النسائي ج ٤ ص١٢٩.

﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ وهذا أمر تكليفي لكل مسلم بأن عليه إذا جاء رمضان أن يصومه ما لم يكن مريضاً أو عاجزاً أو مسافراً. ولا يلزم التكليف إلا المسلم والبالغ، ومن علم بالشهر إما لكونه رآه أو سمعه. ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ وهذا تأكيد للرخصة بالفطر في رمضان للمريض والمسافر حتى لا يتوهم أحد أن هذه الرخصة ضمن الآية السابقة. ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ وهذا بيان لحكم عام أراده الله لطفاً بخلقه لييسر عليهم عباداتهم لأنه أرحم بهم من أنفسهم. ونظيره قوله جل ذكره ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[1]. وقوله ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[2]. وقوله جل ذكره ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾[3]. هذا في الكتاب أما في السنة فقول رسول الله ﷺ: (**يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا**)[4]. وقوله عليه الصلاة والسلام: (**الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه**)[5].

---

(١) سورة البقرة من الآية ٢٨٦ .

(٢) سورة الحج من الآية ٧٨ .

(٣) سورة التغابن من الآية ١٦ .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب قول النبي ﷺ «يسروا ولا تعسروا»، برقم (٦١٢٤)، صحيح البخاري مع فتح الباري، ج١٠ ص٥٤١ .

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب الدين يسر، برقم (٣٩)، صحيح البخاري مع فتح الباري، ج١ ص١١٦ .

﴿وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ﴾ لعل المراد من إكمال العدة إكمال مدة الشهر سواء كان ثلاثين يوماً أو تسعة وعشرين يوماً. ﴿وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ أي: التكبير من وقت رؤية الهلال لعيدي الفطر والأضحى شكراً لله على نعمه واحتفاء بالعيد، وكان عبدالله بن عمر رضي الله عنه إذا خرج من بيته إلى العيد كبّر حتى يأتي المصلى[١]. وكان الصحابة يكبرون ويجهرون بالتكبير حتى يأتوا إلى مصلاهم. ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي: على ما هداكم لدين الإسلام، وأنقذكم من الضلال وأرشدكم إلى الحق والصواب فتشكرونه على هذه النعم التي أولاكم إياها.

أحكام ومسائل الآية:

من الأحكام في هذه الآية: فرض صيام شهر رمضان على كل مسلم مكلف ويصومه من رآه كما لو كان وحده في مكانه. كما يصومه من أخبر به من غيره كما لو كان في جمع من المسلمين. ويحكم بصيامه بشهادة واحد من العدول لما ورد في الخبر أن أعرابياً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: أبصرت الهلال الليلة، قال: (**أتشهد ألا إلَه إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله؟**) قال: نعم، قال: (**يابلال أذن في الناس فليصوموا غداً**)[٢].

---

(١) أخرجه الدارقطني في كتاب العيدين، سنن الدارقطني ج٢ ص٤٥، والبيهقي في كتاب صلاة العيدين، باب التكبير ليلة الفطر ويوم الفطر، السنن الكبرى ج٣ ص٢٧٩.

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الصوم، باب ما جاء في الصوم بالشهادة، برقم (٦٩١)، سنن الترمذي ج٣ ص٧٤، والنسائي في كتاب الصيام باب قبول شهادة الرجل الواحد على هلال شهر=

ومن الأحكام: أنه ليس من اللازم أن يصوم كل أهل الأقاليم في يوم واحد؛ لأن لكل أهل بلد رؤيتهم خاصة إذا اختلفت مطالع الهلال بينهم اختلافاً كبيراً. أما إذا كانت متحدة أو متقاربة فالأولى أن يصوموا برؤية أحدهم لما في ذلك من الوحدة التي أمر بها الله. ومنها: وجوب إكمال المدة للشهر ثلاثين أو تسعة وعشرين يوماً حسب رؤية الهلال.

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦) ﴾.

بيان الآية:

قيل في نزول هذه الآية: أن نفراً من اليهود قالوا لرسول الله ﷺ كيف يسمع الله دعاءنا وأنت تزعم أن بيننا وبين السماء خمسمائة عام. وقيل: إن نفراً من المسلمين قالوا: أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فنزلت هذه الآية فيها توجيه لرسول الله ﷺ أن يقول إن الله قريب يسمع دعاء الداعي إذا دعاه فيجيبه. ولإجابة الدعاء شروط منها: أن يكون قلب الداعي متجهاً إلى الله ومخلصاً له في عبادته متضرعاً إليه، وأن لا تكون دعوته دعوة إثم أو قطيعة رحم، وأن يكون مطعمه وملبسه حلالاً، وأن لا يكون ظالماً لغيره في ماله أو

=رمضان، سنن النسائي ج٤ ص١٣١، وابن ماجة في كتاب الصيام، باب ما جاء في الشهادة على رؤية الهلال، برقم (١٦٥٢)، سنن ابن ماجة ج١ ص٥٢٩، واللفظ للنسائي.

عرضه أو نفسه. فإذا تحققت هذه الشروط استجاب الله تعالى له إن شاء لقول رسول الله ﷺ: (**ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث إما أن تعجل له دعوته وإما أن يدخرها له في الآخرة وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها**) قالوا إذاً نكثر، قال: (**الله أكثر**)[١].

وقوله ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ أي: فليدعوني أو يمتثلوا ما أمرتهم به من طاعتي، وطاعة رسولي حتى أجيب دعاءهم. ﴿وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ أي: إذا فعلوا ما أمروا به فسيكون لهم الرشاد والهدى.

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بأن الله قريب من عباده يسمع دعاءهم ومناجاتهم. وهذا القرب بالعلم، وليس بالذات فما من شيء في السماء والأرض إلا وهو تحت إحاطة علمه لا تخفى عليه منه خافية كما قال تعالى ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[٢]. ولقبول الدعاء عدة شروط: أهمها، أن يكون قلب الداعي متجهاً إلى الله، وأن يكون ماله حلالاً كما قال رسول الله ﷺ: (**يمد يديه إلى السماء يقول يارب يارب**

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ج٣ ص١٨، والتبريزي في المشكاة برقم (٢٢٥٩)، ج٢ ص٦٩٧، وأخرجه الترمذي في كتاب الدعوات، باب في انتظار الفرج وغير ذلك، برقم (٣٥٧٣)، سنن الترمذي ج٥ ص٥٢٩ .

(٢) سورة سبأ من الآية ٣ .

ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب له)[1]. ومنها: ألا يكون دعاؤه بقطيعة رحم أو دعاء بإثم.

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾.

بيان الآية:

﴿أُحِلَّ لَكُمْ﴾ الحل يقتضي الجواز والإباحة لأمر كان غير مباح في أصله. ﴿لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ قيل: إنه في بداية صوم المسلمين كان الصائم إذا أفطر فنام لم يباشر امرأته فقيل: إن عمر رضي الله عنه أراد مباشرة امرأته فقالت: إني نمت فظن أنها تعلل عدم قبولها المباشرة بالنوم فباشرها. وقيل أيضاً: إن قيس بن صرمة الأنصاري كان يعمل طيلة النهار في مزرعته فطلب طعامه فقالت له زوجته أن ينتظر حتى يسخن له الطعام فنام ولما استيقظ لم

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، برقم (١٠١٥)، صحيح مسلم بشرح الأبي والسنوسي ج٣ ص٤٧٧ .

يأكل الطعام فصام لليوم التالي حتى أعياه الجوع فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فنزلت[١] هذه الآية تشتمل على حكمين: الأول- حل الرفث أي: الجماع ليلة الصيام وهو أساس قوله تعالى ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ ومناطه قصة عمر. والحكم الثاني- حل الطعام حتى طلوع الفجر. وأساسه قوله تعالى ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾.

﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ كناية عن المباشرة بين الزوج وزوجته ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ﴾ لما كان الرجال لا يقربون النساء في رمضان كله أو في لياليه كان الرجال يباشرون زوجاتهم أي: يخونون أنفسهم فشبهه الله بالخيانة فتاب عليهم، وعفا عنهم بعد أن نزل الحكم بحل المباشرة في الليل بقوله تعالى ﴿فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ﴾.

﴿وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ أي: من الذرية، أو من الزوجات. ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟﴾ مناطه قضية قيس بن صرمة. ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ والمراد منه انسلاخ الليل وإقبال النهار. وقد عبر الله بالخيط الأبيض كناية عن النهار، وبالخيط الأسود كناية عن الليل. وشاهده قول رسول الله ﷺ: **(لا يغرنكم من**

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص١٥٨، ومعالم التنزيل للبغوي ص٩٩، وزاد المسير لابن الجوزي ص١٠٨.

سحوركم أذان بلال ولا بياض الأفق المستطيل هكذا حتى يستطير هكذا)[١]. أي: ينتشر الضوء ويعترض في الأفق. ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ﴾ أي: إذا انتهى الليل، وأقبل النهار حسب الوقت الذي حدد -وكنِّي عنه بالخيط الأبيض- وجب الامتناع عن الأكل، والشرب، والجماع وما في حكم ذلك من المفطرات ما لم يكن المكلف مسافراً أو مريضاً؛ فإن أفطر ناسياً فلا إثم عليه لقول رسول الله ﷺ: (**إذا أكل الصائم ناسياً أو شرب ناسياً فإنما هو رزق رزقه الله تعالى إليه ولا قضاء عليه ولا كفارة**) وفي لفظ مسلم (**من نسي وهو صائم فأكل أو شرب فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه**)[٢].

فإن أكل أو شرب، أو جامع عامداً فعليه القضاء والكفارة وهي عتق رقبة، أو صيام شهرين متتابعين، أو إطعام ستين مسكيناً، وشاهده أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: هلكت يا رسول الله، قال: (**وما أهلكك؟**) قال: وقعت على امرأتي في رمضان، فأمره أن يكفر بعتق رقبة أو صيام شهرين متتابعين أو إطعام ستين مسكيناً[٣]. والأولى

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الصيام، باب بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر، برقم (١٠٩٤)، صحيح مسلم بشرح الأبي والسنوسي ج٤ ص٢٩ .

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الصوم، باب ما جاء في الصائم يأكل أو يشرب ناسياً، برقم (٧٢١)، سنن الترمذي ج٣ ص١٠٠، ومسلم في كتاب الصيام، باب أكل الناسي وشربه وجماعه لا يفطر، برقم (١١٥٥)، صحيح مسلم بشرح الأبي والسنوسي، ج٤ ص١٠٤، والدارقطني في كتاب الصيام، ج٢ ص١٧٨، واللفظ للدارقطني.

(٣) أخرجه الدارقطني في كتاب الصيام ج٢ ص١٩٠ .

أن تكون الكفارة مناسبة للمنتهك حرمة الصوم حسب ما ينزجر به؛ فعتق الرقبة وإطعام ستين مسكيناً أمرٌ ميسورٌ للغني فيجرؤ بذلك على ارتكاب الخطأ وبهذا أفتى الإمام يحيى الليثي لعبد الرحمن الداخل والي قرطبة عبد الرحمن الداخل حين أفطر يوماً عمداً في رمضان مع بعض نسائه فسأل يحيى عن ذلك معللاً فعله بغلبة الشهوة عليه فأفتاه أن يصوم ستين يوماً ولم يخالفه أحد من الفقهاء الذين كانوا حاضرين في المجلس. فلما خرجوا سألوه لم أفتاه بالصيام فقط وهو أحد الخيارات فقال: لو فتحنا له الباب لوطئ كل يوم وأعتق أو أطعم فأفتيته بالخيار الأصعب لعله لا يعود[١].

﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ المراد به النهي عن مباشرة المرأة حال مدة الاعتكاف؛ ذلك أن المعتكف مبتهل إلى الله تعالى متجرد من أمور الدنيا فلزمه اعتزال النساء. والمراد بالمباشرة الجماع وما عدا ذلك جائز مع الكراهة فإن جامع فسد اعتكافه. ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ المراد بذلك الأحكام التي بيَّنها الله تعالى وسميت حدود الله لأنه جل ذكره حدد بها المأمور به، والمنهي عنه فوجب على المخاطبين عدم قربها أي: عدم مخالفتها. ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ﴾ أي: أنه كما بيَّن لهم الحدود بيَّن لهم الأحكام التي تدل عليها إباحة أو حظراً. ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي: يلتزمون بهذه الأحكام التي وضعها الله لهم.

---

(١) التحرير والتنوير للشيخ الطاهر بن عاشور ج١ ص٧٠ .

أحكام ومسائل الآية:

من الأحكام في هذه الآية: وجوب الإمساك بنية عن الطعام والشراب والجماع ونحو ذلك من المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس. ومنها: أن من أفطر أو شرب ناسياً لم يفسد صومه وعليه أن يتمه. ومنها أن من جامع أو أكل أو شرب عامداً وجب عليه القضاء والكفارة، وهي عتق رقبة أو صيام شهرين أو إطعام ستين مسكيناً؛ وعلى المرأة في حال الجماع الكفارة إذا طاوعت زوجها، فإن كانت مكرهة فلا كفارة عليها. ومن هذه الأحكام: أن قبلة الزوج لزوجته في رمضان جائزة إذا لم يخش على نفسه الوقوع في الجماع، ولعل الراجح أن تكون مكروهة. ومنها: أن من طلع عليه الفجر وهو جنب فصومه صحيح. ومن هذه الأحكام: أن الاعتكاف سنة وليس بواجب، وعليه أن يبقى في معتكفه المدة التي حددها ولا يخرج منه إلا لضرورة.

﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ١٨٨ ﴾.

بيان الآية:

﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ لما نهى الله في الآية السابقة عن تعدي حدوده جاء النهي عن التعدي على أموال الناس، والمراد بهذا النهي العموم، وهو تحريم أكل أموال الناس بعضهم لبعض

ويشمل ذلك كل تعدٍّ عليها بغير حق كالغصب، والسرقة والاختلاس والانتهاب والرشى وكل ماحرمته الشريعة أو ما لم تطب به نفس مالكه. وهذا التحريم يشمل ما حكم به الحاكم إذا كان المحكوم له يعرف أن المال ليس له، أي: أن حكم الحاكم لا يحل له مال غيره. وشاهده قول رسول الله ﷺ: (**إنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو مما أسمع فمن قطعت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه فإنما أقطع له به قطعة من نار فليحملها أو يذرها**)(١).

﴿وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ﴾ والمراد أنه لا يحل للمسلم أن يأكل مال أخيه دون حق؛ وأن من أكل المال بالباطل ارشاء الحكام أو القضاة ومن في حكمهم لكي يحكموا بالباطل. ﴿لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ﴾ أي: جزءاً من أموال الناس بالظلم. ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أن ذلك باطل ولا حق لكم فيه.

أحكام ومسائل الآية:

من الأحكام في هذه الآية: تحريم أكل مال المسلم بغير حق، وبأي صفة من صفات الأكل كالجحود والغصب والرشى وسائر أنواع الظلم.

تحريم دفع الرشوة سواء كان ذلك للحاكم أو الوسيط أو خلافهم.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الأقضية، باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجة، برقم (١٧١٣)، ج٦ ص٢٢٦ .

والتحريم عام للراشي والمرتشي ويشمل التحريم مال غير المسلم إذا لم يكن محارباً كما يشمل المال العام، وأموال اليتامى والقصر ونحوهم.

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٨٩) ﴾.

بيان الآية:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾ المسؤول هنا رسول الله ﷺ؛ ذلك أن معاذ بن جبل قال: يا رسول الله إن اليهود يكثرون علينا السؤال عن الأهلة فما بال الهلال يبدو دقيقاً ثم يزيد حتى يستوي ويستدير ثم ينتقص حتى يعود كما كان فأنزل الله هذه الآية[1] ﴿قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ المراد بالمواقيت الوقت، وهذا بيان من الله عن الحكمة في بدو الهلال وتناقصه ليكون ذلك معيناً للناس في أمرين: أولهما- أمور الناس المتعلقة بدنياهم في البيوع، وسائر المعاملات. وثانيهما- في أمورهم الدينية كالحج والصوم والفطر ونحو ذلك. ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ جاء ذكر هذه الآية بمناسبة ذكر أهمية الأهلة للحج، وربما كان هناك سؤال عما كان يفعله بعض المسلمين من

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص١٦١-١٦٢، وزاد المسير لابن الجوزي ص١١٠، ومعالم التنزيل ص٩٨ .

عادات انسلت إليهم من فعل الجاهلية حيث كان الأنصار حين يعودون من حجهم لا يدخلون من أبواب بيوتهم فكان يتسلق الواحد منهم ظهر البيت ويدخل منه حتى لا يكون السقف حائلاً بينه وبين السماء[١].

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ أي: ليس البر ما يفعله هؤلاء، ولكن البر من تقوى الله بطاعته وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ وهذا أمر من الله أن يدخلوا البيوت من أبوابها لأن تسلقها من عمل الجاهلية. ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ وهذا أمر منه جل ذكره بتقوى الله لأن الفلاح فيها وليس في هذه الأعمال التي لم يأت بها شرع في كتاب أو سنة.

أحكام ومسائل الآية:

تقرير استحباب السؤال عما لا يعلمه المرء من الأمور العامة، ووجوب السؤال إذا كان يتعلق بالدين. تقرير أن الأهلة تعرف بها العبادات كالصيام والحج. ومن الأحكام: تحريم البدع التي يتخذها الناس من عند أنفسهم دون موجب من كتاب أو سنة ومن ذلك عادات الجاهلية كعدم دخول البيت من بابه في حال العودة من الحج. الحكم أن البر في التقوى وليس في الابتداع. ومن الأحكام: وجوب تقوى الله لأنها الطريق الذي يوصل إلى السعادة.

---

(١) **قلت**: وهذا نظير ما يفعله بعض الحجاج الآن إذا طاف طواف الوداع من حج أو عمرة جعل يخرج وهو متجه إلى الكعبة لكي لا يودع البيت مولّياً إياه ظهرَه فهذا ومثله مما يفعله الحجاج دون أمر لهم به من كتاب أو سنة .

﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ ﴾ قيل: إن هذه الآية أول آية نزلت في القتال بعد هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة بعد أن كان منهياً عنه في مكة(١). ومناسبة الآية جاءت في سياق الحج؛ ذلك أن رسول الله ﷺ خرج إلى مكة مع أصحابه يريد العمرة فلما نزل بالحديبية صده المشركون ومنعوه من دخول البيت فأقام بالحديبية فصالحوه على أن يرجع من ذلك العام على أن تخلى له مكة في العام الذي بعده لمدة ثلاثة أيام، وألا يكون بينهم وبينه قتال لمدة عشر سنين، ورجع إلى المدينة. فلما كان من العام الذي اتفق عليه تجهز لعمرة القضاء فخشي المسلمون أن يغدر بهم كفار قريش فيصدوهم عن المسجد الحرام، وخشوا مع ذلك قتالهم في الشهر الحرام فنزلت هذه الآية بحل

---

(١) معالم التنزيل للبغوي ص٩٩ .

القتال لهم إن قاتلهم الكفار، وبقي الحكم على هذا النحو من الأمر بقتال من قاتل، ومسالمة من سالم حتى نزل قوله تعالى[١] ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةً﴾[٢]، كما سنرى. ﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ أي: لا تعتدوا على من لم يعتد عليكم.

﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ﴾ والمراد الأمر للمسلمين بقتال المشركين حيثما أصابوا منهم مقتلاً، وقيل: إن سبب نزول هذه الآية حين قتل واقد التميمي عمرو بن الحضرمي في شهر رجب وهو شهر حرام[٣]. ﴿وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ﴾ وهذا أمر للمسلمين أن يخرجوا الكفار من مكة جزاء لهم على إخراج المهاجرين منها واضطهادهم فيها ﴿وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ﴾ المراد به أن الفتنة التي سببوها وأهمها محاولة إخراجهم من دينهم ليكونوا كفاراً مثلهم هي أشد من القتل وسيرد الحديث عن هذا بالتفصيل في موضع آخر. ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ﴾ وفي هذا نهي من الله جل ذكره عن القتال في المسجد الحرام إلا إذا كان هناك من يقاتل فيه، وهذا بين من قوله تعالى ﴿حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ﴾ وشاهده قول رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: (**فإن هذا بلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله تعالى إلى يوم القيامة وأنه لم يحل القتال**

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص١٦٤، وزاد المسير لابن الجوزي ص١١٠ .

(٢) سورة التوبة من الآية ٣٦ .

(٣) سيأتي ذكر هذه الحادثة.

فيه لأحد قبلي ولم يحل لي إلا ساعة من نهار فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة)[١]. ﴿فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: إن بدؤوكم بالقتال حق لكم قتالهم دفعا لشرهم.

﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ والمعنى أنهم إذا انتهوا عن قتالكم على توحيد الله، ودخلوا في دينه فإن الله يغفر لهم ما سبق منهم ونظيره قول الله تعالى ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾[٢].

﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ هذه الآية مناطة بسابقتها فقد نسخت[٣] ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ﴾ فالحال إذاً إما أن يستمروا في القتال فَيُقَاتَلُون ولو عند المسجد الحرام، أو يسلموا لأن استمرارهم على حالهم مدعاة لاستمرار الفتنة وهي معاداة الدين. ولهذا قال الله جل ذكره ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ﴾ أي: أنه لا دين إلا دينه، ولا هدي إلا هديه فمن كفر بذلك فقد حل قتاله عند المسجد الحرام أو في غيره ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ والمراد أنهم إذا تابوا وتركوا قتالهم فلا تبدؤوهم بالقتال لأنهم عندئذٍ ليسوا ظالمين.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب جزاء الصيد، باب لا يحل القتال بمكة، برقم (١٨٣٤)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٤ ص٥٦ .

(٢) سورة الأنفال من الآية ٣٨ .

(٣) زاد المسير لابن الجوزي ص١١٢ .

أحكام ومسائل الآيات:

تقرير أن الفتنة أشد من القتل. ومن الفتن أن يضطهد المسلم في دينه ويخرج من دياره فيجب عليه - حينئذٍ - أن يقاتل من قاتلوه. ومن الأحكام: تحريم القتال في مكة إلا إذا كان هناك من بدأ القتال فيها فيقاتل. ومنها: أن من يؤمن بالله ويتخلى عن كفره يغفر الله له ما سبق من ذنوبه وشاهده قوله تعالى ﴿إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾[1].

﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾.

بيان الآية:

﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ المراد أن رسول الله ﷺ لما صده كفار قريش عن الاعتمار سنة ست رجع إلى المدينة وقد وعده الله بالنصر أنه سيدخل البيت كما قال جل ذكره ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾[2]. وقد أنجز الله له وعده فعاد رسول الله في العام القابل أي: سنة سبع واعتمر وبقي في مكة ثلاث ليال فكان هذا عزاء وتسلية للمؤمنين بأن هذه العمرة كانت عوضاً عن العمرة السابقة فهي عمرة في شهر حرام بعمرة في شهر

---

(١) سورة الأنفال من الآية ٣٨ .

(٢) سورة الفتح من الآية ٢٧ .

حرام. ﴿وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ﴾ بيان لرسول الله أن دخولكم مكة وأنتم محرمون في شهر يماثل الشهر الذي صدوكم فيه (وهو ذو القعدة) يعد قصاصاً من منعكم السابق من دخول مكة.

﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ المراد به المماثلة في المجازاة لما في ذلك من العدل ونظيره قول الله جل ذكره ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾(١). ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي: عليكم بتقوى الله في عدم مجاوزة الحد إذا أردتم رد الاعتداء عليكم. ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ وهذا بيان وحكم عام بأن الله يحب من اتقاه وخشيه فيما يقول ويفعل.

أحكام ومسائل الآية:

من الأحكام في هذه الآية: أن من يستحل قتل غيره يحل قتاله بصرف النظر عن المكان أو الزمان لأن الحرمة بالحرمة قصاص؛ وفي هذا تفصيل وشمول فمن استباح دم غيره حل إباحة دمه، سواء في الحرم أو في الأشهر الحرم، ومن أخذ مال غيره حل أخذ ماله، ومن وقع في عرض غيره حل الوقوع في عرضه، وإباحة دم المعتدي بالقتل لا تكون بالثأر كما كان أهل الجاهلية يفعلون ولكن بقضاء الحاكم. وفي إباحة أخذ المال يشترط أن يكون المال المأخوذ من جنس المال المعتدى عليه

(١) سورة النحل من الآية ١٢٦ .

وبعينه وإن لم يمكن فقيمته، والأفضل أن يكون هذا بحكم الحاكم إن كان ممكناً، وإلا جاز أخذه لمن تمكن منه وأن يكون بقدره. والوقوع في عرض المعتدي ينصب عليه وحده، ولا يتعدى إلى قريبه كأبيه أو أمه أو عائلته. ومن أحكام هذه الآية: وجوب المماثلة في رد الاعتداء فمن اعتدى على غيره بعصا أو حجر يحرم الرد عليه بسلاح قاتل، وتجب المماثلة ومنع مجاوزة الحد في دفع الاعتداء.

﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾.

بيان الآية:

﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ هذه الآية جاءت بعد الأمر بقتال من يقاتل المسلمين فاقتضى هذا الأمر بالإنفاق وهو مقيد في هذه الآية بالإنفاق في سبيل الله، ورأسه الجهاد لما يتطلبه من المال في تجهيز الجيوش وتسييرها والإنفاق على المقاتلة وعلى ورثتهم في حال فقدهم في المعارك. ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ والمعنى فيه أنكم إذا بخلتم بالإنفاق في سبيل الله فقد ألقيتم بأنفسكم إلى التهلكة لأن العدو سوف يحاربكم من أجل دينكم فتكونوا ببخلكم قد تعرضتم للتهلكة. وشاهده إخبار أبي أيوب الأنصاري بسبب نزول هذه الآية؛ ذلك أنه في غزوة القسطنطينية حمل رجل من المسلمين على العدو فقال الناس: ماله يفعل سبحان الله

يلقي بيده إلى التهلكة فقال أبو أيوب: «سبحان الله نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار لما نصر الله نبيه، وأظهر دينه قلنا هل نقيم في أموالنا ونصلحها فأنزل الله عز وجل هذه الآية والإلقاء باليد إلى التهلكة أن نقيم في أموالنا ونصلحها وندع الجهاد»[١]. ولم يكن أبو أيوب الأنصاري يفسر هذه الآية لمجرد التفسير بل بقي رضي الله عنه يطبقها مجاهداً في سبيل الله حتى لقي ربه ودفن رضوان الله عليه بالقسطنطينية.

وفي ضوء اهتمام علماء المسلمين بقواعد الجهاد، وتحريمهم قتل المسنين والأطفال والنساء في الحرب، وتحريم الاعتداء على دور العبادة كالكنائس والصوامع اهتموا بما يفعله المجاهد أثناء الحرب بمعنى مدى حقه في الحمل على العدو بنفسه، وما قد يتعرض له من إزهاقها بسبب شدة المخاطرة في الاقتحام خاصة عندما يكون العدو جمعاً؛ فقالت طائفة منهم: لا بأس أن يحمل الرجل وحده على الجيش العظيم إذا كان فيه قوة وكان لله بنية خالصة، فإن لم تكن فيه قوة فذلك من التهلكة. وقالت طائفة أخرى: إذا طلب الشهادة وخلصت النية فليحمل لأن مقصوده واحد منها؛ وذلك بَيِّنٌ في قوله تعالى ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾[٢].

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي، ص١٦٧، وتفسير القرآن العظيم ج١ ص٢١٧، والتحرير والتنوير لابن عاشور ج١ ص٢١٤، من جزء ٢، والأثر أخرجه الترمذي في كتاب التفسير برقم (٢٩٧٢)، سنن الترمذي ج٥ ص١٩٦، وفتح الباري، ج٨ ص٣٣ .

(٢) سورة البقرة من الآية ٢٠٧ .

أما ابن خويز منداد من علماء المالكية فقال: فأما أن يحمل الرجل على مائة أو على جملة العسكر أو جماعة اللصوص والمحاربين والخوارج فلذلك حالتان: إن علم وغلب على ظنه أنه سيقتل من حمل عليه وينجو فحسن، وكذلك لو علم وغلب على ظنه أن يقتل ولكن سينكي نكاية، أو سيبلي، أو يؤثر أثراً ينتفع به المسلمون فجائز أيضاً.. ثم قال: وقد بلغني أن عسكر المسلمين لما لقي الفرس نفرت خيل المسلمين من الفيلة فعمد رجل منهم فصنع فيلاً من طين وأنّس به فرسه حتى ألفه فلما أصبح لم ينفر فرسه من الفيل فحمل على الفيل الذي كان يقدمها فقيل له: إنه قاتلك، فقال: لا ضير أن أقتل ويفتح للمسلمين. وكذلك يوم اليمامة لما تحصنت بنو حنيفة بالحديقة قال البراء بن مالك أخو أنس بن مالك رضي الله عنهما: ضعوني في الحَجَفَة -وهو الترس يتخذ من الجلود- وألقوني إليهم ففعلوا وقاتلهم وحده وفتح الباب. وقال محمد بن الحسن: لو حمل رجل واحد على ألف رجل من المشركين، وهو وحده، لم يكن بذلك بأس إذا كان يطمع في نجاة أو نكاية في العدو، فإن لم يكن كذلك فهو مكروه لأنه عرض نفسه للتلف في غير منفعة المسلمين. فإن كان قصده تجرئة المسلمين عليهم حتى يصنعوا مثل صنعه فلا يبعد جوازه ولأن فيه منفعة المسلمين على بعض الوجوه، وإن كان قصده إرهاب العدو وليعلم صلابة المسلمين في الدين فلا

يبعد جوازه. وإذا كان فيه نفع للمسلمين في الدين فتلفت نفسه لإعزاز دين الله وتوهين الكفر فهو المقام الشريف الذي مدح الله به المؤمنين في قوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾(١)،(٢).

قلت: والمراد مما ذكر الحمل على العدو. أما الحمل على المدنيين العزَّل فهذا لا يجوز لأنه انتحار وقتل للأبرياء الآمنين.

﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ قد يكون المراد بالإحسان هنا الإحسان في الإنفاق في سبيل الله بمعنى أنه من باب الإحسان وهذا من أعلى الدرجات لأنه من عبادات الله التي يعبد العبد بها ربه كأنه يراه فإن لم يكن يراه فإن الله يراه. والإحسان باب واسع يشمل أنواع البر، ورأسه وعموده عبادة الله وطاعته، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه ومنها: الإحسان إلى الوالدين والولد، والزوج، والأقارب. والإحسان كذلك إلى الناس ومعاملتهم بالرفق، وحسن الخلق ومواساتهم في مصابهم، وزيارة مريضهم والتلطف بهم، والدعاء لهم والستر على عوراتهم ومساعدة محتاجهم.

أحكام ومسائل الآية:

من الأحكام في هذه الآية: وجوب الإنفاق في سبيل الله وعمود ذلك الجهاد. ولكون السياق في الآية قبلها -من وجوب مقاتلة المعتدي- فإن المراد الإنفاق من أجل الجهاد. أما سبيل الله بمعناه المطلق فهو

---

(١) سورة التوبة من الآية ١١١ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج٢ ص٣٦٣-٣٦٤ .

كل ما يخدم دين الله من الأقوال والأفعال كمساعدة الدعاة وطلاب العلم ونحو ذلك من وجوه الخير. ومن الأحكام في هذه الآية: جواز حمل الرجل على الجمع من الأعداء وحصول الأجر له على ذلك إذا كانت نيته خالصة لوجه الله، ويريد من الفداء بنفسه نصرة الإسلام، ودفع الأعداء عن المسلمين.

﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾﴾.

بيان الآية:

لما ذكر الله في الآيات السابقة أحكام الجهاد وما فيه من قتال المشركين الذين صدوا رسول الله وأصحابه عن بيت الله ثم ما تيسر له عليه الصلاة والسلام من دخول مكة؛ ذكر أحكام الحج بوصفه ركناً من أركان الإسلام فقال جل ذكره ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ والمراد به أن يخرج المسلم من أهله ناوياً الحج أو العمرة ثم يمر بالميقات ويفعل الحج أو العمرة بأركانهما، وشروطهما فلعل هذا

هو الإتمام. فإن خرج إلي مكة لأمر آخر كالتجارة أو العمل في وظيفة ثم نوى عند قربه منها: أن يحج أو يعتمر فهو خير. وقد ينوي الحج وحده، وقد يجمع بينه وبين العمرة كما فعل رسول الله ﷺ. وقيل: إن المراد بالإتمام هو أن من أحرم بحج أو عمرة فليس له أن يحل حتى يتمهما تمام الحج يوم النحر إذا رمى جمرة العقبة، وطاف بالبيت وبالصفا والمروة وهذا ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما في معنى (التمام)[١].

واستدل من قال بوجوب العمرة بهذه الآية بأنّ الله قرن إتمامها بإتمام الحج واستند في ذلك إلى ما رواه الصبي بن معبد قال: أتينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقلت: إني كنت نصرانياً فأسلمت وإني وجدت الحج والعمرة مكتوبتين علي وإني أهللت بهما جميعاً فقال له عمر: هديت لسنة نبيك[٢]. وقال بهذا الوجوب جمع من الصحابة: منهم ابن عباس وعلي بن أبي طالب وابن عمر وكان هذا يقول: ليس من خلق الله أحد إلا عليه حجة وعمرة واجبتان من استطاع إلى ذلك سبيلاً[٣]. وقال بمثل هذا جماعة من التابعين منهم: طاوس وابن

---

(١) تفسير القرآن العظيم ج١ ص٢١٩، وزاد المسير لابن الجوزي ص١١٣ .

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب المناسك، برقم (١٧٩٦) مفصلاً، أبو داود مع عون المعبود مجلد ٣ ص١٥٩ .

(٣) أخرجه الحاكم في كتاب المناسك، ج١ ص٦٤٤، وقال: «إسناده صحيح على شرط الشيخين».

سيرين والحسن والشعبي وعطاء وسعيد بن جبير وغيرهم[١]. وقال آخرون: إنه لا وجه للآية في الوجوب لأن الله قرنها في وجوب الإتمام وليس معنى ذلك ابتداءها بالوجوب ولهذا فهي سنة، واستدلوا على ذلك بأن رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن الصلاة والزكاة والحج أواجب هو؟ قال: (**نعم**) فسأله عن العمرة أواجبة هي قال: (**لا وأن تعتمر خير لك**)[٢]. وممن قال بسنيتها جابر بن عبد الله وعبد الله بن مسعود وهي كذلك في مذهب الإمام أبي حنيفة ومالك وأحمد[٣].

﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ الإحصار هو المنع من إتمام الحج أو العمرة لسبب وقد نزلت هذه الآية سنة ست من الهجرة النبوية أي: عام الحديبية لما منع المشركون رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله تعالى عنهم من دخول مكة للعمرة فأنزل الله هذه الآية رخصة لهم أن يذبحوا ما معهم من الهدي، وأن يحلقوا رؤوسهم، ويتحللوا من إحرامهم فخرج رسول الله على أصحابه وقد حلق رأسه فتبعه الناس وكان منهم من قصر، ومنهم من حلق فقال عليه الصلاة والسلام: (**رحم الله المحلقين**) فقالوا والمقصرين يا رسول الله فقال في الثالثة: (**والمقصرين**) وذبحوا

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج٢ ص٣٦٨ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج٢ ص٣٦٨، والحديث أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ج٤ ص٣٤٩.

(٣) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ج٢ ص٢٢٦، وأسهل المدارك شرح إرشاد السالك، ج١ ص٥١٥، والمغني لابن قدامة ج٥ ص١٣، والجامع لأحكام القرآن ج٢ ص٣٦٩ .

هديهم واشتركوا فيما معهم من الهدي وهو سبعون بدنة[١].

واختلف العلماء حول ما إذا كان الحصر لا يكون إلا من عدو فلا ينطبق الحكم على من حصره المرض ونحوه؛ فقيل: إن الإحصار لا يكون إلا من العدو لأن قول الله ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمۡ﴾ الوارد في الآية يدل على أن الإحصار خاص به. والجمهور على أن الحصر أشمل، فيكون بالعدو، وبالمرض، وضلال الطريق لما روي أن رسول الله ﷺ قال: (**من كسر أو عرج فقد حل وعليه الحج من قابل**)[٢].

قلت: ولعل الإحصار يكون بأي مانع لا يتمكن معه مريد الحج أو العمرة من الذهاب إلى البيت سواء بتسلط عدو أو مرض أو خوف أو أذى أو أي مانع قهري.

ويجوز لمريد الحج أو العمرة أن يشترط عند إحرامه إذا خاف الإحصار أن يقول عند تلبيته (ومحلي حيث حبستني) وقال جمع من العلماء منهم الإمام مالك[٣] وأبو حنيفة[٤]: إن هذا الشرط لا ينفع، وقال بجوازه جمع من الصحابة والتابعين[٥]، وقال به الإمام

---

(١) معالم التنزيل ص١٠٤، وتفسير القرآن العظيم ج١ ص٢١٧-٢١٨، والحديث أخرجه مسلم في كتاب الحج، باب تفضيل الحلق على التقصير وجواز التقصير برقم (١٣٠١) صحيح مسلم بشرح الأبي والسنوسي ج٤ ص٣٦٥ .

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب المناسك، باب الإحصار، سنن أبي داود ج٢ ص١٧٣ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ج٢ ص٣٧٥ .

(٤) البناية شرح الهداية لبدر الدين العيني ج١ ص٤٤٣-٤٤٤ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن ج٢ ص٣٧٥ .

أحمد(١) والثوري(٢). واستدلوا على ذلك بما روته عائشة رضي الله عنها أن ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب أتت رسول الله عليه الصلاة والسلام فقالت: يا رسول الله إني أريد الحج أأشترط؟ قال: (**نعم**) قالت فكيف أقول؟ قال: (**قولي اللهم لبيك اللهم لبيك ومحلي من الأرض حيث حبستني**)(٣).

﴿فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِ﴾ والمراد به أن يذبح المحصر شاة أو يهدي سُبع بدنة أو سُبع بقرة كما فعل ذلك رسول الله ﷺ وأصحابه عام الحديبية. ﴿وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥ﴾ والمراد أن الحلق أو التقصير من محظورات الإحرام؛ ذلك أن سنة الذبح قبل الحلق أو التقصير كما فعل ذلك رسول الله ﷺ حيث نحر هديه ثم حلق. وقيل: يجوز تقديم الحلق قبل النحر استدلالاً بما رواه ابن عباس أن رسول الله ﷺ سئل عن الذبح والحلق والرمي والتقديم والتأخير فقال: (**لا حرج**)(٤).

قلت: ولعل الأفضل تقديم النحر قبل الحلق لظاهر الآية.

(١) المغني لابن قدامة ج٥ ص٢٠٤ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج٢ ص٣٧٥ .

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب المناسك، باب اشتراط في الحج، برقم (١٧٧٦)، ج٢ ص١٥١، والدارقطني في كتاب الحج، ج٢ ص٢١٩ .

(٤) أخرجه الترمذي في كتاب الحج، برقم (٨٨٥)، ج٣ ص٢٣٣، وأحمد في المسند ج٣ ص٣٢٦، والدارمي ج٢ ص٦٤-٦٥ .

﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ المراد به أن المحرم إذا حلق رأسه وهو محرم لزمته الكفارة لأن الحلق من محظورات الإحرام، والكفارة شاة أو صيام ثلاثة أيام، أو إطعام ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من طعام. والأصل في ذلك حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: حملت إلى النبي ﷺ والقمل يتناثر على وجهي فقال: (**ما كنت أرى أن الوجع قد بلغ بك ما أرى أما تجد شاة؟**) فقلت: لا. قال: (**فصم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من طعام وأحلق رأسك**) قال كعب: فهذه الآية نزلت فيَّ خاصة وهي لكم عامة[1].

والفدية هنا على التخيير حسب حال المفدي وقدرته.

﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾ الأمن هنا زوال الخوف من العدو، أو شفاء المرض. ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ﴾ الآية تحتمل معنيين: الأول- أنه إذا أمنتم بعد الإحصار وانتهى وقت الحج فمن كان له حظ أن يتمتع بعمرة فعليه ما استيسر من الهدي، وهذا إذا كان المراد بـ(التمتع) الثواب، ويؤيد هذا تفسير عبد الله بن الزبير للمتمتع الوارد في الآية بأنه الرجل الذي يحصر حتى يفوته الحج ثم يصل إلى البيت فيحل بعمرة ثم يقضي الحج من قابل فهذا قد تمتع

(١) أخرجه البخاري في كتاب المحصر، باب الاطعام في الفدية نصف صاع، برقم (١٨١٦)، صحيح البخاري مع فتح الباري، ج٤ ص٢١ .

بما بين العمرة إلى حج القضاء. المعنى الثاني- أن المراد بالتمتع في الآية أن يحصر الرجل فيحل دون عمرة ويؤخرها حتى يأتي من قابل فيعتمر في أشهر الحج ويحج من عامه وهذا هو تفسير ابن عباس لها[١].

وقد ذكر الإمام ابن كثير في تفسيره: بأن في الآية دليلاً على مشروعية التمتع بالعمرة إلى الحج كما جاء في قول عمران بن حصين رضي الله تعالى عنه نزلت آية المتعة في كتاب الله وفعلناها مع رسول الله ﷺ ولم ينزل قرآن يحرمها أو ينهي عنها حتى مات. قال رجل برأيه ما شاء قال البخاري: يقال إنه عمر[٢]. وفي مسألة التمتع بالعمرة إلى الحج تفصيل؛ فلم يكن الخلاف بين العلماء في جواز التمتع وإنما كان حول ما إذا كان هو الأفضل أم أن الإفراد أو القران هو الأفضل. وسبب الخلاف أنّ رسول الله ﷺ في حجة الوداع كان متمتعاً أم مفرداً أم قارناً وهذا الخلاف مبسوط في مواضعه[٣].

قلت: والأولى في تفسير هذه الآية المعنى الثاني لأن الله قال في آخر الآية ﴿فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِ﴾ وهذا لا يكون إلا في حال التمتع بالعمرة إلى الحج.

---

(١) أحكام القرآن للإمام القرطبي، ج٢ ص٣٨٦-٣٨٧ .

(٢) تفسير القرآن العظيم، ج١ ص٢٢٢ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن، ج٢ ص٣٨٧-٣٩٠، والبناية شرح الهداية ج٤ ص٢٨٢، وأسهل المدارك شرح إرشاد السالك ج١ ص٤٥٤، والحاوي الكبير ج٥ ص٥٤-٦٢، والمغني لابن قدامة ج٥ ص٢٥١-٢٥٥ .

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ والمراد أن من لم يجد هدياً بمعنى أنه لا يقدر عليه لعدمه، أو لعدم قدرته على شرائه فعليه أن يصوم ثلاثة أيام في الحج قبل يوم عرفة أو أيام التشريق لما روي أن رسول الله ﷺ لم يرخص بالصيام في أيام التشريق إلا لمن لم يجد الهدي ثم يصوم سبعة أيام إذا رجع إلى أهله أي إلى وطنه. ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ وفي هذا تأكيد تمام الأيام العشرة. ﴿ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ والمراد أن أهل مكة لا متعة لهم، وشاهد ما ذكر أن ابن عباس رضي الله عنهما سئل عن متعة الحج فقال: أهلّ المهاجرون والأنصار وأزواج النبي ﷺ في حجة الوداع وأهللنا فلما قدمنا مكة قال رسول الله ﷺ: (**اجعلوا إهلالكم بالحج عمرة إلا من قلد الهدي**) وطفنا بالبيت وبالصفا والمروة وأتينا النساء ولبسنا الثياب، وقال: (**من قلد الهدي فإنه لا يحل له حتى يبلغ الهدي محله**)، ثم أمرنا عشية التروية أن نهل بالحج فإذا فرغنا من المناسك جئنا فطفنا بالبيت وبالصفا والمروة فقد تم حجنا وعلينا الهدي كما قال تعالى ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾(١). ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج٢ ص٤٠٣، والحديث أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب قول الله تعالى: (ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام)، برقم (١٥٧٢)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٣ ص٥٠٦ .

ٱلۡعِقَابِ﴾ المراد عليكم بتقوى الله بأن تفعلوا ما فرضه عليكم من النسك واعلموا أنه شديد العقاب لمن خالف أوامره.

أحكام ومسائل الآية:

من الأحكام في هذه الآية: وجوب إتمام الحج والعمرة لمن بدأ فيهما من الميقات فلا يجوز له التحلل منهما قبل تمام الحج ما لم يتعرض لإحصار من عدو، أو مرض، أو خوف أو أذى؛ فإن تعرض لذلك وجب عليه ذبح شاة في المكان الذي تم إحصاره فيه ثم التحلل من إحرامه بالحلق أو التقصير وعليه القضاء من العام المقبل إن كان ذلك متيسراً له كما فعل رسول الله ﷺ في عمرة القضاء. ومن هذه الأحكام: وجوب الكفارة على من ارتكب محظوراً من محظورات الإحرام كما لو لبس ثوباً مخيطاً، أو حلق شعره، أو قصَّره. والفدية كبشٌ، أو صيام ثلاثة أيام، أو إطعام ستة مساكين. ومن هذه الأحكام: وجوب الهدي على من أحرم بعمرة في أشهر الحج وأقام في مكة ثم حج من عامه، فإن عجز عن الهدي صام ثلاثة أيام في الحج في مكة أو منى وسبعة أيام إذا رجع إلى وطنه، وهذا خاص بالوافدين إلى مكة من غير أهلها. أما أهلها فليس عليهم عمرة ولا هدي.

﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ

وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾ لم يبيِّن الله جل ثناؤه هذه الأشهر بالاسم ربما لأنها معلومة عند العرب الذين كانوا يحجون قبل مجيء الرسالة، وهي شهر شوال وذو القعدة، والعشر الأول من ذي الحجة؛ وهي بهذا شهران وبعض الثالث إلا أنها سميت أشهراً لأن بعض الشهر يسمى شهراً من تسمية الجزء باسم الكل. فعلى هذا يكون البدء بالحج في هذه الأشهر، وهو قول جمع من الصحابة والتابعين[١]. وقال آخرون: من أهلّ بالحج في غير هذه الأشهر لم يجزئه ذلك عن حجه ويكون عمله هذا عمرة[٢]. أما الإمام أبو حنيفة[٣] ومالك[٤] فيريان جواز الإهلال بالحج خلال السنة دون تعيين بشهر معين.

(١) قاله من الصحابة ابن عباس رضي الله عنهما ومن التابعين عطاء ومجاهد وطاوس والأوزاعي، الجامع لأحكام القرآن ج٢ ص٤٠٦ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج٢ ص٤٠٦ .

(٣) البناية شرح الهداية ج٤ ص١٤١ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ج٢ ص٤٠٦ .

﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ﴾ المراد من أحرم وشرع في هذه الأشهر بأن نوى الحج فيها. ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ والمراد بالرفث الجماع، وما يتعلق به مما قد يكون وسيلة إليه. والفسوق يشمل كافة المعاصي كبيرها وصغيرها، ومن ذلك حلق الشعر، وتقليم الأظافر، والسباب، والأذى للغير. وقد عظم رسول الله ﷺ الفسوق وجعل اجتنابه من أسباب غفران الذنوب كما قال: (**من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه**)[1]. ﴿وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ المراد بهذا النهي عن اتباع ما كان يحدث في الجاهلية؛ فقد كانت قريش تقف في موقف غير مواقف القبائل الأخرى، وكان بعض هذه القبائل يقف في عرفة، وبعضها يقف في مزدلفة ثم يتجادلون حول أيهم المصيب فيما فعل فأنكر الله ذلك عليهم وقال ﴿وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ فمواضعه معلومة، ووقته معلوم وعليكم ألا تجادلوا في ذلك. وينبني على ذلك النهي عن أي جدال يؤثر على مسيرة الحج وقدسيته وسلامته.

﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ والمعنى أن كل خير تفعلونه معلوم عند الله، وشاهده قول جل ثناؤه ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور، برقم (١٥٢١)، صحيح البخاري مع فتح الباري، ج٣ ص٤٤٦ .

حَاضِرًا ﴾[١]. واقتران هذه الآية بالتي قبلها أمر باجتناب المعاصي في الحج والحث على العمل الصالح بما في ذلك وجوب التعامل بالأخلاق الحسنة، وترك المعاصي والجدال. ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ المراد به الاستعداد للحج بما يعين عليه من الزاد أي: الطعام والشراب حتى ينصرف الحاج إلى عبادة ربه غير سائل، ولا متكفف للناس. وقيل: إن هذا نهي لطوائف من أهل الآفاق كانوا يأتون للحج بغير زاد ولا نفقة فيسألونها غيرهم، وشاهد هذا قول الله جل ذكره ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[٢]. والسبيل هو الزاد والراحلة؛ فمن فقدهما فهو غير مستطيع ولم يكلفه الله بالحج إلا في حال الاستطاعة. ﴿فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ وفي هذا بيان أن التزود للحج بالزاد ينبغي أن يكون مصحوباً بالتزود من التقوى لأن ذلك هو الغاية من الحج. ﴿وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ وهذا أمر للعقلاء أن يتقوا الله في أقوالهم وأفعالهم، وقد خص أولي الألباب لأنهم الذين يدركون عاقبة التقوى.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ الجناح الإثم، والمراد أنه ليس عليكم أيها الحجاج إثم في تعاطي التجارة وقت الحج لأن الفضل هنا التجارة بدلالة قول الله ﴿فَإِذَا

---

(١) سورة الكهف من الآية ٤٩ .

(٢) سورة آل عمران من الآية ٩٧ .

قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾[١].
وقيل: في سبب نزول هذه الآية ما ذكره ابن عباس أن عكاظ ومجنة وذا المجاز كانت أسواقاً في الجاهلية فتأثموا أن يتجروا في موسم الحج فنزلت هذه الآية[٢] فدل هذا على جواز التجارة فيه على شرط ألا تصد عن الغرض الأساسي، وهو ذكر الله والتزود بالعمل الصالح. ﴿ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ﴾ الوقوف بعرفات هو الحج فمن أفاض منها قبل الزوال فلا حج له أما من وقف فيها بعد الزوال وأفاض قبل الليل فحجه صحيح، وخالف في ذلك الإمام مالك وقال: يجب أن يأخذ من الليل شيئاً ومن وقف بعرفات ليلاً فحجه صحيح لأن قوله ﴿ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ ﴾ لم يحدد بالنهار وشهد صحته أيضاً حديث عروة بن مضرس قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو في الموقف من جمع (مزدلفة) فقلت: يا رسول الله جئتك من جبل طيء أكللت مطيتي وأتعبت نفسي والله ما تركت من جبل إلا وقفت عليه فهل لي من حج يا رسول الله، فقال عليه الصلاة والسلام: (**من صلى معنا صلاة الغد بجمع ووقف معنا حتى نفيض وقد أفاض قبل ذلك من عرفات ليلاً أو نهاراً فقد تم حجه وقضى تفثه**)[٣].

---

(١) سورة الجمعة من الآية ١٠ .

(٢) أسباب نزول القرآن للواحدي ص١٧٥ .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند، ج٤ ص١٥، والبيهقي في السنن الكبرى ج٥ ص١١٦، والنسائي في سننه ج٥ ص٢٦٤ .

والإفاضة من عرفات يجب أن تكون بعد غروب الشمس لأن رسول الله ﷺ دفع منها بعد الغروب خلافاً لأهل الجاهلية الذين كانوا يدفعون منها قبل غروب الشمس.

وقد اختلف الفقهاء فيمن أفاض قبل غروب الشمس ولم يرجع إليها فماذا عليه مع صحة حجه فقيل: عليه دم فإن عاد إليها قبل غروب الشمس فلا شيء عليه، وهو قول الإمام الشافعي وأحمد[1]. ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ﴾ المراد هنا التلبية، والذكر والتبتل إلى الله. ﴿وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ﴾ المراد التأكيد على الذكر والدعاء عند المشعر الحرام لما في ذلك من الفضل بعد تتابع الوقوف بعرفة، وصلاة المغرب والعشاء في مزدلفة. ﴿وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ أي: اذكروه على ما أنعم عليكم فهداكم من الضلال بما أنزله عليكم من القرآن ومن رسالة الإسلام.

﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ﴾ المراد الأمر بالإفاضة من عرفات إلى مزدلفة، كما يفعل الناس وفي هذا نفي لما كانت قريش تفعله من عدم الوقوف بعرفات، وفي ذلك قالت عائشة: كانت قريش ومن كان على دينها يقفون بالمزدلفة وكانوا يسمون الحمس وكان سائر العرب يقفون بعرفات فلما جاء الإسلام أمر الله نبيه محمداً ﷺ أن يأتي عرفات ثم يقف فيها ثم يفيض منها فذلك قوله ﴿مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾.

---

(١) الحاوي الكبير ج٥ ص٢٣٤، المغني لابن قدامة ج٥ ص٢٧٥ .

﴿ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ ﴾ أمر من الله للحجاج أن يستغفروا من ذنوبهم في هذه الأيام التي يتجلى الله فيها فيقول الله للملائكة: (**انظروا إلى عبادي شعثاً غبراً اشهدوا أني قد غفرت لهم**)[١]. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ وصف عام له في أنه غفور رحيم بخلقه يحب أن يتوبوا إليه فيرحمهم.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم أن أشهر الحج هي شوال وذو القعدة والعشر الأول من ذي الحجة. ومن الأحكام: تحريم الرفث والفسوق والجدال في الحج. ومنها: الندب إلى فعل الخير في الحج كالصدقة وكف الأذى وإرشاد المسترشد وتذكير الناسي والطمأنينة في أداء الشعائر ونحو ذلك من أفعال الخير التي تزيد من أجر الحاج في حجته. ومن الأحكام: وجوب الاستعداد للحج بما يلزم الحاج من مؤنة كالطعام ونحوه فليس من واجب المسلم أن يحج وهو غير قادر على نفقة حجه لأن الله لم يفرضه إلا على المستطيع لقوله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗا ﴾[٢]. ومن الأحكام: جواز التجارة في موسم الحج على ألا يكون ذلك سبباً في الصد عن ذكر الله وعن الهدف من أداء ركن الحج فرضاً أو نفلاً. ومن الأحكام: أن الوقوف بعرفة يشمل كل مواقعها باستثناء بطن عرنة لقول رسول الله ﷺ: (**عرفة كلها**

---

(١) الترغيب والترهيب ج٢ ص٢٠٥، وأخرجه الإمام أحمد في المسند ج٢ ص٢٢٤ .

(٢) سورة آل عمران من الآية ٩٧ .

موقف وارتفعوا عن بطن عرنة)[١]. ومنها: أن يكون الدفع من عرفة إلى مزدلفة بعد غروب الشمس خلافاً لأهل الجاهلية فمن دفع قبل ذلك فعليه دم. ومنها: ذكر الله عند المشعر الحرام وذلك بالتلبية والدعاء.

ومن الأحكام: تحرير معنى الإفاضة فقيل: إن المراد بالإفاضة من عرفات مخالفة لما كانت تفعله قريش. وقيل: المراد الإفاضة من مزدلفة إلى منى لأن الله ذكر هذه الإفاضة بعد ذكر الوقوف بالمشعر الحرام. وقد ذكر الإمام ابن العربي أن المعنى ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِ﴾ يا معشر من حل بالمشعر الحرام أفيضوا من حيث أفاض الناس، وأخر الله تعالى الخطاب إلى المشعر ليعم من وقف بعرفة ومن لم يقف حتى يمتثله مع من وقف».

﴿فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ ٢٠٠ وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٢٠١ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٢٠٢ ۞ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي

---

(١) أخرجه ابن ماجة في كتاب المناسك، باب الموقف بعرفات، برقم (٣٠١٢)، ج٢ ص١٠٠٢، والبيهقي في كتاب الحج، باب حيث ما وقف من عرفة اجزأ، ج٥ ص١١٥، واللفظ للبيهقي.

يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾.

بيان الآيات:

﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَـٰسِكَكُمْ﴾ هذا أمر من الله بذكره بعد قضاء مناسك الحج على ما يسره للناس من أداء هذا الركن وهم آمنون ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ وفيه نهي لهم عن ذكر خصوصياتهم وأمورهم الدنيوية وتركهم ذكر الله؛ ذلك أن أفراداً من قبائل العرب كانوا يذكرون مفاخر آبائهم بعد أداء نسكهم؛ فهذا يذكر كرم أبيه، وذاك يفاخر بشجاعته، وذاك يفاخر بكثرة ماله فأنزل الله هذه الآية(١) تبين أن المُهِمَّ ذكر الله، وليس ذكر آبائهم. ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ﴾ هذا وصف لما كانت العرب تفعله في الجاهلية فقد كانوا لا يسألون الله مرضاته وعفوه ورحمته بل كانوا يطلبون منه أن يكثر أموالهم من الإبل، والغنم، والأموال والنصر على أعدائهم من القبائل الأخرى. ﴿وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ﴾ أي: ما له من حظ ولا نصيب في الآخرة.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص١٧٦، وزاد المسير في علم التفسير ص١١٨ .

﴿حَسَنَةً﴾ في هذا نقيض لأولئك الموصوفين في الآية السابقة فالمؤمنون يطلبون من الله أن يهبهم نعيم الدنيا والآخرة. فنعيم الدنيا العبادة، والصحة، والمال الحلال، والذرية الصالحة وغير ذلك مما يتنعم به الإنسان في دنياه. أما نعيم الآخرة فهو الجنة، وما أعده الله للمتقين فيها. ﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ دعاء من العبد يتجه به إلى ربه أن يجنبه عذاب النار. وهذا الدعاء من جوامع الكلم ولا يكون إلا بتوفيق الله له بفعل طاعته واجتناب محارمه. وفي ذلك روى أنس رضي الله عنه قال: كان أكثر دعاء النبي ﷺ: **(ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار)**(١).

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ المراد بذلك أولئك المؤمنون الذين يدعون الله أن يهبهم الحسنة في الدنيا وفي الآخرة، وكل من عمل عملاً صالحاً يرجو ثوابه؛ فمن حج فرضاً فقد أدى ركناً من أركان الإسلام يجزى عليه وله نصيب مما كسبه وهو الحج ابتغاء مرضاة الله. ومن حج نفلاً فله كذلك نصيبه من الأجر. ومن تصدق بصدقة يرجو ثوابها فله نصيب من الأجر، وقد روى سعيد ابن جبير أن رجلاً جاء إلى ابن عباس فقال: إني أجرت نفسي من قوم على أن

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب قول النبي ﷺ «ربنا آتنا في الدنيا حسنة»، برقم (٦٣٨٩)، صحيح البخاري مع فتح الباري، ج١١ ص١٩٥ .

يحملوني ووضعت لهم من أجرتي على أن يَدَعوني أحج معهم أفيجزئ ذلك ؟ فقال: أنت من الذين قال الله فيهم[1] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ أي: أنه سريع في مجازاة عباده بما يعملون من حسنات أو سيئات.

﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍۚ﴾ الأيام المعدودات هي أيام التشريق أي: ثلاثة أيام بعد العيد، وهي: الأيام التي يرمي فيها الحجاج الجمرات الثلاث ويذبحون فيها هديهم، وقد خصها الله بالذكر وهي أيام أكل وشرب لقول رسول الله ﷺ: **(أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر الله)**[2]. ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ﴾ والمراد من تعجل في يومين من أيام منى الثلاثة فنفر من منى في اليوم الثاني بعد رمي الجمرات الثلاث فلا إثم عليه إن كان قد اتقى الله في حجه بأن عمل بأحكامه فلم يرفث ولم يفسق، ولم يجادل. ومن تأخر إلى اليوم الثالث أي: بعد أن رمى الجمرات الثلاث فلا إثم عليه إن كان قد اتقى الله بفعل ما أمره به، واجتناب ما نهاه عنه. ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ وهذا أمر بالتقوى وإن كان الأمر

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ج١ ص٢٣٢ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الصيام، باب تحريم صوم أيام التشريق، برقم (١١٤١)، صحيح مسلم بشرح الأبي والسنوسي ج٤ ص٨٠ .

بها أمراً عاماً إلا أنه في هذه المناسبة أمر خاص بها؛ بمعنى أن عليكم أيها الحجاج التزام تقوى الله في حجكم بأن تأتمروا بما أمركم به من التزود بالتقوى، وتنتهوا عما نهاكم عنه من الجماع، والفسوق، والجدال، وسائر أنواع المعاصي، واعلموا أنكم سوف تحشرون إلى الله فيجازيكم بما عملتم.

أحكام ومسائل الآيات:

وجوب ذكر الله مع كل حصاة عند رمي الجمرات ومخالفة أهل الجاهلية الذين يذكرون في هذه المشاعر خصوصياتهم الدنيوية وينسون ذكر الله. ومن الأحكام: وجوب مبيت الحاج أيام التشريق لرمي الجمرات وما يصاحبها من ذكر الله وتكبيره. ومنها: تخيير الحاج في أن يتعجل في يومين أو يتأخر فهذا جائز وذاك جائز ولا إثم فيه. ومنها: الأمر بتقوى الله واستشعار عظمته وتذكر يوم القيامة ومافيه من الحساب والجزاء.

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ ﴾.

بيان الآيات:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ هذا الوصف من صفات المنافقين لما يتصف به سلوكهم من التظاهر بالصدق مع أنهم يبطنون خلافه. وقد شدد الله في عقابهم فجعلهم في الدرك الأسفل من النار - كما سيأتي تفسيره - لأنهم أخطر ممن يجاهر بفعله، وفي قول أكثر المفسرين: أن هذه الآية نزلت في الأخنس بن شريق الثقفي قدم على رسول الله ﷺ وادعى الإسلام وقال إنه صادق في ادعائه ثم هرب بعد ذلك فمر بزرع لقوم من المسلمين فأحرق زرعهم، وعقر حُمُرَهم فنزلت فيه هذه الآية[١] كما نزل فيه قول الله ﴿وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ﴾[٢]. ﴿هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ﴾[٣]. وقيل: إن الآية نزلت في قوم من المنافقين استهزؤوا بالمسلمين الذين قتلوا في غزوة الرجيع ومنهم خبيب بن عدي وعاصم بن ثابت وقالوا: ويح هؤلاء القوم لا هم قعدوا في بيتهم ولا هم أدوا رسالة صاحبهم يقصدون رسول الله ﷺ[٤].

﴿يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ قيل: إن الأخنس كان حلو القول جميل المظهر. ﴿وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ﴾ أي: بادعائه

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص١٧٧ .

(٢) سورة القلم الآية ١٠ .

(٣) سورة القلم الآية ١١ .

(٤) زاد المسير لابن الجوزي ص١٢٠، وتفسير البغوي ص١١٤ .

وتظاهره بالإسلام. ﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾ أي: فيما يظهره من حسن القول مع كذبه ولدده، وفي ذلك قال رسول الله ﷺ: (**أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم**)[1].

﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا﴾ في هذا تفصيل لما كان يفعله المنافق الأخنس بن شريق، والمراد أنه فعل ما فعل بعدما خرج من رسول الله مدعياً الإسلام ﴿وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ﴾ والمراد أنه أهلك زرع أناس من المسلمين وعقر حمرهم - كما ذكر - فأخاف السبيل وقطع الطريق فصار عمله هذا فساداً في الأرض ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ أي: يكره ويبغض من كان هذا سلوكه وفعله.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ﴾ ما زال السياق في قصة هذا المنافق إذا قيل له: اتق الله بترك النفاق والكف عن الفساد وإيذاء المسلمين استكبر ونزعت به العصبية شر منزع فلم يسمع ماقيل له، ولم يكف عما يفعله فجزاؤه حينئذٍ جهنم وبئس المآل كما قال تعالى ﴿فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾.

أحكام ومسائل الآيات:

من الواجب على المسلم ألا يقبل الأمور في ظواهرها بل يجب عليه

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب (وهو ألدّ الخصام)، برقم (٤٥٢٣)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٣٦ .

تدقيقها وتمحيصها قبل قبولها. وقد يكون هذا أدعى في هذا الزمان الذي كثرت فيه المؤامرات والحجج الفاسدة والتأويلات الباطلة التي مازالت تتوالى على المسلمين لإفساد عقيدتهم. ومن الأحكام: أن هذه الآيات وإن كانت نزلت في الأخنس بن شريق فهي عامة الحكم في كل منافق وطاغية في أي: زمان أو مكان، فهذا النوع من البشر الذي استعمر البلاد المستضعفة ولا زال يستعمرها يستمرئ الطغيان والعدوان فيتعدى على الآمنين فيستبيح دماءهم، وينتهك أعراضهم، ويسلب أموالهم. وإذا قيل له: إنك بفعلك هذا على خطأ استكبر واستبد به الطغيان وسوء السلوك فيستمر في طغيانه وعدوانه.

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ ﴾.

بيان الآية:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ ﴾

قيل: في سبب نزول هذه الآية أن صهيب بن سنان الرومي[١] لما

---

(١) هو: صهيب بن سنان بن مالك بن عبد عمرو بن عقيل النّمر بن قاسط الربعي النَّمري وأمه سلمى بنت قعيد بن مهيص بن خزاعي وإنما قيل له: الرومي، لأن الروم سبوه صغيراً وكان أبوه وعمه عاملين لكسرى على الأبلة، فأغارت الروم عليهم فأخذت صهيباً وهو صغير فنشأ بالروم، فابتاعه منهم كعب ثم قدموا به مكة فاشتراه عبد الله بن جدعان التميمي منهم، فأعتقه، فأقام معه حتى هلك عبد الله بن جدعان ولما بعث رسول الله ﷺ أسلم وكان من السابقين إلى الإسلام، قال الواقدي: «أسلم صهيب وعمار في يوم واحد وكان إسلامهما بعد بضعة وثلاثين رجلاً، وكان من المستضعفين بمكة الذين عذبوا ولما هاجر إلى المدينة تبعه=

أسلم في مكة، وأراد الهجرة إلى المدينة ليلحق برسول الله ﷺ منعه المشركون من الهجرة إلا إن أراد أن يترك ماله فله الهجرة، فقبل ذلك وترك ماله فأنزل الله فيه هذه الآية[١]. وقيل: إن أبا بكر وعمر بن الخطاب وجمعاً من المهاجرين استقبلوه عند مدخل المدينة فقالوا: ربح البيع يا أبا يحيى فقال: وأنتم لا أخسر الله تجارتكم[٢]. وقيل: إنها نزلت في المهاجرين، وقيل: إنها عامة فيمن يبيع نفسه مجاهداً في سبيل الله[٣]. ونظير هذا قول الله جل ثناؤه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[٤]. وعلى هذا فيدخل في حكم الآية كل مجاهد إشترى نفسه (أي باعها) يبتغي بذلك

=نفر من المشركين فنثل كنانته وقال لهم يامعشر قريش تعلمون أني من أرماكم والله لا تصلون إليّ حتى أرميكم بكل سهم معي ثم أضربكم بسيفي ما بقي في يدي منه شيء، فإن كنتم تريدون مالي دللتكم عليه، قالوا فدلنا على مالك ونخلي عنك ...»، انظر: أسد الغابة ج٢ ص٤٦١-٤٦٣.

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص١٧٨، وتفسير البغوي ص١١٥ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ج١ ص٢٣٤، قال السيوطي: أخرجه ابن مردويه وابن سعد، الدر المنثور ج١ ص٤٣٠، وأسباب نزول القرآن للواحدي ص١٧٨، وتفسير البغوي ص١١٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم ص٢٣٥ .

(٤) سورة التوبة الآية ١١١ .

مرضاة الله وعزة دينه ورفع رايته كما فعل ذلك هشام بن عامر[1]. حين اخترق الصفوف وهو يجود بنفسه. ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ أي: أنه يرأف ويرحم من جاد بنفسه فيجازيه بما يستحقه من حسن الجزاء والنعيم المقيم.

أحكام ومسائل الآية:

تقرير فضل الجهاد في سبيل الله، ومن ذلك بذل المال للمجاهدين، وبذل النفس للدفاع عن دين الله. ويشمل ذلك من أمر بالمعروف، ونهى عن المنكر وفي هذا قال علي: اقتتل الرجلان أي: قال المغير للمفسد: اتق الله فأبى المفسد وأخذته العزة بالإثم فشرى المغير نفسه من الله وقاتله فاقتتلا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٢١٠﴾﴾.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ج١ ص٢٣٥، وهشام بن عامر بن أمية بن زيد بن الحسحاس كان اسمه في الجاهلية شهاباً فغيّره النبي ﷺ وسماه هشاماً، واستشهد أبوه عامر يوم أحد وسكن هشام البصرة وهو والد سعد بن هشام الذي سأل عائشة عن وتر رسول الله ﷺ وتوفي هشام بالبصرة. أسد الغابة في معرفة الصحابة ج٤ ص٢٨٥ .

بيان الآيات:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ﴾ قيل: إن هذه الآية نزلت في أناس من مؤمني أهل الكتاب كانوا يريدون ممارسة ما ورد في التوراة فناداهم الله نداء أمر أن يتمسكوا بدين الإسلام لأنه نسخ جميع الأديان فوجب التمسك به[1]. ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾ أي: اجتنبوا ما يزينه لكم الشيطان من المحرمات. ﴿إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ أي: واضح العداوة لكم لأنه يريد أن تضلوا وتزيغ قلوبكم عن أمر ربكم.

﴿فَإِن زَلَلۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ﴾ وهذا خطاب للمؤمنين ونداء لهم يتبع ما قبله، والمعنى أنكم إن حدتم وعدلتم عما جاءكم من البينات وهي القرآن وما جاءكم به رسولكم من الأحكام. ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ أي: ينتقم ممن عصاه ولكنه حكيم فيما يفعل.

﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ﴾ في هذا تحذير ووعيد للذين لم يدخلوا في السلم أي: في الإسلام، ويؤمنوا برسالة محمد ﷺ فهل ينظرون يوم القيامة ما يكون لهم حين تنتهي الأعمال في الدنيا ويحاسب الناس عليها في ذلك اليوم الذي تنزل فيه الملائكة وينزل فيه

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٢٧٩ .

الله في ظلل من الغمام للفصل بين الخلق، ومجازاة كل عامل بعمله. وحينئذٍ يكون الأمر قد قضي، وحصل الجزاء وفاز أهل الطاعة بالجنة، وصار العذاب من نصيب الكافرين.

أحكام ومسائل الآيات:

وجوب الدخول في الإسلام بوصفه خاتم الأديان، فمن لم يؤمن به فلا دين له ومن دخل فيه فليس له أن يضيف إليه ما ليس منه من كتاب سابق. ومن الأحكام: التحذير من خطوات الشيطان ومسالكه لثبوت عداوته للإنسان. ومنها: التحذير من الاستمرار في المعصية بعد مجيء الدليل وهو كتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ فمن استمر على المعصية وجب ألا يأمن العقوبة. وفيها: تقرير أن الله عز وجل يأتي في ظلل من الغمام يوم القيامة للفصل بين العباد.

﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍۗ﴾ يأمر الله جل ذكره

نبيه ورسوله محمداً ﷺ أن يسأل على وجه التوبيخ والتأنيب بني إسرائيل حين يجادلونه كم آتاهم الله من بينة جاء بها موسى ومنها: الظلل التي أظلهم الله بها في وقت التيه، ومنها: فلق البحر لهم، والعصا التي أبطلت سحرة فرعون وهم مع ذلك يكذبون رسل الله وأنت منهم يا محمد. ﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ﴾ المراد به بنو إسرائيل لجحودهم رسالة رسول الله، وتكذيبهم له رغم علمهم بهذه النبوة المنصوص عليها في التوراة. ومع خصوص اللفظ بهم فهو عام في كل جاحد ومكذب لما جاء به رسول الله. ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ أي: أنه سوف يحاسب من يفعل الجحود والتكذيب بالعقاب الشديد.

﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ اللفظ عام لكل كافر يعرض عن الله، وعن تصديق رسوله، ويسخر من المؤمنين، أو يستهزئ بهم فيزين الله له الحياة الدنيا استدراجاً له بعد توليه وعصيانه، كما قال عز وجل ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾(١). ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ هذا ابتداء جملة أي: أن الذين آمنوا واتقوا وكانوا محل السخرية من الكافرين في الدنيا سيكونون هم فوق الكفّار يوم القيامة وذلك لمنزلة المتقين في الجنة ومنزلة الكافرين في العذاب. ﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ وفي

(١) سورة الأعراف من الآية ١٨٢ .

هذا إشارة إلى المتقين المستضعفين الذين كانوا محل سخرية الكافرين. والرزق هنا منزلتهم الفوقية منة من الله عليهم يوم القيامة.

أحكام ومسائل الآيتين:

الحكم بأن من بدل نعم الله فقد استحق عقابه وتبديل النعم يكون بالكفر بها أو الاستهانة بها. وأول نعم الله على عبده دينه الذي ارتضاه له وأمره باتباعه فمن كفر به فقد بدل نعم الله عليه. ومن المسائل: أن الكفار يغترون بزينة الحياة الدنيا ومفاتنها فيتنعمون فيها وينسون ما أمرهم الله به ويسخرون من الذين يؤمنون بآيات الله. ومنها: أن المتقين سوف يسخرون من الكافرين في الآخرة كما سخروا منهم في الدنيا.

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾.

بيان الآية:

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾

هذا بيان من الله جل ثناؤه أن الناس من عهد آدم إلى عهد نوح أمة قائمة

على توحيد الله، وعدم الإشراك به ثم فشت فيهم المعاصي، وكان أولهم قوم نوح الذين قالوا له ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1]. فأرسل الله الأنبياء والرسل إلى هذه الأمة التي تفرقت فكانوا يبشرون من أطاع الله بأن له الثواب والنعيم المقيم، وينذرون من عصاه بأن له العذاب. ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ﴾ والمراد بالكتاب التوراة ومن هذا الاختلاف: اختلافهم في قبلتهم، وفي صيامهم، وفي صلاتهم، وفي سائر عباداتهم. وقد يراد به أي كتاب أنزله الله على بعض رسله. وكان الهدف من هذا الكتاب بيان الحق من الباطل. ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ قيل: إن المراد بهذا اليهود فقد اختلفوا عمداً رغم أن البينات قد جاءتهم واضحة لهم في التوراة، وهذا إنما كان بغياً بينهم أي: قصداً للاختلاف، وليس جهلاً منهم في معرفة ما جاءهم من البينات.

﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ المراد أن الذين اختلفوا فيه من الحق قد هدى الله إليه أمة محمد ﷺ فوحدوا الله، وأخلصوا له العبادة وعملوا بما جاءهم به رسولهم من البينات والأحكام؛ فلم يختلفوا ولم يتفرقوا في عباداتهم بل قاموا بها كما أمرهم بها رسولهم؛ ومن ذلك إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وجميع

---

(١) سورة الأعراف من الآية ٦٠.

أركان الإسلام وجعلوا يومهم يوم الجمعة بعد أن كان لليهود فجعلوه يوم السبت وفي هذا قال رسول الله ﷺ: (**نحن الآخرون السابقون يوم القيامة أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم فهذا اليوم الذي اختلفوا فيه فهدانا الله فغداً لليهود وبعد غدٍ للنصارى**)[١]. ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ أي: أن هداية الله لأمة محمد كانت بإذنه، وتوفيقه لهم. ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي: أن الله بحكمته وإرادته ومنته يهدي للحق والصواب من يشاء من عباده.

أحكام ومسائل الآية:

تقرير أن الناس كانوا أمة واحدة مؤمنة بالله غير مشركة به ثم تفرقت إلى أمم شتى ففشا فيهم الشرك وكان أولهم في ذلك قوم نوح، وأن النبيين كانوا يبشرون من أطاع الله وينذرون من عصاه. وفيها: أن الله أنزل التوراة لتبين للناس أحكام الله في زمن نزولها فاختلف فيها اليهود ومن ذلك اختلافهم في قبلتهم وفي صلاتهم، وقد هدى الله أمة محمد لما اختلف فيه اليهود فوحدوا الله وعملوا بما جاءهم به رسولهم محمد ﷺ.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجمعة، باب هل على من لم يشهد الجمعة غسل، صحيح البخاري مع فتح الباري، ج٢ ص ٤٤٤ .

بيان الآية:

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ ﴾ قيل: إن هذه الآية نزلت حين غزوة الخندق -الأحزاب- حيث أصاب المسلمين ما أصابهم من الجهد والنصب، وشدة الحر والبرد، وقسوة العيش واجتماع عدد من الأحزاب من قريش وغطفان وبني قريظة فظن المسلمون بالنصر كما ظنوا بالهزيمة فقال المنافقون: ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً؛ وما كان هذا الضيق ليحدث للمسلمين إلا ليرى الله ما هم عليه من الثبات، ثم أرسل ريح الصبا وملائكة يقاتلون معهم حتى انهزم الأحزاب[١] وشاهده قول الله جل ثناؤه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾[٢]. ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴾[٣]. ﴿ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾[٤]. والريح هي ريح الصبا التي قال فيها رسول الله ﷺ: (**نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور**)[٥].

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص١٨٠، وتفسير البغوي ص١١٩، وزاد المسير لابن الجوزي ص١٢٥.

(٢) سورة الأحزاب الآية ٩.

(٣) سورة الأحزاب الآية ١٠.

(٤) سورة الأحزاب الآية ١١.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الاستسقاء، باب قول النبي ﷺ «**نصرت بالصبا**» برقم (١٠٣٥)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٢ ص٦٤.

﴿وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ﴾ أي: من الذين ابتلوا بالأسقام والأمراض والشدائد. ﴿وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ﴾ المراد أن المسلمين لما أصابتهم الضائقة، وتكالبت قوة الأحزاب عليهم تساءلوا في أنفسهم متى نصر الله فقال جل ذكره ﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ وهذا جواب على تساؤلهم بعد أن عرف صبرهم وثباتهم خلافاً لمن كان معهم من المنافقين الذين كشف سرائرهم.

أحكام ومسائل الآية:

من الأحكام في هذه الآية: أن الأمة تتعرض للشدائد والهزائم، ومن حكمة الله أن يبتليها بذلك ليعرف مدى ثباتها على دينها وقدرتها على الجهاد والفداء في سبيله؛ فإن صبرت ورابطت واتقت الله نصرها كما قال جل ثناؤه ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾[1]. وإن أساءت الظن به ونكصت على عقبيها واعتمدت على غيرها من الأحلاف من غير دينها خسرت دينها ودنياها. ومن هذه الأحكام: تحريم سوء الظن بالله، واستبطاء نصره.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾﴾.

---

(١) سورة الحج من الآية ٤٠ .

بيان الآية:

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ﴾ قيل: إنها نزلت في عمرو بن الجموح الأنصاري وكان شيخاً له مال كثير فسأل رسول الله ﷺ عما يتصدق به، وقيل: إن الذين سألوا هم المؤمنون[١]. وقيل: إن هذه الآية كانت قبل نزول آية الزكاة فأصبحت منسوخة[٢]، والأولى أنها حكم باق يبين ماذا يجب على الغني من واجب تجاه أقاربه. ﴿قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ وقد سبق الحديث عن هذه الأصناف وتعريفها. ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ والمعنى أن كل ما يفعله المسلم من بر لوالديه، وأقاربه وكل مستحق من المحتاجين، والمساكين، وعابري السبيل يعلمه الله ويجازي عليه. ويشمل ذلك كل صدقة يقدمها المسلم لوجه الله كبناء المساجد، والمستشفيات وتسبيل المياه، وبذل المال للجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمته هو مما يجازي الله عليه ويضاعف فيه الحسنات كما قال جل ثناؤه ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَـٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[٣].

---

(١) أسباب النزول للواحدي ص١٨٠-١٨١، والدر المنثور للسيوطي ج١ ص٤٣٧ .

(٢) زاد المسير في علم التفسير ص١٢٦، وتفسير البغوي ص١١٩ .

(٣) سورة البقرة الآية ٢٦١ .

أحكام ومسائل الآية:

من الأحكام في هذه الآية: بيان مصارف صدقة التطوع، وهي غير الصدقة بمعنى الزكاة التي بيَّن الله مصارفها الثمانية في سورة التوبة. وأفضل ما تدفع فيه صدقة التطوع البدء بالأقربين لقول رسول الله ﷺ: (**يا معشر النساء تصدقن ولو من حليكن**) فأتت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقال: اتجزئ الصدقة مني على زوجي وأيتام في حجري؟ فقال لها عليه الصلاة والسلام: (**لك أجران أجر الصدقة وأجر القرابة**)[١].

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾.

بيان الآية:

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ﴾ أي: فرض ولزم، والمراد به القتال من أجل الجهاد لإعلاء كلمة الله وهذه الآية جاءت في سياق الآية التي قبلها وهي قوله ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾، ومدار الآيتين على الحث على الجهاد ولم يفرض القتال على رسول الله إلا لما هاجر إلى المدينة، وقويت شوكة المسلمين فحينئذٍ أذن له في قتال من يعاديه من

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب الزكاة على الزوج والأيتام في الحجر، برقم (١٤٦٦)، صحيح البخاري مع فتح الباري، ج٣ ص٣٨٤ مفصلاً.

المشركين وشاهده قول الله جل ثناؤه ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾[1]. ثم أذن له بعد ذلك في قتال المشركين حتى تكون كلمة الله هي العليا. ﴿وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ والمراد أن القتال مما تنفر منه الطباع لما يؤدي إليه من احتمال الموت الذي تفر منه النفوس. ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أي: أنكم تكرهون القتال وقد يكون فيه فوائد عظيمة لكم حيث تنتصرون على عدوكم فتفوزون بأجر الدنيا، وهي الغنائم وتفوزون كذلك بأجر الآخرة وهو الأهم. ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ أي: أنكم قد تحبون القعود عن الجهاد لما فيه من الراحة وحب الحياة ولكن هذا شر لكم لما سيحدث لكم من الهزيمة والذل، وتسلط الأعداء عليكم.

قلت: وهذا هو ما حدث في التاريخ للذين فضلوا ملذات الحياة على الجهاد فصاروا طُعْماً للمعتدين فاحتلت أرضهم، وتشردوا في الآفاق وأصبحوا من الخاسرين في الدنيا بما أصابهم من الحزن والهوان؛ والخاسرين في الآخرة لمخالفتهم أمر الله وأمر رسوله لهم بالجهاد كما قال عليه الصلاة والسلام: (**من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من النفاق**)[2].

---

(١) سورة الحج الآية ٣٩.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب ذم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو، برقم (١٩١٠)، صحيح مسلم بشرح الأبي والسنوسي ج٦ ص٦٦٢.

﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ أي: أنه أعلم بمصلحة خلقه، وما ينفعهم في دينهم ودنياهم فإذا أمرهم بالجهاد أو بأي أمر فلا ريب أن ذلك خير لهم.

أحكام ومسائل الآية:

من الأحكام في هذه الآية: أن الله فرض على هذه الأمة الجهاد في سبيله لإظهار دينه وإعلاء كلمته. ويشمل ذلك قتال الأعداء وهو فرض كفاية عليها إذا قام به بعضها سقط عن الباقين ولكنه فرض عين إذا دخل العدو بلاد المسلمين.

﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ مِنۡهُ أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢١٧ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢١٨﴾.

بيان الآيتين:

﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِ﴾ الخطاب في هذه الآية

موجه لرسول الله ﷺ وقد نزلت الآية في قصة عبد الله بن جحش ومقتل عمرو بن الحضرمي في شهر رجب، وفي ذلك روى عبدالملك بن هشام عن زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق بن يسار المدني في كتاب السيرة أنه قال:

بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن جحش بن رئاب الأسدي في رجب مَقْفَلَه من بدر الأولى وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد وكتب له كتاباً وأمره ألا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه فيمضي لما أمره به ولا يستكره من أصحابه أحداً وكان أصحاب عبد الله بن جحش وهو أمير القوم عكاشة بن محصن أحد بني أسد بن خزيمة حليف لهم، ومن بني نوفل بن عبد مناف: عتبة بن غزوان بن جابر حليف لهم، ومن بني زهرة بن كلاب: سعد بن أبي وقاص، ومن بني عدي بن كعب: عامر بن ربيعة حليف لهم من عنز بن وائل، وواقد بن عبدالله بن عبد مناف بن عرين بن ثعلبة بن يربوع أحد بني تميم حليف لهم، وخالد بن البكير أحد بني سعد بن ليث حليف لهم، ومن بني الحارث بن فهر: سهيل بن بيضاء.

فلما سار عبد الله بن جحش يومين فتح الكتاب فنظر فيه فإذا فيه: (**إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف ترصَّدْ بها قريشاً وتعلَّمْ لنا من أخبارهم**) فلما نظر عبد الله بن جحش

الكتاب قال: سمعاً وطاعة، ثم قال لأصحابه: قد أمرني رسول الله ﷺ أن أمضي إلى نخلة أرصد بها قريشاً حتى آتيه منهم بخبر وقد نهاني أن أستكره أحداً منكم فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق ومن كره ذلك فليرجع فأما أنا فماض لأمر رسول الله ﷺ فمضى ومضى معه أصحابه ولم يتخلف عنه منهم أحد. فسلك على الحجاز حتى إذا كان بمعدن فوق الفرع يقال له بحران أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيراً لهما كانا يعتقبانه فتخلفا عليه في طلبه ومضى عبد الله بن جحش وبقية أصحابه حتى نزل بنخلة فمرت به عير لقريش تحمل زبيباً وأدماً وتجارة من تجارة قريش فيها: عمرو بن الحضرمي واسمه عبد الله بن عباد أحد الصَّدِف وعثمان بن عبدالله بن المغيرة وأخوه نوفل بن عبد الله المخزوميان والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة فلما رآهم القوم هابوهم وقد نزلوا قريباً منهم فأشرف لهم عكاشة بن محصن وكان قد حلق رأسه فلما رأوه أمنوا وقالوا عُمَّارٌ لا بأس عليكم منهم وتشاور القوم فيهم وذلك في آخر يوم من رجب فقال القوم: والله لئن تركتم القوم هذه الليلة ليدخلن الحرم فليمتنعن منكم به ولئن قتلتموهم لتقتلنهم في الشهر الحرام فتردد القوم وهابوا الإقدام عليهم ثم شجعوا أنفسهم عليهم وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم وأخذ ما معهم فرمى

واقد بن عبد الله التميمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله واستأسر عثمانَ بن عبد الله والحكمَ بن كيسان وأفلت القومَ نوفلُ بن عبد الله فأعجزهم وأقبل عبد الله بن جحش وأصحابه بالعير والأسيرين حتى قدموا على رسول الله ﷺ المدينة.

قال ابن إسحاق: وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جحش أن عبدالله قال لأصحابه: إن لرسول الله ﷺ مما غنمنا الخمس وذلك قبل أن يفرض الله الخمس من المغانم فعزل لرسول الله ﷺ خمس العير وقسم سائرها بين أصحابه. قال ابن إسحاق: فلما قدموا على رسول الله ﷺ قال: (**ما أمرتكم بقتالٍ في الشهر الحرام**). فوقف العير والأسيران وأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً فلما قال ذلك رسول الله ﷺ أسقط في أيدي القوم وظنوا أنهم قد هلكوا وعنفهم إخوانهم من المسلمين فيما صنعوا وقالت قريش قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام وسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه الأموال وأسروا فيه الرجال فقال من يرد عليهم من المسلمين ممن كان بمكة أن ما أصابوا أصابوا في شهر شعبان وقالت اليهود تَفاءَلُ بذلك على رسول الله ﷺ: عمرو بن الحضرمي قتله واقد بن عبد الله: عمرو عمرت الحرب، والحضرمي حضرت الحرب، وواقد بن عبدالله وقدت الحرب فجعل الله ذلك عليهم لا لهم[1].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ج١ ص٢٤٠-٢٤١، والدر المنثور ج١ ص٤٤٨، أسباب نزول القرآن للواحدي ص١٨١-١٨٢، والسيرة النبوية لابن هشام ج٢ ص٢٨٨-٢٩١ .

فلما أكثر الناس في ذلك أنزل الله على رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾.

﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ أي: قل لهم يا محمد إن القتال في الشهر الحرام كبير أي: غير مقبول ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي قل لهم يا محمد: إن صدكم المسلمين عن سبيل الله مع كفركم بالله والمسجد الحرام بإخراج أهله منه أكبر إثماً وجرماً عند الله من القتال في الشهر الحرام. قال ابن إسحاق: فلما نزل القرآن بهذا الأمر وفرج الله عن المسلمين ما كانوا فيه من الضيق قبض رسول الله ﷺ العير والأسيرين، وبعثت إليه قريش في فداء عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان فقال رسول الله ﷺ: (**لا نفديكموهما حتى يقدم صاحبانا -يعني سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان- فإنا نخشاكم عليهما فإن تقتلوهما نقتل صاحبيكم**)، فقدم سعد وعتبة ففداهما رسول الله ﷺ منهم فأما الحكم بن كيسان فأسلم وحسن إسلامه وأقام عند رسول الله ﷺ حتى قتل يوم بئر معونة شهيداً، وأما عثمان بن عبد الله فلحق بمكة فمات بها كافراً وأما نوفل فضرب بطن فرسه ليدخل الخندق على المسلمين فوقع في الخندق مع فرسه فتحطما جميعاً فقتله الله وطلب المشركون جيفته بالثمن فقال رسول الله

ﷺ: (خذوه فإنه خبيث الجيفة خبيث الدية)[١].

﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ الفتنة هي الكفر والمراد أن الكفر بالله أكبر من قتل ابن الحضرمي ومن معه. ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ وهذا بيان من الله أن كفار قريش سوف يقاتلونكم يا محمد لكي ترتدوا عن دينكم ولن يألوا في ذلك جهداً. ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ هذا تهديد ووعيد من الله بأن من يرتد عن الإسلام ويرجع إلى الكفر فسوف يبطل الله عمله الذي عمله في الدنيا والآخرة وسيكون بسبب ردته من أصحاب النار المخلدين فيها.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ذكر ابن إسحاق في السيرة: أنه لما تجلى عن عبد الله بن جحش وأصحابه ما كانوا فيه حين نزل القرآن طمعوا في الأجر فقالوا: يا رسول الله أنطمع أن تكون لنا غزوة نعطى فيها أجر المجاهدين فأنزل الله هذه الآية[٢]،

---

(١) تفسير القرآن العظيم ج١ ص٢٤١، والجامع لأحكام القرآن ج٣ ص٤٢، والحديث أخرجه أحمد في المسند ج١ ص٢٤٨، وكنز العمال برقم (٣٠١٠٢)، ج١٠ ص٤٥٥، والسيرة النبوية لابن هشام ج٢ ص٢٩٢ .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ج٢ ص٢٩٢، وأسباب نزول القرآن للواحدي ص١٨٢-١٨٣.

والمراد أن الله كتب لعبد الله بن جحش وصحبه أجر من آمن، وهاجر، وجاهد في سبيل الله رجاء رحمته.

أحكام ومسائل الآيتين:

من الأحكام: أن القتال نسخ في الأشهر الحرم؛ ذلك أن رسول الله ﷺ غزا ثقيفاً وأغزى أبا عامر إلى أوطاس في الشهر الحرام[١]. ومنها: الإخبار عن أهداف الكافرين بأنهم يعملون على ارتداد المسلمين عن دينهم. ومع أن هذه الآية جاءت خاصة في كفار قريش إلا أنها بيان عن غاية كل كافر في صد المسلمين عن دينهم كما هو مشاهد في ماضي التاريخ وحاضره. ومن هذه الأحكام: أن من ارتد عن دينه حبط ما كان قد عمل من عمل فإن حج قبل ردته سقط حجه وعليه أن يحج حجة الإسلام إذا تاب وعاد إلى الإسلام. ومنها: تقرير فضل من يهاجر ويجاهد في سبيل الله رجاء رحمته ومغفرته.

﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ ﴾.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج٣ ص٤٣، والحديث أخرجه أبو داود في كتاب الإمارة، باب في اقطاع الأرضين، برقم (٣٠٦٧)، أبو داود ج٣ ص١٧٥-١٧٦ .

بيان الآية:

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ﴾ السائلون هم الصحابة والمسؤول هو رسول الله ﷺ والخمر ما خامر العقل وغطاه عن الإدراك والفهم وتحريم الخمر جاء لاحقاً في المدينة. وكان الناس في بداية الإسلام يشربون الخمر وحدث أن صلى أحد الصحابة بالناس وهو سكران فأخطأ في قراءة القرآن(١) فنزل قول الله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾(٢). فامتنعوا عن شربها في أوقات العبادة. ولما كان الإسلام دين عقل ودين أخلاق مما يتنافى مع شرب الخمر كان الصحابة يتمنون أن ينزل الله فيه، وفي الميسر حكماً بيّناً فنزل قول الله جل ثناؤه ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾(٣).

وكان عمر رضي الله عنه يقول: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً فنزل قول الله تعالى في سورة المائدة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(٤). كما سيأتي تفسير ذلك إن شاء الله.

﴿ قُلْ فِيهِمَآ ﴾ أي: في الخمر والميسر إثم كبير وهذا الإثم محسوس

---

(١) تفسير القرآن ج١ ص٤٧٤، وأسباب نزول القرآن للواحدي ص٢٨٨ .

(٢) سورة النساء من الآية ٤٣ .

(٣) سورة البقرة من الآية ٢١٩ .

(٤) سورة المائدة الآية ٩٠ .

ومشهود؛ ذلك أن شارب الخمر يفقد عقله ثم يتصرف تصرف غير العاقل فيفعل من المنكرات أفعالاً لا يتصور منه أن يفعلها لو كان غير شارب لها، ومن ذلك العدوان، والفحش في القول، وترك عبادة الله. وشاهد خطورة الخمر لعن النبي ﷺ في الخمر عشرة (**عاصرها ومعتصرها -طالب عصرها- وشاربها وحاملها والمحمولة إليه وساقيها وبائعها وآكل ثمنها والمشتري لها والمشتراة له**)[1]. ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ المراد بالمنافع ما قد يعود على المتعامل بالخمر من ثمن بيعها وما قد يعود على المقامر بالربح من مقامرته. ﴿وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ أي: أن الإثم الذي يناله متعاطي الخمر والميسر أكبر من المنافع لهما؛ ذلك أنهما قد يكسبان عرضاً مالياً موقتاً لكنهما قد يخسران نفسيهما وأموالهما فشارب الخمر قد يفقد نفسه بحكم زوال عقله، وما قد يتعرض له من الحوادث بسبب هذا الزوال، ومتعاطي الميسر قد يخسر كل ماله بسبب مقامرته ناهيك بما ينالهما من العقاب بسبب صد الخمر والميسر لهما عن ذكر الله وعن الصلاة.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ لعل الصحابة حين سألوا عن الخمر والميسر سألوا في ذات الوقت عما ينفقونه من أموالهم فقال الله: ينفقوا من العفو أي: ما فضل عن نفقتهم ونفقة عيالهم وقد يكون هذا جواباً

(١) أخرجه الترمذي وابن ماجة، وقال الألباني في غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام ص٥٤: «صحيح»، برقم (٦٠).

للآية السابقة وهي قوله تعالى ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ فكان الجواب أن الإنفاق من العفو وهو الفضل.

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ والمراد أن الله عندما بين لكم الآيات الدالة على أحكامه وحكمته في وجوب الإنفاق على من يستحقه وجب عليكم التفكير.

أحكام ومسائل الآية:

من الأحكام في هذه الآية: تحريم الخمر والميسر لكونهما من عمل الشيطان. ومنها: أن النفقة تكون مما فضل عن نفقة المنفق نفسه ونفقة عياله.

﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ .

﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ﴾ هذا تابع لما قبله في بيان الإنفاق أي: أن عليكم التفكير فيما يكون لكم فيه حسن العاقبة في الدنيا بما تدخرونه لحاجتكم، وحاجة من تعولون، وحسن العاقبة في الآخرة بما سينالكم من الأجر على صدقاتكم التي بذلتموها لأقاربكم ومن يستحقها من

غيرهم. ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾ المسؤول هو رسول الله محمد ﷺ والسائلون بعض من المؤمنين؛ ذلك أنه لما نزل قول الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[١]. وقوله ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾[٢] تحرجوا من مخالطة أموال اليتامى بأموالهم خشية الوقوع في الإثم فأدى ذلك إلى مشقة لهم فأنزل الله هذه الآية[٣] وهي أن المراد هو الإصلاح لهم، وليس المنع من مخالطتهم ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾ والمراد بالمخالطة الاتصال بينهم وبين أولاد كفلائهم في المأكل، والمشرب، والملبس ونحو ذلك. ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾ والمراد أن الله يعلم المصلح لأموال اليتامى والمفسد لها فلا يخفى عليه من ذلك شيء. ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾ العنت الضيق والشدة والمراد أن الله خفف عنكم فيما شرعه لكم من المخالطة في أموال اليتامى. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ وهذا بيان منه جل ذكره أنه عزيز أي: قوي ولا يمتنع عليه شيء يريده، حكيم فيما شرعه لخلقه سواء فيما مناطه أموال اليتامى أو أي: أمر آخر .

(١) سورة النساء الآية ١٠ .

(٢) سورة الأنعام من الآية ١٥٢ .

(٣) أسباب نزول القرآن للواحدي ص١٨٦ .

أحكام ومسائل الآية:

من الأحكام في هذه الآية: السماح لكفيل اليتيم أن يتصرف في ماله بما يقتضي إصلاحه؛ فيتصرف فيه كما يتصرف لنفسه أو ولده ولا إثم عليه طالما أن غايته في التصرف الإصلاح له بتنمية ماله، أو تزويجه بمن هو أهل له ونحو ذلك من الأفعال والتصرفات النافعة له.

﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾﴾.

بيان الآية:

﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾ هذا نهي للمسلم نهي تحريم أن ينكح المشركة قبل أن تؤمن أي: قبل أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقر بأركان الإسلام. وقيل: إن هذا التحريم يشمل الكتابيات من اليهود والنصارى لأنهن يشركن عيسى مع الله واستدل من قال بهذا أن هذه الآية ناسخة لما ورد في سورة المائدة[1] من قول الله ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ

---

(١) زاد المسير لابن الجوزي ص١٣١ .

حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾[1]. واستدل من خالف هذا القول بأن آية البقرة نزلت قبل آية المدينة فلا تكون ناسخة لها ناهيك أن الأمة مجمعة على حل نكاح المحصنات من أهل الكتاب. ﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ﴾ وذلك أن الأصل هو الدين؛ فالأمة السوداء المؤمنة بالله خير من المشركة مهما كان جمالها وحسبها ومكانتها.

﴿وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا﴾ وهذا حكم آخر بأنه يحرم مطلقاً تزويج المسلمة من المشرك أو تزويجها من أهل الكتاب؛ ذلك أن زواج المسلم من نساء أهل الكتاب لا ضرر منه لأن الرجل يعلو بإسلامه. أما تزويج المسلمة بالمشرك ففيه غضاضة على الإسلام وخطر عليها؛ ذلك أن الرجل يملك من القوة والسلطة ما يحمله على تغيير دينها، وجعل أولادها منه تبعاً له في الشرك أو الكفر مما اقتضى تحريم زواجها منه. ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ ﴾ والمعنى واحد بالنسبة للأمة المسلمة والمشركة فالمملوك المؤمن خير من المشرك مهما كان مما يُعْجَبُ في ماله، أو حسبه أو قوته لأن الأصل هو الدين.

﴿أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۖ ﴾ المقصود بـ(أولئك) المشركون والمشركات لأن شركهم وكفرهم موجب

---

(١) سورة المائدة من الآية ٥ .

للعذاب وهم حين يدعون غيرهم ليكون على ملتهم إنما يدعونه إلى هذا العذاب وفي هذا إشارة إلى عدم قبول ما يدعون إليه. ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦ﴾ أي: يأمركم بالأعمال التي تدخلكم الجنة والمغفرة. ﴿وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾ والمراد أن الله يبين للناس الأسباب التي تدخلهم الجنة وتبعدهم عن النار فلعلهم يتذكرون هذه الأسباب ويعملون بها.

أحكام ومسائل الآية:

من الأحكام في هذه الآية: تحريم نكاح المرأة المشركة. جواز نكاح الكتابية المحصنة، وتحريم نكاح المرأة المسلمة الرجل المشرك أو الكتابي تحريماً مطلقاً، وهذا يشمل كل شخص غير مسلم أنى كان مسماه أو صفته أو ملته. كما يشمل من يدعي الإسلام وهو معروف بخروجه منه كالمنتسبين للقاديانية ونحوهم بدلالة قول الله تعالى ﴿وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤۡمِنُواْ﴾ ومن الأحكام: عدم جواز تزويج المرأة نفسها لقول رسول الله ﷺ: **(لا نكاح إلا بولي وشاهدين)**[1].

﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذٗى فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِۖ وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ فَأۡتُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾.

---

(١) أخرجه الإمام الشافعي في مسنده ص٢٩١، والدارقطني في كتاب النكاح ج٣ ص٢٢٥.

بيان الآية:

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِۖ قُلْ هُوَ أَذًى ﴾المسؤول هو رسول الله ﷺ والسائل ثابت بن الدحداح والسبب أن أهل المدينة خلال معاشرتهم لليهود كانوا يقلدونهم في علاقتهم بنسائهم أثناء الحيض فكانوا لا يؤاكلون ولا يشاربون ولا يساكنون الحائض فنزلت هذه الآية[١]، ﴿ٱلْمَحِيضِ﴾ هو الحيض، ﴿أَذًى﴾ هو ما تتأذى به المرأة من خروج الدم منها وما قد يصيبها من الجهد بسببه بالإضافة إلى رائحته وقذارته. ﴿فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلْمَحِيضِۖ﴾ الأمر بالاعتزال هنا عن الجماع وليس فيما عداه لقول رسول الله ﷺ: (**اصنعوا كل شيء إلا النكاح**)[٢]. ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ المراد تحريم مجامعتهن إلى أن يطهرن وعدم مباشرتهن فيما بين السرة إلى الركبة حتى لا يؤدي ذلك إلى الوقوع في جماعهن والأصل فيه قول رسول الله ﷺ فيما يحل من الحائض: (**ثم لتشد إزارها ثم شأنه بأعلاها**)[٣].

﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ أي: إذا اغتسلن بالماء بعد انقطاع الحيض عنهن ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: عندئذٍ حل لكم جماعهن في القبل كما أمر الله بذلك. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ هذا

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص١٨٩ .

(٢) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الحيض، باب جواز غسل الحائض رأس زوجها، برقم (٣٠٢)، صحيح مسلم بشرح الأبي والسنوسي ج٢ ص١٣٨ .

(٣) أخرجه الإمام مالك في الموطأ في كتاب الطهارة، باب ما يحل للرجل من امرأته وهي حائض، برقم (١٢٢) ص٤٩ .

تابع لسياق الآية وهو أن الله يحب من يتوب إليه ويتطهر من الأدران والأقذار والنجاسات، ومن ذلك دم الحيض وما في حكمه.

أحكام ومسائل الآية:

من الأحكام في هذه الآية: أن دم الحيض يعد أذى مما يحرم جماع المرأة أثناءه لما فيه من القذارة، وعدم الطهارة. ومن هذه الأحكام: تحريم جماع المرأة بعد انقطاع دم الحيض ما لم تطهر أي: تغسل سائر جسدها بالماء، وكذلك تحريم نكاح المرأة في دبرها في كل حال سواء قبل الحيض أو أثناءه لقول الله جل ذكره ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾[١]. وقول رسول الله ﷺ: **(لا ينظر الله إلى رجل جامع امرأته في دبرها)**[٢]. ومن هذه الأحكام: حث المسلم على الطهارة لمشروعيتها واجتناب كل ما فيه نجاسة.

﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾﴾.

بيان الآية:

﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ هذا مجاز أو تشبيه لمكان الوطء بمكان

(١) سورة البقرة من الآية ٢٢٢ .

(٢) أخرجه ابن ماجة في كتاب النكاح باب النهي عن اتيان النساء في أدبارهن، برقم (١٩٢٣)، سنن ابن ماجة ج١ ص٦١٠، والترمذي في كتاب الرضاع، باب ما جاء في كراهية اتيان النساء في أدبارهن، برقم (١١٦٥)، سنن الترمذي ج٣ ص٤٦٩ .

الحرث الذي ينبت فيه الزرع وهو هنا المكان الذي تزرع فيه الذرية. ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ وقيل: في سبب النزول أن اليهود كانوا يقولون إذا أتى الرجل امرأته من دبرها في قبلها جاء الولد أحول فأنزل الله هذه الآية[١] . والمراد أن من الجائز أن يأتي الرجل امرأته من ورائها على شرط أن يكون الوطء في القبل. ﴿وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ﴾ هذا تابع لحكم الآية وسياقها، وهو الأمر للعبد أن يتقرب إلى الله بمباشرة امرأته ابتغاء نسل الذرية، وتحصين النفس وشاهده قول رسول الله ﷺ: (**وفي بضع أحدكم صدقة**) فقال الصحابة: يارسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ فقال عليه الصلاة والسلام: (**أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر**)[٢].

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ﴾ المراد أن عليكم تقوى الله فيما تفعلون سواء في أموركم الزوجية، أو أموركم الأخرى لأنكم ستلاقون الله فيحصي عليكم أعمالكم ويجازيكم عليها، وشاهده قول رسول الله ﷺ: (**إنكم ملاقوا الله حفاة عراة مشاة غرلاً**)[٣]. ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وهذا عام فيه أمر لرسول الله ﷺ أن يبشر كل مؤمن

---

(١) أخرجه ابن ماجة في كتاب النكاح، باب النهي عن اتيان النساء في أدبارهن، برقم (١٩٢٥)، سنن ابن ماجة ج١ ص٦٢٠، وأسباب نزول القرآن للواحدي ص١٩١ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، برقم (١٠٠٦)، صحيح مسلم بشرح الأبي والسنوسي ج٣ ص٤٦٥ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب الحشر، برقم (٦٥٢٤)، صحيح البخاري مع فتح الباري، ج١١ ص٣٨٥ .

مطيع لما أمره الله به سواء في أموره الزوجية أو غيرها بأن له الجزاء الحسن على إيمانه، ونظيره قوله جل ذكره ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾[1].

أحكام ومسائل الآية:

من الأحكام في هذه الآية: جواز إتيان الرجل زوجته مقبلة ومدبرة إذا كانت في صمام واحد وهو مفاد حديث أم سلمة الذي رواه جابر[2].

ومن الأحكام فيها: تحريم وطء المرأة في دبرها.

﴿وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٢٤)﴾

بيان الآية:

﴿وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾ الآية. أمر القسم عظيم لأن المقسم به هو الله، وعلى العبد أن ينزه الله في أقواله وأفعاله فلا يستهين بالقسم به فيقسم به في غير حاجة ولا ضرورة وذلك مثل أن يقسم أن لا يبر فلاناً أو لا يصل فلاناً، وقد يحلف على أمر تافه لا يليق بمقام الله وعظمته. والمراد أن القسم يجب أن يكون على أمر مشروع، وليس على أمر غير مشروع؛ فمن يحلف ألا يصلح بين أحد من أقربائه

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٥ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب النكاح، صحيح مسلم بشرح النووي ج٦ ص٣٨٦٩، برقم (١٤٣٥).

مثلاً يخالف أمر الله بقوله ﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾[١]. وقوله ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾[٢]. فاقتضى هذا ألا يجعل المقسم بالله قسمه سبباً في منع بر أو نحوه. وإذا حلف بمثل هذا فعليه أن يكفر عن يمينه وليأت الذي هو خير ويصلح بين أقاربه، والواجب عدم كثرة الحلف لأن ذلك أمر مذموم حيث أمر الله نبيه ألا يطيع الحلاف المهين في قوله ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾[٣]. وقوله ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أي: أنه يسمع ويعلم ما تقولون من الإيمان وغيرها .

أحكام ومسائل الآية:

من الأحكام في هذه الآية: عدم جواز الحلف بما يمنع البر كالصلح والإنفاق ونحو ذلك من أعمال البر؛ بمعنى أن على العبد ألا يمتنع من فعل الخير حين يقسم ألا يفعل ما فيه صلاح أو بر، وشاهد ذلك قول رسول الله ﷺ: (**من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليأتها وليكفر عن يمينه**)[٤].

﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾﴾.

---

(١) سورة النساء من الآية ١٢٨ .

(٢) سورة الأنفال من الآية ١ .

(٣) سورة القلم الآية ١٠ .

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الأيمان، باب ندب من حلف يميناً فرأى غيرها خيراً منها، برقم (١٦٥٠)، صحيح مسلم بشرح الأبي والسنوسي ج٦ ص٣٣ .

بيان الآية:

﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ اللغو ما لا فائدة منه في الكلام ومنه قول الرجل في معرض كلامه (لا والله) (وتالله) وشاهده قول عائشة رضي الله عنها في معنى الآية لا والله وبلى والله(١). ومثل هذا يحدث كثيراً في كلام الناس كمن يبيع السلعة فيقول للمشتري والله لا أبيعها إلا بكذا. وقول الرجل لولده الصغير والله لأضربنك إن فعلت كذا؛ فمثل هذه اليمين مما يعد من اللغو لأن القائل غير مريد اليمين بمعنى القسم القاطع، وقد روي عن عائشة رضي الله عنها أن أيمان اللغو ما كانت في المراء والهزل والمزاحة والحديث الذي لا ينعقد عليه القلب(٢). ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ المراد به الحلف مع معرفة الحالف أنه يكذب فيما قال، ونظيره قول الله جل ثناؤه ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾(٣). ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ أي: يغفر لغو عباده في أيمانهم وهو حليم عليم فلا يؤاخذهم فيعجل لهم العقوبة على معاصيهم.

أحكام ومسائل الآية:

من الأحكام في هذه الآية: عدم المؤاخذة على أيمان اللغو وهي سبعة:

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٢ ص٤٠٤، والحديث أخرجه البخاري في كتاب الأيمان، باب ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾، برقم (٦٦٦٣)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١١ ص٥٥٦ .

(٢) رواه ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب عن عروة بن كثير .

(٣) سورة المائدة من الآية ٨٩ .

ما يجري على اللسان من غير قصد كقول لا والله، وما يحلف فيه على الظن، ويمين الغضب، ويمين المعصية، ودعاء الإنسان على نفسه كقوله: إن لم أفعل كذا فيلحق بي كذا، واليمين المكفر، ويمين الناسي[1].

﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ﴾ الإيلاء أن يحلف الزوج بالله على عدم وطء زوجته أكثر من أربعة أشهر خلافاً لأهل الجاهلية الذين كان إيلاؤهم أكثر من سنتين بقصد إيذاء الزوجة فإن حلف على أربعة فأقل لا يكون مؤلياً وكان هذا يميناً.

﴿ فَإِن فَآءُو ﴾ أي: رجعوا. ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ أي: يغفر للحالفين ما حدث منهم من الحلف بعد أن رجعوا إلى زوجاتهم.

﴿ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ والمراد أن الأزواج المؤلين إذا لم يفيئوا أي: لم يرجعوا إلى زوجاتهم خلال الأربعة أشهر فإن هذا دليل على عدم رغبتهم فيهن فيكون هذا عزماً منهم على الطلاق. ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ أي: سميع لطلاق الزوجات عليم بما فعله أزواجهن.

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي ج١ ص١٧٦ .

أحكام ومسائل الآيتين:

الإيلاء هو ترك وطء الزوجة سواء في حال الرضا أو الغضب مدة أربعة أشهر. فإن حلف على هذه المدة أو أقل فلا يكون مؤلياً وعُدَّ هذا يميناً. ولو وطئ في هذه المدة فليس عليه شيء كسائر الأيمان، وإن حنث كفر عن يمينه وإن أتم يمينه فلا شيء عليه.

أما إن كان حلف ألا يطأ زوجته أبداً أو كانت المدة تزيد على الأربعة أشهر وضع له مدة أربعة أشهر من يمينه في حال طلب زوجته ذلك؛ فإذا انتهت المدة أمر بالرجوع إلى الوطء فإن فعل فلا شيء عليه إلا كفارة يمينه. فإن امتنع أجبر على الطلاق فإن أبى طلق عليه الحاكم. والعزم على الطلاق القيام به.

﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَٰحًاۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٢٨)﴾.

بيان الآية:

لمَّا بين الله جل ثناؤه حكم الإيلاء، وما قد يؤدي إليه من طلاق الزوج لزوجته بيَّن حكم المطلقة فقال ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ المراد بالمطلقة التي طلقها زوجها فأصبح لها

حكم غير حكم الزوجة التي في عصمته. ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ المراد الانتظار مدة ثلاثة قروء أي حيض، أي: أن على المطلقة أن تنتظر هذه المدة (وهي العدة) ليعلم براءة رحمها حتى لا يكون عدم براءته سبباً في اختلاط الأنساب، فإن راجعها زوجها فيها فله ذلك إذا لم تكن هذه الطلقة الثالثة فإن كان الثالثة فلا يحق له المراجعة لكونها بانت منه وإن لم يراجعها خلال هذه المدة حق لها أن تتزوج. ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ﴾ أي: يحرم عليهن كتمان ذلك لما فيه من الإضرار بالزوج فإذا قالت حضت ثلاث حيض وهي لم تحضها بقصد عدم الرجوع إلى زوجها فهذا إضرار به وفيه من المفاسد الشيء الكثير. وإذا قالت ما حضت إلا حيضة واحدة أو حيضتين وهي قد حاضت أكثر تريد بذلك أن ترجع إلى زوجها رغم انقضاء عدتها فتكون مراجعته لها حراماً ويكون نكاحه لها بمثابة السفاح. ﴿إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ وهذا عبء ثقيل عليهن وهي الأمانة ولا يؤديها إلا اللائي يؤمن بالله واليوم الآخر.

﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا﴾ المراد بيان حق الزوج في إرجاع زوجته ما دامت منتظرة في العدة إذا كان كل منهما يريد الاصلاح، والتعايش بينهما بالمودة والسكينة ونبذ الشقاق والخلاف. فإن لم يكن لهما هدف في ذلك فلا يحل لهما الرجوع لأن

مآل ذلك إلى الشقاق والإضرار بطول العدة ونحو ذلك مما يتنافى مع الحكمة من الزواج.

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ المراد منه أن للزوجة على الزوج حقها مثل ما عليها من الواجب لزوجها، وما يقتضيه ذلك بينهما من العشرة وحسن العلاقة والصحبة. فعلى الزوج ألا يضار زوجته في النفقة أو في المسكن أو القسمة إذا كان له زوجات غيرها وهكذا في مختلف الحقوق المتبادلة بين الزوج وزوجته. ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ الدرجة: المنزلة، وتشمل القوامة ورئاسة الأسرة وما تقتضيه هذه المنزلة من واجب الزوجة في استئذانه لخروجها واستئذانه لعملها وتجارتها، وطاعته فيما هو في غير معصية الله. ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ أي: أن له القوة والغلبة والتصرف في خلقه وفي ملكوته، وهو حكيم بما يفعل ويأمر به خلقه من الأوامر وما ينهاهم عنه من النواهي.

أحكام ومسائل الآية:

من الأحكام في الآية: أن عدة المطلقة ثلاث حيض تنتظر فيها مراجعة الزوج لها من عدمه، ويحق للزوج مراجعة مطلقته إذا لم تكن عدتها قد انتهت، ويحق لها أن تسكن معه في بيته. ولا يجوز لها أن تخطب ولا أن تتزوج خلال هذه المدة؛ فإن توفي خلال هذه المدة ورثته، وإن ماتت ورثها. ومن الأحكام فيها: أنه يحرم على الزوجة المطلقة كتمان

ما في رحمها من حمل أو حيض لما ينشأ عن ذلك من الإضرار بالزوج، وما ينشأ عنه من الإخلال بأحكام الله فيما لو رجعت إليه بعد انقضاء عدتها أو تزوجت غيره وهي في هذه العدة، ومن هذه الأحكام: التأكيد على الزوجة أن تتقي الله في مسألة العدة، وحساب مدتها، والتأكيد على أن لكل من الزوجين حقّاً على صاحبه من حسن المعاشرة وحسن الصحبة.

﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ ﴾.

بيان الآية:

الطلاق إنهاء علاقة الزوج بزوجته، وهو من أبغض الحلال إلى الله لما رواه معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**يا معاذ ما خلق الله شيئاً على وجه الأرض أحب إليه من عتاق وما خلق الله تعالى على وجه الأرض أبغض إليه من الطلاق فإذا قال الرجل لعبده: هو حر إن شاء الله فهو حر ولا استثناء له وإذا قال لامرأته: أنت طالق إن شاء الله فله استثناؤه ولا طلاق عليه**)[١]. وقوله ﴿ ٱلطَّلَٰقُ

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف برقم (١١٣٣١)، ج٦ ص٣٩٠، وأبو داود ج٢ ص٢٥٥، وابن ماجة في كتاب الطلاق برقم (٢٠١٨)، سنن ابن ماجة ج١ ص٦٥٠، واللفظ عند أبي داود وابن ماجة «أبغض الحلال عند الله الطلاق».

﴿مَرَّتَانِ﴾ هذا تابع لما قبله من أحكام الطلاق وتحديده بطلقتين منافٍ لما كان يفعله أهل الجاهلية، وفي صدر الإسلام؛ فلم يكن للطلاق عندهم عدد فكان الرجل يطلق امرأته ما أراد من العدد فإذا قاربت عدتها أن تنتهي راجعها. وقيل: إن رجلاً في أول الإسلام قال لزوجته: والله لا أؤيك إليّ أبداً ولا أدعك تحلِّين مني. قالت ولماذا؟ قال: أطلقك فإذا دنا قرب عدتك راجعتك فشكت المرأة ذلك إلى عائشة فذكرته عائشة لرسول الله ﷺ فأنزل الله هذه الآية[1] بتحديد عدد الطلقات طلقتين يحل للزوج بعدهما مراجعة مطلقته.

﴿فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖ﴾ المراد أن الزوج إذا طلق زوجته طلقة أو طلقتين أصبح له الخيار في عدتها بين أن يراجعها وهو يرغب التصالح والمودة معها والإحسان إليها، وبين تركها إلى أن تنتهي عدتها؛ فتبين منه على أن لا يبخسها حقها، وهو المراد من تسريحها بإحسان. ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ﴾ المراد بعدم الأخذ مما أوتيته المرأة صداقها إذ لا يحل للزوج أن يستعيده إلا في حالة نشوز المرأة ورغبتها في فراقه فلها مخالعته إذا خشيت ألا تؤديه حقه الذي فرضه الله عليها من حسن المعاشرة. ﴿فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ﴾

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي، ص١٩٦، وتفسير البغوي ص١٣٣، وزاد المسير لابن الجوزي ص١٣٨.

وقد أقر رسول الله ﷺ الخلع لما صح أن امرأة ثابت بن قيس قالت: يا رسول الله ما أُعْتِبُ على ثابت بن قيس في خلق ولا دين ولكني أكره الكفر في الإسلام فقال رسول الله ﷺ: (**أتردين عليه حديقته ؟**) قالت نعم فأمره رسول الله ﷺ أن يأخذ منها حديقته ولا يزداد[1]. ﴿**تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا**﴾ لما بيَّن الله تعالى أحكام الطلاق، وما يجب على الزوج والزوجة معاً من هذه الأحكام قال جل ذكره: هذه هي الحدود التي وضعتها وبينتها لكم فلا تعتدوها أي: لا تنتهكوها. ﴿**وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ**﴾ وهذا بيان لعاقبة الاعتداء على حدود الله وهو الوصف بالظلم وعاقبة الظلم الهلاك والعذاب.

أحكام ومسائل الآية:

من الأحكام في هذه الآية: أن الطلاق المشروع مرتان، وفيهما تحل رجعة الزوج إلى زوجته خلافاً لطلاق أهل الجاهلية الذي كان غير محدد مما أدى إلى الإضرار بزوجاتهم، ولا يجوز أن يكون الطلاق بلفظ الثلاث. وإذا طلق الزوج زوجته طلقة ثالثة حرمت عليه إلا بعد نكاح صحيح غير محلل أو بعد وفاة زوجها. ومن هذه الأحكام: إمساك المرأة بالمعروف أو تسريحها بإحسان رفعاً للظلم الذي حرمه الله وحذر منه. ومنها: أن الزوجة إذا كرهت زوجها وخافت ألا تقيم

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الطلاق، باب الخلع، برقم (٥٢٧٣)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٩ ص٣٠٦ .

حدود الله، وهي أداء حقه عليها شرع لها الخلع مقابل دفعها للمال الذي أنفقه عليها، ويعد هذا فسخاً لا طلاقاً. ومن هذه الأحكام: وجوب الالتزام والتمسك بأحكام الله، وعدم التعدي لأن ذلك من الظلم الذي يعاقب الله عليه بالهلاك والعذاب.

﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ ﴾.

بيان الآية:

ما زال الحكم بالطلاق وقواعده وقوله ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ ﴾ المراد أنه إذا طلقها الطلقة الثالثة أصبحت محرمة عليه حتى تنكح زوجاً غيره في نكاح صحيح يطؤها فيه كما روته عائشة وغيرها أن رجلاً طلق امرأته ثلاثاً فتزوجت زوجاً فطلقها قبل أن يواقعها أتحل لزوجها الأول فقال رسول الله ﷺ لها: (**حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك**)[1].

﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ ﴾ المراد هو طلاق الزوج الثاني فلا جناح أي: لا إثم على الزوجة وزوجها الأول من المراجعة.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الطلاق، باب إذا طلقها ثلاثاً ثم تزوجت بعد العدة زوجاً غيره فلم يمسها، برقم (٥٣١٧)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٩ ص٣٧٤ .

﴿إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ المراد إذا ظنا أنهما سيقيمان حدود الله من وجوب حسن المعاشرة وحسن الصحبة وأداء كل منهما حق صاحبه. ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ حدود الله هنا أحكامه التي أوجبها على كل من الزوجين وقد بينها للذين يعلمون خلافاً للجاهلين الذين لا حظ لهم في العلم.

أحكام ومسائل الآية:

من الأحكام في هذه الآية: أن من طلق زوجته ثلاث تطليقات بانت منه فلا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره نكاحاً صحيحاً يطؤها فيه ثم يطلقها أو يتوفى عنها. ويشترط في رجعتها إلى زوجها بعد طلاقها من زوجها الأول أن يكون كل منهما يظن أنه سيقيم حدود الله، وذلك بالالتزام بحسن المعاشرة وحسن الصحبة بينهما. ومن هذه الأحكام: تحريم التحليل فإن كان المراد من الزواج الثاني التحليل للزوج الأول فهذا محرم لأن رسول الله ﷺ لعن المحلل والمحلل له[1].

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب النكاح باب ما جاء في المحلِّ والمحلل له برقم (١١١٩)، بلفظ «لعن المحلِّ والمحلل له» سنن الترمذي ج٣ ص٤٢٨، وأحمد في المسند ج١ ص٤٤٨ .

أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾﴾.

بيان الآية:

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ هذه الآية عطف على ما سبق والمراد أن الزوج إذا طلق زوجته طلقة أو طلقتين تنتظر في عدتها ما سيؤول إليه وضعها خلال ثلاث حيض فإذا شارفت هذه المدة على الانتهاء أو قاربته وهو المراد من قوله ﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ وجب على الزوج إما إمساكها أو تسريحها بالمعروف. وبلوغ الأجل هنا المقصود به مقاربته لأنه بعد بلوغ الأجل لا مجال للإمساك بل تعد طالقاً. ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ وهو أي: المعروف كما سبق ذكره قيام الزوج بما يجب عليه من حقوق لها كالنفقة وحسن العشرة والصحبة، وما يجب لها من سائر الحقوق المعروفة حكماً أو عرفاً فإن لم يقدر على ذلك وجب عليه عدم إمساكها. ﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ﴾ المراد ترك مراجعتها إذا لم يحصل الإمساك بالمعروف. ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟﴾ هذا نفي وإبطال لحال كانت قائمة في الجاهلية، وفي بداية الإسلام حيث كان الزوج يطلق زوجته ثم يراجعها في العدة دون أن يكون له رغبة فيها وإنما لقصد إطالة عدتها من أجل الإضرار بها. ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ هذا بيان لتحذير الزوج من الظلم لأن

هذا الفعل ظلم له نفسه لأنه يعرضها للعذاب الذي ينال الظالم جزاء ظلمه. ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗا﴾ المراد أن أحكام الله أحكام جد وليست أحكام هزل؛ فمن قال قولاً أو فعل فعلاً يقصد به الهزل لزمه ما قاله أو ما فعله. وفي الآية نفي لسلوك أهل الجاهلية حيث كان الواحد منهم يطلق ثم يقول أنا هازل وشاهده قول رسول الله ﷺ: (**ثلاث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والرجعة**)[1].

﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ أي: تذكروا نعم الله الكثيرة، وأهمها الإسلام وما جاء به من الأحكام. ﴿وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ﴾ الكتاب القرآن، والحكمة السنة النبوية أو أسرار الشريعة التي بينت حكمة الله في أحكامه ليكون في ذلك موعظة وتذكير لكم بعدم مخالفة أوامر الله سواء في أمور زوجاتكم أو غيرها. ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ تأكيد وأمر بأن على المخاطبين أن يعلموا علم يقين أن الله يعلم كل شيء يفعلونه أو يسرونه في أنفسهم.

أحكام ومسائل الآية:

من الأحكام في هذه الآية: أن المطلقة إذا قاربت نهاية عدتها وجب على زوجها إما إمساكها بمراجعتها بمعروف أي: بالقيام بما

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الطلاق، باب في الطلاق على الهزل برقم (٢١٩٤)، سنن أبي داود، ج٢ ص٢٥٩، وابن ماجة في كتاب الطلاق باب من طلق أو نكح أو راجع لاعباً، برقم (٢٠٣٩)، سنن ابن ماجة ج١ ص٦٥٧، والترمذي في كتاب الطلاق، باب ما جاء في الجد والهزل في الطلاق برقم (١١٨٤)، سنن الترمذي ج٣ ص٤٩٠ .

أوجب الله لها من الحقوق، وإما تسريحها بمعروف بعد انتهاء مدة عدتها. ومن هذه الأحكام: تحريم الإضرار بها كما كان أهل الجاهلية يفعلون بارجاعها مع عدم الرغبة فيها وكذلك تحريم الهزو بأحكام الله وإيقاع طلاق الهازل.

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾﴾.

بيان الآية:

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ هذه الآية في أحكامها معطوفة على الأحكام السابقة لها بشأن الطلاق وقول الله جل ذكره ﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ المراد ببلوغ الأجل هنا نهايته أي: نهاية العدة لأن الحكم ينصب على نكاح جديد بعد طلاق انتهت عدته. ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ﴾ المراد بالعضل التضييق بما يؤدي إلى منع الزواج. وقد نزلت هذه الآية في أخت معقل بن يسار فقد طلقت وتركها زوجها إلى أن انتهت عدتها ثم ندم على طلاقه فخطبها فرضيت بزواجها منه فأبى أخوها معقل وقال: وجهي من وجهك حرام إن تزوجتيه فنزلت الآية فدعاه رسول الله ﷺ وقال له: (**إن كنت مؤمناً فلا تمنع أختك من زوجها**) فقال

معقل: آمنت بالله وزوجها منه[1]. ﴿إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ﴾ المراد أن الزوج وزوجته إذا رضيا مرة أخرى بالزواج من بعض بعد طلاقهما واتفقا على المعاشرة بالمعروف فلهما ذلك فلا يجوز إذاً ثني الزوجة عن ذلك كما فعل معقل مع أخته. ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ هذا خطاب للمؤمنين الذين يخافون الله فيأتمرون بما أمر به، وينتهون عما نهى عنه فهم يوعظون بسبب إيمانهم بالله. ﴿ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ وهذا أيضاً خطاب للمؤمنين بأن نكاح المطلقات ومراجعتهن من قبل أزواجهن بما فرض الله لهن من مهر جديد أزكى لآبائهن أو أوليائهن؛ كما هو كذلك أزكى للأزواج والزوجات من الطلاق بما فيه من التفرقة والاختلاف وتشتت الولد. ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: أنه العليم بما هو في صالحكم ونفعكم بينما أنكم قد لا تعلمون ذلك.

أحكام ومسائل الآية:

من الأحكام في هذه الآية: تحريم عضل الولي لموليته بما يؤدي إلى التضييق عليها أو منعها من العودة إلى زوجها إذا تراضت معه على نكاح ومهر جديد. ومن هذه الأحكام: حق الولي في تزويج موليته،

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن، برقم (٢٩٨١)، سنن الترمذي ج٥ ص٢٠١، وأسباب نزول القرآن للواحدي ص١٩٧-١٩٨، ومعالم التنزيل ص١٣٦-١٣٧، وزاد المسير لابن الجوزي ص١٤٠ .

وعدم قيامها بالعقد بنفسها لأن المخاطب بالحكم هم الأولياء لقول الله جل ذكره ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾.

﴿۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾﴾.

بيان الآية:

لما ذكر الله جل ثناؤه أحكام النكاح والطلاق، وما ينشأ عنهما من قضايا ومشكلات ذكر الرضاعة والنفقة بوصفهما من القضايا التي تنشأ بعد الطلاق إذا كان للمطلقة أولاد من زوجها المطلق.

﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ في هذا أمر من الله جاء بصيغة الخبر للوالدات أن يرضعن أولادهن مدة سنتين كاملتين لأنهن أحق بإرضاعهم لما في ذلك من المصلحة لهم بوصفهن أكثر حناناً وإشفاقاً عليهم. ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ المراد أن من الجائز فطام الطفل قبل تمام السنتين، وإنما جاء تحديد الإرضاع بهذه المدة

لتترتب عليها النفقة الواجبة للولد على أبيه. ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ المراد بالمولود له الأب والرزق الطعام والكسوة اللباس. وصرف اللفظ للوالدات في قوله ﴿رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ لأنهن اللائي يتولين الإرضاع وما في حكمه من الطعام مما يحتاجه الولد وقوله ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ أي: الطعام واللباس المتعارف عليه بحكم الشرع، أو بحكم العرف الجاري بين الناس؛ ممن هم في منزلة الأم وبحسب قدرة الأب عملاً بقول الله تعالى ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾[١]. وعملاً أيضاً بقول رسول الله ﷺ لهند بنت عتبة لما شكت شح زوجها أبي سفيان: (**خذي أنت وبنوك ما يكفيك بالمعروف**)[٢].

﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ المراد عدم تكليف الأم بالتضييق عليها في النفقة، وعدم تكليف الأب بما لا يقدر عليه مما يجب معه مراعاة وضع كل منهما وحالته وقدرته. ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ﴾ هذا بيان لما يترتب على الأم والأب من التعاون لما فيه مصلحة الولد؛ والمعنى ألا تمتنع عن إرضاع ولدها بقصد الإضرار بأبيه كما أن على الأب ألا يضار الأم بانتزاع الولد منها إذا كانت ترغب

(١) سورة الطلاق من الآية ٧ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب من أجرى أمر الأمصار على ما يتعارفون بينهم، صحيح البخاري مع فتح الباري، ج ص٤٧٣، برقم (٢٢١١).

في إرضاعه، وهذا الحكم من أمر الله للوالدين بالعدل في تصرف كل منهما وسلوكه تجاه الآخر حتى لا يكون طلاقهما سبباً في الإضرار بالولد. ﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾ والمراد -والله أعلم- أن على وارث المولود في حال وفاة أبيه مثل ما على أبيه من النفقة والكسوة لمرضعته. أما إذا كان للمولود مال فنفقته وكسوته من ماله.

﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾

الفصال: الفطام والمراد أنه لا إثم على والدي الطفل في فطام ولدهما قبل نهاية الحولين إذا تراضيا وتشاورا على ذلك. ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ أي: لا إثم عليكم إذا أردتم أن يتم إرضاع ولدكم من مرضعة أخرى تسلموا لها -أيها الآباء- أجرتها على الإرضاع حسب المتعارف عليه في هذه الحالة على ألا يراد من تسليمه لهذه المرضعة الإضرار بأي من الوالدين. ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في تصرفكم بالنسبة لإرضاع الولد. ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أي: أنه عليم وبصير بما تعملونه.

أحكام ومسائل الآية:

من الأحكام في هذه الآية: أن مدة إرضاع الولد حولين كاملين مالم يتفق الوالدان على فطامه قبل نهاية المدة وما زاد من الرضاع على

السنتين لا يعتد به شرعاً، وأن على الأب نفقة ولده وكسوته حسب قدرته ويساره. ومن هذه الأحكام: تحريم المضارة بين الأب والأم فلا تمتنع الأم عن إرضاعه إضراراً بأبيه، ولا يجوز للأب منع الأم من ذلك. ومن هذه الأحكام: جواز إرضاع الطفل من مرضعة غير أمه إذا رضيت بذلك. وجوب نفقة القريب المعسر على القريب الموسر عملاً بقول الله تعالى ﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾. ومن هذه الأحكام: أن حق الحضانة للأم إلى حين بلوغ الصبي ما لم تتزوج وبلوغ الجارية سبع سنين.

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾﴾.

بيان الآية:

بعد أن ذكر الله عدة المطلقات وأحكام إرضاع الولد بيَّن عدة المطلقات في حال وفاة أزواجهن فقال جل ذكره ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ المعنى أن من يتوفى منكم أيها الرجال، ويترك وراءه زوجة فعليها أن تتربص أي: تنتظر وتصبر عن النكاح مدة أربعة أشهر وعشرة أيام. والمراد من هذه المدة معرفة ما إذا كانت حاملاً أم لا؛ فإن كانت حاملاً فعدتها

مدة حملها لما روي أن سُبيعة الأسلمية سألت رسول الله ﷺ عن ذلك قالت فأفتاني بأني حللت حين وضعت حملي وأمرني بالتزوج إن بدا لي[1]. كما أن المراد من مدة التربص الإحداد وينبغي فيه المكث في البيت وتجنب الزينة حتى لا يكون في الزينة ما يغري الرجال لخطبتها وهي في مدة العدة لما روي أن النبي ﷺ قال لفريعة بنت مالك بن سنان وكان قد توفي زوجها: (**امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله**) قالت فاعتددت أربعة أشهر وعشرة أيام[2].

وحكم التربص يشمل الزوجة المدخول بها وغير المدخول بها، وشاهده أن عبد الله بن مسعود سئل عن رجل تزوج امرأة فمات عنها ولم يدخل بها، ولم يفرض لها فتردد إليه السائل في ذلك مراراً فقال: أقول فيها برأيي فإن يك صواباً فمن الله وإن يك خطأً فمني ومن الشيطان والله ورسوله بريئان منه: لها صداق مثلها لا وكس ولا شطط، وعليها العدة، ولها الميراث فقام معقل بن يسار الأشجعي

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الطلاق، باب ما جاء في الحامل المتوفى عنها زوجها تضع، برقم (١١٩٤)، سنن الترمذي ج٣ ص٤٩٩، وابن ماجة في كتاب الطلاق باب الحامل المتوفى عنها زوجها إذا وضعت حلت للأزواج، برقم (٢٠٢٧)، سنن ابن ماجة ج١ ص٦٥٣، وأصل الحديث في البخاري مع فتح الباري برقم (٤٩٠٩)، ج٨ ص٥٢٠ .

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الطلاق، باب ما جاء أين تعتد المتوفى عنها زوجها، برقم (١٢٠٤)، سنن الترمذي ج٣ ص٥٠٩، وابن ماجة في كتاب الطلاق، باب أين تعتد المتوفى عنها زوجها برقم (٢٠٣١)، سنن ابن ماجة ج١ ص٦٥٤، وأبو داود في كتاب الطلاق، برقم (٢٣٠٠)، ج٢ ص٢٩١ .

فقال: سمعنا رسول الله ﷺ قضى به في بروع بنت واشق ففرح بذلك عبد الله بن مسعود(١).

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۗ﴾ والمراد أنه إذا انتهت عدة المتوفى عنهن أزواجهن فلا حرج على الأولياء من السماح لهن بفعل ما كان محظوراً عليهن من الزينة والخروج من البيت والنكاح. والمراد ﴿بِٱلْمَعْرُوفِۗ﴾ أن تتزين للنكاح إذا انقضت عدتها.

أحكام ومسائل الآية:

من الأحكام في هذه الآية: أن مدة التربص للمتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشرة أيام لاستبراء رحمها من زوجها المتوفى خلافاً لما كان عليه العمل في الجاهلية، وفي صدر الإسلام من جعل عدتها سنة كاملة؛ فإن كانت حاملاً فتنتهي عدتها بانتهاء حملها. ومن هذه الأحكام: تجنب النكاح والزينة، وكل ما يدعو الرجال لخطبتها. ومنها: مكثها في بيتها طيلة مدة العدة، ولا تخرج منه لا للحج ولا للعمرة إلا ما تقتضيه ضرورتها كزيارة والديها ونحو ذلك.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِيٓ أَنفُسِكُمْۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب النكاح، باب فيمن تزوج ولم يُسم صداقاً حتى مات، برقم (٢١١٦)، سنن أبي داود ج٢ ص٢٣٧، والترمذي في كتاب النكاح، باب ما جاء في الرجل يتزوج المرأة فيموت عنها قبل أن يفرض لها، برقم (١١٤٥)، الترمذي، ج٣ ص٤٥٠ .

إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوْلًا مَّعْرُوفًاۚ وَلَا تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (٢٣٥)﴾.

بيان الآية:

لما كان من المحتمل أن المطلقة خاصة البائن والمتوفى عنها زوجها تترقب الزواج بيَّن الله الحكم في ذلك درأ لأي خطأ محتمل كتعجيل مدة العدة؛ فأباح للمرأة وللرجل الاطمئنان إلى ما يمكنهما فعله بعد نهاية العدة فقال ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾ أي: لا إثم عليكم أيها الرجال في تعريضكم للمطلقة البائن، أو المتوفى عنها زوجها برغبتكم في الزواج منها. والتعريض ضد التصريح، وقد ذكر الفقهاء ألفاظاً عدة للتعريض كقوله: إني أرغب في الزواج، أو يقول: إن لي حاجة في النساء، أو يقول: لا تستبقيني بنفسك، أو يرسل لها هدية ونحو ذلك من المعاني المحتملة للخطبة. ﴿أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْۚ﴾ والمراد ما أسررتم به في أنفسكم من رغبتكم في التزوج بها بعد انتهاء عدتها. ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾ المراد أن الله يعلم أنكم ستذكرون في نفوسكم المعتدات من طلاق بائن أو وفاة. ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ أي: لا تقولوا لهن صراحة أنكم ترغبون في التزوج بهن، ومن ذلك قول الرجل لها: إني أرغب في الزواج منك، أو

يقول: إني سأنتظر الموافقة على الزواج مني ونحو ذلك مما يفهم منه التصريح بالخطبة. ﴿إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوْلًا مَّعْـرُوفًا﴾ أي: أن الجائز هو التعريض وليس التصريح.

﴿وَلَا تَعْـزِمُواْ عُقْدَةَ ٱلنِّـكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ﴾ المراد يجب عليكم ألا تعقدوا عقد الزواج، وهن في العدة؛ وهذا تأكيد لما قبله ومقتضاه أنه لا يجوز للرجل أن يتعرض للمطلقة البائن أو المتوفى عنها زوجها بالتصريح بخطبتها، وإنما أبيح له التعريض فحسب. أما عقد العقد عليها فهو محرم من باب أولى. والمراد من أجل الكتاب انتهاء العدة، وسماه الله كتاباً بمعنى أنه كتبه حكماً عليكم أي: فرضه. ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾ هذا بيان من الله للمخاطبين أن يعلموا علم يقين أنه يعلم ما في نفوسهم من علانيتهم، وسرهم، وعليهم أن يحذروه في فعل ما نهاهم عنه من مواعدة المطلقات أو نكاحهن وهن في العدة. ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ أي: أنه يغفر للمخطئين إذا تابوا وهو حليم على عباده لا يعجل لهم العقوبة لعلهم يتوبوا من أخطائهم.

من الأحكام في هذه الآية: وجوب التربص على الزوجة المتوفى عنها زوجها ومدته أربعة أشهر وعشرة أيام ويحرم عليها النكاح قبل نهاية

هذه المدة. ويجوز للرجل التعريض لها بكلمات تحتمل معنى الخطبة وغيرها، ولكن يحرم عليه وعليها المواعدة بالنكاح قبل نهاية العدة.

ومن هذه الأحكام: تحذير الله من فعل ما نهى عنه من التصريح بالزواج أو المواعدة أو النكاح قبل نهاية مدة العدة.

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَـٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾﴾.

بيان الآية:

هذا حكم آخر من أحكام الطلاق قيل: إن بعض المؤمنين لما فهموا من القرآن والسنة أن الغاية من الزواج تحقيق أمر الله به؛ بوصفه سكينة للزوجين ومودة ورحمة بينهما جاء في نفوسهم حرج من طلاق المرأة التي لم يمسوها بجماع ولم يفرضوا لها مهراً فنزلت هذه الآية[١] لرفع الحرج ولبيان الحكم. فبعد أن بين الله أنه لا إثم في طلاق المرأة غير المدخول بها، أو المفروض لها مهراً قال ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ﴾ والمراد وجوب إعطائهن متاعاً بالمعروف.

واختلف في قدر المتاع فقيل: عدة دراهم، وقيل: خادم، وقيل: نفقة.

قوله ﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ﴾ المراد منه حسب غنى الرجل

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج٣ ص١٩٧ .

وعدم غناه. ﴿مَتَٰعَۢا بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ﴾ أي: بما عرف من الشرع أو العرف؛ بمعنى أنه إذا كانت مثلها تعطى عشرة آلاف درهم تعطى مثلها وهكذا. ﴿حَقًّا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ أي: أن ذلك حقّ عليهم وهذا يدل على وجوب الإمتاع والعلة في هذا ظاهرة هي أن المرأة إذا طلقت قبل الدخول بها، وقبل الفرض لها تتأثر وتتكدر نفسها؛ فلا هي تزوجت ونعمت بالزواج، ولا هي نعمت بمهر يساعدها على قضاء حاجاتها؛ فحق لها عندئذٍ متاع يعوضها ولو قليلاً عما فاتها بسبب طلاق الزوج لها.

أحكام ومسائل الآية:

من الأحكام في هذه الآية: وجوب المتعة للمطلقة قبل الدخول بها، وقبل الفرض لها، وقيل: بعدم الوجوب. والأصح -والله أعلم- أن هذا الإمتاع واجب ويكون قدره حسب حال الزوج ويسره وعسره.

﴿وَإِن طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدۡ فَرَضۡتُمۡ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصۡفُ مَا فَرَضۡتُمۡ إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ٢٣٧﴾.

بيان الآية:

وهذا حكم آخر للمطلقة التي لم يمسها الزوج، ولكنه فرض لها

مهراً فالحكم أن يكون لها نصف هذا المهر، والنصف الآخر يرجع إليه.
﴿إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ﴾ أي: إلا إذا عفت المطلقة وأرادت إرجاع كل المهر أو تنازلت عن حقها في النصف إذا لم يكن قد تم دفعه لها فلها ذلك لأنه حق لها، ومن حقها إسقاطه. ﴿أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ المراد به الزوج، وشاهده قول رسول الله ﷺ: (**ولي عقدة النكاح هو الزوج**)[1]. وشاهده أيضاً ما روي أن جبير بن مطعم رضي الله عنه تزوج امرأة فطلقها قبل أن يدخل بها فأرسل إليها الصداق كاملاً وقال: أنا أحق بالعفو منها لأن الله قال ﴿إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾[2].

﴿وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ﴾ قال الإمام ابن جرير: الأولى بتأويل الآية أن يعفو بعضكم لبعض أيها الأزواج والزوجات بعد فراق بعضكم بعضاً عما وجب لبعضكم قِبَلَ بعض فيتركه إن كان قد بقي له قِبَله وإن لم يكن بقي له فبأن يوفيه بتمامه أقرب لكم إلى تقوى الله[3].
﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ﴾ فيه أقوال كثيرة من التأويل ولعل المراد هنا ألا يكون هناك مشاحة بين المطلق ومطلقته فيختلفا ويتشاقا فهما

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ج١ ص٢٧٣، والحديث أخرجه الدارقطني في كتاب النكاح، ج٣ ص٢٧٩، والبيهقي في كتاب الصداق ج٧ ص٢٥١ .

(٢) أخرجه الدارقطني في كتاب النكاح، ج٣ ص٢٧٩، والبيهقي في السنن الكبرى في كتاب الصداق، باب من قال الذي بيده عقدة النكاح، ج٧ ص٢٥١ .

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٢ ص٥٥١ .

-وإن لم يحدث بينهما مسيس- فبينهما فضل تمثل في التعامل على أساس الرغبة في الزواج. ورغم أن هذا الزواج لم يتم فإن التعامل الذي تم من أجله يقتضي التسامح والعفو. فالمطلقة قد تتسامح وتعفو عن نصف مهرها، والمطلق قد يتسامح فيعفو عن كل المهر الذي دفعه لها فأي منهما فعل ذلك فهو أقرب إلى التقوى. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ وهذا بيان من الله وتأكيد بأن الله بصير وعليم بما يعمله العباد سواء في أمور الطلاق والمعاملات وغيرها.

أحكام ومسائل الآية:

من الأحكام في هذه الآية: أن للمطلقة التي لم يدخل بها الزوج وقد فرض لها المهر نصف هذا المهر إلا أن تعفو هي عنه للزوج أو يعفو الزوج عن كامل المهر لها. ومنها: أمر الله للمطلق والمطلقة ألا ينسوا ما كان بينهما من التعامل من أجل هذا الزواج الذي لم يتم وأن من عفا منهما عن حقه فهو أقرب للتقوى.

﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾.

بيان الآية:

﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ هذا خطاب فيه أمر يقتضي التكليف

بالمحافظة على الصلاة بما يقتضيه ذلك من إقامتها في أوقاتها وتحقيق شروطها. ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ كثرت الأقوال في تعيين هذه الصلاة فقيل: إنها صلاة الظهر لكونها وسط النهار. وقيل: صلاة المغرب أو العشاء. وقيل: إن المراد الصلاة كلها والذي عليه جمع من الصحابة وجمهور العلماء أنها صلاة العصر وشواهد هذا القول كثيرة منها: ما رواه سمرة بن جندب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**الصلاة الوسطى صلاة العصر**)[1]. وما رواه علي رضي الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال يوم الأحزاب: (**شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله قلوبهم وبيوتهم ناراً**) ثم صلاها ما بين المغرب والعشاء[2]. ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ المراد الخشوع والتذلل والخضوع لله في الصلاة كما قال تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[3]. ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾[4]. وهذا يقتضي حكماً عدم الحركة وعدم الكلام في الصلاة؛ ذلك أن الصحابة كانوا في بداية الإسلام يتكلمون مع بعضهم

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند، ج٥ ص٨، والترمذي في كتاب التفسير، ج٥ ص٢٠٣ واللفظ للترمذي.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾، برقم (٤٥٣٣)، صحيح البخاري مع فتح الباري، ج٨ ص٤٣، وأخرجه مسلم في كتاب المساجد باب الدليل لمن قال الصلاة الوسطى هي صلاة العصر، برقم (٦٢٧)، صحيح مسلم بشرح الأبي والسنوسي، ج٢ ص٥٦٢-٥٦٣، واللفظ لمسلم.

(٣) سورة المؤمنون الآية ١ .

(٤) سورة المؤمنون الآية ٢ .

أثناء الصلاة فنزلت هذه الآية. ولما تكلم معاوية بن الحكم السلمي في الصلاة قال له رسول الله ﷺ: **(إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس إنما هي التسبيح والتكبير وقراءة القرآن)**[١].

أحكام ومسائل الآية:

وجوب المحافظة على الصلوات في عمومها بما يقتضيه ذلك من المداومة عليها وعدم تفويتها أو تضييعها وشاهده قول رسول الله ﷺ: **(من حافظ عليها حافظ على دينه ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع)**[٢]. ومن هذه الأحكام التأكيد على صلاة العصر لأهميتها وفضلها لكونها الوسط (أي الأفضل) بين أخواتها. ومن هذه الأحكام وجوب القنوت في الصلاة في عمومها وهذا يشمل عدم الكلام فيها وعدم الحركة ما لم يكن ذلك لسهو أو ضرورة عارضة.

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾﴾.

بيان الآية:

لما كان الأصل هو المحافظة على الصلاة والقيام فيها بالقنوت والخشوع كما ورد في الآية السابقة بيَّن الله أن هناك أوقاتاً قد لا

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة، برقم (٥٣٧)، صحيح مسلم بشرح السنوسي ج٢ ص٤٣٣ .

(٢) أخرجه الإمام مالك في الموطأ في كتاب أوقات الصلاة ص١٥ .

يستطيع المصلي فيها القنوت والخشوع وذلك بوصف هذه الأوقات حالة استثنائية كحالة الخوف في الحرب. ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ أي: صلوا على الحال التي تستطيعون فيها الصلاة سواء كنتم تمشون على أرجلكم أو كنتم راكبين أو مستقبلي القبلة أو غير مستقبليها أو كنتم في أوقات غير أوقاتها المعلومة. ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾ المراد أنكم إذا أمنتم من الخوف كانتهاء القتال فعودوا إلى صلاتكم كما كنتم تفعلون من الخشوع والطمأنينة والركوع والسجود والقنوت واشكروا الله على ما أنعم عليكم من التخفيف في الصلاة أثناء الخوف ولم ينقصكم أجوركم على هذه الصلاة رغم ما فيها من التخفيف.

أحكام ومسائل الآية:

جواز الصلاة على الحال التي يكون عليها المرء في حال الحرب سواء كان مستقبل القبلة أو غير مستقبلها أو في غير أوقاتها وذلك بوصف حالة الحرب حالة استثنائية فإذا انتهت الحالة ينتفي العذر ويصلي المرء الصلاة كما يصليها في الأحوال العادية.

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾﴾

﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾﴾.

بيان الآيات:

قال أكثر المفسرين: إن هذه الآية منسوخة بالآية السابقة[1] ولعل ظاهر الآية يدل إجمالاً على أن الله جعل للمتوفى عنها زوجها الحق في المسكن في منزله مدة حول أي: سنة، وأن تكون نفقتها من تركة الميت وعلى الورثة ألا يخرجوها من هذا المسكن إلى أن ينتهي الحول فإن تركته وخرجت برغبتها فلا حرج عليهم ثم بعد هذا نسخ الله واجب النفقة فصار لها حق الميراث وانقص حقها في السكن إلى أربعة أشهر وعشرة أيام. ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ أي: ينتقم ممن يعصي أوامره ويتعدى حدوده سواء فيما يتعلق بأمور الطلاق أو غيرها وهو حكيم فيما يأمر به وينهى عنه.

﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ اللفظ مطلق يشمل كل مطلقة ما لم يرد ما يقيده ولم يرد في الآية تقييد لإطلاقها وشاهده أن المطلقة أياً كانت صفتها تتأثر بلا شك من الطلاق حيث إنها تفقد الزوج وتفقد السكن وربما تفقد الإنجاب إذا تأخرت في الزواج فإمتاعها بشيء من المال أو نحوه مما يطيب نفسها ويخفف من أثر الطلاق عليها. ﴿حَقًّا

(١) زاد المسير في علم التفسير، ص١٤٨، وتفسير القرآن العظيم ج١ ص٢٨٠.

عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ أي: واجباً على الذين يؤمنون بالله ويتقون ربهم ويخشون عقابه .

﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ أي: أنه بيَّن هذه الأحكام وفصلها لكم في أمور الطلاق والوصايا لعلكم تأتمرون بما أمركم به وتنتهون عما نهاكم عنه.

أحكام ومسائل الآيات:

من مات عنها زوجها فلها الحق في البقاء في بيته مدة سنة منها: مدة عدة الوفاة والباقي سبعة أشهر وعشرون يوماً وصية من الله ولكن جمهور العلماء يقولون إن هذه الآية قد نسخت. ومن الأحكام: أن للمطلقة حقّاً في إمتاعها بالمعروف تطييباً لخاطرها وتقديراً لها وهذا يشمل كل مطلقة. ومن الأحكام: وجوب الائتمار بما أمر الله به في أمور الطلاق والوصايا والانتهاء عما نهى عنه فيها.

﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٢٤٣) ﴾.

بيان الآية:

﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ المخاطب هو رسول الله ﷺ والكلمة يراد منها

التنبيه للأمر المراد. ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ قيل: إن هؤلاء من بني إسرائيل فروا من الطاعون الذي وقع في بلدة لهم فخرجوا منها فراراً من الموت[١] وقيل: إنهم فروا من القتال والجهاد في سبيل الله[٢]. ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ﴾ فماتوا حتى إذا بليت عظامهم بعث الله لهم نبياً فسأل الله أن يحييهم فأحياهم. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ أي: بما أنعم به عليهم من الهداية وما مَنَّ به عليهم من سائر النعم التي يتنعمون بها في أنفسهم وأولادهم وما هيأه لهم من سبل العيش وما قَصَّ به عليهم من قصص السابقين لما فيها من الموعظة والتفكر ومن ذلك قصة هؤلاء الألوف الذين أماتهم فأحياهم ليكونوا بذلك عبرة لمن يريد الاعتبار. ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ أي: أن غالب هؤلاء لا يشكرون هذه النعم ولا يقدرونها حق قدرها.

أحكام ومسائل الآية:

عدم جواز الخروج من المكان الذي يحل به مرض لما في ذلك من الفرار من قدر الله وسوء الاعتقاد بأن الإقامة فيه ستكون سبباً للإصابة بالمرض مع أن على المسلم أن يعتقد بأن كل شيء يحدث له هو بقدر الله وأن الفرار من الموت والحذر لا يرد ولا يغني شيئاً. وكذلك

(١) زاد المسير في علم التفسير ص١٤٩، ومعالم التنزيل ص١٤٦ .

(٢) زاد المسير في علم التفسير ص١٤٩، ومعالم التنزيل ص١٤٦ .

عدم جواز الدخول إلى المكان الذي يحل به مرض خوفاً على الداخل فيه من إصابته بالسخط على قدر الله وحكمه.

﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢٤٤﴾.

بيان الآية:

هذه الآية تدل على أن الذين ذكرهم الله في الآية السابقة تركوا ديارهم هرباً من القتال لأن الله وصف حالهم للمسلمين حتى لا يكونوا مثلهم في الفرار من القتال فقال جل ذكره ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وهذا أمر منه للمؤمنين الذين يتركون الجهاد في سبيله لأنه لن يقرب الموت، والحذر منه لن يرد الموت لأن لكل أجله لا يستقدمه ولا يستأخره، والذين هربوا من القتال خشية الموت أدركهم الموت فماتوا. وشاهده قول الله جل ذكره ﴿أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖ﴾[١]. وشاهده أيضاً قصة عمر بن الخطاب في طاعون عمواس فقد خرج إلى الشام حتى إذا كان بسرغ[٢] لقيه أمراء الأجناد أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه فأخبروه أن الوباء قد وقع في الشام فجاءه عبد الرحمن بن عوف وكان متغيباً لبعض حاجته فقال: إن عندي من هذا علماً سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً**

(١) سورة النساء من الآية ٧٨ .

(٢) سرغ مدينة بالشام افتتحها أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه.

منه) فحمد الله عمر[1]. ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أي: اعلموا أن الله يسمع سركم ونجواكم وأنه عليم بما تخفونه في قلوبكم فلا يخفى عليه منكم خافية.

أحكام ومسائل الآية:

القتال في سبيل الله من واجبات الإسلام ومن ذلك الجهاد عند الحاجة إليه سواء كان (جهاد طلب) عندما تتوفر شروطه وأسبابه والحاجة إليه، أو (جهاد دفع) وهذا فرض عين على كل مسلم إذا دخل العدو بلاده، وحكم الجهاد في سبيل الله قائم إلى يوم القيامة.

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةًۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٤٥﴾.

بيان الآية:

وهذه الآية مناطة بالآية السابقة التي يأمر الله فيها بالقتال في سبيله ثم بيَّن في هذه الآية أهمية الإنفاق في هذا السبيل فقال ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا﴾ هذا مجاز والقرض لله هو ما ينفقه المسلم في سبيله رجاء ثوابه له هو وليس لله لأن الله غني عن عباده

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون، برقم (٥٧٢٨، ٥٧٢٩)، صحيح البخاري مع فتح الباري، ج١٠ ص١٨٩ .

وإنما حثهم على الإنفاق في سبيله لما في ذلك من نفع لهم كما قال عز وجل ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[١]. ولما نزلت الآية كان أول المستجيبين لنداء الله أبو الدحداح حيث تبرع بستمائة نخلة في سبيل الله فقال رسول الله ﷺ: **(كم من عذق معلق في الجنة لابن الدحداح)**[٢]. والقرض الحسن هو ما تطيب به نفس المقرض لا تصحبه منة ولا أذى ﴿ فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ أي: يكثره مرات ويبارك فيه. ﴿ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ ﴾ هذا بيان وتأكيد من الله جل ذكره أنه القابض الباسط الرازق. ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ أي: أن الخلق كلهم عائدون إليه بعد مماتهم فيجازي كلاً بعمله المحسن بإحسانه والمسيء بعقابه.

أحكام ومسائل الآية:

الحث على الإنفاق في سبيل الله ورأس ذلك الجهاد ووعد الله بمضاعفة أجر المنفق خاصة ما تطيب به نفس المقرض.

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٦١ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجنائز، باب ركوب المصلى على الجنازة إذا انصرف، برقم (٩٦٥)، صحيح مسلم بشرح الأبي والسنوسي ج٣ ص٣٧٥، أبو الدحداح هو ثابت بن الدحداح وقيل الدحداحة. شهد غزوة أحد وأبلى فيها بلاء حسناً. أسد الغابة ج١ ص٢٥٦.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ۖ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٢٤٦) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ۖ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٤٧)﴾.

بيان الآيتين:

لما أمر الله بالقتال في سبيله وحث على الإنفاق فيه ومضاعفة الأجر فيه بيّن لنبيه محمد ﷺ وأمته في الآية السابقة أن القتال في سبيله لا يقرب الموت لأن له آجالاً معلومة قدَّرها وأن الذين قعدوا عن القتال خشية الموت ماتوا ثم بيَّن الله في هذه الآية قصة أخرى لبني إسرائيل لما كتب عليهم القتال حسب طلبهم نكصوا عنه فقال جل ذكره ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنبيه

لنبي الله محمد ﷺ. والملأ من بني إسرائيل: عِلْيَتُهم أو هم جمع منهم. ﴿مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰٓ﴾ المراد أن بني إسرائيل لما توفي موسى تركوا شريعته فعبدوا الأصنام وكان أنبياؤهم يأمرونهم بالمعروف وينهونهم عما كانوا يفعلونه من المنكرات فلم ينتهوا فسلط الله عليهم أهل بابل فغزوهم وقتلوا أكثرهم وشردوا من بقي منهم. ﴿إِذۡ قَالُواْ لِنَبِيّٖ لَّهُمُ ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾ النبي هو -كما جاء في الروايات- (شمعون) أو (سمعون)[1] فقال لهم ﴿هَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْۖ﴾ وهذا جواب منه لهم حين قالوا ابعث لنا ملكاً فقال لهم: هل توفون بما قلتم إذا فرض عليكم القتال أو ستفرون عنه، وتنكثون ما عاهدتم عليه كما هو سلوككم ؟ قالوا ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَاۖ﴾ أي: أننا سوف نقاتل من أجل ذلك وهذا تأكيد منهم على عزمهم على القتال للأسباب التي ذكروها. ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ تَوَلَّوۡاْ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ﴾ أي: أنهم نكثوا ما عاهدوا عليه نبيهم من القتال حين تولوا وأعرضوا عنه إلا قلة قليلة منهم. ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وفي هذا تهديد ووعيد للذين ظلموا بسبب كذبهم ونقضهم العهد.

---

(١) زاد المسير لابن الجوزي ص١٥١، وتفسير البغوي ص١٤٨، وتفسير القرآن العظيم ج١ ص٢٨٤ .

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ ﴾ هذه الآية تابعة للآية قبلها أي: أنهم لما طلبوا بعث ملك لهم يقاتل في سبيل الله قال لهم نبيهم شمعون ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًاۚ ﴾ أي: أن الله أجابكم على ما سألتم عنه من بعث ملك لكم فها هو طالوت فقالوا ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ﴾ والسبب في قولهم هذا أن طالوت كان رجلاً عادياً لم يكن من ذرية النبوة أو الملك فيهم فقالوا كيف يكون له الملك علينا وهو بهذه الصفة من الفقر ومن غير بيت النبوة أو الملك فقال لهم نبيهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِۖ ﴾ وفي هذا دلالة على أنه كان أعلمهم وأجملهم وأطولهم قامة ففضل عليهم بهذه الصفات وأهمها العلم الذي كانوا يفتقدونه. ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ ﴾ أي: أنه لا خيار لكم فالله هو الذي يؤتي الملك من يشاء من عباده وشاهده في الآية الأخرى ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ ﴾[١]. قوله ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ أي: واسع الفضل والإنعام فينعم على من يشاء، عليم بمن يهبه الملك والرياسة.

أحكام ومسائل الآيتين:

تقرير عدم وفاء بني إسرائيل بما عاهدوا عليه نبيهم من قيامهم

(١) سورة آل عمران من الآية ٢٦ .

بالجهاد، وفي هذا ذم لهم وتنديد بنكوثهم لعهدهم مع نبيهم. تقرير حسدهم للملك الذي بعث لهم، والإشارة إلى أن من أهم صفات القائد وخصائصه البسطة في العلم والجسم. ومن الأحكام: أن الله جل ثناؤه هو الذي يؤتي الملك بحكمته وقدره من يشاء من عباده.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾﴾.

بيان الآية:

لم يكتف اليهود بما لطالوت من خصائص العلم والشكل ولم يقتنعوا بما قاله لهم نبيهم شمعون فحتى يؤمنوا ويقتنعوا بيَّن الله جل ذكره ما حدث بينهم وبين نبيهم بقوله ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ قيل: إن التابوت كان لهم بمثابة الْعَلَم الذي يلتفون حوله في حروبهم وترتفع به نفسياتهم. ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ﴾ قيل: إن هذه البقية عصا موسى وعصا هارون وفتات

الألواح التي انكسرت حين ألقاها موسى[١] وقيل: التوراة[٢]. ﴿تَحۡمِلُهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُۚ﴾ تقول الروايات إن بني إسرائيل لما تركوا شريعة موسى وعصوا الله وارتكبوا المحرمات سلط الله عليهم العمالقة فهزموهم وأخذوا التابوت منهم ولكنهم وضعوه في معبد فيه أصنام[٣]. وكما تقول الروايات أصيب هؤلاء بنوع من الأمراض فتشاوروا بينهم وقالوا نرده إلى بني إسرائيل فوضعوه على عجلة فساقتها الملائكة[٤]. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ المراد أن نبيهم قال لهم: في عودة التابوت لكم بما فيه دلالة لكم على صدق ما أخبرتكم به أن الله بعث طالوت ملكاً عليكم هذا إن كنتم مؤمنين بما أخبرتكم به.

أحكام ومسائل الآية:

تقرير أن الأمة التي تعصي الله وتتعدى حدوده يسلط عليها الأعداء فيهزمونها.

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلۡجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦۚ فَشَرِبُواْ مِنۡهُ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ

(١) تفسير البغوي ص١٥١، وزاد المسير لابن الجوزي ص١٥٢ .

(٢) تفسير البغوي ص١٥١، وزاد المسير لابن الجوزي ص١٥٢ .

(٣) تفسير القرآن العظيم، ج١ ص٢٨٥-٢٨٦ .

(٤) تفسير القرآن العظيم، ج١ ص٢٨٥-٢٨٦ .

ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ ﴾.

بيان الآية:

هذه الآية تابعة لما قبلها من قصة بني إسرائيل مع نبيهم وملكهم. ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ﴾ فصل بالجنود أي: ذهب بهم للمعركة ﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾ الابتلاء الامتحان وقد ابتلى الله بني إسرائيل طيلة تاريخهم بسبب عنادهم وعصيانهم والنهر المشار إليه لعله نهر الأردن[1]. ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى﴾ الشرب هنا بمعنى الكرع كما تفعل الحيوانات ﴿فَلَيْسَ مِنِّى﴾ أي: ليس من جندي. ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ﴾ أي: من لم يشرب منه فإنه مني. ﴿إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ﴾ الغرفة المرة الواحدة وهذا استثناء من أصل المنع وهو الشرب بالكرع. ﴿فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ أي: أن الكثير من الجند شربوا ولم يمتثل الأمر إلا قليلٌ منهم وقيل: الكثيرون الذين شربوا عطشوا وأما من لم يشرب أو أخذ غرفة واحدة فكان أحسن حالاً. ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ أي: لما جاوز طالوت والذين آمنوا معه النهر ﴿قَالُوا۟ لَا

---

(١) تفسير البغوي ص١٥٢، وزاد المسير لابن الجوزي ص١٥٣ .

﴿طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ أي: لا قدرة لنا على منازلتهم لما رأوا من كثرتهم وقوة بأسهم فرد طالوت عليهم بأن الغلبة للفئة المؤمنة وهو قول الله جل ذكره ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ﴾ أي: الفئة المؤمنة. ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي: أن هذه الفئة القليلة حرصت على القتال ليقينها أن النصر لا تقرره الكثرة وإنما يقرره الله بإذنه للمؤمنين الصابرين حين يعلم الله سرائرهم وصدقهم وأن قصدهم العمل في سبيل دينه. ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ أي: أن الله ينصر أولياءه الذين يصبرون على القتال وهدفهم إعلاء كلمته.

أحكام ومسائل الآية:

وجوب طاعة الجند لقائدهم وآمرهم وإلا تعرضوا للهزيمة والفشل في قتالهم والأصل فيه عموم قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[1]. ومن الأحكام: أن الفئة المؤمنة الصادقة في إيمانها بالله تغلب بإذن الله الفئة الكثيرة غير المؤمنة. ومنها: تقرير فضل الصبر وما يناله الصابرون المحتسبون للجهاد في سبيل الله من الأجر العظيم.

---

(١) سورة النساء من الآية ٥٩ .

﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾﴾.

بيان الآيات:

ما زال السياق في قصة طالوت وقومه مع جالوت وقومه ﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ أي: صاروا في مكان المعركة الفسيح للقتال قال المؤمنون ﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا﴾ أي: أنزل علينا الصبر في القتال ﴿وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا﴾ أي: قو عزائمنا ﴿وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ أي: أننا نطلب النصر منك يا ربنا على القوم الكافرين وهم جالوت ومن معه.

وما زال السياق في القتال بين الفريقين وما آل إليه وهو قول الله جل ثناؤه ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ أي: أن الفئة المؤمنة من قوم طالوت هزمت جند جالوت وما كان هذا إلا بإذن الله وتدبيره ونصره.

﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ﴾ فالقاتل هنا (داود) الذي اختاره الملك طالوت على رأس الجند ولم يكن آنذاك نبياً ولا رسولاً والمقتول هنا (جالوت) رئيس العمالقة. ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ أي: آتى الله داود الملك والحكمة. ﴿وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ قيل: المراد أنه علمه منطق الطير وصنع الدروع[1].

قوله ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ بعد أن قص الله قصة بني إسرائيل وما ابتلوا به وما حدث من قتال بين طالوت وجالوت وهزيمة الأخير بسبب كفره بيَّن الله قاعدة عظيمة وحكمة من حِكَمِه هي أنه لولا أنه يدفع بعضاً من خلقه لمقاتلة البعض الآخر لتحولت الحياة إلى فوضى وفسدت الأرض فالقوي يسلط الله عليه من هو أقوى منه فيهزمه والباغي يسلط عليه من هو أبغى منه فيقاتله ويهزمه. وهذا ما عرفناه في التاريخ وما يشهده الإنسان اليوم فترى الدولة القوية ذات العدة الطاغية والعدد الهائل والقوة المتعددة فيسلط الله عليها نفراً منها أو من غيرها فيقاتلونها سراً يكرون عليها ويفرون منها فلا تستطيع هزيمتهم لأنها لا تقابلهم وجهاً لوجه ولله في ذلك حكمة؛ إذ لو لم يتسلط عليها هؤلاء القلة لبغت وطغت وعاثت في الأرض فساداً.

---

(١) زاد المسير لابن الجوزي ص١٥٤، وتفسير البغوي ص١٥٥ .

هذا معنى من معاني الآية وقيل: إن المعنى لولا دفاع الله بالمؤمنين الأتقياء عن الكفرة والفجار لفسدت الأرض. وروي في هذا قول رسول الله ﷺ **(أن الله يدفع العذاب بمن يصلي من أمتي عمن لا يصلي وبمن يزكي عمن لا يزكي وبمن يصوم عمن لا يصوم وبمن يحج عمن لا يحج وبمن يجاهد عمن لا يجاهد، ولو أجمعوا على ترك هذه الأشياء ما أنظرهم الله طرفة عين)** ثم تلا عليه الصلاة والسلام هذه الآية[(١)]. وفي حديث جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ قال: **(إن الله يصلح بصلاح الرجل ولده وولد ولده وأهل دويرته ودويرات حوله ولا يزالون في حفظ الله ما دام فيهم)**[(٢)].

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ والمراد أن الله حين يدفع بالمؤمنين والمجاهدين شر الظلمة والطغاة فإنما ذلك فضل ومنة منه على العالمين.

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ المخاطب هنا نبي الله ورسوله محمد ﷺ والمراد أن هذه الآيات التي قصصناها عليك وأعلمناك بها هي حق وصدق.

---

(١) قال السيوطي في الدر المنثور: أخرجه ابن أبي حاتم والبيهقي في شعب الإيمان، الدر المنثور ج١ ص٥٦٧ .

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير ج٢ ص٦٣٤، ومعالم التنزيل للبغوي ص٧٨٩.

﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ وهذا بيان من الله جل ثناؤه أن محمداً رسول من رسله وما كان الله ليقص عليه أحوال الأمم البائدة وما تعرضت له من الابتلاء وما أنعم الله به على عباده المؤمنين من النصر والثبات إلا ليعلم هو وأمته أن الإيمان به هو الوسيلة للنصر على الأعداء وأن الكثرة في العدد أو العدد لا تغني أصحابها شيئاً إذا فقدوا الإيمان به لأن النصر بيده ومن عنده كما قال عز وجل ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾(١).

أحكام ومسائل الآيات:

فضيلة دعاء الله والاستعانة به عند لقاء العدو وكان هذا دأب رسول الله ﷺ في غزواته لأنه مهما كانت قوة الجيش وعدده وعدده فلا ناصر له إلا الله. ومن الأحكام: ٤أنه لولا دفع الخلق لبعضهم لفسدت الأرض فمن حكمة الله العظيمة أنه يسلط على القوي من هو أقوى منه فيهزمه ويسلط على الطاغية من هو أقوى منه ويسلط أهل الإيمان على أهل الكفر فيهزمونهم وهكذا اقتضت إرادة الله وحكمته كما قال تعالى ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ﴾(٢).

---

(١) سورة آل عمران من الآية ١٢٦ .

(٢) سورة الحج من الآية ٤٠ .

﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ ﴾.

بيان الآية:

بعد أن بَيَّن الله لرسوله قصة بني إسرائيل مع نبيهم وأن ما بينه هو القول الحق أكد أنه ممن اختصهم برسالته بقوله ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ ثم انتقل الحكم إلى الرسل عامة وما بينهم من التفاضل وهذا يقتضي معرفة ما إذا كان ثمة فاضل ومفضول بين الأنبياء، وقد أجاب عن هذا رسول الله ﷺ فلما نزلت هذه الآية وأحب الصحابة معرفة معناها قال لهم: (**لا تفضلوا بين أنبياء الله أو لا تخيروا بين أنبياء الله**)[1]. وقال: (**لا يقل أحدكم أنا خير من يونس بن متى**)[2]. وقال: (**لا تفضلوني على موسى**)[3]. واختلف المفسرون حول

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾، برقم (٣٤١٤)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٦ ص٥١٩.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾، برقم (٣٤١٢)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٦ ص٥١٩.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، بلفظ (**لا تفضلوا بين أنبياء الله فإنه ينفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض فأكون أول من بعث.. فإذا موسى عليه السلام آخذ بالعرش**)، صحيح البخاري مع فتح الباري برقم (٣٤١٤) ج٦ ص٥١٩.

الجمع بين الآية وهذه الأحاديث فذكر القرطبي: أن أحسن الأقوال في هذا قول من قال: إن المنع من التفضيل إنما هو من جهة النبوة التي هي خصلة واحدة لا تفاضل فيها وإنما التفضيل في زيادة الأحوال والخصوص والكرامات والألطاف والمعجزات المتباينات وأما النبوة في حقيقة نفسها فلا تتفاضل وإنما تتفاضل بأمور أخرى زائدة عليها، ولذلك فهم رسل وأولو عزم، ومنهم من اتخذه الله خليلاً، ومنهم من كلَّمهم الله ورفع بعضهم درجات كما قال تعالى ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾[١]. وقال ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾.

﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ المراد هنا موسى بن عمران فقد كلمه الله لقوله عزوجل ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[٢]. ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ لا ريب أن الله أعطى نبيه ورسوله محمداً ﷺ الكثير من الفضائل التي لم تعط لنبي قبله لقوله عليه الصلاة والسلام: (**أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي بعثت إلى الأحمر والأسود وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ونصرت بالرعب مسيرة شهر وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة**)[٣]. وقد ذكر ابن عباس رضي الله

---

(١) سورة الإسراء من الآية ٥٥ .

(٢) سورة النساء من الآية ١٦٤ .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب المساجد برقم (٥٢١)، صحيح مسلم مع شرحه إكمال إكمال المعلم للأبي والسنوسي ج٢ ص٤١١ .

عنهما أن الله فضل محمداً على الأنبياء وعلى أهل السماء فقيل له: بم يا ابن عباس فضله على أهل السماء ؟ فقال: إن الله تعالى قال ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾[1] وقال لمحمد ﷺ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾[2]. ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[3]. قالوا: فما فضله على الأنبياء ؟ قال: قال الله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾[4]. فأرسله إلى الجن والإنس[5].

﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾ الآيات هي إحياء الموتى، وإبراء الأكمه، والأبرص، وخلق الطير من الطين وذلك للدلالة على صحة ما جاء به. ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ المراد به جبريل.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾ في هذا بيان لما حدث بين الأمم التي أرسل الله إليها الرسل فرغم ما جاءهم من البينات اختلفوا فيها فتقاتلوا بسبب هذا الاختلاف؛ وفي كتب التاريخ ما يدل على ذلك فقد اختلف اليهود فيما بينهم ولا يزالون كحال السامرة

---

(١) سورة الأنبياء الآية ٢٩ .
(٢) سورة الفتح الآية ١ .
(٣) سورة الفتح من الآية ٢ .
(٤) سورة سبأ من الآية ٢٨ .
(٥) الجامع لأحكام القرآن ج٣ ص٢٦٣ .

وضدهم، واختلف النصارى كذلك ولا يزالون كما هو حال الكاثوليك والبروتستانت، ثم اختلف اليهود والنصارى كما قال تعالى ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾(١). ولعل المراد من ذكر ذلك لرسول الله ﷺ تحذيره وتحذير أمته من الخلاف وما ينشأ عنه من الفرقة والاقتتال كما قال تعالى ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(٢). ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾ أي: أن من هذه الأمم من آمن بما جاءت به رسله وظل على إيمانه ومنهم من اختلف وضل عما جاءت به هذه الرسل. ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾ أي: أن ما حدث بينهم كان بقضاء الله. ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ أي: أنه هو الحاكم الفاعل لكل ما يريده في تدبير خلقه.

أحكام ومسائل الآية:

التفاضل بين الأنبياء منحصر في الخصوصيات والكرامات، أما في مجال النبوة فلا تفاضل بينهم. ومن هذه الأحكام: تحذير الله لرسوله محمد ﷺ وأمته من الاختلاف الذي فشا بين الأمم السابقة فكان سبباً في هلاكها.

---

(١) سورة البقرة من الآية ١١٣ .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٠٥ .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٥٤﴾.

بيان الآية:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ هذا نداء للمؤمنين لخصوصيتهم بالإيمان وانقيادهم لأمر الله فكان النداء والخطاب لهم. ﴿أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم﴾ المراد بالإنفاق هنا الإنفاق في سبيل الله بما يشمله ذلك من تجهيز المجاهدين والصدقة على المحاويج من الأقارب وغيرهم وكل عمل أساسه وغايته ومراده سبيل الله. ﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞ﴾ المراد باليوم يوم القيامة ففي هذا اليوم لا ينفع فيه إلا العمل الصالح في الدنيا. فإذا كان الإنسان في الدنيا ينتفع بالمال والبيع وبالأخلاء والأصدقاء وبالشفاعة ففي يوم القيامة لا ينفع من ذلك شيء لأن العمل في الدنيا. أما في الآخرة فليس إلا الحساب على العمل. ﴿وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ والمراد أن الذين نسوا يوم القيامة وفضلوا الحياة الدنيا على الآخرة وكفروا بالله هم الظالمون أي: الذين ظلموا أنفسهم بما آلوا إليه من العذاب كما قال تعالى ﴿وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾[1].

---

(١) سورة النحل من الآية ١١٨.

أحكام ومسائل الآية:

الحث على الإنفاق في سبيل الله استعداداً لليوم الذي لا تنفع فيه القرابة أو الصداقة أو الشفاعة، وإنما ينفع فيه العمل الصالح. ومن الأحكام: أن الذين كفروا بالله ورسوله هم الذين ظلموا أنفسهم بما يصيبهم من العذاب جزاء كفرهم.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾.

بيان الآية:

هذه الآية آية الكرسي أعظم آية في كتاب الله بل هي سيدة هذه الآيات وردت فيها أحاديث كثيرة للدلالة على عظمها وفضلها وما يكون لقارئها من الثواب في الآخرة والحرز من الشياطين في الدنيا. أما ثوابها في الآخرة فلأنها تشتمل على توحيد الله في ألوهيته وتقديسه وتعظيمه في أسمائه وصفاته لما رواه الخليفة علي رضي الله عنه قال: سمعت نبيكم ﷺ يقول وهو على أعواد المنبر: (**من قرأ آية الكرسي دبر**

كل صلاة لم يحل بينه وبين دخول الجنة إلا الموت)[1]. وأما حرزها في الدنيا فما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان فأتاني آتٍ فجعل يحثو من الطعام فأخذته وقلت لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ فقال: دعني فإني محتاج وعلي عيال وبي حاجة شديدة قال: فخليت عنه فأصبحت فقال رسول الله ﷺ: (**يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟**) قال: قلت يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالاً فرحمته وخليت سبيله قال: (**أما إنه قد كذبك وسيعود**) فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله ﷺ إنه سيعود فرصدته فجعل يحثو من الطعام فأخذته فقلت لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ قال: دعني فإني محتاج وعلي عيال لا أعود فرحمته وخليت سبيله فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ: (**يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟**) قلت: يارسول الله شكا حاجة وعيالاً فرحمته وخليت سبيله قال: (**أما إنه قد كذبك وسيعود**) فرصدته الثالثة فجعل يحثو من الطعام فأخذته فقلت لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ وهذا آخر ثلاث مرات. إنك تزعم أنك لا تعود ثم تعود فقال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها قلت: وما هن؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ حتى تختم الآية فإنك لن يزال عليك من الله

---

(١) أخرجه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ج١ ص٦٦١، برقم (٩٧٢)، وقال: «صحيح».

حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح فخليت سبيله فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ: (**ما فعل أسيرك البارحة؟**) قلت: يا رسول الله زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله قال: (**وما هي؟**) قال: قال لي إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ وقال لي: لا يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فقال النبي ﷺ: (**أما إنه صدقك وهو كذوب تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة؟**) قلت: لا، قال: (**ذاك شيطان**)[(١)].

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ ﴿ ٱللَّهُ ﴾ هو الرب الخالق الذي لا رب ولا إلَه غيره ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ هذا للاستغراق أي: لا إلَه في الوجود يعبد بحق إلا هو. ﴿ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ صفة من صفات الله عز وجل فـ﴿ ٱلۡحَيُّ ﴾ هو الباقي الدائم الذي لا يزول ولا يتحول ولا يتغير و﴿ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ أي: القائم بتدبير ما في السموات والأرض بما فيهن. ﴿ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ ﴾ أي: لا ينتابه نعاس ولا يعتريه نوم. والمراد أن الله جل ثناؤه حي قائم على تدبير خلقه لا يماثله في قوته ولا في تدبيره أحد في الوجود. ﴿ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ ﴾ أي: المالك لكل ما في السموات والأرض ومن فيهن فكلهم عبيده وتحت تدبيره

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب فضل سورة البقرة، برقم (٥٠١٠)، صحيح البخاري مع فتح الباري، ج٨ ص٦٧٢.

وتصرفه. ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ والمراد أن الله يأذن لمن يشاء من خلقه في الشفاعة خاصة من الأنبياء كما هو الحال في نبينا محمد ﷺ حين يعتذر الأنبياء عن الشفاعة للخلق، ويحيلون الشفاعة له عليه الصلاة والسلام فيخر حينئذٍ تحت العرش ساجداً فيقال له: (**ارفع رأسك واشفع تشفع**)[1]. ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ في هذا بيان وتوكيد بأنه جل ثناؤه يعلم كل ما في السموات والأرض دقه وجله وسره وعلانيته كما قال عز وجل ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾[2]. ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ والمراد أن العلم له جل ثناؤه حصراً وإطلاقاً؛ فليس لأحد أن يحيط بشيء من هذا العلم إلا إذا أذن له. فالذي تَعَلَّم صنعة السفينة كما هو حال نوح لم يكن يعلم ذلك العلم إلا لأن الله علّمه هذا العلم .والذي تعلم صنعة الحديد كما هو حال داود لم يكن ليعلم هذه الصنعة إلا لأن الله عَلَّمه كما في قوله ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾[3]. وهكذا في كل علم علمه الإنسان من طب وغيره في سالف الزمان وحاضره وقابله.

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ الكرسي موضع القدمين ولا

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ج١ ص٢٨٢، وإتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين لمحمد الزبيدي، ج١ ص٤٩٢ .

(٢) سورة غافر من الآية ١٩ .

(٣) سورة الأنبياء من الآية ٨٠ .

أحد يحيط بمعرفته وسعته وقد روى أبو ذر قال: قلت يا رسول الله أي ما أنزل عليك أعظم ؟ قال: (آية الكرسي) ثم قال: (**يا أبا ذر ما السموات السبع مع الكرسي إلا كحلقة ملقاة في أرض فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة**)[1]. ﴿وَلَا يَئُودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ أي: لا يثقله أو يصعب عليه حفظ السموات والأرض، ومن فيهن، وما بينهما لأنه القادر المالك الذي لا يعجزه شيء في ذلك.

أحكام ومسائل الآية:

وجوب إقرار الخلق بربوبية الله وألوهيته وأسمائه وصفاته وهذه هي أسس التوحيد التي لا يوصف أحد بأنه مسلم ما لم يقر بها قولاً وعملاً وتصديقاً وإخلاصاً. الإقرار بأن لله ما في السموات وما في الأرض، وأنه لا يشفع أحد من الملائكة أو الأنبياء أو الرسل أو غيرهم إلا بإذنه. وأنه لا أحد في الوجود يحيط بشيء من علمه إلا بما شاء، وأن كل ما في السموات والأرض ومن فيهن وما بينهما عبيده وتحت مشيئته وتدبيره وتصرفه.

﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾.

---

(١) أخرجه علاء الدين المتقي الهندي في كنز العمال، برقم (٤٤١٥٨)، ج١٦ ص١٣٠.

بيان الآية:

﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾ لا نفي و﴿ إِكۡرَاهَ ﴾ هو المنفي ﴿ فِي ٱلدِّينِ ﴾ المراد به الإسلام لأن الله أشار إليه بقوله في الآية السابقة ﴿ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ ورسول الله محمد ﷺ لم يرسل إلا بالإسلام وذكر المفسرون في أسباب نزول هذه الآية عدة أقوال منها: ما ذكره السدي: أنها نزلت في رجل من الأنصار يقال له أبو حصين كان له ابنان فقدم تجار من الشام إلى المدينة يحملون الزيت فلما أرادوا الخروج أتاهم ابنا الحصين فدعوهما إلى النصرانية فتنصرا ومضيا معهم إلى الشام فأتى أبوهما رسول الله ﷺ مشتكياً أمرهما ورغب في أن يبعث رسول الله ﷺ من يردهما فنزلت هذه الآية ولم يؤمر يومئذٍ بقتال أهل الكتاب وقال: (**أبعدهما الله هما أول من كفر**)[1]. وقال ابن عباس: نزلت هذه الآية في الأنصار كانت تكون المرأة مقلاتا فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده فلما أجليت بنو النضير كان فيهم كثير من أبناء الأنصار فقالوا: لا ندع أبناءنا فأنزل الله تعالى هذه الآية وقيل: إن هذه الآية منسوخة بآية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ ﴾[2]. وقال بهذا عبد الله بن مسعود وجمع من المفسرين.

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٣ ص١٥، والدر المنثور ج١ ص٥٨٣، وأسباب نزول القرآن للواحدي ص٢٠١ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج٣ ص٢٨٠، والدر المنثور ج١ ص٥٨٢، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٣ ص١٤، وأخرجه أبو داود برقم (٢٦٨٢)، وابن حبان برقم (١٤٠)، والبيهقي ج٩ ص١٨٦، والآية في سورة التوبة من الآية ٧٣ .

وقيل: إنها ليست منسوخة وأنها نزلت في أهل الكتاب إذا أدوا الجزية وأن الذين يكرهون أهل الأوثان فلا يقبل منهم إلا الإسلام وهم الذين نزلت فيهم آية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ وهذا قول الشعبي والحسن وقتادة وحجتهم في هذا ما رواه زيد بن أسلم عن أبيه أنه سمع عمر بن الخطاب يقول لعجوز نصرانية: «اسلمي أيتها العجوز تسلمي إن الله بعث محمداً بالحق» فقالت: أنا عجوز كبيرة والموت إلي قريب فقال عمر: اللهم اشهد ثم تلا ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾[1].

قلت: والمراد -والله أعلم- أن رسول الله ﷺ قاتل مشركي مكة لأنهم قاتلوه وأخرجوه فأحل الله قتالهم وعمل على تطهير بيته وجزيرة العرب من الشرك والوثنية. ولما ظهر الإسلام وتبين للناس أنه يهديهم إلى الحق، وأنه جاء لإخراجهم من الضلال إلى الهدى، ومن الظلام إلى النور، ومن الوثنية والعبودية إلى الحرية، وأن غايته عبادة إلَه واحد دلت المحسوسات والعقول على أنه الرب الخالق والإلَه الواحد؛ بعد هذا أصبح لكل عاقل أن يدرك معنى هذا الدين فيسلم قلبه وجوارحه لله دون إكراه من أحد. فإن فعل ذلك أدرك نصيبه من الحياة الدنيا والآخرة. وإن أبى واتبع هواه فلا يكون في إكراهه منفعة للدين، وعندئذٍ يترتب عليه حقّ يدفعه مقابل وجوده بين ظهراني المسلمين وحمايتهم له وتعهدهم بأمانه وهو ما عرف بالجزية خاصة على أهل الكتاب الذين

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج٣ ص٢٨٠ .

يريدون البقاء على دينهم؛ فتكون هذه الآية خاصة بهذا المعنى. أما إذا كان من هؤلاء من يريد التصدي للمسلمين بالحرب فهذا تحكمه الآيات الأخرى التي تحث على قتال المعتدين ومن في حكمهم. ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ﴾ هذا بيان لما قبله المراد منه أن الهدى المعبر عنه هنا بالرشد قد تميز من الغي وهو الضلال أي: أنه بمجيء الإسلام ورسالته لم يعد هنا سببٌ للجهل بالهدى من الضلال ولا بالحق من الباطل.

﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ والمراد أن من ترك ما يدعو إليه الطواغيت والشياطين من الشرك بالله وعبادة الأوثان والأصنام والصد عن سبيل الله ثم آمن بالله ووحده في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته فقد استمسك أي: استوثق بالعروة الوثقى وهي هنا دين الله القويم وعُراه وأساسه التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده. ﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ المراد أن من تمسك بهذه العروة فقد تمسك بحبل الله المتين الذي لا ينفصم ولا ينقطع. ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أي: أنه جل ثناؤه سميع بالذي يؤمن بالله متمسكاً بعروته الوثقى وبمن يتبع الطواغيت والشياطين.

أحكام ومسائل الآية:

من هذه الأحكام: أن أهل الكتاب من اليهود والنصارى ومن في حكمهم من الصابئين والمجوس ونحوهم لا يكرهون على الدخول في

الإسلام إذا أقروا بالجزية فيترك لهم الخيار للدخول أو عدم الدخول فيه. أما المحاربون فتطبق عليهم الآيات الخاصة بالقتال.

﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾.

بيان الآية:

﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ الآية. الولي مالك الأمر القائم به فهو المتولي لأمر المؤمنين الناصر والمعين لهم فيخرجهم من الشرك والكفر إلى النور وهو الإسلام، ويبعدهم عن طريق الضلال إلى طريق الهداية. أما الذين كفروا فأعرضوا عن الله فيتولاهم الطواغيت ومن في حكمهم من الشياطين فيبعدونهم عن طريق الهداية ويزينون لهم طريق الضلال. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ أي: أن هؤلاء الذين اتبعوا الطواغيت وحادوا عن طريق الهدى سيكون مصيرهم النار.

أحكام وهدايات الآية:

الحكم بأن من آمن بالله فإنه يتولاه فينقذه من ظلمات الكفر ويرشده إلى نور الإيمان فيكون مآله إلى النعيم. أما الذي يعرض عن الله فإن الشياطين تتولاه وتهوي به في ظلمات الكفر فيكون مصيره إلى العذاب.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾.

بيان الآية:

هذا بيان من الله لنبيه محمد ﷺ عن المناظرة التي تمت بين نبي الله إبراهيم ونمرود البابلي فهذا كان ملكاً على ممالك كثيرة فاستكبر عن دعوة نبي الله إبراهيم له إلى الإيمان بالله فقوله ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ يا محمد ﴿ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ ﴾ هذا تعجب واستنكار لمن يحاج في وجود الله ﴿ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ ﴾ أي: مكنه من حكم الممالك. ﴿ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ﴾ المراد أن نبي الله إبراهيم عندما حاج النمرود بيّن له أن الله هو الذي يحيي الخلق ويميتهم بقدرته وإرادته فرد عليه النمرود بقوله ﴿ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ﴾ وكان من السهل عليه بهذا أن يحاج إبراهيم فيقتل من يشاء ويترك من يشاء من أتباعه فهذا في زعمه معنى الإحياء والإماتة. ﴿ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ ﴾ لما عرف نبي الله إبراهيم أن النمرود حاول التخلص من المحاجّة الأولى قال له: إن كنت قادراً كما تزعم فأت بالشمس من المغرب خلافاً لما هي عليه

فأسقط في يده لمعرفته بعجزه عن ذلك، وهذا هو معنى قول الله جل ثناؤه ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ وهو بمعنى توقف عن الكلام لعجزه عن الجواب عليه. ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: أنه لا يهدي الذين جاءتهم البينات فأنكروها واستكبروا عن الحق فنعتهم بالظالمين.

أحكام ومسائل الآية:

من الأحكام في هذه الآية: أهمية محاجّة الكافرين لتبصيرهم بالحق ودعوتهم إليه رغبة في هدايتهم كما قال تعالى ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ﴾[1]. وقوله جل ثناؤه ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾[2]. فإذا قبل أولئك الحقّ ففي هذا خير كثير لأن الله حين أمر بالدعوة كان رأفة ورحمة بخلقه ممن ضل عن السبيل. فإن أبى المدعو إلى الحق واستكبر عنه قامت الحجة عليه عند حسابه يوم العرض على الله.

﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ

(١) سورة آل عمران من الآية ٢٠ .

(٢) سورة العنكبوت من الآية ٤٦ .

وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾.

بيان الآية:

﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ في الآية تشبيه بالمثل الذي ضربه الله في الآية السابقة وهو المحاجّة التي تمت بين نبي الله إبراهيم ونمرود. والمار على القرية قيل: إنه عزير أو أرميا بن حلقيا وقد يكون غيرهما من بني إسرائيل وفيه كلام كثير، وقد لا يكون من المهم ذكر اسمه أو تفاصيل المكان الذي مر منه. أما القرية فهي على الأصح القدس خربها بختنصر، وسبى أهلها، وهدم مبانيها، وقطع أشجارها فأصبحت خاوية على عروشها أي: سقفها فلما رأى ما رأى منها تعجب واستغرب ما حل بها وهذا يدل على أنه كان يعرفها عامرة ثم قال ﴿أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ وهو بهذا القول إما أنه يتساءل في نفسه عن الكيفية التي سوف يحيي الله بها هذه القرية بعد موتها، أو أنه كان شاكّاً في قدرة الله على إحيائها؛ ولعل هذا هو الأقرب بدليل أن الله ضرب له مثلاً في نفسه حين أماته ثم أحياه كما قال جل ذكره ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾ وهذا الموت موت طبيعي بمعنى مفارقة الروح للجسد مائة سنة. وقيل:

في إحياء القرية قصص كثيرة خلاصتها أن الله تعالى أمر ملكاً من ملوك فارس يعمرها فعمرها في ثلاثين سنة ثم أراد الله أن يري هذا الرجل قدرته فبعثه ليرى بعينيه قدرة الله على هذا الإحياء وفي هذا قال تعالى ﴿ثُمَّ بَعَثَهُۥ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ والمعنى أنه أحياه فعادت روحه إلى جسده فقيل له بواسطة أحد الملائكة: كم لبثت؟ فقال: لبثت يوماً أو بعض يوم ظناً منه أن هذه هي المدة التي نامها فقيل له على سبيل الإخبار ﴿بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ﴾ وحتى يكون إخباره على سبيل التوكيد قيل له ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ أي: أن الطعام والشراب الذي كان معه لم تغيره السنون التي لبثها ميتاً فتمثل له في صورته السابقة التي مات وهو عليها ثم قيل له على سبيل التوكيد بالمشاهدة ﴿وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ أي: انظر إلى تركيب عظام حمارك وترابط أجزائه حتى تشكل في هيئة حمار ثم جاء الملك فنفخ فيه الروح. ﴿وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ لهذه الآية احتمالات كثيرة فقد يكون رأى أسرته قد مات بعض أفرادها، وقد يكون من بقي منها قد شاخ، وقد يكون آية للناس ممن سمع عنه فيراه حياً بعد أن عرف عن مماته هذا من حيث الخصوص. أما من حيث العموم فهو آية للناس تدل على قدرة الله وإحيائه الموتى وفي ذلك عبرة للمشككين بالبعث والنشور.

﴿وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ﴾ قيل: إن أول ما خلق الله منه رأسه ثم ركبت فيه عيناه ثم جعل ينظر فكانت عظامه ترتبط بعضها إلى بعض ثم اكتست باللحم والعصب حتى تكامل جسمه على هيئته السابقة. ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ أي: لما تبين له ما كان يجهله عن قدرة الله أو ما كان يشكّ فيه من إحيائه هذه القرية، ورأى ما رأى في طعامه وشرابه وحماره وفي نفسه وفي أهله ومعارفه قال ﴿أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ أي: أني أصبحت بحكم ما شاهدت مقراً أن الله قادر على إحياء الأموات وأن قدرته لا تحد بحد ولا توصف بوصف.

أحكام ومسائل الآية:

من هذه الأحكام تحريم الشكّ في قدرة الله تعالى وإحيائه الموتى. ومنها: وجوب الإقرار بأن قدرة الله لا تحد بحد. ومن هذه الأحكام: أن الله يعطي بعض عباده شيئاً من الخصوصية والكرامة؛ فلا يعاقبه على ذنب ارتكبه بل يبصره بما يزيل من قلبه دواعي الذنب ووساوس الشيطان.

﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ

إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾.

بيان الآية:

لما بيَّن الله في الآية السابقة أنه ولي المؤمنين وأنه يخرجهم من الظلمات إلى النور ذكر ثلاث وقائع: الأولى- أن الذي حاج إبراهيم في ربه بهت وانهزم عندما تحداه إبراهيم في قدرته.. الواقعة الثانية- التساؤل أو الشك الذي داخل أحد بني إسرائيل في قدرة الله على إحياء الموتى، ولما رأى ما رأى من ذلك ازداد إيمانه. أما الواقعة الثالثة- فهي مسألة نبي الله إبراهيم نفسه مع الله؛ فقد سأل ربه أن يريه كيف يحيي الموتى لطمأنة نفسه البشرية التي غالباً ما تتطلع إلى معرفة المجهول من الشيء ليس لأنها تشك في وجود هذا الشيء بل لتعرف كنهه وما فيه؛ فنبي الله إبراهيم لم يكن شاكّاً في قدرة ربه فحاشاه لأنه يعرف أن هذا الشكّ خطأ، والأنبياء معصومون من الخطأ. وربما أنه عليه السلام وهو مكلف من ربه بالدعوة إليه وإنقاذ أمته من الشرك والضلال كان يريد زيادة علمه حتى يكون المجهول محسوساً أو معلوماً عنده فقال ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ وهذا رجاء منه إلى الله يريد منه المعاينة لكيفية إحياء الموتى وليس شكّاً في قدرة ربه لأنه سبق أن قال

لنمرود: ربي الذي يحيي ويميت. وشاهده قول رسول الله ﷺ: (**نحن أحق بالشك من إبراهيم**)(١). وقد ذكر الإمام القرطبي معناه وهو أنه لو كان شاكّاً كنا أحق به، ونحن لا نشك فإبراهيم عليه السلام أحرى ألا يشك فالحديث مبني إذاً على نفي الشك عن إبراهيم(٢).

وقد أجابه الله بقوله ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ فأجاب إبراهيم بقوله ﴿قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ أي: أن سؤالي لك يا رب لم يكن سببه الشك في قدرتك فأنت أعظم من الشك وأعظم من كل ما في الوجود، وإنما سبب سؤالي هو لطمأنة قلبي العاجز القاصر عن إدراك المجهول. ولأن الله يعلم سريرة نبيه وخليله ويعرف صدق إيمانه وإخلاصه في الدعوة إلى الله أمره أن يأخذ أربعة من الطير في قوله ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ أي: قطعهن إليك قطعاً ﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ قيل: إنه عليه السلام أخذ أربعة غير متجانسة من الطيور فذكاها ثم قطعها قطعاً صغيرة وخلط لحومها وريشها وجمعها قطعة واحدة ثم وزع هذا اللحم على الجبال فجعل على كل جبل جزءاً وأمسك رؤوس الطير بيده ثم نادى الطيور بإذن الله فطار اللحم إلى اللحم، والدم إلى الدم، والريش إلى

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة، برقم (١٥١)، صحيح مسلم بشرح الأبي والسنوسي ج١ ص٤٣٤ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج٣ ص٢٩٨ .

الريش حتى تكاملت وبقيت دون رؤوسها فناداها مرة ثانية بإذن الله فجاءت تسعى إليه حتى لقي كل طائر رأسه وطارت كما كانت من قبل. ﴿وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ وهذا التوجيه لإبراهيم بوصفه المخاطب في الواقعة أي: اعلم أن الله عزيز لا تعجزه حياة ولا موت ﴿حَكِيمٌ﴾ في تدبيره وأفعاله وتصرفه في خلقه.

أحكام ومسائل الآية:

من الأحكام في هذه الآية: نفي الشك عن نبي الله إبراهيم بسبب عصمته وخلته النبوية، وأن طلبه من ربه أن يريه كيف يحيي الموتى إنما كان على سبيل المعاينة والعلم بالمجهول. ومن هذه الأحكام: أن الله يبيّن لخلقه الهداية لما ينفعهم في دنياهم ويوم مآلهم إليه.

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١﴾.

بيان الآية:

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ روي أنها نزلت في عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف؛ ذلك أن رسول الله ﷺ لما كان يتجهز لغزوة تبوك حث الناس على النفقة في سبيل الله فجاءه

عبدالرحمن بن عوف بأربعة آلاف وقال يا رسول الله: كانت لي ثمانية آلاف فأمسكت لنفسي وعيالي أربعة آلاف وأربعة آلاف أقرضتها لربي فقال رسول الله ﷺ: (**بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت**)[1].

وقال عثمان: علي جهاز من لا جهاز له فجهز الجيش بألف بعير بأقتابها وأحلاسها وألف دينار ذهباً وضعها في حجر رسول الله ﷺ[2].

﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ﴾ السنبلة العقد الذي ينتظم فيه حب القمح وغيره فشبه الله الحسنة في الإنفاق في سبيله بالحبة الواحدة من القمح التي تنبت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة؛ فيكون مجموعها سبعمائة حبة فالحسنة الواحدة مثلها تضاعف إلى سبعمائة حسنة ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ﴾ والمعنى أن الله يضاعف هذه الحسنات لمن يشاء أكثر من سبعمائة ضعف. وفي الحديث الذي رواه أكثر من راو عن رسول الله ﷺ أنه قال: (**من أرسل بنفقة في سبيل الله وأقام في بيته فله بكل درهم سبعمائة درهم ومن غزا بنفسه في سبيل الله وأنفق في وجهه فله بكل درهم سبعمائة ألف درهم**) ثم تلا هذه الآية[3]. ﴿وَٱللَّهُ

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٢٠٤، وتفسير البغوي ج١ ص٣١٦.

(٢) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٢٠٥.

(٣) أخرجه الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب، ج٢ ص٢٥٣، والتبريزي في مشكاة المصابيح برقم (٣٨٥٧)، ج٢ ص١١٣٢، والمتقي الهندي في كنز العمال برقم (٥٥١) ج٤ ص٢٩٢.

وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ أي: أن فضله واسع وهو عليم بما يفعله خلقه فيجازيهم حسب أعمالهم.

أحكام ومسائل الآية:

من الأحكام في هذه الآية: الترغيب في الإنفاق في سبيل الله ورأسه الجهاد لما في ذلك من مضاعفة الأجر والثواب. والترغيب في الزراعة بوصفها ركيزة من ركائز الاقتصاد والقوة للأمة إضافة إلى ما فيها من الأجر لصاحبها كما قال رسول الله ﷺ: (**مامن مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة إلى يوم القيامة**)(١).

﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ ﴾.

بيان الآيتين:

قيل: إن الآية الأولى نزلت في عثمان بن عفان رضي الله عنه لما جاء إلى رسول الله ﷺ بألف دينار لتجهيز جيش العسرة فوضعها

(١) أخرجه مسلم في كتاب المساقاة، باب فضل الغرس والزرع، صحيح مسلم مع شرحه إكمال إكمال المعلم للأبي ج٥ ص٤١٣-٤١٦، برقم (١٥٥٢، ١٥٥٣).

في حجر رسول الله ﷺ فصار يقلبها ويقول: (**ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم اللهم لا تنس هذا اليوم لعثمان**)(١).

﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ تأكيد للحكم في الآية السابقة. ﴿ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى ﴾ للمن صفات كثيرة، ومن ذلك تحدث الإنسان عن صدقته لفلان أو عطائه له أو ذكر حاجة من أعطاه، أو تذكير من أعطاه بما أعطاه له ونحو ذلك مما يؤذي المعطى في نفسه. وفي الحديث ثلاثة لا يدخلون الجنة (**العاق لوالديه ومدمن الخمر والمنان بما أعطى**)(٢). أما الأذى فهو أشد حرمة من المن ومن ذلك أن يؤذي المنفق للصدقة المستحق لها بأي قول أو فعل.

﴿ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ فيه بيان من الله وتوكيد أن أجرهم محفوظ لهم عند ربهم يوم يلقونه. ﴿ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ أي: لن ينتابهم يوم القيامة خوف من هولها ولن يحزنوا على ما تركوه في الدنيا وسوف يفرحون بما آتاهم الله من الأجر والثواب جزاء إنفاقهم في سبيله.

﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ﴾ المراد أن الكلمة الطيبة التي يقابل بها السائل للصدقة فيأنس بها خير له من صدقة يتأذى بها في نفسه وشاهده قول

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب، برقم (٣٧٠١)، ج٥ ص٥٨٥، والتبريزي في مشكاة المصابيح برقم (٦٠٦٤)، ج٣ ص١٧١٣، وأحمد في المسند ج٥ ص٦٣.

(٢) أخرجه النسائي في كتاب الزكاة، باب المنان بما أعطى، ج٥ ص٨٠، وأحمد في المسند ج٢ ص١٣٤.

رسول الله ﷺ: (**الكلمة الطيبة صدقة وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق**)[١]. ﴿وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتۡبَعُهَآ أَذٗى﴾ المعنى أن الإعراض عن السائل وعدم مؤاخذته إذا تجاوز في طلبه الصدقة خير من إعطائه مع إيذائه. أو يكون المعنى أن المغفرة عن إساءة يتعرض لها الإنسان خير له من صدقة فيها من أو أذى. ﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ أي: أن الله غني عن خلقه، فالصدقة ليست له وإنما يعود فضلها لهم ﴿حَلِيمٌ﴾ أي: يعفو ويتجاوز عن خطيئات خلقه.

أحكام ومسائل الآيتين:

تحريم المن والأذى في الصدقات لما يؤدي إليه من سوء العاقبة، ومن ذلك إبطال صدقة المتصدق. ومنها: الترغيب في الكلمة الطيبة لكونها خيراً من الصدقة التي يصحبها مَنٌّ أو أذى.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٦٤﴾.

---

(١) أخرج البخاري النصف الأول من الحديث (الكلمة الطيبة صدقة) في كتاب الأدب، باب طيب الكلام، برقم (٦٠٢٣)، صحيح البخاري مع فتح الباري، ج١٠ ص٤٦٣، وأخرج مسلم النصف الثاني من الحديث في كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء، برقم (٢٦٢٦)، صحيح مسلم بشرح الأبي والسنوسي ج٨ ص٥٩٨.

بيان الآية:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾ لما ذكر الله في الآيات السابقة أهمية الإنفاق في سبيله ومضاعفة الأجر لهم حين يكون إنفاقهم بدون من أو أذى نادى المؤمنين وخاطبهم على وجه التكرار والتأكيد بألا يبطلوا صدقاتهم بالمن والأذى؛ ذلك أن المال مال الله وأن من اكتسبه لم يكن ليكتسبه من غير عون الله وتوفيقه له على اكتسابه والمال بهذه الصفة لا يجوز أن يكون سبباً في منة أو أذى لأحد من عباده؛ فالذي حرم منه لأي سبب قد جعل الله له حقّاً فيه كما قال عز وجل ﴿ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴾[١]. ﴿ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾[٢]. وهذا الحق يترتب له بصفتين: إما حق مفروض له إذا كان من أهل الزكاة الثمانية الذين أمر الله بإعطاء الزكاة لهم، وإما حق ترتب عن واجب له كحق النفقة للقريب أو حق أوصى الله له به بسبب فقره لعجز أو لأن جائحة أصابته في ماله.

ومناداة الله للمؤمنين بتجريد صدقاتهم من المن والأذى تقرير لأصحاب الأموال أن في أموالهم حقّاً لغيرهم من إخوانهم لأن المال في أصله لله، وهو في مفهومه الواسع فضل منه على الأمة كلها. فمن اختصه الله به وجب عليه ألا ينفقه إلا في وجوه الخير ومن أنفقه في المحرمات ارتد عليه إثمه، ومن أنفقه وهو يمن به على إخوانه أو

(١) سورة المعارج من الآية ٢٤ .

(٢) سورة المعارج الآية ٢٥ .

يؤذيهم به بطل أجره فيما أنفق وما كان الله لينادي المؤمنين بتجريد صدقاتهم من المن والأذى إلا رحمة بهم من ضياع أجرهم ورحمة بعباده المستحقين للصدقة أن يكونوا محلاً لإيذائهم في نفسياتهم ومشاعرهم؛ فهم وإن حرموا هذا المال لم يكن ذلك منقصاً لإنسانيتهم لأن عباد الله كلهم عنده سواء لا يتفاضلون فيما بينهم إلا بتقواه، وأن قويهم هو الضعيف عنده إذا لم يؤد ما عليه من حقوق، وأن الضعيف هو القوي عنده حتى تعطى له هذه الحقوق وكل هذا من سنة الله وإرادته وحكمته في خلقه.

ولهذا جعل الله جل ثناؤه المنفق للصدقة مع المن فيها كالمرائي فقال جل ثناؤه ﴿كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: أن غايته من الإنفاق التباهي والتفاخر لكي يكون محل ثناء الناس ومدحهم له. ﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ أي: أن مثل المنفق مع المن والأذى كمثل الكافر الذي لا يؤمن بالله واليوم الآخر فيكون مراده وغايته من الإنفاق وصفه بصفة الجود والكرم. وقوله ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا﴾ وهذا مثل ضربه الله للمنفق مع المن والأذى فهو مثل الحجر الصلد الذي كان عليه تراب فيظن الرائي له أنه أرض تنبت النبات فجاءه الوابل أي: المطر الكثير فتركه صلداً لا ينبت فيه شيء. فأعمال المرائي تذهب كما يذهب المطر التراب على الحجر الأملس. ﴿لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا

كَسَبُوا۟ ﴾ والمعنى أن المرائي بعمله والمان بصدقته والكافر بكفره لا يستفيدون من أعمالهم بشيء لأنها كانت لغير وجه الله. ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ وذلك بسبب إعراضهم وكفرهم بالله رغم ما جاءهم من البينات.

أحكام ومسائل الآية:

تأكيد الله لحرمة المن والأذى في الصدقات وإبطال أجر المان وتمثيل الله لذلك بعمل المرائي والكافر. تحريم الرياء في الإنفاق لكونه من الشرك الذي حرمه الله لقوله عز وجل ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾(١).

﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ ﴾.

بيان الآية:

لما شبه الله في الآية السابقة حال الذين يمنون ويؤذون في صدقاتهم بحال المرائي والكافر، وضرب لهم مثل الصخر الصلد الذي لا ينبت نباتاً مَثَّلَ حال المؤمنين المنفقين ابتغاء مرضاة الله بمثل طيب هو

(١) سورة الكهف من الآية ١١٠ .

الجنة على الربوة فقوله جل ثناؤه ﴿ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ أي: أنهم لا يبتغون من نفقتهم ثناء ولا شكراً من أحد وإنما يريدون ثواب الله. ﴿وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ لعل المراد أنهم حين ينفقون لتبقى نفوسهم ثابتة وراسخة على الإيمان لا يخشون عالة أو فقراً حين ينفقون لأن طمعهم ورغبتهم في ثواب الله؛ فأنفسهم ثابتة على هذه الرغبة ومثلهم في ذلك قول الله ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾ هذا مثل جميل وعظيم يدركه العقل بكونه من المحسوسات التي يعرفها الإنسان من خلال مشاهدته؛ ذلك أن البستان الذي يكون على ربوة ثم يصيبه الوابل وهو المطر الغزير يكون إنتاجه من الثمر مضاعفاً. ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ والمعنى أن هذه الجنة أو البستان الذي يصاب بمطر غزير وبمطر خفيف وهو الرذاذ المتتابع يتضاعف نباته فالمنفق ابتغاء مرضاة الله مثله في مضاعفة حسناته مثل هذه الجنة والبستان في مضاعفة نباته. ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أي: أنه مطلع على ما يفعله عباده بصير بخفاياهم وسرائرهم وما يريدونه من نفقاتهم، إما الرياء وإما ابتغاء مرضاة الله ولكل منهم جزاء على حسب عمله وقصده منه.

أحكام ومسائل الآية:

لما كانت دعوة رسول الله أول ما بدأت لدى العرب تختلف فيها

الأنظار فكان منهم من قَبِلَها، ومنهم من رفضها في بداية الأمر كان القرآن ينزل على رسول الله ﷺ ويضرب الله فيه الأمثال للناس لتقريب أحكامه لهم حتى يكون ذلك أقرب إلى أفهامهم وعقولهم؛ خاصة أنهم كانوا في الغالب أهل بداوة، وضرب الأمثال يكون أقرب للسمع وأكثر للفهم.

﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ ﴾.

بيان الآية:

في الآية مخاطبة للمؤمنين وتذكير لهم، بل وتحذير ألا تكون أعمالهم مثل أعمال المرائين الذين لا تنفعهم أعمالهم. وفي البخاري أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال يوماً لأصحاب رسول الله ﷺ: فيم ترون هذه الآية نزلت ؟ قالوا: الله أعلم. فغضب عمر فقال: قولوا نعلم أو لا نعلم فقال ابن عباس: في نفسي منها شيء ياأمير المؤمنين. قال عمر: يابن أخي قل ولا تحقر نفسك قال ابن عباس: ضربت مثلاً لعمل قال عمر: أي: عمل؟ قال ابن عباس: لعمل قال عمر: لرجل غني يعمل بطاعة الله ثم بعث الله عز وجل له الشيطان فعمل بالمعاصي

حتى أغرق أعماله[١]. وفي رواية: فإذا أفنى عمره واقترب أجله ختم ذلك بعمل من أعمال الشقاء. فرضي عمر بذلك.

أما ظاهر المثل في الآية فهو مخاطبة المؤمنين بألا تكون أعمالهم مثل الرجل الذي له حديقة فيها نخيل وأعناب وفيها مياه كثيرة إلا أنه كبير في عمره وذريته صغار لا يساعدونه في شيء فتعرضت حديقته لريح شديدة أحرقتها فهل يستطيع عمل شيء فيها وهو على تلك الحال من الكبر وضعف الذرية ؟ والجواب بالنفي لأنه عقلاً لا يستطيع عمل شيء منها وهو على تلك الحال. وهذا مثل الذي ضيع نفسه في الدنيا بالمعاصي فيأتي يوم القيامة لا حيلة له لأن حاله كحال الذي أصابه الكبر وليس له ذرية يساعدونه على إعادة غرس جنته. فقوله ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ ﴾ تحذير واستنكار ﴿أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ﴾ أي: حديقة تجري فيها الأنهار. ﴿لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ أي: متكاملة في إنتاجها. ﴿وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ﴾ أي: التقدم في السن. ﴿وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ ﴾ أي: صغار. ﴿فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ﴾ الإعصار الريح القوية. ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ والمراد أن الله حين يبين لكم الآيات ويضرب لكم الأمثال يريد منكم أن تتفكروا فيما أنتم مكلفون به في العمل في الدنيا حتى لا تتعرضوا للعذاب يوم القيامة.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب قوله تعالى: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ ﴾- إلى قوله - ﴿تَتَفَكَّرُونَ ﴾ برقم (٤٥٣٨)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٨ ص٤٩ .

أحكام ومسائل الآية:

إن الله حين يضرب الأمثال للناس إنما يقرب الأحكام إلى أسماعهم وقلوبهم خاصة لتكون أكثر وقاراً في نفوسهم، ويترتب على هذا أهمية ضرب الأمثال للناس حين الدعوة إلى الله. ومن الأحكام: وجوب التفكر في آيات الله لما فيها من العبر التي تنفعهم في عمل الطاعات واجتناب المعاصي.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ﴾.

بيان الآية:

الخطاب للمؤمنين لأنهم يقبلون نداء الله ويطيعونه والنداء إن كان خاصّاً بالمؤمنين فهو يشمل عموم الأمة ومن يحب أن يسمع نداء الله ليكون من المؤمنين.

﴿أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ﴾ هذا أمر يفيد الوجوب يشمل كل إنفاق يراد به وجه الله سواء كان مناطه الزكاة المفروضة، أو أي صدقة يريد صاحبها التقرب بها إلى الله. والمراد بالطيبات الجيد من المال والزكي منه ونقيضه الرديء. وسبب نزول هذه الآية أن نفراً من الأنصار أيام جذاذ النخل يخرجون قنواناً[1] فيعلقونها

(١) القنوان: واحده قنو وهو العذق من النخلة يحمل ثمرها. المعجم الوسيط ص٧٦٤ .

على حبال بين أسطوانتين في مسجد رسول الله ﷺ ليأكل منها فقراء المهاجرين ويكون من بين هذه القنوان شيء من الحشف[١]. فأنزل الله هذه الآية[٢]. ﴿وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أي: من النبات وما يكون في باطن الأرض من ركاز أو معادن. ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ أي: لا تخرجوا الرديء من التمر أو غيره مما تعطونه زكاة أو صدقة تطوع. وشاهده ما رواه أبو أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه أن رسول الله ﷺ أمر بصدقة فجاء رجل من هذا السُّحَّل[٣] بكبائس[٤]، فقال رسول الله ﷺ: **(من جاء بهذا؟)** فقالوا: فلان فنزلت هذه الآية[٥]. ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾. وقوله ﴿وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ﴾ أي: أنكم لن تأخذوه من غيركم إذا كان وفاء لحقوقكم إلا أن تتساهلوا في ذلك والمعنى أنكم إذا كنتم لا تتساهلون في حقوقكم وأنكم لن تأخذوا

---

(١) الحشف: هو من حشف - حشفاً: يبس وتقبض يقال حشف الضرع: ارتفع لبنه فقبض. والحشف من التمر: أردؤه وهو الذي يجف ويصلب ويتقبض قبل نضجه فلا يكون له نوى ولا لحاء ولا حلاوة ولا طعم ويقال: «أحشفاً وسوء كيلة»: لمن يجمع خصلتين مكروهتين. المعجم الوسيط ص١٧٦ .

(٢) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٢٠٦، وجامع البيان ج٣ ص٨٢ .

(٣) هو الرطب الذي لم يتم إدراكه وقوته ولعله أُخذ من السحيل: الحبل، النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، ج٢ ص٣٤٨ .

(٤) هي جمع كِباسة وهو العِذق التام بشماريخه ورطبه. النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٤ ص١٤٤ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن للواحدي ج٣ ص٣٢٥، والحديث أخرجه الدارقطني في كتاب الزكاة، باب في قدر الصدقة فيما أخرجت الأرض وخص الثمار، ج٢ ص١٣٠ .

إلا الجيد فالأوجب إذاً ألا تتساهلوا في حقوق الله فتخرجوا الرديء.
﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ فالمراد أن الله غني عن صدقاتكم وعليكم أن تعلموا أن هذه الصدقات لكم أنفسكم. ﴿حَمِيدٌ﴾ أي: يحمده المؤمنون على نعمه وما أفضل به عليهم.

أحكام ومسائل الآية:

وجوب الإنفاق من طيب ما كسب الإنسان. ويشمل ذلك الزكاة في الذهب والفضة وما يقوم مقامهما من الورق النقدي. وجوب الزكاة في الإبل والبقر والغنم وهذا مشروط ببلوغها تمام الحول وتوفر النصاب. وجوب الزكاة كذلك في كل ما خرج من الأرض من الحبوب والثمار وغيرها بدليل قول رسول الله ﷺ: (**فيما سقت السماء أو كان عثرياً العشر، وفي ما سقي بالنضح نصف العشر**)[1]. ومن هذه الأحكام: عدم جواز إخراج الرديء من المال أياً كانت صفته أو جنسه لأن الله سماه خبيثاً، وهو كل ما تكرهه النفس أو ما لا منفعة فيه كحال الحشف من التمر.

﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةً مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب العشر فيما يسقى من ماء السماء وبالماء الجاري، برقم (١٤٨٣)، صحيح البخاري مع فتح الباري، ج٣ ص٤٠٧.

بيان الآية:

هذه الآية متعلقة بما قبلها من أمر الله لعباده المؤمنين بالإنفاق. ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ ﴾ أي: إن الشيطان يخوفكم الفقر ويوسوس لكم بأن إنفاقكم زكاة أموالكم وإخراج صدقاتكم سيكون سبباً في عوزكم وعيْلتكم وهو حين يفعل ذلك يريد إغواء الإنسان وضلاله وإبعاده عن رحمة الله. ﴿وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾ أي: يعمل كل ما يستطيع لإغراء الإنسان بالمعاصي وتزيينها له حتى يكون من جنده وأعوانه. ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ﴾ والفرق هنا بَيِّنٌ وواضح؛ فالله تقدست أسماؤه لا يعد إلا بالمغفرة والفضل والإحسان إلى عباده. وشاهده ما رواه عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: (**إن للشيطان لمة**[1] **بابن آدم وللملك لمة فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان**) ثم قرأ ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾[2]. ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ المعنى أن الله ينعم على عباده ويتفضل عليهم من سعة جوده وكرمه وهو عليم بما يفعلونه.

---

(١) هي: الخطرة تقع في القلب. النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٤ ص٢٧٣ .

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن، باب (٣) برقم (٢٩٨٨)، سنن الترمذي ج٥ ص٢٠٤.

أحكام ومسائل الآية:

لما كان من طبيعة الشيطان الصد عن سبيل الله وإغواء العباد وتزيين الباطل لهم، ومن ذلك تخويفهم من الفقر إذا أنفقوا في سبيل الله وجب عليهم البعد عن إغوائه مع مجاهدته؛ وذلك بسلوك سبيل الله الذي يَعِدُ المنفق في سبيله بالمغفرة في الآخرة والفضل في الدنيا.

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾﴾.

بيان الآية:

للمفسرين أقوال كثيرة في معنى الحكمة فمنهم من قال: إنها النبوة ومنهم من قال: الفقه في القرآن ومنهم من قال: بأنها الإصابة في القول والعمل ومنهم من قال: إنها المعرفة بالقرآن من حيث فهمه ومعرفة محكمه ومتشابهه وما نسخ منه قال الإمام القرطبي: ما عدا القول بأن الحكمة هي النبوة فالأقوال هذه متقاربة لأن الحكمة مصدر من الإحكام وهو الإتقان في قول أو فعل فكل ما ذكر فهو نوع من الحكمة التي هي الجنس؛ فكتاب الله حكمة، وسنة نبيه حكمة وكل ما ذكر من التفضيل فهو حكمة، وأصل الحكمة ما يمتنع به من السفه فقيل: للعلم حكمة لأنه يتمنع به وبه يعلم الامتناع من السفه وهو كل فعل قبيح وكذا القرآن والعقل والفهم[1].

---

(١) أحكام القرآن، ج٣ ص٣٣٠ .

قلت: وللحكمة عند الإنسان المادي معنى شمولي واسع فهو حين يتحدث عن حضارته التي ينتسب إليها ويدعي تفوقها يرى أن مصدر هذا التفوق الحكمة التي يتمتع بها قومه. وهو حين يتحدث عن نفسه وما قد ناله من نجاح في علم أو تجارة أو نحو ذلك ينسب هذا النجاح إلى حكمته. وهو حين يتحدث عن فشل الآخرين من أنداده أو أضداده ينسب ذلك إلى عدم حكمتهم.

وعلى مر التاريخ ومسميات الحضارات عرف الإنسان ما يسمى الحكماء في الأمم؛ فهؤلاء الحكماء هم الذين كانوا يقودون أممهم فينتصرون في الحروب، ويحرسون الأخلاق والمعتقدات. وقد يكون هؤلاء نتاج إرث تاريخي متسلسل بين قومهم كحال زعماء العشائر الذين يبسطون نفوذهم على أتباعهم بحكم ما لديهم من مال أو إرث تاريخي أسطوري. وقد يكون هؤلاء نتاج إرث عقدي كحال الكهنة ونحوهم من الذين يبسطون سلطانهم على أتباعهم بحكم ادعائهم معرفتهم أسرار الاعتقاد .

هذا عند الأمم أما عندنا نحن المسلمين فالحكمة تتمثل في ست قواعد أساسية هي:

- العقيدة .
- الأخلاق .
- العلم .

- الحكم .

- التربية .

- الاقتصاد .

العقيدة: هذه هي الأصل في الإسلام والقواعد الأخرى تتفرع منها. والأساس فيها الإيمان المطلق بالله وبكل ما جاء في كتابه، وما جاء به رسوله محمد ﷺ فيما قاله من قول، أو فعله من فعل، أو ما قرره من تقرير؛ وبهذا ليس للمسلم حق في ابتداع حكم يخالف هذا الأصل وتبقى حريته في الفكر أو الفعل محدودة بما لا يخالفه وشاهد هذا قول الله تقدست أسماؤه ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[١]. وقوله ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾[٢]. وقوله ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[٣].

وهنا يختلف الأمر بين المؤمنين بالإسلام، وبين المؤمنين بغيره سواء من أهل الكتاب في عقيدتهم اليهودية والنصرانية ومن غيرهم من أصحاب العقائد والملل؛ ففي الإسلام الحاكمية لله والمرجع فيها الإسلام. والحكمة لا توجد إلا في الإيمان به فمن يمتنع عن فعل محرم كالزنا أو شرب الخمر مثلاً فقد أوتي الحكمة ليس لأنه انتهى عما

(١) سورة آل عمران من الآية ١٩ .

(٢) سورة آل عمران من الآية ٨٥ .

(٣) سورة النساء الآية ٦٥ .

حرم الله عليه فحسب بل لأنه جنب نفسه أضرار هاتين الجريمتين؛ فالحكمة إذاً جاءت من النص بالتحريم وهكذا. أما في العقائد الأخرى فالحاكمية للناس مع استثناء ما يسمى الإلَهيات فالمرجع فيها إما المتنفذون في الكنائس أو في المعابد لأصحاب العقائد والملل الأخرى. والإشكال هو أن جعل التشريع في يد الإنسان يعرضه للهوى فتكون حكمته منقوصة بما يطرأ عليه من ضعف بسبب هواه.

الأخلاق: الأخلاق مجموعة من القواعد والضوابط التي تحكم سلوك الإنسان. وقد اهتم الإسلام في تشريعه بهذه القواعد وهي فيه على ثلاثة أقسام: قسم يتعلق بالوصف، وقسم يتعلق بالترغيب، وقسم يتعلق بالأمر والنهي. أما الوصف فقد وصف الله نبيه ورسوله محمداً ﷺ بعظمة الخلق في قوله ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[1]. وخلق الرسول عليه الصلاة والسلام تعلمه من القرآن كما قالت عائشة رضي الله عنها لما سئلت عنه قالت: كان خلقه القرآن[2]. وهذا الوصف من الله كان في منتهى الإطلاق ولم يعاتبه الله إلا في مسألتين: الأولى- مسألة (زينب) حين قال له ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾[3]. وهو بهذا بشر ولو كان معصوماً وشاهده قول الله على لسان نبيه ﴿ قُلْ

(١) سورة القلم الآية ٤ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند ج٦ ص١٦٣، والبيهقي في كتاب الصلاة باب في قيام الليل ج٢ ص٤٩٩، والهندي في كنز العمال برقم (١٨٣٧٨)، في الباب الرابع في شمائل تتعلق بالأخلاق والأفعال، ج٧ ص١٣٧ .

(٣) سورة الأحزاب من الآية ٣٧ .

﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ﴾(١). والبشر يتعرض للرغبات والهواجس النفسية. أما المسألة الثانية- فهي مسألة ابن أم مكتوم حين أعرض عنه وهو يتحدث مع كبار قريش من أجل دعوتهم فعاتبه الله بقوله ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾(٢). ﴿أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ﴾(٣). ومن عظيم خلقه وصدق نبوته ورسالته أنه لم يخف ما عاتبه الله عليه.

ومن الوصف ما وصف الله به عباده من الذين يمشون على الأرض هوناً دون تكبر وعدم شهادتهم الزور كما قال ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾(٤). وقوله ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾(٥).

أما الترغيب فهو دعوة الله للمؤمنين في آيات كثيرة إما للإنفاق في سبيله، أو الإنفاق على الفقراء والمحاويج، أو احترام الجار ونحو ذلك من المرغبات المثبتة في القرآن التي يرغب الله فيها عباده لتكون لهم حسن العاقبة في الدنيا والآخرة.

أما القسم الذي يتعلق بالأمر والنهي فمنه أمر الله لرسوله وأمته أن تكون دعوتهم للدين بالحكمة والموعظة الحسنة ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ

---

(١) سورة الكهف من الآية ١١٠ .

(٢) سورة عبس الآية ١ .

(٣) سورة عبس الآية ٢ .

(٤) سورة الفرقان من الآية ٦٣ .

(٥) سورة الفرقان من الآية ٧٢ .

رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[١].

ومنه في النهي قوله عز وجل ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾[٢].

العلم: أحد القواعد في الدين الإسلامي، فأول آية نزلت على رسول الله قول الله له ﴿ ٱقْرَأْ ﴾ فالقراءة مصدر للمعرفة وهذه مصدر للحكمة والقرآن كتاب معارف وتعليم. ففي الكثير من أواخر الآيات قول الله جل ثناؤه ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ ﴾ وفي هذا دعوة للمخاطبين بأن يعلموا ما ذكره لهم من أمر أو نهي، أو ما قصه من قصص، أو ما أخبر به من خبر.

والاعتقاد يجب أن يكون عن علم لأن الجهل به يتساوى مع عدمه ولما قال الله جل ثناؤه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ﴾[٣]، عُلِمَ عقلاً أن العبادة تستدعي حكماً المعرفة بالعبادة من حيث حقيقتها ومعانيها. والمعرفة تتم عن طريقين: إما من المكلف نفسه ليعرف عبادته بما تعلمه عنها، فإن لم يكن بها عالماً وجب عليه سؤال غيره عنها لقول الله تعالى ﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[٤]. ثم بيَّن جل ثناؤه الحكم في المفاضلة بين

---

(١) سورة النحل من الآية ١٢٥ .

(٢) سورة الإسراء الآية ٣٢ .

(٣) سورة البقرة من الآية ٢١ .

(٤) سورة النحل من الآية ٤٣ .

من يعلم ومن لا يعلم فقال ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[١]. وهذا استفهام تقريري مفاده أن الذين يعلمون خير من الذين لا يعلمون.

والعلم في الفهم الإسلامي لا يعني العلم الشرعي فحسب، بل هو كل علم تستفيد منه الأمة أياً كان مسماه. والذين كانوا يحجبون هذه الحقيقة عن الأمة كانت تنقصهم الحكمة، وهو ما يحاول أعداء الأمة حجب حقيقة العلم عنها حتى تكون في الصف الخلفي الذي يريدونه لها.

الحكم: وهذا من قواعد كيان الأمة بل وأساس حضارتها وعلومها. فالعرب قبل إسلامهم كانوا قبائل مستعمرة تتجاذبهم الأمم، ولم يكن لهم في الجزيرة من حضارة سوى لسان الشعر وفصاحة اللغة. ولما جاءهم الإسلام جاء بالحضارة ممثلة في الدولة بما تشمله من قواعد الإدارة، والقضاء، ووجود حاكم يحكم في نزاعهم، ويفك خصوماتهم، ووجوب طاعتهم له حتى تنتظم حياتهم. وقد قرن الله طاعته وطاعة رسوله بطاعة الحاكم بقوله تقدست أسماؤه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾[٢]. ومن هذا المنطلق أكد رسوله ﷺ على أهمية الانضواء تحت حكم الحاكم دفعاً للفوضى

---

(١) سورة الزمر من الآية ٩ .

(٢) سورة النساء من الآية ٥٩ .

وتسلط الأقوياء على الضعفاء **(من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية)**[1].

هذه المبادئ فهمها الفقهاء فألفوا الكتب في الأحكام السلطانية وقعدوا فيها شروط الحكم، وشروط الحاكم، وما يجب عليه من التشاور مع أمته وفق واقع زمانه ومكانه. وما يجب عليه كذلك من وضع الولايات للقضاء والمظالم والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وما يقتضيه تسيير الأمة من وضع الدواوين والإدارات.

التربية: وهذه من أولويات العقيدة بوصفها -أي التربية- منطلقاً لتهذيب الإنسان والسمو به لبلوغ الصفة التي أرادها الدين له من إقامة العدل وفق موازينه ومعاييره والبر والبعد عن المحرمات، ومن ذلك قول الله جل ذكره في العدل ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟﴾[2]. وقوله ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾[3]. وقوله في البر والنهي عن القطيعة بين الرحم ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ﴾[4] وقوله في النهي عن المحرمات

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، برقم (١٨٥١)، صحيح مسلم بشرح الأبي والسنوسي ج٦ ص٥٥٧ .

(٢) سورة المائدة من الآية ٨ .

(٣) سورة النساء من الآية ١٣٥ .

(٤) سورة محمد الآية ٢٢ .

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾[1]. والآيات والأحكام في هذا كثيرة وهي في مجملها وتفصيلاتها أسس لتربية النفس على الاستقامة. وهي في كل دلالاتها مرجع للحكمة؛ فلولا العدل بين الناس لفسدت أحوالهم وتفرقت كلمتهم وأصبحوا شيعاً وطوائف لا تجمعهم دولة، ولا يكون بينهم ألفة. ولولا البر بين الأقربين لفسدت أحوال الأسرة التي هي أساس للجماعة، وهذه أساس للدولة. ولولا تحريم الفواحش لكثر الفساد، وعمت الأمراض والأوبئة وفسدت الأمة وهكذا.

والتربية في مفهومها الواسع تشمل واجب الإنسان في تربية غيره ممن هو مسؤول عنه كالولد أو الزوجة لكونهم تحت مسؤوليته وشاهده قول الله ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾[2]. وقول الله ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[3]. وقوله جل ذكره ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾[4]. وقوله ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾[5]. والحكمة واضحة الدلالة في هذه الآيات؛ فتمكين المال للسفهاء من الأولاد فيه ضياع له لأن السفيه عديم التصرف ومن تربيته

---

(١) سورة الأنعام من الآية ١٥١ .

(٢) سورة النساء من الآية ٥ .

(٣) سورة طه من الآية ١٣٢ .

(٤) سورة المنافقون من الآية ٩ .

(٥) سورة التغابن من الآية ١٤ .

الحجر عليه. والحكمة هنا واضحة في أمر الإنسان لأهله بالصلاة لما في ذلك من تربيتهم وتعويدهم على الالتزام بالعقيدة وهكذا في الآيات الأخرى.

الاقتصاد: وهو بالمعنى الآخر المال بوصفه أداة التبادل بين الناس لقضاء حوائجهم. وفي القرآن الكريم آيات مناطها المال في كيفية الحصول عليه، وكيفية إنفاقه، فالحصول عليه يجب أن يكون عن طريق الكسب المشروع من زراعة ومضاربة تجارية وكراء وإجارة، وهذا يقتضي تحريم ما كان عن طريق الاستغلال كالربا أو طريق الغش في التعامل وشاهده قول الباري عز وجل ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ ﴾[١]. وشاهده في الغش قول رسول الله ﷺ: **(من غشنا فليس منا)**[٢]. أما إنفاقه فيكون بالكيفية القائمة على وجوب مراعاة النص الناهي عن الإسراف في قول الباري جل ذكره ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ﴾[٣].

قلت: هذه مجرد أمثلة من الآيات والأحاديث النبوية وهي فيض من غيض فإذا احتكم الإنسان إلى أحكامها في القول الذي يقوله وفي العمل الذي يعمله فيكون ممن يؤتيه الله الحكمة لأنه يؤتيها من

---

(١) سورة النساء من الآية ٢٩ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب قول النبي ﷺ «من غشنا فليس منا»، برقم (١٠١) صحيح مسلم بشرح الأبي والسنوسي ج١ ص٣٤٨ .

(٣) سورة الأعراف من الآية ٣١ .

يشاء من عباده، وهم الذين يأتمرون بأوامره وينتهون عن نواهيه كما قال عز وجل ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[١].

قوله ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ﴾ أي: أن من أعطاه الله الحكمة فقد أعطاه الكثير من الخير. ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ المراد بهم أهل العقول لكونهم بفهمهم يدركون عواقب الفعل الخير من الفعل السيء.

أحكام ومسائل الآية:

للحكمة في الإسلام ست قواعد هي: العقيدة، والأخلاق، والعلم، والحكم، والتربية، والاقتصاد. ويؤت الله الحكمة للذي يطلبها من عباده إذا كان قاصداً فيها رضاه وراجياً منه أن يعلمه إياها. ومن الأحكام: أن من آتاه الله الحكمة فقد أعطاه الخير الكثير فاقتضى هذا أن يسأل العبد ربه أن يؤتيه الحكمة في حياته.

﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ

(١) سورة فصلت الآية ٣٠ .

وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾﴾.

بيان الآيتين:

﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ بعد أن أمر الله بالإنفاق في سبيله وبيَّن ما في ذلك من الأجر والثواب أكد في هذه الآية أن ما ينفقه المرء من نفقة أو ينذر من نذر فإن الله يحصيه. فإن كانت هذه النفقة أو النذر من أجل طاعة الله فسيجازي عليه بحسن الجزاء وإلا عاقب عليه بما يستحقه. وفي الآية معنى الوعيد للذين ينفقون في الملذات المحرمة أو من أجل الرياء والتفاخر. ومعنى الوعيد للذين ينذرون لغير الله كما كان العرب في جاهليتهم ينذرون للأوثان والأصنام ولهذا جاء عن رسول الله ﷺ قوله: (**من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه**)[١].

﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ أي: أن الظالمين لا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً إذا أنفقوا أو نذروا لغير الله.

﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ﴾ المراد صدقة التطوع فمن أبداها علانية فبها ونعمت هذا إذا كان في إظهارها فائدة كأن يكون فيه دفع وتشجيع للآخرين على الامتثال بما فعله المتصدق. أما إن

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب النذر في طاعة الله برقم (٦٦٩٦)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١١ ص٥٨٩ .

كان من أجل الرياء فهذا محرم ومن عمله فعمله مردود عليه. أما إن كانت الصدقة زكاة فالأفضل إظهارها مثلها مثل الصلاة في الجهر بها ومثل بقية أركان الإسلام كالصوم والحج فهذه أركان، والجهر بها جهر بالإسلام فلا يجوز إخفاؤها بل يجب أخذها علانية إذا أعرض المكلف عن إخراجها.

﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ في هذا دليل على أن إخفاء الصدقة أفضل من إظهارها لما قد يكون في الإظهار من احتمال الرياء وشاهد هذا قول رسول الله ﷺ: (**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله .. ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه**)[١]. وأهمية الإسرار بها أنها ليست واجبة أصلاً وإنما يخرجها المرء ابتغاء وجه الله فإذا أسر بها كان ذلك أدعى لقبولها وعدم احتمال الرياء فيها ولذلك جاء الأجر فيها كبيراً للحديث السابق وللحديث المروي أيضاً عن رسول الله ﷺ في قوله: (**الصدقة تطفئ غضب الرب**)[٢]. ﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ أي: أنه بالصدقات يكفر من سيئات المتصدقين ويعفو عنها. ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ أي: أنه جل وعلا خبير بما يعطى من الصدقات من حيث إعلانها أو إخفائها فهو خبير عليم بكل ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، برقم (٦٦٠)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٢ ص١٦٨ .

(٢) أخرجه الحافظ علي بن أبي بكر الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج٩ ص١٧٠، والهندي في كنز العمال برقم (١٦٠٢٥)، ج٦ ص٣٥٣ .

أحكام ومسائل الآيتين:

النفقة والنذر لا يكونان إلا لله. فمن أنفق نفقة أو نذر نذراً فإن الله محصيه وسيجازيه عليه حسب غايته، فإن كانت لله فله الجزاء الحسن، وإن كانت لغيره فله على ذلك العقاب. وصدقة الفرض هي الزكاة المفروضة وأحد أركان الإسلام وإظهارها أفضل من الإسرار بها حكمها في ذلك حكم أركان الإسلام الأخرى كالصلاة والصوم والحج وسائر أمور الشريعة التي يظهر المسلم بها إسلامه. أما صدقة التطوع فالأفضل من حيث العموم الإسرار بها فإن كان في الجهر بها ما يفيد كأن يكون في ذلك دفع الآخرين لمثلها فإظهارها أفضل.

﴿ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ ﴾.

بيان الآية:

﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ ﴾ المخاطب هنا رسول الله ﷺ والحكم المتناول في الآية عن الصدقات عطفاً على ما ورد في الآية السابقة وقيل في سبب نزولها عدة أقوال: منها ما ذكره ابن عباس أنه كان من الأنصار لهم قرابات من بني قريظة وبني النضير وكانوا لا يتصدقون عليهم رغبة منهم في أن يسلموا إذا احتاجوا وقيل: إن أسماء بنت أبي

بكر الصديق أرادت أن تصل جدها أبا قحافة ثم امتنعت عن ذلك بسبب كفره فنزلت في ذلك الآية[١]. ولعل الآية في إطلاق حكمها تدل على جواز الصدقة على غير المسلم إذا كان محتاجاً أو كان في إعطائه منفعة محتملة كإسلامه أو دفاعه عن المسلمين.

قلت: ومن ذلك في هذا العصر الكتاب والأدباء والصحفيون وأصحاب التأثير الذين يتعاطفون مع قضايا المسلمين، ويدافعون عنها ومن هم في حكمهم من أرباب الكليات والجامعات الذين يتعاملون مع المسلمين بما يؤيد الإسلام.

والصدقة المرادة هنا صدقة النفل، أما الزكاة فلا يعطى منها إلا المسلم قال ابن المنذر: أجمع كل من أحفظ عنه من أهل العلم أن الذمي لا يعطى من زكاة الأموال شيئاً[٢]. ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ أي: أنه هو الذي يدل ويرشد من يشاء من عباده إلى الطريق المستقيم. ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾ هذه الآيات معطوفة كل منها على ما قبلها والمراد أن ما ينفقه المرء من مال فإن خيره أي: ثوابه يعود إليه وشاهده قول الله ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ﴾[٣]. كما أن ما ينفق المنفق من نفقة

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٢٠٧، والجامع لأحكام القرآن ج٣ ص٣٣٧ .

(٢) الإجماع لابن المنذر ص٥٧، والجامع لأحكام القرآن ج٣ ص٣٣٧، والمغني لابن قدامة ج٢ ص٣١٥ .

(٣) سورة فصلت من الآية ٤٦ .

يبتغي بها وجه الله، وما ينفق من خير فإن ثوابه يوفى إليه وفي هذا وعد من الله بأن المنفقين في سبيله تحفظ لهم أجورهم يوم القيامة ويجزون على ما عملوا وما ابتغوه من إنفاقهم.

أحكام ومسائل الآية:

جواز دفع صدقة النفل لغير المسلم إما لقرابته أو لاحتياجه حين يكون بين ظهراني المسلمين أو يكون في دفعها له منفعة للمسلمين. أما الزكاة المفروضة فلا تجوز إلا للمسلم وإن كان عاصياً. والحال كذلك في صدقة الفطر إلا أن الإمام أبا حنيفة يرى دفعها لغير المسلم لما روي عن ابن مسعود أنه كان يعطي الرهبان من هذه الصدقة وقيل: إن هذا الأثر ضعيف[١].

﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾﴾.

بيان الآية:

الآية متعلقة بما قبلها في البيان والحكم عن أهمية الإنفاق ابتغاء

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي ج١ ص ٢٣٨، والأثر أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه عن أبي ميسرة ج٣ ص١٧٧ .

وجه الله ثم خص الله نوعاً من المستحقين لهذه النفقة وهم فقراء المهاجرين فقال ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: أنهم لم يكونوا أهل تجارة بسبب الأحوال والظروف التي كانت سائدة في أول الإسلام وحصار العدو للمسلمين. ولم يكونوا يسألون أحداً بل كانوا رغم فقرهم وحاجتهم كرماء في أنفسهم لعفتهم عن السؤال فيظنهم الجاهل أغنياء. كما قال تعالى ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾ وقد تكون هذه المعرفة نتيجة أثر العبادة عليهم لكونهم متفرغين لها، أو أثر الفقر عليهم خلافاً لأهل النعمة الذين يبدو الغنى على وجوههم من النضارة وصفاء اللون. ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ قيل: إنهم يسألون ولكن دون إلحاف أي: إلحاح وقيل: إنهم لا يسألون أبداً وهذا هو الصحيح لسببين أولهما- أن الأنصار كانوا يشاطرونهم طعامهم وكانوا يعلقون قنوان التمر لهم في المسجد، وكانت كرامة هؤلاء الصحابة الأجلاء تمنعهم من السؤال سواء بإلحاح أو غيره. وثانيهما- أنهم يعرفون أن السؤال والإلحاح فيه مما نهى عنه رسول الله، وهم أقرب إلى معرفة أحاديثه وتوجيهه وذلك فيما رواه عطاء بن يسار أن رسول الله ﷺ أرسل إلى عمر بن الخطاب بعطاء فرده فقال له رسول الله: (**لم رددته ؟**) فقال: يا رسول الله أليس أخبرتنا أن

أحدنا خير له ألا يأخذ شيئاً فقال رسول الله: (**إنما ذاك عن المسألة فأما ما كان عن غير مسألة فإنما هو رزق رزقكه الله**)(١).

﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ وفي هذا توكيد لما سبق من قبل عن فضل الإنفاق في سبيل الله وأن الله يعلمه كثيره وقليله وأنه بحكم علمه به سيجزي صاحبه عليه.

أحكام ومسائل الآية:

فضل الصدقة على فقراء المسلمين. فالآية وإن كانت نزلت في فقراء المهاجرين فهي عامة في فقراء المسلمين عموماً لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. من هنا يجب على المسلم مساعدةُ الفقراء من المسلمين أنى كان مكانهم، ومن ذلك مساعدة المنكوبين والمنقطعين والمرضى واللاجئين ونحوهم ممن يحتاج إلى العون والمساعدة. ومن هذه الأحكام: جواز التصدق على غير المسلم - كما سبق ذكره - إذا كان محتاجاً يعيش بين المسلمين، أو من كان في الصدقة عليه نفع للمسلمين. ومن هذه الأحكام: ذم السؤال ومدح العفاف لما رواه الأسدي بقوله: نزلت أنا وأهلي ببقيع الغرقد فقال لي أهلي: اذهب إلى رسول الله ﷺ فسله لنا شيئاً نأكله وجعلوا يذكرون من حاجتهم فذهبت إلى رسول الله فوجدت عنده رجلاً يسأله ورسول الله يقول: (**لا أجد ما**

---

(١) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد باب فيمن جاءه شيء من غير مسألة ولا إشراف، ج٣ ص١٠٠، وابن أبي شيبة في مصنفه في كتاب البيوع والأقضية، باب في الرجل يهدي إلى الرجل أو يبعث إليه برقم (٢٠١٧)، ج٦ ص٥٥٢.

أعطيك) فولّى الرجل عنه وهو مغضب وهو يقول: لعمرك إنك لتعطي من شئت فقال رسول الله ﷺ: (**إنه ليغضب علي ألا أجد ما أعطيه! من سأل منكم وله أوقية أو عدلها فقد سأل إلحافاً**) فقال الأسدي: للقحة(١) لنا خير من أوقية(٢).

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٢٧٤﴾.

بيان الآية:

قيل: إنها نزلت في رجل كان معه دراهم فتصدق منها ليلاً ونهاراً وتصدق منها سراً وجهراً والمعنى شامل لمن يتصدق في الليل والنهار وفي السر والعلن يبتغي بذلك وجه الله ويرجو ثوابه. ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ والمراد أن الله قد تكفل بأجر من أنفق في سبيله. ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أي: أنهم لا يحزنون في الدنيا على ما بذلوه في سبيل الله، وأنهم يوم القيامة لا يخافون لما سيجدونه من الثواب المدخر لهم عند ربهم.

---

(١) اللقحة: بفتح اللام أو كسرها الناقة القريبة العهد بالنتاج أو التي هي ذات لبن، عون المعبود ج٥ ص٢٣ .

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الزكاة، باب من يعطى من الصدقة وحد الغنى، برقم (١٦٢٤)، عون المعبود شرح سنن أبي داود، ج٥ ص٢٣، والنسائي في باب إذا لم يكن له دراهم وكان له عدلها ج٥ ص٩٨، والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (١٧١٩)، وقال «هذا إسناد صحيح وجهالة الصحابي لا تضر» .

أحكام ومسائل الآية:

أهمية الصدقة وفضلها سواء في الليل أو النهار، أو في الجهر أو السر. الحكم بأن للمتصدقين الأجر والثواب من ربهم ولن يخافوا من عذاب الآخرة ولن يحزنوا على الدنيا.

﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ ﴾.

بيان الآيات:

لما بين الله الإنفاق ومستحقيه وشروطه بَيَّنَ أحكام المال ومداخلاته، وما يحل منه وما يحرم بوصفه العصب المادي للأمة الذي تستمد منه طاقتها في تأسيس الدولة؛ وما يتفرع عن ذلك من تجهيز الجيش للجهاد والدفاع والإنفاق في الأوجه الحيوية الأخرى. ولما كان الربا من

أشد المؤثرات في الاقتصاد وما ينتج عنه من ظلم وتعسير وترهيب للفئات المستضعفة التي كانت ضحية التعامل بالربا قبل الإسلام بيَّن الله أحكام الربا في هذه الآية وفي الآيات التي ستليها فقال عز ذكره ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ الأكل معناه الأخذ والربا الزيادة يقال: فلان أربى أي: زاد وهو محرم بنص الكتاب والسنة، وهو على نوعين: ربا النسيئة- وكان هذا هو السائد عند العرب في جاهليتهم فيقول الدائن للمدين أتقضي دينك أم تربي فيصبر الدائن مقابل زيادة المال مع زيادة الأجل وهذا محرم بالإجماع وقد بين الله تحريمه بقوله ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾[1].

النوع الثاني- ربا الفضل وهو الزيادة في الأثمان والأموال التي تقتات والأصل في ذلك قول رسول الله ﷺ: (**الدينار بالدينار والدرهم بالدرهم لا فضل بينهما من كانت له حاجة بورق فليصرفها بذهب وإن كانت له حاجة بذهب فليصرفها بورق ها وهاء**)[2]. أما في المقتات من الأطعمة فالتمر بالتمر مثلاً بمثل وكل ما يدخله الوزن أو الكيل من

---

(١) سورة الروم من الآية ٣٩ .

(٢) أخرجه ابن ماجة في كتاب التجارات، باب صرف الذهب بالورقة، برقم (٢٢٦١)، ج٢ ص١٢، والدارقطني ج٣ ص٢٥، وأخرج مسلم إلى قوله «لا فضل بينهما» في كتاب المساقاة، باب الصرف وبيع الذهب بالورق نقداً، برقم (١٥٨٨)، ج٥ ص٤٨٤، صحيح مسلم بشرح الأبي والسنوسي .

جنس واحد فلا يجوز بيع بعضه ببعض متفاضلاً لما روي أن بلالاً جاء بتمر برني فقال له رسول الله ﷺ: (**من أين هذا؟**) فقال بلال: من تمر كان عندنا رديء فبعت منه صاعين بصاع لمطعم النبي ﷺ فقال عليه الصلاة والسلام: (**أوه ذلك عين الربا لا تفعل ولكن إذا أردت أن تشتري التمر فبعه ببيع آخر ثم اشتر به**)[١].

﴿لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ والمراد أنهم حين يقومون من قبورهم يوم البعث يقومون كمن به صرع حين يتخبطه الشيطان. وقيل: إن بطونهم تكبر من الانتفاخ مثلهم مثل الحبالى؛ فكلما أرادوا المشي سقطوا والناس ينظرون إليهم وهم على تلك الصفة الشائنة. ﴿مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ أي: الجنون. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟﴾ وهذا كما ذكر آنفاً أن العرب في الجاهلية كانوا يتعاطون ربا النسيئة فالدائن يقول للمدين «إما أن تقضي وإما أن تربي»، وكانوا يرون أنه لا فرق بين البيع والربا فحرم الله ذلك ورد عليهم بقوله ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟﴾ البيع أساسه القبول والإيجاب نتيجة التراضي بين طرفيه أو أطرافه. وأركانه البائع، والمشتري، ومحل البيع، والثمن. أما الربا الذي حرمه الله فهو ما كان سائداً في جاهلية العرب.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب المساقاة، باب بيع الطعام مثلاً بمثل، برقم (١٥٩٤)، صحيح مسلم بشرح الأبي والسنوسي ج٥ ص٤٩٣ .

﴿ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ ﴾ المراد أن من بلغه تحريم الربا فانتهى بسبب الموعظة فله ما سلف من تعاطيه قبل علمه بالتحريم. وفي حديث العالية بنت أبقع قالت: خرجت أنا وأم بحنة إلى مكة فدخلنا على عائشة رضي الله عنها فسلمنا عليها فقالت لنا: ممن أنتن ؟ قلنا: من أهل الكوفة قالت: فكأنها أعرضت عنا فقالت لها أم بحنة: يا أم المؤمنين كانت لي جارية وإني بعتها من زيد بن أرقم الأنصاري بثمانمائة درهم إلى عطائه وأنه أراد بيعها فابتعتها منه بستمائة درهم نقداً قالت: فأقبلت علينا فقالت: بئسما شريت وما اشتريت فأبلغي زيداً أنه قد أبطل جهاده مع رسول الله ﷺ إلا أن يتوب، فقالت لها: أرأيت إن لم آخذ منه إلا رأس مالي؟ قالت ﴿ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ ﴾[1].

﴿ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ أن يعفو عنه. ﴿ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ أي: من عاد إلى تعاطي الربا بعد علمه بتحريمه فقد استحق العقوبة ويكون إثمه أكبر لأن من يعلم بالتحريم ويفعل المحرم أشد ذنباً وأشد عقاباً عليه.

﴿ يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ محق المال ذهاب بركته فالمال المتأتي من الربا معرض لمحقه وزواله. وشاهده قول رسول الله ﷺ **(إن الربا وإن كثر**

(١) انظر سبب نزول الآية في تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج١ ص٣٩ .

فعاقبته تصير إلى قل)[١]. ﴿وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ المراد أن الصدقة تربو أي: تزيد وتنمو وشاهده قول رسول الله ﷺ: **(إن صدقة أحدكم لتقع في يد الله فيربيها له كما يربي أحدكم فلوه حتي يجيء يوم القيامة وإن اللقمة على قدر أحد)**[٢]. ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ المراد أن الله لا يحب الكفرة ومنهم مستحل أكل الربا لكونه يرتكب ما نهاه الله عنه من أكله رغم ما جاءه من الموعظة عن تحريمه ومقت الله له.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ الآية. في هذا مدح للمؤمنين الذين يعملون الصالحات، ويقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة لكونهم على خلاف ما يفعله المرابون من ارتكاب ما حرم الله عليهم. فلما فاضل الله بين هؤلاء وأولئك وعد المرابين الذين لم ينتهوا بعدما جاءهم من الموعظة بالنار ووعد الذين يعملون الصالحات ويتبعون ما أمرهم الله وينتهون عما نهاهم عنه وعدهم بادخار الأجر لهم وأمنهم من الخوف والحزن يوم القيامة.

أحكام ومسائل الآيات:

الحكم بتحريم الربا، وهو كل زيادة لا يقابلها عوض وهو ما

(١) أخرجه أحمد في المسند ج١ ص٣٩٥، والحاكم في المستدرك ج٢ ص٤٤، وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. والهندي في كنز العمال، برقم (٩٧٥٨)، ج٤ ص١٠٥ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند ج٢ ص٤٧١، والبخاري بلفظ «من تصدق بعدل ثمرة من كسب طيب ..» في كتاب الزكاة، باب لا يقبل الله صدقة من غلول ولا يقبل إلا من كسب طيب، برقم (١٤١٠)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٣ ص٣٢٦ .

كان العرب يفعلونه في جاهليتهم. ومن الأحكام: نفي الله المماثلة بين البيع والربا تكذيباً للذين يقولون بهذه المماثلة. ومنها: وصف الله للمرابين بأشنع الأوصاف يوم القيامة. ومن الأحكام: أن من كان يتعاطى الربا ثم علم بتحريمه فله ما سلف من تعاطيه فإن عاد إليه بعد علمه بالتحريم كان عقابه شديداً. ومن الأحكام: بيان أنّ الربا مما يمحقه الله ويذهب بركته وأن مصيره القلة وإن كثر. ثم البلاغ منه جل ذكره أنه بمقابل ذلك يربي الصدقات فينميها ويزيد فيها ويضاعف الأجر لأصحابها على خلاف المرابين الذين لا يحبهم الله لاستحلالهم الربا، وعدم انتفاعهم بالموعظة التي جاءتهم بتحريمه في كتاب الله وسنة رسوله. ومن الأحكام: ثناء الله على المؤمنين الذين يعملون الصالحات من صلاة وزكاة وينتهون عما حرم الله عليهم من الربا.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ (٢٧٩)﴾.

بيان الآيتين:

في الآية الأولى نادى الله المؤمنين وخاطبهم آمراً لهم بتقواه وأن يكفوا عن أخذ الربا الذي بقي لهم عند الناس بعد ما بلغهم الأمر

بتحريمه. وقيل: إن هذه الآية نزلت في بني عمرو بن عمير من ثقيف وبني المغيرة من بني مخزوم كان بينهم ربا في الجاهلية فلما جاء الإسلام ودخلوا فيه طلبت ثقيف أخذ الربا منهم فقالت بنو المغيرة: لا نؤدي الربا في الإسلام فكتب في ذلك عتاب بن أسيد والي مكة إلى رسول الله ﷺ وهو في المدينة فنزلت هذه الآية، فكتب بها رسول الله إلى عتاب فقال بنو عمير: نتوب إلى الله ونذر ما بقي من الربا فتركوه[1].

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: إن كنتم مؤمنين بالله منتهين عما حرمه وهذا لأن ثقيف صالحت رسول الله ﷺ على أن مالهم من ربا على الناس غير موضوع وما كان للناس عليهم من ربا فهو موضوع.

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ هذا عطف على ما سبق من الدعوة إلى ترك ما بقي من الربا بعد نزول تحريمه. فجاءت هذه الآية التالية للآية الأولى، وفيها: تهديد ووعيد لمن لم يترك الربا والمعنى أنه يكون محارباً لله ولرسوله أي: عدواً لهما بعدم تركه الربا وفي هذا المعنى قال ابن خويز منداد: لو أن أهل بلد اصطلحوا على الربا استحلالاً كانوا مرتدين والحكم فيهم كالحكم في أهل الردة وإن لم يكن ذلك منهم استحلالاً جاز للإمام محاربتهم ألا ترى أن

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٢١٢، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ج٣ ص١٠٧، والدر المنثور ج١ ص٦٤٦-٦٤٧ .

الله تعالى قد أذن في ذلك فقال ﴿فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[١]. وجاء رجل إلى الإمام مالك بن أنس فقال: يا أبا عبد الله إني رأيت رجلاً سكرانَ يتعاقر يريد أنه يأخذ الخمر فقلت امرأتي طالق إن كان يدخل جوف ابن آدم أشر من الخمر فقال: ارجع حتى أنظر في مسألتك فأتاه من الغد فقال له: امرأتك طالق إني تصفحت كتاب الله وسنة نبيه فلم أر شيئاً أشر من الربا لأن الله أذن فيه بالحرب[٢].

﴿وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ المراد أنكم إذا انتهيتم عن الربا فلكم رأس مالكم الذي ليس فيه ربا. أما الزيادة عليه فهي محرمة عليكم. ﴿لَا تَظْلِمُونَ﴾ أي: بأخذكم الزيادة فإن أخذتموها فأنتم ظالمون. ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ أي: أن لكم الحق في رؤوس أموالكم فهي لكم دون زيادة عليها أو نقصان منها.

أحكام ومسائل الآيتين:

أمر الله للمؤمنين بالتوبة من الربا لأنه مما حرمه فمن لم يتب منه يعد محارباً لله ولرسوله، ويجب على ولي الأمر مجازاته لاستحلاله الربا حتى ينتهي عنه، ومن أصر على الربا وهو مستحل له يعد في حكم المرتد. ومن هذه الأحكام: أن من ترك الربا يجب إعطاؤه رأس ماله ولا يجوز أن يظلم فيه بالنقص منه.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج٣ ص٣٦٤ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج٣ ص٣٦٤ .

﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ ﴾.

بيان الآية:

لما أمر الله بالتوبة من الربا وأمر الدائن ألا يظلم المدين بأخذ الزيادة منه وأكد على حق الدائن بحيث لا يظلم في رأس ماله بيّن الحكم فيمن لم يقدر على دفع ما بذمته من رأس مال الدائن؛ ذلك أن بني عمير من ثقيف لما طلبوا أموالهم -كما سبق ذكره- التي بذمة بني المغيرة من بني مخزوم قال هؤلاء: ليس لدينا شيء نوفيه وطلبوا الأجل إلى أن تحين ثمارهم فنزلت هذه الآية ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ ﴾ أي: إن كان المدين غير قادر على الوفاء بسبب عسره وعدم قدرته ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ أي: ينبغي انتظار يسره حتى يقضي ما عليه، وهذا خلاف ما كان العمل عليه في الجاهلية حين يعجز المدين عن سداد دينه يقال له: «إما أن تقضي أو تربي» كما هو عليه الحال الآن في التعامل الربوي الذي جعل الملايين من الناس أرقاء لدائنيهم.

﴿وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ هذا بيان من الله لعباده المؤمنين وفيه لطف ورحمة بالمعسرين الذين يتعرضون لأي نوع من أنواع الابتلاء كالجوائح، أو الخسارة في المضاربة، أو أي سبب آخر لا يد لهم فيه ثم يبقون فريسة للدائنين. ولما كان الإسلام دين

التكافل والرحمة والتعاون بين مكونات الأمة من أغنيائها وفقرائها ومعسريها وموسريها بسط الله الأمر للدائنين مبيناً لهم أن الصدقة على المعسر خير لهم من مالٍ قد لا يكون لهم فيه خير.

وقد ورد في فضل الصدقة على المعسر أحاديث كثيرة منها: ما روي عن كعب القرظي أن أبا قتادة كان له دين على رجل وكان يأتيه يتقاضاه فيختبئ منه، فجاء ذات يوم فخرج صبي فسأله عنه فقال: نعم هو في البيت يأكل خزيرة فناداه فقال: يا فلان اخرج فقد أخبرت أنك ها هنا فخرج إليه فقال: ما يغنيك عني ؟ فقال: إني معسر وليس عندي شيء قال: آلله إنك معسر؟ قال: نعم فبكى أبو قتادة ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**من نفس عن غريمه أو محا عنه كان في ظل العرش يوم القيامة**)[(١)]. وفي حديث حذيفة بن اليمان أن رسول الله ﷺ قال: (**أتى الله بعبد من عباده آتاه الله مالاً فقال له: ماذا عملت في الدنيا؟** (قال: ولا يكتمون الله حديثاً) **قال: يا رب آتيتني مالك فكنت أبايع الناس، وكان من خلقي الجواز فكنت أتيسَّر على الموسر وأنظر المعسر فقال الله: أنا أحق بذا منك تجاوزوا عن عبدي**)[(٢)].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند، ج٥ ص٣٠٠، والدارمي في سننه كتاب البيوع، باب فيمن أنظر معسراً برقم (٢٥٨٩)، سنن الدارمي ج٢ ص٣٤٠ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب المساقاة، باب فضل إنظار المعسر، برقم (١٥٦٠)، صحيح مسلم بشرح الأبي والسنوسي ج٥ ص٤٣٥ .

أحكام ومسائل الآية:

وجوب إنظار المعسر إلى أن يكون له ميسرة. وفي الصدقة عليه خير للمتصدق لما رواه كعب بن عمرو أنه قال: «من أنظر معسراً أو وضع عنه أظله الله في ظله»(١). وتعرف العسرة بعدم وجود مال لدى المدين؛ فإن علم له مال انتفى الحكم بإعساره. أما الميسرة التي يجب أن يؤدي فيها المدين دينه فهي ما زاد على العيش الذي يعيش به أقرانه.

﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١﴾.

بيان الآية:

بعد أن رغب الله في الآيات السابقة في الإنفاق في سبيله وفي العمل في أوجه الخير ثم حذر من الربا لما فيه من أكل أموال العباد بالباطل ختم الله هذه الأحكام بالتحذير من اليوم الذي يرجع فيه العباد إلى الله فقال ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ واتقاء هذا اليوم يكون بطاعة ما أمر الله ورسوله به، واجتناب ما نهيا عنه من الشرك والربا وسائر أنواع المعاصي ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ﴾ أي: أن كل نفس ستجزى في ذلك اليوم بما عملته من حسنة أو سيئة.

---

(١) أخرجه الدارمي برقم (٢٥٨٨)، كتاب البيوع، باب فيمن أنظر معسراً، سنن الدارمي ج٢ ص٣٣٩، وابن ماجة في كتاب الصدقات، باب إنظار المعسر برقم (٢٤١٩)، سنن ابن ماجة ج٢ ص٨٠٨، ومسلم في كتاب المساقاة، باب فضل إنظار المعسر برقم (١٥٦٣)، صحيح مسلم بشرح الأبي والسنوسي ج٥ ص١٣٧ .

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ أي: أن الله لن يظلم أحداً في ذلك اليوم لكون الأعمال محصاة على العباد في الكتاب كما قال جل ذكره ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[١].

أحكام ومسائل الآية:

وجوب اتقاء يوم القيامة الذي يرجع فيه العباد إلى الله ليجزيهم على أعمالهم. واتقاء هذا اليوم يكون بطاعة الله وطاعة رسوله والبراءة من الشرك والربا وسائر أنواع المعاصي.

وقد ذكر البخاري في صحيحه عن ابن عباس أن هذه الآية هي آخر آية نزلت على رسول الله ﷺ[٢]. وقيل: إن رسول الله ﷺ عاش بعدها واحداً وثمانين يوماً. وقيل: واحداً وعشرين وقيل: سبعة أيام وقيل: تسعة أيام وقيل: إنه توفي بعدها بثلاث ساعات[٣].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن

---

(١) سورة الكهف الآية ٤٩.

(٢) البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ برقم (٤٥٤٤)، صحيح البخاري مع فتح الباري، ج٨ ص٥٢.

(٣) فتح الباري ج٨ ص٥٣، وتفسير القرآن العظيم ج١ ص٣١٥، والدر المنثور، ج١ ص٦٥٣، والتحرير والتنوير ج٢ ص٩٧، والجامع لأحكام القرآن ج٣ ص٣٧٥.

يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟ ۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓا۟ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا۟ ۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُوا۟ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾.

بيان الآية:

لما رغب الله في الإنفاق في سبيله وفي الصدقات ثم بيَّن تحريم الربا، وما فيه من الضرر على المتعاملين به بيَّن أحكام الدَّيْن لسببين: أولهما- أن تحريم الربا لا علاقة له بالدين إذا لم يكن فيه أي وسيلة من وسائل الربا أو شبهه. وثانيهما- أن الدين من أهم وسائل الاتجار في الماضي وفي الحاضر. فالذي يحب الاتجار والمضاربة قد لا يكون لديه المال. والذي لديه المال قد لا يكون له استعداد للمضاربة،

ولكنه يحب تنمية ماله؛ فحينئذٍ تلتقي الرغبتان لديهما فيكون في عقد الدين بينهما خير كثير. ولأهمية هذا الدين بيَّن الله ما يجب فيه من التوثيق حفظاً لحقوق طرفيه ودرءاً لأي خلاف قد ينشأ بينهما فقال جل ذكره:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ﴾ الخطاب والتوجيه للمؤمنين لأنهم هم الذين يمتثلون أوامر الله ويقبلون أحكامه. والدين كل عقد بين طرفين أحد عوضيه نقدٌ والآخر مؤجلٌ في ذمة المدين. ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ المراد أن يكون للدين أجل معلوم، فإذا جهل الأجل لم يصح العقد والأصل فيه أن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة وجد أهلها يستلفون في الثمار السنتين والثلاث فقال لهم: (**من أسلف في تمر فليسلف في كيل معلوم ووزن معلوم إلى أجل معلوم**)[1]. ويعد من الأجل المعلوم الدين إلى حصاد الزرع وإلى جذاذ النخل وإلى قطف الثمار لأن كل ذلك له زمن معلوم لا يتأخر عنه فأصبح في حكم المعلوم.

﴿فَٱكْتُبُوهُ﴾ المراد كتابة الدين وكتابة الأجل، وتشمل الكتابة مبلغ الدين وزمن أجله، وكافة بياناته النافية لأي جهالة فيه. وقيل: إن كتابة الدين من باب الندب. وقيل: إنها واجبة والأصوب والله أعلم أنها

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب المساقاة، باب السلم، برقم (١٦٠٤)، صحيح مسلم بشرح الأبي والسنوسي ج٥ ص٥٢٦ .

واجبة لأن الله لما أمر بكتابة الدين أراد به نفي الخلاف بين المتعاملين بوصفهما معرضين للتوهم والنسيان. فإذا قلنا بأن الكتابة للندب أو الاستحباب فقد أخطأنا في الإعراض عن الحكمة التي أرادها الله من التوثيق، وهو أعلم بسلوك خلقه، فإذا لم يوثق الدين فكيف يكون الحال إذا كان بين المتعاملين عقود ديون بملايين الدراهم ولم توثق فمات أحدهم أو أصابه عارض صحي أو تعرض لغفلة أو نسيان ؟

﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ﴾ المراد أن يكتب الدين كاتب بالعدل، فلا يكتب إلا الحق الذي للدائن والحق الذي على المدين وهذا إذا كانا لا يكتبان. أما إذا كانا يعرفان الكتابة أو أحدهما ورضيا بأن تتم الكتابة بينهما فلا حاجة إذاً لكاتب آخر. ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ﴾ في هذا نهي للكاتب أن يمتنع عن كتابة الدين إذا طلب منه ذلك. أي: أنه إذا لم يكن في مكان المتعاقدين بالدين إلا كاتب واحد ولم يكونا يعرفان الكتابة وجب عليه كتابة الدين. ولا يسقط هذا الواجب إلا بوجود غيره، وله الحق في تقاضي أجر عن كتابته إذا أراد. وقد أصبح هذا أكثر إلحاحاً وأهمية في الزمن الحاضر حيث إن كتابة عقود الديون وغيرها من العقود أصبحت مما يقوم به المحامون وأرباب الاستشارات، وهؤلاء لا يقومون بتوثيق هذه العقود إلا مقابل مبلغ من المال.

﴿وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ﴾ المراد أن على الذي عليه الدين أن يقول للكاتب ما يكتبه عما يقر به هو في ذمته للدائن. ﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾ أي: يقر بكل ما عليه متقياً الله في ذلك غير باخس لما عليه من حق. ﴿فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ﴾ المعنى أن المدين إذا كان سفيهاً لكونه محجوراً عليه لسفهه وقلة معرفته في التصرف، أو كان ضعيفاً بسبب صغره أو دخول في عقله، أو كان لا يستطيع التعبير بالإملاء على الكاتب بسبب عيه أو جهله وجب على المتولي عليه أن يقوم بذلك نيابة عنه بالعدل أي: بالحق وبما يحفظ حقوقه وحقوق غيره. وشاهد هذا أن رجلاً كان على عهد رسول الله ﷺ يبتاع وفي عقله ضعف فأتى أهله رسول الله فقالوا: يارسول الله احجر عليه فإن في عقله ضعفاً فدعاه رسول الله ﷺ ونهاه عن البيع فقال: يا رسول الله إني لا أصبر عن البيع ساعة فقال له رسول الله: (**إن كنت غير تارك البيع فقل ها وها ولا خلابة**) أي: لا خداع[1]. وقد عاش هذا الرجل مائة وثلاثين سنة وكان في زمن عثمان يبتاع البيع في السوق ويرجع إلى أهله وقد غبن غبناً شديداً فيلومونه فيقول: أنا

---

(١) أخرجه النسائي في كتاب البيوع، باب الخديعة في البيع ج٧ ص٢٥٢، والبخاري بالاختصار في كتاب البيوع، باب ما يكره من الخداع في البيع، برقم (٢١١٧)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٤ ص٣٩٥ .

بالخيار إن رضيت أخذت، وإن سخطت رددت وقد كان رسول الله ﷺ جعلني بالخيار ثلاثاً فيرد السلعة على صاحبها من الغد وبعد الغد فيقول صاحبها: والله لا أقبلها قد أخذت سلعتي وأعطيتني دراهم فيقول: إن رسول الله جعلني بالخيار ثلاثاً فيمر الرجل من الصحابة فيقول للتاجر ويحك إنه قد صدق أن رسول الله ﷺ قد جعل له بالخيار ثلاثاً[(١)].

﴿وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ﴾ توثيق الدين له وسيلتان هما: الكتابة والإشهاد والمراد من الآية أن على المتداينين طلب الشهادة على عقدهما. والشهادة في مختلف الأحوال تتم بشاهدين ما عدا جريمة الزنا فقد وجب لها أربعة شهود بحكم النص في سورة النور كما سيأتي بيانه إن شاء الله. ﴿مِن رِّجَالِكُمْ﴾ وهذا يدل على استثناء غير المسلم من الشهادة لأنه قال: من رجالكم أي: من مثلكم وهذا يراد به المسلم كما يدل على استثناء الصبيان لأنهم بحكم صغر سنهم لا يسمون رجالاً كما يدل على استثناء النساء في قوله جل ذكره ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ﴾ والمراد أنه إذا لم يتيسر رجلان شاهدان فيشهد رجل وامرأتان؛ فتقوم المرأتان بشهادتيهما مقام الرجل. وليس

---

(١) أخرجه الدارقطني في كتاب البيوع ج٣ ص٥٥، برقم (٢٢٠)، انظر: الجامع لأحكام القرآن ج٣ ص٣٨٦-٣٨٧.

في هذا عيب للمرأة أو إنقاص من حقوقها كما يتوهم متوهم. فالمرأة في الجاهلية لم تكن تقبل شهادتها، وليس لها دور في الحياة فجاء الإسلام وأعطاها ما تستحقه من الحقوق حسب طبيعتها وكينونتها الأنثوية وهذا في الدين لخصوصيته في التوثيق وما يحتمل فيه من الخلاف بين أصحابه. أما في الأحوال الأخرى فتصح شهادة المرأة منفردة فيما لا يطلع عليه غيرها كحال القابلة والمرضعة ونحو ذلك[1].

﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾ والمراد قبول شهادة العدل، ونفي شهادة غيره. والعدل من كان معروفاً بدينه مستوراً في حاله وأمانته يدرك ما يشهد به لقول رسول الله ﷺ لمن جاءه يشهد: (**هل ترى الشمس؟**) قال: نعم، قال: (**على مثلها فاشهد**)[2].

﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ المعنى أن تنسى إحدى المرأتين الشهادة فتذكرها الأخرى بما شهدت عليه معها.

﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟﴾ في هذا معنيان: إن كانت الدعوة للمرء ليشهد على دين أو نحوه فهو في الخيار لكون الشهادة هنا فرض كفاية فإن امتنع فلا لوم عليه. أما إن كان قد شهد ودعي لأداء الشهادة وجب

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج٣ ص٣٩١، المبسوط للسرخسي ج١٦ ص١٤٢، وتبصرة الحكام لابن فرحون ج٢ ص٢٣٨-٢٣٩، والمهذب ج٢ ص٣٣٤، والإنصاف للمرداوي ج١٢ ص٨٥.

(٢) أخرجه الهندي في كنز العمال برقم (١٧٧٨٢)، ج٧ ص٢٣، وأبو نعيم الأصفهاني في حلية الأولياء ج٤ ص١٨ .

عليه أداؤها وفي هذا قال مجاهد وأبو مجلز: إذا دعيت لتشهد فأنت بالخيار وإذا شهدت ودعيت فأجب(١).

﴿وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ﴾ وفي هذا بيان يفيد النهي عن السأم أي: الملل عن كتابة الدين مهما كانت قلته أو كثرته مع استثناء الشيء الأقل مما لا مطمع فيه. ﴿ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ﴾ أي: أن من العدل كتابة القليل والكثير من الدين، وهذا أعدل وأقوم للشهادة وأحفظ لها ﴿وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ﴾ والمعنى أن الكتابة تكون مرجعاً عند التنازع. ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾ والمراد أنه إذا كانت التجارة على نحو تقابض في الحال بحيث إن المشتري تسلّم البضاعة، وتسلّم البائع القيمة فلا داعي للكتابة حينئذٍ لانتفاء احتمال التنازع. أي: أن التنازع إنما يحتمل في التجارة المؤجلة.

﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ وهذا محمول على الندب لا على الوجوب كما قال به البعض، والأولى عدم الإشهاد على التجارة المتداولة بالتقابض إذ لا معنى أن يشهد الإنسان على شراء حاجات بيته اليومية أو ملابسه أو حاجاته التي يدفع ثمنها وقت الشراء وتنتهي علاقته مع البائع عند هذا الحد. والمراد وجوب الشهادة مع الكتابة في الديون

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ج٦ ص٦٨، وتفسير ابن أبي حاتم ج٣ ص١١٨١.

وفي التجارة الكثيرة. ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ والمراد أن على الكاتب ألا يضار بكتاباته فيكتب خلاف ما يملى عليه. كما أن على الشاهد ألا يضار بشهادته فيشهد على خلاف ما سمع. ﴿وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ﴾ أي: إن فعلتم المضارّة فكتبتم غير ما أملي عليكم أوشهدتم على خلاف ما سمعتم، فإن هذا يعد فسوقاً بكم أي: إنكم قد ارتكبتم بذلك المعاصي. ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ وهذا أمر بوجوب مخافته فيما يعمله المرء. ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ والمعنى أن من اتقى الله وخشيه وخافه علَّمه وآتاه الحكمة وجعل في قلبه نوراً يهتدي به إلى الحق. ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ أي: أنه جل ذكره يعلم كل شيء ما كان وما سيكون يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

أحكام ومسائل الآية:

وجوب كتابة الدين وتحديد أجله. فإن كان مجهول الأجل بطل عقده لقول رسول الله ﷺ: (**من سلف في تمر فليسلف في كيل معلوم ووزن معلوم إلى أجل معلوم**)(١). وإذا لم يستطع عاقدا الدين الكتابة بينهما كتب بينهما كاتب بالعدل هذا واجب عليه إذا لم يكن ثمة غيره لأن الكتابة من فروض الكفاية. وعلى المدين أن يملي على كاتب الدين ما يقر به ويلتزم به تجاه الدائن أو صاحب الحق. فإن كان المدين سفيهاً

(١) أخرجه مسلم في كتاب المساقاة، باب السلم، برقم (١٦٠٤)، صحيح مسلم بشرح الأبي والسنوسي ج٥ ص٥٢٦ .

أو صغيراً في سنه أو ضعيفاً في عقله أو لا يستطيع التعبير فيتولى ذلك عنه وليه.

ومن الأحكام في الآية: وجوب الإشهاد في الدَّين ليكون عقده أكثر توثيقاً، وأن يكون ذلك برجلين من المسلمين، أو رجل وامرأتين تذكر إحداهما الأخرى إذا نسيت. وتصح شهادة المرأة منفردة في الأحوال التي لا يطلع عليها أو لا يعرفها إلا النساء. كما تجوز شهادة الأعمى، وشهادة الصبيان على بعضهم. ويجب أن يكون الشاهد عدلاً وهو من يكون معروفاً بأمانته محافظاً على دينه معروفاً بإدراكه وبصيرته. وعلى الشهود ألا يأبوا الشهادة إذا دعوا لها فإن كانوا في محل ليس فيه إلا هم وجب عليهم تحملها. وإن كان فيه غيرهم لم يكن ذلك واجباً لأن الشهادة من فروض الكفاية، أما إن كان الشهود قد تحملوها فيجب عليهم أداؤها عند طلبها. ومن هذه الأحكام: أن تكون الكتابة شاملة للدين سواء كان قليلاً أو كثيراً لما في ذلك من العدل ونفي الريبة والشك وقطع النزاع في حال الخلاف بين المتداينين. هذا مع استثناء البيع الذي يتم التقابض فيه في الحال، ووجوب الإشهاد على البيع في الأشياء الكبيرة كالعقارات والمزارع وما في حكمها من التجارة الكبيرة.

وعلى الكاتب أن يكتب ما يملى عليه، وعلى الشاهد أن يشهد بما سمع؛ فإن فعلا خلاف ذلك فإن هذا الفعل يعد فسوقاً.

﴿ ۞ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ ﴾.

بيان الآية:

لما ذكر الله في الآية السابقة توثيق الدين بالكتابة والإشهاد وواجب الكاتب والشاهد، أتبع ذلك بما يجب عليه التوثيق في حال السفر والتنقل حين لا يكون ثمة كاتب يكتبه فقال ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ﴾ فدل هذا على جواز الرهن ليكون بديلاً عن الكتابة وفي هذا فائدتان: أولاهما- أن الدائن بهذا الرهن يطمئن على ماله فلا يخشى من ضياعه بعدم توثيقه بالكتابة والأخرى- أن حركة التجارة لا تتعطل خاصة في حال السفر وخاصة وأن المسلمين كانوا آنذاك كثيري التنقل بسبب جهادهم ودعوتهم للدين. وجواز الرهن ليس خاصّاً بالسفر كما هو ظاهر الآية بل هو جائز في الحضر، وشاهده أن رسول الله ﷺ رهن درعه عند يهودي. وقيل: إنه توفي عليه الصلاة والسلام ودرعه مرهونة عنده[(١)].

﴿وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا﴾ أي: يكتب الدين ﴿فَرِهَٰنٌ﴾ الرهن حبس

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب ما قيل في درع النبي ﷺ، برقم (٢٩١٦)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج٦ ص١١٩ .

العين المملوكة للمدين لدى الدائن حتى يستوفي حقه إما من قبل المدين أو من ثمن العين أو منافعها. ﴿مَّقۡبُوضَةٞۖ﴾ أي: يقبضها المرتهن لتكون في حوزته، أو حوزة وكيله، أو حوزة رجل عدل يتفق عليه. ﴿فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا فَلۡيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤۡتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾ المراد أن الدائن إذا ائتمن المدين ولم يخش منه على دينه فلا يلزم طلبُ رهنٍ منه لأن المراد توثيق حقه. فإذا تنازل عن هذا التوثيق فله ذلك ولكن هل هذا عام بمعنى هل أن للدائن إذا أمن المدين أن لا يكتب ولا يشهد على دينه بل يكتفي بما يتصوره من أمانة المدين به؟ قيل: إن هذا هو المراد وقيل: خلافه أي: أن الاكتفاء بأمانة المدين هو في ترك الرهن. أما الكتابة والإشهاد في الدين فالحكم باق على أصله بمعنى وجوب الكتابة ولو كان الدائن يثق بأمانة المدين.

قلت: المراد من قول الله جل ذكره ﴿فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا﴾ هو فيما مناطه الشهادة والرهن. أما الكتابة في الدين فتبقى على الأصل بالوجوب لأن الله جل ذكره قال ﴿فَٱكۡتُبُوهُۚ﴾ وهذا أمر يفيد معنى الوجوب؛ ناهيك أن الكتابة مانعة للخلاف بين الدائن ومدينه والاستثناء جاء بالنسبة للرهن في السفر بوصفه حالة طارئة وليس في الآية ما يدل على نسخها لكتابة الدين؛ بل جاءت تالية لآية الرهن مما يدل على أنها خاصة بالاستثناء من الرهن في حال السفر لما قد يصعب فيه من وجود عين للرهن.

﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾ أي: المؤتمن فلا يخون أمانته فيبخس الدائن حقه. والمراد أن الله لما استثنى الرهن والشهادة في حال السفر أكد عظم الأمانة، وما يجب أن يتصف به المؤتمن من تقوى الله لتكون حاجزاً ورادعاً للنفس عن منع أداء الحقوق لأصحابها. ﴿وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَـٰدَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ ندب الله إلى استشهاد الشهود في توثيق الحقوق، وأن على الشاهد إذا دعي ألا يأبى فقد نهي عن كتمان الشهادة نهيَ تحذيرٍ لما ينتج عن هذا الكتمان من ضياع حقوق الأبرياء فقال ﴿وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَـٰدَةَ﴾ أي: لا تخفوها ولا تعارض بين هذا، وبين ما ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: (**خير أمتي القرن الذين بعثت فيهم. ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يخلف قوم يحبون السمانة يشهدون قبل أن يستشهدوا**)[1]. فالمراد من الآية أن من لديه شهادة حقّ عليه أداؤها إذا كان في ذلك إظهارٌ للحق ونفيٌ للباطل سواء كانت تتعلق بحق الله أو حقوق الآدميين. والمراد من الحديث أن الذين ذمهم الرسول هم الذين يشهدون بما لا يعلمون أو تكون شهادتهم غير قاطعة كما قال رسول الله ﷺ للشاهد: (**هل ترى الشمس؟**) قال: نعم قال: (**على مثلها فاشهد**)[2].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، برقم (٢٥٣٤)، صحيح مسلم بشرح الأبي والسنوسي ج٨ ص٦٠٤، ومعنى قوله «يحبون السمانة» أي: يغلب عليهم النهم والشهوات فيكثرون الأكل فيظهر فيهم السمن.

(٢) أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال، برقم (١٧٧٨٢)، ج٧ ص٢٣، وأبو نعيم الأصفهاني في حلية الأولياء ج٤ ص١٨ .

﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ هذا مجاز لوصف القلب بالإثم لكونه الذي يضمر النية بالكتمان عندما يضعف فيه الإيمان، وتسيطر عليه نزعة الهوى، ويستحوذ عليه الشيطان فيتحول فعله إلى فسق وفجور. ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ بيان يتكرر لتحذير المكلفين من العباد بالأمر والنهي أن الله يعلم ما يعملونه في ضمائرهم ومشاعرهم.

أحكام ومسائل الآية:

جواز الرهن في السفر والحضر توثيقاً للدين. والأصل في جوازه في السفر القرآن، والأصل في جوازه في الحضر السنة، والرهن ينبغي أن يكون مقبوضاً من صاحب الحق (الدائن) أو من وكيله، ومن قبل الرجل العدل الذي يتفق على إيداعه عنده. وكما يصح رهن العين كاملة يصح رهنها مشاعة. وكما يجوز رهن الدين يجوز ترك أخذ الرهن إذا أمن الدائن المدين على أصله؛ وهذا فيما مناطه الرهن والشهادة. أما الدين فينبغي أن يبقى الحكم على أصله لما في الكتابة فيه من حفظ للحقوق وقطع للتنازع بين المتداينين. ومن هذه الأحكام: التحذير من كتمان الشهادة والوعيد لمن يكتمها بوصفه آثم القلب.

لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن

﴿يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٢٨٤﴾.

بيان الآية:

لما بيَّن الله الأحكام في الدين والرهن وغير ذلك من الأحكام التي زخرت بها سورة البقرة ختم هذه السورة بتذكير عباده أنه القوي الأعظم في كل شيء، وأنه يعلم أسرارهم وما توسوس به نفوسهم فقال ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ وفي هذا حصر واستغراق لملكية الله لكل ما في السموات والأرض، ومن فيهن، وما بينهما. فهو المدبر والمهيمن والمالك لكل هذه المخلوقات دقها وجلها وظواهرها وبواطنها. ﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ﴾ في هذا إخبار أن كل ما يبديه العبد أو يخفيه في نفسه عرضة لمحاسبته عليه فلما سمع بذلك الصحابة رضوان الله عليهم اشتد عليهم ذلك فأتوا رسول الله ثم جثوا على ركبهم وقالوا: يا رسول الله كلفنا من الأعمال ما نطيق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة وقد أنزلت عليك هذه الآية فقال لهم رسول الله: (**أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتاب من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير**) فلما أقروا بها وذلت بها ألسنتهم أنزل الله في أثرها[1] ﴿ءَامَنَ

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٢١٤، والحديث أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب بيان أنه سبحانه وتعالى لم يكلف إلا ما يطاق، برقم (١٢٥)، صحيح مسلم بشرح الأبي والسنوسي ج١ ص٣٩٢.

ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ ﴾ ثم بعد ذلك نسخها الله فأنزل قوله الحكيم ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ ﴾ وشاهد هذا أيضاً ما رواه أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (**قال الله: إذا هَمَّ عبدي بسيئة لا تكتبوها عليه فإن عملها فاكتبوها سيئة وإذا هم بحسنة فلم يعملها اكتبوها حسنة فإن عملها فاكتبوها عشراً**)(١). ﴿فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ أي: يغفر لعباده المتقين الأبرار ويعذب المشركين والمنافقين والفجار.

أحكام ومسائل الآية:

الحكم بأن لله كل ما في السموات والأرض، وهذا يقتضي أنهم عبيده وتحت مشيئته وتدبيره وتصرفه. ومن الأحكام: أن الله جل ثناؤه يعلم ما يبديه العبد وما يخفيه من الخير والشر وسوف يحاسبه عليه إذا تكلم به. أما إذا هم به ولم يعمل أو يتكلم به فإن الله يتجاوزه ويغفره له لما روي أن رسول الله ﷺ قال: (**إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل**)(٢).

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب إذا همّ العبد بحسنة كتب وإذا هم بسيئة لم تكتب، برقم (١٢٨)، صحيح مسلم بشرح الأبي والسنوسي ج١ ص٣٩٧ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تستقر، برقم (١٢٧)، صحيح مسلم بشرح الأبي والسنوسي ج١ ص٣٩٥ .

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾.

بيان الآية:

لما نزلت الآية التي أشير إليها آنفاً عن محاسبة الله عما في النفوس وشق ذلك على الصحابة، وما جرى بينهم وبين رسول الله، وما أمرهم به من السمع والطاعة وامتثالهم لذلك حقاً وصدقاً أنزل الله تعالى قوله ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ ﴾ وهذا بيان وإخبار منه جل ثناؤه عن استجابتهم للإيمان به وملائكته وكتبه ورسله، وأنهم لا يفرقون بين أحد من رسله، وأنهم سمعوا وأطاعوا وسألوا الله الغفران. بعد ذلك نسخ الله الآية التي تشير إلى المحاسبة على ما في النفوس رأفة بالمؤمنين ورحمة بهم وعدم تكليفهم بما يشق عليهم.

أما إيمان رسول الله والمؤمنين بما أنزله الله فهو الإيمان المطلق بما جاء من عند الله في كتبه المنزلة على أنبيائه ورسله وخاتمها وأفضلها القرآن وقوله ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾ فالمؤمنون يومنون بأن الله هو الخلاق الواحد الفرد لا رب غيره ولا معبود بحق سواه، وهم يؤمنون بما أنزله على أنبيائه ورسله ولا يفرقون بين أحد منهم. ويقرون بأنهم أدوا ما أمرهم الله

به من إبلاغ أممهم بما جاؤوا به من الرسالات والشرائع والأحكام إلى أن نسخها الله برسالة نبيه ورسوله محمد ﷺ. ﴿وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ وهذا إقرار منهم بأنهم سمعوا وأطاعوا ما أمرهم الله به وانتهوا عما نهاهم عنه، وأنهم يرجون مغفرته ويقرون بالبعث والنشور يوم القيامة.

أحكام ومسائل الآية:

هذه الآية تضمنت تقرير أركان الإيمان وهي الإيمان بالله، والإيمان بملائكته، وكتبه، ورسله. ومن أحكامها: وجوب الإيمان برسل الله دون تفريق، وهذا يقتضي تصديق كل واحد منهم بما أتى به إلى قومه وآخرهم وخاتمهم نبينا ورسولنا محمد ﷺ. ومن أحكامها أيضا: وجوب سمع المؤمنين لله وطاعتهم له ولرسوله.

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾.

بيان الآية:

لما قال المؤمنون لربهم: سمعنا وأطعنا، وعلم الله ما في نفوسهم

من الخوف من محاسبة الله لهم على ما تبديه وما تخفيه نفوسهم عفى الله عن ذلك، ورفع التكليف عنهم بما لا يطيقون بقوله ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ والتكليف هو كل ما يشق على النفس والمراد أن الله لم يكلف أمة محمد إلا ما في وسعها وقدرتها على القيام به خلافاً لبعض الأمم السابقة التي كلفت بكثير من الأمور الشاقة امتحاناً لها وشاهده قوله تعالى ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾[1]. وقوله ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾[2]. ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ أي: أن لها عاقبة ما ترتكبه من الحسنة، وعاقبة ما ترتكبه من السيئة والجزاء من جنس العمل. وشاهده قول الله تعالى في موضع آخر ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾[3]، وقوله ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[4]. والمراد من هذا ما تفعله النفس من فعل مادي؛ فإن كان صدقة كان حسنة. وإن كان بفعل محرم كان سيئة. أما ما كان من الوساوس وخواطر النفس فلا تعد من الكسب لأنها من غير إرادتها وفي غير وسعها.

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ وهذا تعليم وإرشاد من الله لعباده أن يدعوه بأن يعفو عما يحدث منهم عن طريق

---

(١) سورة التغابن من الآية ١٦ .

(٢) سورة الأعراف من الآية ١٥٧ .

(٣) سورة الأنعام من الآية ١٦٤ .

(٤) سورة المدثر الآية ٣٨ .

الخطأ أو النسيان وأن يقولوا ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ﴾ أي: لا تكلفنا من الأثقال والأعباء والمشاق التي صارت لبعض الأمم السابقة. ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ﴾ أي: لا تشدد علينا في ديننا كما شددت على من قبلنا من سابق الأمم وأن يقولوا ﴿وَٱعْفُ عَنَّا﴾ أي: تجاوز عن ذنوبنا وخطايانا وكفر عنا سيئاتنا وأن يقولوا ﴿وَٱغْفِرْ لَنَا﴾ أي: استر عوراتنا وعيوبنا. ﴿وَٱرْحَمْنَآۚ﴾ أي: تكرم وتفضل علينا برحمتك التي وسعت كل شيء. ﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا﴾ أي: إننا عبيدك وأنت ولينا لا رب لنا ولا مولى لنا غيرك. ﴿فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: اجعل لنا العزة والنصر والغلبة على الذين أشركوا معك وكفروا بنعمتك وكذبوا رسلك وأنكروا ألوهيتك.

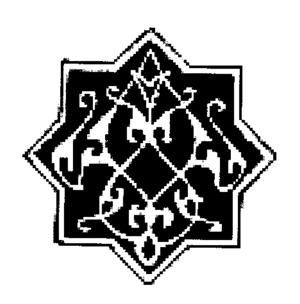
أحكام ومسائل الآية:

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ وهذا حكم منه، وحكمه الحق أنه لا يكلف أحداً من عباده ما لا يسعه. والوسع دون الطاقة؛ فالذي لا يقدر على الصلاة قائماً يصليها قاعداً. والذي لا يستطيع أداءها قاعداً يصليها على جنب أو يومئ إيماء. والذي لا يستطيع التطهر بالماء لعلة فيه يتطهر بالصعيد الطيب من التراب. والذي لا يستطيع الصوم لمرض فيه يفطر ويكفر. وهكذا في مختلف التكاليف،

وعدم التكليف هذا منة من الله على المسلمين خلافاً لأصحاب الديانات السابقة. وقد أكد هذا رسول الله ﷺ في قوله: (**إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه**)[1].

ومن هذه الأحكام: أن لكل نفس ما عملته من الحسنات والسيئات. فمن يقتل غيره ظلماً يستحق القصاص منه. ومن يعتد على غيره في ماله أو عرضه أو نفسه يستحق جزاء فعله كل فعل بحسب عقوبته.

ومن هذه الأحكام: أن الله لا يؤاخذ على الفعل إذا وقع نسياناً أو خطأً. فمن أكل أو شرب ناسياً، وهو صائم فلا إثم عليه. ومن نسي صلاة فلم يصلها في وقتها صلاها متى ما ذكرها. وهكذا فيما هو حق لله. أما حقوق العباد فلا تسقط بالخطأ أو النسيان ولأصحابها استيفاؤها كما سنبين ذلك فيما بعد إن شاء الله.



(١) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ برقم (٧٢٨٨)، صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٣ ص٢٦٤ .

فهرس المجلد الأول

مقدمة التفسير ٧
المسألة الأولى: نزول القرآن ٧
المسألة الثانية: أسباب النزول ١٣
المسألة الثالثة: جمع القرآن وترتيبه ١٨
المسألة الرابعة: تعظيم القرآن وحكم من طعن فيه ٢٣
المسألة الخامسة: إعجاز القرآن وفضله ٢٧
المسألة السادسة: المحكم والمتشابه في القرآن ٤٤
المسألة السابعة: النسخ في القرآن ٥٠
المسألة الثامنة: تفسير القرآن ومدى الحاجة إليه ٥٦
المسألة التاسعة: شروط التفسير ٦٣
المسألة العاشرة: مصادر التفسير ٦٨
التفسير بالمأثور ٦٩
التفسير باللغة ٧٦
التفسير بالرأي ٧٧
تفسير البسملة ٨٥
استحباب التسمية وفضلها ٨٥
سورة الفاتحة ٩٠
تفسير قوله تعالى ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ..﴾ ١-٧ .... ٩٠
أحكام ومسائل الآيات ٩٣
الأحكام في سورة الفاتحة نوعان ٩٣

وجوب قراءة سورة الفاتحة في كل ركعة من الصلاة ٩٤
وجوب توحيد الله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته........... ٩٥
سورة البقرة ٩٥
تفسير قوله تعالى ﴿الٓمٓ ..... ﴾ ١ - ٥ .... ٩٥
بيان صفات المؤمنين ٩٧
أحكام ومسائل الآيات ١٠٠
وجوب نفي الريبة أو الشك في كتاب الله تعالى ووجوب التصديق به ١٠٠
وجوب الإيمان بكل ما غيّبه الله عن خلقه واختص هو بعلمه ١٠٠
وجوب إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ١٠٠
وجوب الإيمان بالكتب التي أنزلها الله على الأنبياء ١٠٠
وجوب اليقين بالآخرة ١٠٠
تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ... ﴾ ٦ – ٧ .... ١٠١
بيان صفات الكفرة ١٠١
أحكام ومسائل الآيتين ١٠٢
تقرير إصرار الكفرة على غيهم وضلالهم رغم ما يأتيهم من البينات ١٠٢
التحذير من اتباع سبيل الكفرة ١٠٢
تفسير قوله تعالى ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا... ﴾ ٨ - ١٠ ...... ١٠٢
بيان صفات المنافقين ١٠٢
أحكام ومسائل الآيات ١٠٤
تحريم الكذب ١٠٤

تحريم النفاق ١٠٤
بيان نوعي النفاق ١٠٤
تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا ...﴾ ١١-١٣ .... ١٠٤
حال المنافقين مع الناصحين ١٠٥
النفاق إفساد في الأرض ١٠٥
أحكام ومسائل الآيات ١٠٧
تقرير أن المفسدين في الأرض يدعون دائماً أنهم
مصلحون وهم على خلاف ذلك ١٠٧
تقرير أن المنافقين يصفون الصالحين بالسفاهة ١٠٧
تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا ...﴾ ١٤ - ١٦ ..... ١٠٧
أحكام ومسائل الآيات ١٠٨
تقرير أن للمنافقين صفتين متضادتين ١٠٨
تقرير أن الله مطلع على سرائر المنافقين فيمهلهم حتى
يضاعف لهم العقوبة إن لم يتوبوا ١٠٩
وصف الله للمنافقين بأنهم قد اشتروا الضلالة
بالهدى والحق بالباطل ١٠٩
تفسير قوله تعالى ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ...﴾ ١٧-٢٠ ... ١٠٩
أحكام ومسائل الآيات ١١١
تقرير أن الله يضرب الأمثال للناس لتقريب الأحكام إليهم ١١١
تنديد الله بالمنافقين وتوكيده على كفرهم ١١١
عدم معاقبة النبي ﷺ للمنافقين لما رأى في ذلك من المصلحة .. ١١١
بيان صبر رسول الله ﷺ على أذى المنافقين والمشركين ١١١
تفسير قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ ...﴾ ٢١ - ٢٢ .... ١١٢

أحكام ومسائل الآيتين ١١٥
وجوب عبادة الله وحده وتحريم الشرك ١١٥
وجوب توحيد الله لكونه الواحد المتفرد بالعبادة ١١٥
تفسير قوله تعالى ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ...﴾ ٢٣ - ٢٤ .... ١١٥
أحكام ومسائل الآيتين ١١٧
القرآن الكريم منزل من عند الله وهو كلام معجز ١١٧
دعوة الله لعباده أن يتقوا النار ١١٧
كفر من يشك في القرآن أو يكذب به أو ينسبه إلى غير الله ١١٧
تفسير قوله تعالى ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا ...﴾ ٢٥ .... ١١٧
أحكام ومسائل الآية ١١٨
تقرير البشرى من الله لعباده المؤمنين ١١٨
تذكير العباد أن طاعتهم لله ولرسوله ليست عبثاً بل لها
جزاء عظيم وهو الجنة ١١٨
بشارة الله للمؤمنين بعد ذكر جزاء الكافرين تدل على
أن الجزاء من جنس العمل ١١٨
تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ
مَثَلًا...﴾ ٢٦ - ٢٧ .... ١١٩
أحكام ومسائل الآيتين ١٢٢
تحريم نقض المواثيق سواء المتعلقة بحقوق الله أو
حقوق الآدميين ١٢٢
تحريم عقوق الوالدين وقطيعة الأرحام ١٢٢
تحريم الفساد في الأرض ١٢٢
تفسير قوله تعالى ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ...﴾ ٢٨ - ٢٩ .... ١٢٢

أحكام ومسائل الآيتين ١٢٤
تقرير عجب الله من الإنسان الذي يكفر به وهو يعلم
أنه الذي أحياه من العدم ثم يميته ثم يعيده إليه ١٢٤
إباحة ما خلق الله في الأرض لعباده ١٢٤
تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ...﴾ ٣٠ ..... ١٢٤
أحكام ومسائل الآية ١٢٥
تقرير أن سؤال الملائكة لربهم كان سؤال استفهام،
وليس سؤال اعتراض ١٢٥
تقرير فضل آدم وشرفه ١٢٦
تفسير قوله تعالى ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ ...﴾ ٣١ - ٣٣ ..... ١٢٦
أحكام ومسائل الآيات ١٢٨
تقرير قدرة الله تعالى في تعليمه آدم الأسماء كلها ١٢٨
الحكم بأنه ما من علم علمه الإنسان في أي زمان
أو مكان إلا بتعليم الله له ١٢٨
الحكم بأن الله علام الغيوب فلا تخفى عليه خافية ١٢٨
تفسير قوله تعالى﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ...﴾ ٣٤ .... ١٢٨
أحكام ومسائل الآية ١٢٩
السجود الذي أمر الله به الملائكة لآدم لتكريمه ١٢٩
السجود بمعناه العبادي والاعتقادي لا يكون إلا لله وحده........ ١٢٩
تقرير عداوة إبليس لآدم وذريته ووجوب الحذر منه ١٢٩
تفسير قوله تعالى﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ ...﴾ ٣٥ - ٣٧ .... ١٢٩
أحكام ومسائل الآيات ١٣١
تقرير عاقبة المعصية التي أخرجت آدم من الجنة ١٣١

وجوب التوبة من الذنوب مع الندم على المعصية،
وتركها والعزم على عدم العودة إليها ١٣١
تفسير قوله تعالى ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا ...﴾ ٣٨ - ٣٩ .... ١٣٢
أحكام ومسائل الآيتين ١٣٣
معصية الله والخروج على أمره سبب لشقاء الإنسان ١٣٣
تقرير العذاب الأبدي للذين يكفرون بالله ويكذبون آياته ١٣٣
تفسير قوله تعالى ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ...﴾ ٤٠ - ٤٣ ..... ١٣٣
أحكام ومسائل الآيات ١٣٦
وجوب الوفاء بالعهد ١٣٦
وجوب الجهر بالحق وتحريم كتمانه ١٣٦
تحريم التلبيس وإيهام الناس وإضلالهم بخلط الحق بالباطل.. ١٣٦
الأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والركوع ١٣٦
تفسير قوله تعالى ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ
أَنفُسَكُمْ ...﴾ ٤٤ - ٤٦ .... ١٣٦
أحكام ومسائل الآيات ١٣٨
وجوب كون الآمر بالخير فاعلاً له ١٣٨
فضيلة الاستعانة بالصبر والصلاة ١٣٨
تفسير قوله تعالى ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ...﴾ ٤٧ - ٤٨ ..... ١٣٩
أحكام ومسائل الآيتين ١٤٠
وجوب الاعتراف بالنعم ووجوب شكر الله عليها ١٤٠
الشفاعة يوم القيامة لا تكون إلا للمؤمنين ١٤١
تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم ...﴾ ٤٩ - ٥٣ .... ١٤١
أحكام ومسائل الآيات ١٤٣

تقرير ابتلاء الله لبني إسرائيل ١٤٣
تقرير نعمة الله على بني إسرائيل لإنجائهم من العذاب ١٤٣
تقرير امتنان الله عليهم بإنزال التوراة على نبيهم ١٤٣
تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ ...﴾ ٥٤ - ٥٧ .... ١٤٣
أحكام ومسائل الآيات ١٤٥
الشرك بالله ظلم عظيم ١٤٥
وجوب التوبة ١٤٥
التنديد بالخصام والجدال ١٤٥
وجوب شكر الله على نعمه ١٤٥
تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ ...﴾ ٥٨ - ٥٩ .... ١٤٥
أحكام ومسائل الآيتين ١٤٧
تحريم تبديل أو تحريف أي أمر شرعي بما يخرجه عن معناه .. ١٤٧
الاستهزاء بالدين كفر ١٤٧
تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ...﴾ ٦٠ - ٦١ .... ١٤٧
أحكام ومسائل الآيتين ١٥٠
وجوب شكر الله على نعمه وتحريم الفساد في الأرض ١٥٠
وجوب التأدب مع الأنبياء ١٥٠
وجوب التأدب مع الله في الأقوال والمناجاة والدعوات ١٥٠
تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ...﴾ ٦٢ .... ١٥٠
أحكام ومسائل الآية ١٥٢
تقرير أن الديانة اليهودية والنصرانية لم تعودا
صالحتين لنسخ الإسلام لهما ١٥٢
نفي أي ميزة لأي جنس أو قوم اتبعوا ديناً سابقاً ١٥٢

تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ ...﴾ ٦٣ - ٦٥ .... ١٥٢
أحكام ومسائل الآيات ١٥٤
وجوب الوفاء بالمواثيق والعهود ١٥٤
تحريم الحيل التي تؤدي إلى تحليل ما حرم الله في شريعتنا ... ١٥٤
تفسير قوله تعالى ﴿فَجَعَلۡنَٰهَا نَكَٰلٗا ...﴾ ٦٦ .... ١٥٥
أحكام ومسائل الآية ١٥٦
تقرير أن العقوبة التي تصيب قوماً تكون تحذيراً لقوم آخرين .. ١٥٦
تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ ...﴾ ٦٧ - ٧١ .... ١٥٦
أحكام ومسائل الآيات ١٥٨
تقرير ما كان عليه موسى مع قومه بني إسرائيل من جدال.... ١٥٨
ذكر فائدتين لهما علاقة بما حصل لليهود مع موسى ١٥٨
تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذۡ قَتَلۡتُمۡ نَفۡسٗا ...﴾ ٧٢ - ٧٣ .... ١٥٩
أحكام ومسائل الآيتين ١٥٩
إحياء القتيل معجزة من معجزات الله ١٦٠
شرع من قبلنا شرع لنا إذا كان مما يتفق مع شرعنا ١٦٠
تفسير قوله تعالى ﴿ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ ...﴾ ٧٤ .... ١٦٠
أحكام ومسائل الآية ١٦١
التنديد ببني إسرائيل لقسوة قلوبهم ١٦١
التنديد بجهلهم بكتابهم ١٦١
تفسير قوله تعالى ﴿أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ ...﴾ ٧٥ - ٧٨ .... ١٦٢
أحكام ومسائل الآيات ١٦٤
التنديد باليهود الذين حرفوا كلام الله من بعد ما علموه ١٦٤
تفسير قوله تعالى ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ ...﴾ ٧٩ - ٨٠ .... ١٦٤

أحكام ومسائل الآيتين ١٦٦
تحريم القول على الله أو على رسوله بغير حق ١٦٦
تفسير قوله تعالى ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً... ﴾ ٨١-٨٢ .... ١٦٧
أحكام ومسائل الآيتين ١٦٨
المراد بالسيئات تلك التي لم يعد لأصحابها ملجأ من
عذاب الله بسبب عظمها ١٦٨
التقوى هي الأصل في علاقة العباد بربهم ١٦٨
تفسير قوله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ .. ﴾ ٨٣ – ٨٦ .... ١٦٨
أحكام ومسائل الآيات ١٧١
وجوب عبادة الله وحده ١٧١
وجوب بر الوالدين والإحسان إلى الأقارب ١٧١
وجوب إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ١٧١
تحريم نقض المواثيق والعهود التي فرضها الله على عباده ١٧٢
الدين وحدة لا تتجزأ ١٧٢
تقرير كفر من يشتري الحياة الدنيا بالآخرة ١٧٢
تفسير قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ... ﴾ ٨٧ ...... ١٧٢
أحكام ومسائل الآية ١٧٤
التنديد بمن يتبع الهوى ١٧٤
شناعة جريمة القتل بغير الحق ١٧٤
تفسير قوله تعالى ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ... ﴾ ٨٨ .... ١٧٤
أحكام ومسائل الآية ١٧٥

التنديد بمن يدعي أنه لا حاجة له إلى العلم وحلول غضب الله عليه ١٧٥
تفسير قوله تعالى ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ...﴾ ٨٩ ..... ١٧٥
أحكام ومسائل الآية ١٧٦
ذم الحسد ١٧٦
تقرير طرد الذين يعرفون الحق ثم ينكرونه من رحمة الله ١٧٦
تفسير قوله تعالى ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ...﴾ ٩٠ .... ١٧٦
أحكام ومسائل الآية ١٧٧
التنديد بمن باع نفسه بالكفر وكذب الرسول وأنكر القرآن ... ١٧٧
وعيد الله للكافرين بالمهانة والخزي يوم القيامة ١٧٧
تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ ...﴾ ٩١ - ٩٣ .... ١٧٧
أحكام ومسائل الآيات ١٧٩
ذم اليهود على عدم إيمانهم بالقرآن مع علمهم أنه حق ١٧٩
التنديد باليهود على قتلهم الأنبياء ١٧٩
تسفيه اليهود ووصفهم بالظلم لإنكارهم نبوة موسى ١٧٩
ذم إيمان اليهود وتحقيره بأنّه إيمان باطل ١٧٩
تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ ...﴾ ٩٤ - ٩٦ .... ١٧٩
[illegible] ١٨١
تقرير فشل اليهود في المباهلة ١٨١
تقرير حرص اليهود على الحياة لخوفهم مما بعدها ١٨١
تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ ...﴾ ٩٧ - ٩٨ ..... ١٨١

أحكام ومسائل الآيتين ١٨٣
تقرير أن عداوة الله إما تكون بعدم الإقرار بربوبيته، أو ألوهيته، أو أسمائه وصفاته، أو بكل ما أنزل من الكتب والآيات، أو بعداوة ملائكته ورسله ١٨٣
عداوة الأنبياء والرسل تكون بتحقيرهم أو ذمهم ١٨٣
تفسير قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ... ﴾ ٩٩ - ١٠١ ...... ١٨٣
أحكام ومسائل الآيات ١٨٥
تقرير أن من كفر بآيات الله يعد فاسقا ١٨٥
من كذب بالقرآن يعد منكراً له ومكذباً لرسول الله ﷺ وهذا غاية الكفر ١٨٥
التنديد بمن يعاهد عهداً ولا يفي به ١٨٥
تفسير قوله تعالى ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ ... ﴾ ١٠٢ - ١٠٣ ... ١٨٦
أحكام ومسائل الآيتين ١٩١
السحر حقيقة وأن من أنواعه التفريق بين الزوجين ١٩١
من تعاطاه ليعمل به أو يعلِّم من يعمل به فقد كفر ١٩١
السحر لا يضر أحداً إلا بإذن الله ١٩٢
عقوبة الساحر ١٩٢
تفسير قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا ... ﴾ ١٠٤ - ١٠٥ .... ١٩٣
أحكام ومسائل الآيتين ١٩٥
وجوب التأدب مع رسول الله ﷺ ومع صحابته وعدم التعرض لهم بما يتنقص منهم ١٩٥
تحذير المؤمنين من موالاة الكفار والمشركين ١٩٥

تفسير قوله تعالى ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ ...﴾ ١٠٦-١٠٨ .... ١٩٥
أحكام ومسائل الآيات ١٩٩
ثبوت النسخ في كتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ ١٩٩
ذم كثرة السؤال وكثرة الجدال ١٩٩
تفسير قوله تعالى ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ...﴾ ١٠٩ ... ١٩٩
أحكام ومسائل الآية ٢٠٠
تحريم الحسد ٢٠٠
توجيه الله للمؤمنين للاستعداد للدعوة بالجهاد وغيره ٢٠١
تفسير قوله تعالى ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ...﴾ ١١٠ - ١١٣ ...... ٢٠١
أحكام ومسائل الآيات ٢٠٤
الحكم بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ٢٠٤
تقرير أن أهم ما للعبد هو ما يقدمه من عمل صالح
يبتغي به وجه الله ٢٠٤
تقرير أن دين الإسلام هو الدين الصحيح ٢٠٤
تفسير قوله تعالى ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ...﴾ ١١٤ ..... ٢٠٥
أحكام ومسائل الآية ٢٠٧
تعظيم حرمة المساجد ٢٠٧
من يتعرض للمساجد ويمنع المصلين من أداء الصلاة
فيها يعد ظالما ٢٠٧
عظم أمر الصلاة، فالمساجد إنّما تقام أصلاً لأدائها ٢٠٧
لا يجوز لغير المسلم دخول المسجد ٢٠٧
تفسير قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ...﴾ ١١٥ .... ٢٠٨
أحكام ومسائل الآية ٢٠٩

وجوب استقبال القبلة ٢٠٩
تصح صلاة من صلى في ليلة مظلمة ولم يعرف القبلة. كما
تصح صلاة المصلي في السفر إلى حيث شاء راكباً ٢٠٩
تفسير قوله تعالى ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ...﴾ ١١٦ - ١١٩ .... ٢٠٩
أحكام ومسائل الآيات ٢١٣
تحريم القول على الله بغير دليل ٢١٣
تقرير أن أهل الكفر يتشابهون في سلوكهم في كل زمان
ومكان ٢١٣
تقرير أن رسالة رسول الله محمد ﷺ بشارة للمؤمنين،
ونذارة للمعرضين عن الحق ٢١٣
على الدعاة والمبلِّغين دعوة الناس إلى الهدى بالرفق واللين .. ٢١٣
تفسير قوله تعالى ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ ...﴾ ١٢٠ .... ٢١٣
أحكام ومسائل الآية ٢١٥
تحريم طلب رضا اليهود والنصارى ٢١٥
تحريم موافقة اليهود والنصارى على الطعن في دين الإسلام .. ٢١٥
تفسير قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ ...﴾ ١٢١ - ١٢٣ ..... ٢١٥
أحكام ومسائل الآيات ٢١٧
تقرير أن المؤمنين هم الذين يتلون كتاب الله حق تلاوته ٢١٧
وجوب تذكر نعم الله على العباد وشكره عليها ٢١٧
وجوب الخوف من الله ليوم لا ينفع فيه الفداء فلا يجزي
أحد عن أحد ولا يغني عنه شيئاً ٢١٧
تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ ...﴾ ١٢٤ ...... ٢١٨

أحكام ومسائل الآية ٢١٩
تقرير أن الله جعل الإمامة في ذرية إبراهيم عليه السلام ٢١٩
تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ..﴾ ١٢٥ .... ٢٢٠
أحكام ومسائل الآية ٢٢٥
سنية الصلاة عند مقام إبراهيم عليه السلام ٢٢٥
وجوب تطهير بيت الله الحرام ٢٢٥
تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ ...﴾ ١٢٦ .... ٢٢٥
أحكام ومسائل الآية ٢٢٧
تقرير دعوة إبراهيم عليه السلام أن يجعل مكة بلداً آمناً ٢٢٧
تقرير دعاء إبراهيم عليه السلام لأهل مكة المؤمنين بالرزق .. ٢٢٧
تقرير العذاب لمن مات ولم يسلم وجهه إلى الله ٢٢٧
تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ...﴾ ١٢٧ - ١٢٩ .... ٢٢٧
أحكام ومسائل الآيات ٢٣١
تقرير عظم أجر عمارة المساجد عمارة مادية وروحية ٢٣١
تقرير أهمية سؤال العبد لربه أن يثبته وذريته على دين الإسلام ويميته عليه ٢٣١
تقرير أهمية الدعاء والإلحاح فيه والتوسل إلى الله بقبوله ... ٢٣١
وجوب معرفة مناسك الحج ٢٣١
تفسير قوله تعالى ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ .﴾ ١٣٠-١٣٢ .... ٢٣١
أحكام ومسائل الآيات ٢٣٣
تقرير أن من يرغب عن الملة الحنيفية المسلمة التي وصى بها إبراهيم عليه السلام بنيه يعد سفيهاً ٢٣٣
الإسلام هو الدين الحق الذي نسخ جميع الأديان ٢٣٣

أهمية وصية المريض لأسرته بأن يلتزموا بدين الإسلام
ويموتوا عليه ٢٣٤
تفسير قوله تعالى ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ ... ﴾ ١٣٣ - ١٣٤ .... ٢٣٤
أحكام ومسائل الآيتين ٢٣٥
تقرير كذب الذين قالوا من اليهود إن نبي الله يعقوب على
الملة اليهودية وأنه وصى بها بنيه ٢٣٥
النهي عن الاعتماد على صلاح السلف وترك العمل ٢٣٥
تفسير قوله تعالى ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا ...﴾ ١٣٥ - ١٣٨ ...... ٢٣٦
أحكام ومسائل الآيات ٢٤٠
الحكم بأنه لا هداية إلا باتباع دين الإسلام ٢٤٠
وجوب الإيمان بجميع الأنبياء والرسل ٢٤٠
تفسير قوله تعالى ﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ ...﴾ ١٣٩-١٤١ .... ٢٤١
أحكام ومسائل الآيات ٢٤٣
الحكم بأنه لا قيمة للعمل إذا لم يكن خالصاً لوجه الله ٢٤٣
تقرير أنه ليس هناك ديانة يهودية أو نصرانية ٢٤٣
ليس أحد أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله ٢٤٣
تفسير قوله تعالى ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ ... ﴾ ١٤٢ .... ٢٤٣
أحكام ومسائل الآية ٢٤٥
جواز النسخ في الشريعة الإسلامية ٢٤٥
وجوب استقبال القبلة في الصلاة فرضاً كانت أو نفلاً ٢٤٥
تفسير قوله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ... ﴾ ١٤٣ .... ٢٤٥
أحكام ومسائل الآية ٢٥٠
الحكم بأن الشهادة لا تقبل إلا من العدول ٢٥٠

صحة صلاة من كان يصلي إلى بيت المقدس قبل نزول
الأمر بتحول القبلة ٢٥٠
صحة صلاة من صلى إلى غير القبلة وهو لا يعلم ٢٥٠
تفسير قوله تعالى ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ... ﴾ ١٤٤ .... ٢٥٠
أحكام ومسائل الآية ٢٥٢
وجوب استقبال الكعبة في الصلاة لمن كان في المسجد
الحرام، واستقبال جهتها لمن كان غير معاين لها ٢٥٢
تفسير قوله تعالى ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ... ﴾ ١٤٥ ..... ٢٥٢
أحكام ومسائل الآية ٢٥٣
وجوب الثبات على ما أمر الله به من استقبال الكعبة
في الصلاة، ونفي اتباع أهل الكتاب ٢٥٣
التحذير من اتباع أهل الكتاب وأهوائهم ٢٥٣
تفسير قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ ... ﴾ ١٤٦ - ١٤٧ ..... ٢٥٣
أحكام ومسائل الآيتين ٢٥٥
تقرير أن كثيراً من علماء اليهود والنصارى يعرفون من
كتبهم أن رسالة محمد ﷺ حق ٢٥٥
على أمة محمد ﷺ أن تعرف أن ما جاء به رسولها حق
لا مراء فيه ٢٥٥
تفسير قوله تعالى ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ... ﴾ ١٤٨ .... ٢٥٥
أحكام ومسائل الآية ٢٥٦
الأمر بالمبادرة في فعل الواجبات، والاستباق إلى فعل الخيرات .. ٢٥٦
اختلاف في مسألة أفضلية التبكير بالصلاة ٢٥٦
تفسير قوله تعالى ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ ... ﴾ ١٤٩ - ١٥٠ ...... ٢٥٧

أحكام ومسائل الآيتين ٢٥٨

وجوب استقبال الكعبة حال الصلاة ٢٥٨

وجوب خشية الله في كل أمر، وعدم خشية المخالفين لدينه .. ٢٥٨

تفسير قوله تعالى ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ ... ﴾ ١٥١-١٥٢ .... ٢٥٩

أحكام ومسائل الآيتين ٢٦١

تقرير منة الله على العرب أن أرسل رسولاً منهم ٢٦١

وجوب شكر الله على نعمه الظاهرة والباطنة ٢٦١

تفسير قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ ... ﴾ ١٥٣ - ١٥٤ .... ٢٦١

أحكام ومسائل الآيتين ٢٦٤

تقرير فضل الصبر، وفضل الاستعانة بالصلاة ٢٦٤

للشهيد درجة رفيعة عند الله تعالى ٢٦٤

مذاهب الفقهاء في الشهيد الذي يقتل في المعركة هل يغسل ويصلى عليه أم لا؟ ٢٦٤

تفسير قوله تعالى ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ ... ﴾ ١٥٥-١٥٧.... ٢٦٥

أحكام ومسائل الآيات ٢٦٧

تقرير فضل من استشهد في سبيل الله ابتغاء إعلاء كلمته ... ٢٦٧

تقرير أن الإنسان في الدنيا معرض للمصائب ٢٦٧

استحباب الاسترجاع عند المصيبة ٢٦٧

تفسير قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ ... ﴾ ١٥٨ .... ٢٦٧

أحكام ومسائل الآية ٢٧٠

السعي بين الصفا والمروة ركن في الحج والعمرة ومذاهب العلماء في المسألة ٢٧٠

تفسير قوله تعالى﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ ...﴾ ١٥٩ – ١٦٢ .... ٢٧١
أحكام ومسائل الآيات ٢٧٣
وجوب تبليغ العلم - على العالم- عندما يسئل ٢٧٣
تحريم كتمان العلم ٢٧٤
مذاهب العلماء في جواز لعن الكافر المعين وكذلك
العاصي المعين ٢٧٤
جواز لعن أصحاب الكفر وأهل المعاصي دون تعيين ٢٧٥
تفسير قوله تعالى﴿ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ ...﴾ ١٦٣ - ١٦٤ ..... ٢٧٥
أحكام ومسائل الآيتين ٢٨٢
الحكم بأنه لا إلَه إلا إلَه واحد هو الله المتعالي في ملكوته ٢٨٢
الحكم بأن آيات الله المشاهدة تدل قطعاً على وجود الله ٢٨٣
تفسير قوله تعالى﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ...﴾ ١٦٥ - ١٦٧ ..... ٢٨٣
أحكام ومسائل الآيات ٢٨٦
وجوب حب الله ٢٨٦
تقرير براءة أهل الضلال بعضهم من بعض حين يرون
عاقبة ضلالهم يوم القيامة ٢٨٦
تفسير قوله تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي
ٱلۡأَرۡضِ...﴾ ١٦٨ - ١٧٠ .... ٢٨٦
أحكام ومسائل الآيات ٢٨٩
وجوب الأكل من الطعام الحلال واجتناب ما حرم الله ٢٨٩
تحريم اتباع طرق الشيطان ومسالكه في القول والفعل ٢٨٩
تحريم تقليد من ليس من أهل العلم ووجوب سؤال
أهل العلم عند عدم معرفة أحكام الدين ٢٩٠

تفسير قوله تعالى ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ... ﴾ ١٧١ .... ٢٩٠
أحكام ومسائل الآية.. ٢٩٠
تشبيه الكافر المصر على كفره بالحيوان ٢٩٠
تحريم تقليد أهل الضلال والفساد ٢٩١
تفسير قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَٰتِ ... ﴾ ١٧٢ - ١٧٣ .... ٢٩١
أحكام ومسائل الآيتين.. ٢٩٢
وجوب الأكل من الطيبات، وتحريم الأكل من الخبائث ٢٩٢
مذاهب الفقهاء في الانتفاع بأجزاء الميتة غير الأكل كالجلد والصوف ٢٩٢
أحل الله لعباده الحوت والجراد والطحال والكبد ٢٩٣
تحريم الدم المسفوح ٢٩٤
تحريم لحم الخنزير بكل أجزائه ٢٩٥
تحريم ما أهل به لغير الله ٢٩٥
تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ... ﴾ ١٧٤ - ١٧٦ .... ٢٩٥
أحكام ومسائل الآيات.. ٢٩٧
تقرير كتمان العلم والشهادة ٢٩٧
تقرير أن الذين اختلفوا في كتبهم من اليهود والنصارى يبقون دائماً في نزاع وخصام ٢٩٧
تفسير قوله تعالى ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ ... ﴾ ١٧٧ .... ٢٩٧
أحكام ومسائل الآية.. ٣٠٢
تقرير أن البر ليس مجرد التوجه إلى القبلة ٣٠٢

وجوب إعطاء زكاة المال لمستحقيه ٣٠٢
وجوب الصبر في البأساء ٣٠٢
وجوب إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ٣٠٢
وجوب الوفاء بالعهد ٣٠٢
تفسير قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ... ﴾ ١٧٨ .... ٣٠٢
أحكام ومسائل الآية ٣٠٤
عصمة الأنفس وحرمة قتلها بغير حق ٣٠٤
مسألة قتل المسلم بغير المسلم ٣٠٥
تفسير قوله تعالى ﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ ... ﴾ ١٧٩ ...... ٣٠٧
أحكام ومسائل الآية ٣٠٧
القصاص هو العدل ٣٠٧
تفسير قوله تعالى ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ... ﴾ ١٨٠ .... ٣٠٨
أحكام ومسائل الآية ٣١٠
تقرير نسخ الوصية في حق الورثة ٣١٠
استحباب كتابة الوصية في حال الصحة ٣١٠
الوصية بثلث المال ٣١٠
تفسير قوله تعالى ﴿ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَ مَا سَمِعَهُۥ ... ﴾ ١٨١ .... ٣١٠
أحكام ومسائل الآية ٣١١
تحريم العبث في الوصية ٣١١
وجوب تنفيذ الوصية ٣١١
تفسير قوله تعالى ﴿ فَمَنۡ خَافَ مِن مُّوصٖ جَنَفًا ... ﴾ ١٨٢ ...... ٣١١
أحكام ومسائل الآية ٣١٢
تكليف عموم المسلمين بإصلاح الخطأ في وصاياهم ٣١٢

تفسير قوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ... ﴾ ١٨٣ - ١٨٤ .... ٣١٢
أحكام ومسائل الآيتين ٣١٧
تقرير أن الصيام كتب على اليهود والنصارى فغيروا أحكامه .. ٣١٧
وجوب صيام شهر رمضان مع الترخيص للمسافر بالفطر ثم القضاء ٣١٧
الرخصة بالفطر في رمضان للمريض والمسن إذا كانا لا يستطيعان الصيام أصلاً؛ مع إطعام مسكين عن كل يوم ٣١٧
الترخيص في الفطر للحامل والمرضع إذا خافتا على ولديهما.. ٣١٧
تفسير قوله تعالى ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ... ﴾ ١٨٥ .... ٣١٧
أحكام ومسائل الآية ٣٢٠
فرض صيام رمضان على كل مسلم مكلف ٣٢٠
يحكم بدخول شهر رمضان بشهادة واحد من العدول ٣٢٠
لكل أهل بلد رؤيتهم الخاصة إذا اختلفت مطالع الهلال ٣٢٠
وجوب إكمال مدة الصيام للشهر ثلاثين أو تسعة وعشرين يوما ٣٢١
تفسير قوله تعالى ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى ... ﴾ ١٨٦ .... ٣٢١
أحكام ومسائل الآية ٣٢٢
الحكم بأن الله قريب من عباده ٣٢٢
شروط قبول الدعاء ٣٢٢
تفسير قوله تعالى ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ... ﴾ ١٨٧ .... ٣٢٣
أحكام ومسائل الآية ٣٢٧

وجوب الإمساك بنية الصيام عن المفطرات من طلوع
الفجر إلى غروب الشمس ٣٢٧
حكم من أفطر ناسياً ٣٢٧
حكم من أفطر في نهار رمضان عامداً ٣٢٧
حكم قبلة الزوج لزوجته في نهار رمضان ٣٢٧
حكم من طلع عليه الفجر وهو جنب ٣٢٧
الاعتكاف سنة ٣٢٧
تفسير قوله تعالى ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ...﴾ ١٨٨ .... ٣٢٧
أحكام ومسائل الآية ٣٢٨
تحريم أكل مال المسلم بغير حق ٣٢٨
تحريم أخذ الرشوة ٣٢٨
تفسير قوله تعالى ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ...﴾ ١٨٩ .... ٣٢٩
أحكام ومسائل الآية ٣٣٠
تقرير استحباب السؤال عن الأمور العامة ٣٣٠
وجوب السؤال عن الأمور المتعلقة بالدين ٣٣٠
تقرير أن الأهلة تعرف بها العبادات ٣٣٠
الحكم أن البر في التقوى ٣٣٠
وجوب تقوى الله ٣٣٠
تحريم البدع ٣٣٠
تفسير قوله تعالى ﴿وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ...﴾ ١٩٠ - ١٩٣ .... ٣٣١
أحكام ومسائل الآيات ٣٣٤
تقرير أن الفتنة أشد من القتل ٣٣٤
تحريم القتال في مكة ٣٣٤

من يؤمن بالله ويتخلى عن الكفر يغفر له ما قد سلف ٣٣٤
تفسير قوله تعالى ﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ ... ﴾ ١٩٤ ...... ٣٣٤
أحكام ومسائل الآية ٣٣٥
من يستبيح قتال غيره يحلُّ قتله بصرف النظر عن
المكان أو الزمان ٣٣٥
وجوب المماثلة في رد الاعتداء ومنع مجاوزة الحد في دفعه ٣٣٦
تفسير قوله تعالى ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ... ﴾ ١٩٥ .... ٣٣٦
أحكام ومسائل الآية ٣٣٩
وجوب الإنفاق في سبيل الله ٣٣٩
معنى «سبيل الله» ٣٣٩
جواز حمل المسلم على الجمع من الأعداء ٣٤٠
تفسير قوله تعالى ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ ... ﴾ ١٩٦ .... ٣٤٠
أحكام ومسائل الآية ٣٤٨
وجوب إتمام الحج والعمرة لمن بدأ فيهما من الميقات ٣٤٨
وجوب الكفارة على من ارتكب محظوراً من محظورات الإحرام .. ٣٤٨
وجوب الهدي على من أحرم بعمرة في أشهر الحج وأقام
في مكة ٣٤٨
من تعرض للإحصار وجب عليه ذبح شاة في المكان
الذي تم إحصاره فيه ٣٤٨
تفسير قوله تعالى ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ ... ﴾ ١٩٧-١٩٩ ...... ٣٤٨
أحكام ومسائل الآيات ٣٥٤
بيان أشهر الحج ٣٥٤
تحريم الرفث والفسوق والجدال في الحج ٣٥٤

استحباب فعل الخيرات في الحج ٣٥٤
وجوب الاستعداد للحج ٣٥٤
عدم وجوب الحج على غير المستطيع ٣٥٤
جواز التجارة في موسم الحج ما لم تكن مانعة عن أداء الحج ... ٣٥٤
أحكام الوقوف بعرفة ٣٥٥
الدفع من عرفة إلى مزدلفة يكون بعد غروب الشمس
في يوم عرفة ٣٥٥
تحرير معنى الإفاضة ٣٥٥
استحباب ذكر الله عند المشعر الحرام ٣٥٥
تفسير قوله تعالى ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ ...﴾ ٢٠٠-٢٠٣... ٣٥٥
أحكام ومسائل الآيات ٣٥٩
وجوب ذكر الله مع كل حصاة عند رمي الجمار ٣٥٩
وجوب المبيت بمنى أيام التشريق ٣٥٩
تخيير الحاج للتعجل في يومين أو التأخر ٣٥٩
الأمر بتقوى الله، واستشعار عظمته، وتذكر يوم القيامة ٣٥٩
تفسير قوله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ...﴾ ٢٠٤- ٢٠٦.. ٣٥٩
أحكام ومسائل الآيات ٣٦١
وجوب التثبت والتدقيق في الأمور قبل قبولها ٣٦١
ما تتحدث عنه هذه الآيات من مظاهر النفاق عام وإن
كانت نزلت في الأخنس بن شريق ٣٦٢
تفسير قوله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ...﴾ ٢٠٧ .... ٣٦٢
أحكام ومسائل الآية ٣٦٤
تقرير فضل الجهاد في سبيل الله بالمال والنفس ٣٦٤

تفسير قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ ...﴾ ٢٠٨ - ٢١٠ .... ٣٦٤
أحكام ومسائل الآيات ٣٦٦
وجوب الدخول في الإسلام ٣٦٦
التحذير من اتباع خطوات الشيطان ٣٦٦
التحذير من الاستمرار على المعصية ٣٦٦
تقرير إتيان الله يوم القيامة في ظلل من الغمام ٣٦٦
تفسير قوله تعالى ﴿سَلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ...﴾ ٢١١ - ٢١٢ .... ٣٦٦
أحكام ومسائل الآيتين ٣٦٨
عقوبة من يبدل نعمة الله ٣٦٨
الحكم بأن الكفار يغترُّون بزينة الحياة الدنيا ومفاتنها ٣٦٨
المتقون سوف يسخرون من الكافرين ٣٦٨
تفسير قوله تعالى ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ ...﴾ ٢١٣ .... ٣٦٨
أحكام ومسائل الآية ٣٧٠
تقرير أن الناس كانوا أمة واحدة مؤمنة بالله غير مشركة ... ٣٧٠
الله أنزل التوراة ليبيِّن للناس أحكامه ٣٧٠
تفسير قوله تعالى ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ ...﴾ ٢١٤ .... ٣٧٠
أحكام ومسائل الآية ٣٧٢
الحكمة من ابتلاء الأمة بالشدائد ٣٧٢
تحريم سوء الظن في الله تعالى ٣٧٢
تفسير قوله تعالى ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ ...﴾ ٢١٥ .... ٣٧٢
أحكام ومسائل الآية ٣٧٤
بيان مصارف صدقة التطوع ٣٧٤

تفسير قوله تعالى ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ ...﴾ ٢١٦ .... ٣٧٤
أحكام ومسائل الآية.. ٣٧٦
بيان وجوب الجهاد في سبيل الله ٣٧٦
تفسير قوله تعالى ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ...﴾ ٢١٧-٢١٨ ...... ٣٧٦
أحكام ومسائل الآيتين...................................... ٣٨٢
نسخ القتال في الأشهر الحرم ٣٨٢
الإخبار عن بعض أهداف الكافرين ٣٨٢
من ارتد عن دينه حبط عمله ٣٨٢
تقرير فضل الهجرة والجهاد في سبيل الله ٣٨٢
تفسير قوله تعالى ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ...﴾ ٢١٩ .... ٣٨٢
أحكام ومسائل الآية.. ٣٨٥
تحريم الخمر والميسر ٣٨٥
النفقة تكون مما فضُلَ عن نفقة المنفق على نفسه ٣٨٥
تفسير قوله تعالى ﴿فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ...﴾ ٢٢٠ .... ٣٨٥
أحكام ومسائل الآية.. ٣٨٧
جواز تصرف كفيل اليتيم في ماله من أجل إصلاحه ٣٨٧
تفسير قوله تعالى ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ ...﴾ ٢٢١ .... ٣٨٧
أحكام ومسائل الآية.. ٣٨٩
تحريم نكاح المرأة المشركة ٣٨٩
جواز نكاح الكتابية ٣٨٩
تحريم نكاح المسلمة بغير مسلم مطلقاً ٣٨٩
عدم جواز تزويج المرأة نفسها ٣٨٩

تفسير قوله تعالى﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ..﴾ ٢٢٢ .... ٣٨٩
أحكام ومسائل الآية ٣٩١
تحريم جماع الزوجة أثناء الحيض ٣٩١
تحريم نكاح المرأة في دبرها ٣٩١
حث المسلم على الطهارة ٣٩١
تفسير قوله تعالى﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ..﴾ ٢٢٣ .... ٣٩١
أحكام ومسائل الآية ٣٩٣
جواز إتيان الرجل زوجته مقبلة ومدبرة إذا كانت في
صمام واحد ٣٩٣
تحريم وطء المرأة في دبرها ٣٩٣
تفسير قوله تعالى﴿ وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً
لِّأَيْمَـٰنِكُمْ ..﴾ ٢٢٤ .... ٣٩٣
أحكام ومسائل الآية ٣٩٤
عدم جواز الحلف بما يمنع أعمال البر ٣٩٤
تفسير قوله تعالى﴿ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ ..﴾ ٢٢٥ ..... ٣٩٤
أحكام ومسائل الآية ٣٩٥
عدم مؤاخذة العبد على أيمان اللغو وبيانها ٣٩٥
تفسير قوله تعالى﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ..﴾ ٢٢٦ - ٢٢٧ ..... ٣٩٦
أحكام ومسائل الآيتين ٣٩٧
تعريف الإيلاء ٣٩٧
أحكام الإيلاء ٣٩٧
تفسير قوله تعالى﴿ وَٱلْمُطَلَّقَـٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ..﴾ ٢٢٨ ... ٣٩٧
أحكام ومسائل الآية ٣٩٩

عدة المطلقة ٣٩٩
يحرم على المطلقة كتمان ما في رحمها ٣٩٩
التأكيد على الزوجة أن تتقي الله في مسألة العدة ٤٠٠
حق كل من الزوجين في حسن المعاشرة ٤٠٠
تفسير قوله تعالى ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ ...﴾ ٢٢٩ .... ٤٠٠
أحكام ومسائل الآية ٤٠٢
الطلاق المشروع مرتان ٤٠٢
وجوب إمساك الزوجة بالمعروف أو تسريحها بإحسان ٤٠٢
مشروعية الخلع ٤٠٢
وجوب الالتزام والتمسك بأحكام الله ٤٠٣
تفسير قوله تعالى ﴿فَإِن طَلَّقَهَا ...﴾ ٢٣٠ .... ٤٠٣
أحكام ومسائل الآية ٤٠٤
الطلاق البائن ٤٠٤
شروط الرجعة ٤٠٤
تحريم نكاح التحليل ٤٠٤
تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ...﴾ ٢٣١ .... ٤٠٤
أحكام ومسائل الآية ٤٠٦
على الزوج الإمساك بمعروف أو التسريح بمعروف
إذا قاربت زوجته المطلقة رجعياً نهاية عدتها ٤٠٦
تحريم الإضرار بالزوجات ٤٠٧
تحريم الهزو بأحكام الله ٤٠٧
تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ ...﴾ ٢٣٢ .... ٤٠٧

أحكام ومسائل الآية ٤٠٨

تحريم عضل الولي لموليته ٤٠٨

حق الولي في تزويج موليته ٤٠٨

عدم جواز تزويج المرأة نفسها ٤٠٩

تفسير قوله تعالى﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ...﴾ ٢٣٣ .... ٤٠٩

أحكام ومسائل الآية ٤١١

مدة إرضاع الولد ٤١١

على الأب نفقة ولده وكسوته ٤١٢

تحريم المضارة بين الأب والأم ٤١٢

جواز إرضاع الولد من مرضعة غير أمه ٤١٢

وجوب نفقة القريب المعسر ٤١٢

حق الحضانة للأم إلى حين بلوغ الصبي ما لم تتزوج ٤١٢

تفسير قوله تعالى﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ...﴾ ٢٣٤ .... ٤١٢

أحكام ومسائل الآية ٤١٤

مدة التربص للمتوفى عنها زوجها ٤١٤

أحكام المتوفى عنها زوجها ٤١٤

عدة الحامل ٤١٤

تفسير قوله تعالى﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم...﴾ ٢٣٥ .... ٤١٤

أحكام ومسائل الآية ٤١٦

وجوب التربص على الزوجة المتوفى عنها زوجها ٤١٦

حرمة النكاح على المرأة في مدة التربص ٤١٦

جواز التعريض لها بكلمات تحتمل معنى الخطبة ٤١٧

تحذير الله من فعل ما نهى عنه من التصريح بالزواج
قبل نهاية مدة العدة ٤١٧
تفسير قوله تعالى ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ... ﴾ ٢٣٦ .... ٤١٧
أحكام ومسائل الآية ٤١٨
وجوب المتعة للمطلقة قبل الدخول بها ٤١٨
تفسير قوله تعالى ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ ... ﴾ ٢٣٧ .... ٤١٨
أحكام ومسائل الآية ٤٢٠
مقدار مهر المطلقة قبل الدخول بها ٤٢٠
فضيلة العفو بين المطلقين ٤٢٠
تفسير قوله تعالى ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ ... ﴾ ٢٣٨ .... ٤٢٠
أحكام ومسائل الآية ٤٢٢
وجوب المحافظة على الصلوات ٤٢٢
أهمية صلاة العصر ٤٢٢
وجوب القنوت في الصلاة ٤٢٢
تفسير قوله تعالى ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ... ﴾ ٢٣٩ ..... ٤٢٢
أحكام ومسائل الآية ٤٢٣
كيفية الصلاة في حال الحرب ٤٢٣
تفسير قوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ ... ﴾ ٢٤٠ - ٢٤٢ .... ٤٢٣
أحكام ومسائل الآيات ٤٢٥
من مات عنها زوجها فلها الحق في البقاء في بيته مدة سنة.. ٤٢٥
للمطلقة حق في إمتاعها بالمعروف ٤٢٥
وجوب الإئتمار بما أمر الله به في أمور الطلاق والوصايا ٤٢٥

تفسير قوله تعالى﴿ أَلَمْ تَـرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ ...﴾ ٢٤٣ .... ٤٢٥

أحكام ومسائل الآية ٤٢٦

عدم جواز دخول المكان الذي حل به مرض وعدم
الخروج منه ٤٢٧

تفسير قوله تعالى﴿ وَقَـٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ... ﴾ ٢٤٤ .... ٤٢٧

أحكام ومسائل الآية ٤٢٨

القتال في سبيل الله من واجبات الإسلام ٤٢٨

أنواع الجهاد ٤٢٨

تفسير قوله تعالى﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ...﴾ ٢٤٥ .... ٤٢٨

أحكام ومسائل الآية ٤٢٩

الحث على الإنفاق في سبيل الله ٤٢٩

تفسير قوله تعالى﴿ أَلَمْ تَـرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ...﴾ ٢٤٦ - ٢٤٧ .... ٤٣٠

أحكام ومسائل الآيتين ٤٣٢

تقرير عدم وفاء بني إسرائيل بما عاهدوا عليه نبيهم ٤٣٢

تقرير حسد بني إسرائيل للملك الذي بعث إليهم ٤٣٣

صفات القائد ٤٣٣

الله يؤتي الملك بحكمته من يشاء ٤٣٣

تفسير قوله تعالى﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ ...﴾ ٢٤٨ .... ٤٣٣

أحكام ومسائل الآية ٤٣٤

حال الأمة التي تعصي الله وتتعدى حدوده ٤٣٤

تفسير قوله تعالى﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ ...﴾ ٢٤٩ .... ٤٣٤

أحكام ومسائل الآية ٤٣٦

وجوب طاعة الجند لقائدهم ٤٣٦
غلبة الفئة المؤمنة القليلة على الفئة الكثيرة غير المؤمنة ٤٣٦
فضل الصابرين والمحتسبين في الجهاد في سبيل الله ٤٣٦
تفسير قوله تعالى ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ ... ﴾ ٢٥٠ - ٢٥٢ ..... ٤٣٧
أحكام ومسائل الآيات.............................. ٤٤٠
فضيلة دعاء الله والاستعانة به عند لقاء العدو ٤٤٠
حكمة الله من دفع الناس بعضهم ببعض ٤٤٠
تفسير قوله تعالى ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا ... ﴾ ٢٥٣ .... ٤٤١
أحكام ومسائل الآية.............................. ٤٤٤
مسألة التفاضل بين الأنبياء ٤٤٤
تحذير الله من مغبة الاختلاف الذي فشا بين الأمم السابقة ... ٤٤٤
تفسير قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟... ﴾ ٢٥٤ .... ٤٤٥
أحكام ومسائل الآية.............................. ٤٤٦
الحث على الإنفاق في سبيل الله ٤٤٦
الذين كفروا بالله ورسوله هم الذين ظلموا أنفسهم ٤٤٦
تفسير قوله تعالى ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ... ﴾ ٢٥٥ ...... ٤٤٦
أحكام ومسائل الآية.............................. ٤٥٠
وجوب إقرار الخلق بربوبية الله وألوهيته وأسمائه وصفاته .. ٤٥٠
لا شفاعة إلا بإذن الله ٤٥٠
كل ما في السموات والأرض لله ٤٥٠
تفسير قوله تعالى ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ... ﴾ ٢٥٦ .... ٤٥٠
أحكام ومسائل الآية.............................. ٤٥٣

لا إكراه على الدخول في الإسلام ٤٥٣
تفسير قوله تعالى﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ..﴾ ٢٥٧ .... ٤٥٤
أحكام ومسائل الآية ٤٥٤
الحكم بأن من آمن بالله يتولاه ٤٥٤
تفسير قوله تعالى﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ ..﴾ ٢٥٨ ..... ٤٥٥
أحكام ومسائل الآية ٤٥٦
أهمية محاجة الكافرين والحكمة منها ٤٥٦
تفسير قوله تعالى﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ ..﴾ ٢٥٩ .... ٤٥٦
أحكام ومسائل الآية ٤٥٩
تحريم الشك في قدرة الله تعالى في إحياء الموتى ٤٥٩
وجوب الإقرار بأن قدرة الله لا تحد ٤٥٩
إعطاء الله لبعض عباده شيئاً من الخصوصية ٤٥٩
تفسير قوله تعالى﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ أَرِنِى ..﴾ ٢٦٠ .... ٤٥٩
أحكام ومسائل الآية ٤٦٢
نفي الشك عن نبي الله إبراهيم عليه السلام ٤٦٢
بيان الله لخلقه الهداية فيما ينفعهم ٤٦٢
تفسير قوله تعالى﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ
ٱللَّهِ ..﴾ ٢٦١ .... ٤٦٢
أحكام ومسائل الآية ٤٦٤
الترغيب في الإنفاق في سبيل الله ٤٦٤
الترغيب في الزراعة ٤٦٤

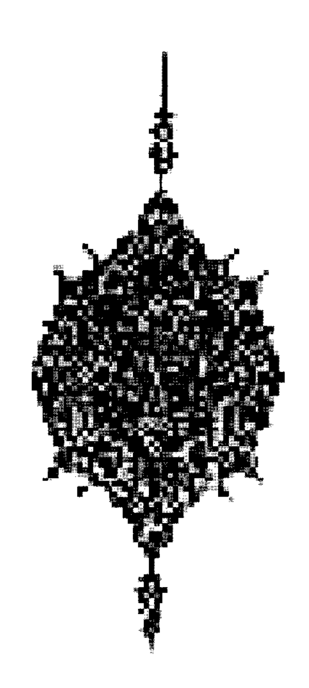
تفسير قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ... ﴾ ٢٦٢ - ٢٦٣ .... ٤٦٤
أحكام ومسائل الآيتين ٤٦٦
تحريم المن والأذى في الصدقات ٤٦٦
الترغيب في الكلمة الطيبة ٤٦٦
تفسير قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ... ﴾ ٢٦٤ .... ٤٦٦
أحكام ومسائل الآية ٤٦٩
تأكيد الله لحرمة المن بالصدقة ٤٦٩
إبطال أجر المان في الصدقات ٤٦٩
تحريم الرياء في الإنفاق ٤٦٩
تفسير قوله تعالى ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ... ﴾ ٢٦٥ .... ٤٦٩
أحكام ومسائل الآية ٤٧٠
حال العرب عند بداية نزول القرآن اقتضت ضرب الأمثال لهم ٤٧٠
الحكمة من ضرب الأمثال في القرآن الكريم ٤٧١
تفسير قوله تعالى ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ ... ﴾ ٢٦٦ .... ٤٧١
أحكام ومسائل الآية ٤٧٣
أهمية ضرب الأمثال في الدعوة إلى الله ٤٧٣
وجوب التفكر في آيات الله ٤٧٣

تفسير قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ ...﴾ ٢٦٧ .... ٤٧٣
أحكام ومسائل الآية ٤٧٥
وجوب الإنفاق من طيب ما كسب الإنسان ٤٧٥
وجوب الزكاة في الخارج من الأرض ٤٧٥
عدم جواز إخراج الرديء من المال في الزكاة ٤٧٥
تفسير قوله تعالى ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ...﴾ ٢٦٨ .... ٤٧٥
أحكام ومسائل الآية ٤٧٧
وجوب الابتعاد عن الشيطان ومجاهدته ٤٧٧
معنى الحكمة عند المفسرين ٤٧٧
تفسير قوله تعالى ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ...﴾ ٢٦٩ ..... ٤٧٧
أحكام ومسائل الآية ٤٨٧
المعنى الشمولي للحكمة ٤٨٧
قواعد الحكمة في الإسلام ٤٨٧
تفسير قوله تعالى ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ ...﴾ ٢٧٠ — ٢٧١ .... ٤٨٧
أحكام ومسائل الآيتين ٤٩٠
النفقة والنذر لا يكون إلا لله ٤٩٠
حكم إعطاء الصدقة وكيفية دفعها ٤٩٠
الفرق بين صدقة الفرض وصدق التطوع وحكم
إظهارها أو إسرارها ٤٩٠
تفسير قوله تعالى ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ ...﴾ ٢٧٢ .... ٤٩٠
أحكام ومسائل الآية ٤٩٢
جواز دفع صدقة النفل لغير المسلم ٤٩٢

تفسير قوله تعالى ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا...﴾ ٢٧٣ ...... ٤٩٢
أحكام ومسائل الآية ٤٩٤
فضل الصدقة على فقراء المسلمين ٤٩٤
جواز التصدق على غير المسلم إذا كان محتاجاً ٤٩٤
ذم السؤال ومدح العفاف ٤٩٤
تفسير قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم...﴾ ٢٧٤ ...... ٤٩٥
أحكام ومسائل الآية ٤٩٦
أهمية الصدقة في الليل والنهار أو في الجهر والسر ٤٩٦
بيان أجر المتصدقين عند الله تعالى ٤٩٦
تفسير قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا ...﴾ ٢٧٥-٢٧٧ ...... ٤٩٦
أحكام ومسائل الآيات ٥٠٠
تحريم الربا وضرره ٥٠٠
نفي المماثلة بين البيع والربا ٥٠١
من علم بتحريم الربا ثم انتهى عنه فله ما سلف ٥٠١
بيان أن الربا مما يمحقه الله ويذهب بركته ٥٠١
ثناء الله على المؤمنين الذين يعملون الصالحات،
وينتهون عن الربا ٥٠١
تفسير قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا ...﴾ ٢٧٨ - ٢٧٩ ...... ٥٠١
أحكام ومسائل الآيتين ٥٠٣
أمر الله للمؤمنين بالتوبة من الربا ٥٠٣
آكل الربا يعد محارباً لله ولرسوله ٥٠٣

تفسير قوله تعالى ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ...﴾ ٢٨٠ .... ٥٠٤
أحكام ومسائل الآية ٥٠٦
وجوب إنظار المعسر إلى أن يكون له ميسرة ٥٠٦
تعرف العسرة بعدم وجود مال لدى المدين ٥٠٦
تفسير قوله تعالى ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ...﴾ ٢٨١ .... ٥٠٦
أحكام ومسائل الآية ٥٠٧
وجوب الخوف من يوم القيامة والاستعداد له ٥٠٧
تفسير قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم...﴾ ٢٨٢ .... ٥٠٧
أحكام ومسائل الآية ٥١٥
وجوب كتابة الدين وتحديد أجله ٥١٥
وجوب الإشهاد في الدين ٥١٦
تفسير قوله تعالى ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَى سَفَرٍ...﴾ ٢٨٣ .... ٥١٧
أحكام ومسائل الآية ٥٢٠
جواز الرهن في السفر والحضر ٥٢٠
التحذير من كتمان الشهادة ٥٢٠
تفسير قوله تعالى ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ...﴾ ٢٨٤ .... ٥٢٠
أحكام ومسائل الآية ٥٢٢
الحكم بأن لله كل ما في السماوات والأرض ٥٢٢
الله يعلم ما يبديه العبد وما يخفيه من الخير والشر ٥٢٢
تفسير قوله تعالى ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ...﴾ ٢٨٥ .... ٥٢٣
أحكام ومسائل الآية ٥٢٤
تقرير أركان الإيمان ٥٢٤

وجوب الإيمان بالرسل دون تفريق ٥٢٤
وجوب السمع والطاعة لله ٥٢٤
تفسير قوله تعالى ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ...﴾ ٢٨٦ .... ٥٢٤
أحكام ومسائل الآية ٥٢٦
عدم تكليف الله العبد بما لا يسعه وشرح ذلك ٥٢٦
كل نفس تجزى بما عملت ٥٢٧
عدم مؤاخذة الله العبد على النسيان فيما يتعلق بحقوقه ٥٢٧
حقوق العباد لا تسقط بالنسيان ٥٢٧



ترجمة المؤلف (*)

حفظ القرآن عن ظهر قلب على يد والده -رحمه الله- وهو في الثامنة من العمر ثم قرأه على الشيخ محمد عبد الرزاق حمزه - رحمه الله - في الحرم المكي، ولازم في صغره عدداً من مشايخ المملكة العربية السعودية منهم: الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ والشيخ عبدالعزيز بن باز -رحمهما الله- ثم درس في معهد إمام الدعوة.

والتحق بعد ذلك بكلية الحقوق في جامعة دمشق وكان أستاذه في الفقه الشيخ الفقيه مصطفى الزرقا -رحمه الله- وبعد نيله شهادة الليسانس سجل للدراسة في المعهد العالي للقضاء لنيل الشهادة العليا، ولظروف عمله في شعبة المستشارين بمجلس الوزراء ابتعث لأمريكا فحصل على ماجستير في الحقوق المقارنة (MCL) من جامعة جورجتاون (George Town)، ثم حصل على ماجستير أخرى (LL.M) في الحقوق من جامعة تولين (Tulane)، ثم حصل على درجة الدكتوراه (SJD) في علم القضاء من جامعة (Duke) .

عين بعد ذلك مستشاراً في ديوان رئاسة مجلس الوزراء ثم مستشاراً في الديوان الملكي بدرجة وزير .

أسس «**مجلة البحوث الفقهية المعاصرة**» عام ١٤٠٩هـ .

له من الكتب :

- الرسائل الخمس في فقه أركان الإسلام .

(*) هو: عبد الرحمن بن حسن بن عبد الرحمن بن علي بن حسين بن علي بن عبد الرحمن النفيسه، وآل النفيسه من العفسة من بريه من واصل من قبيلة مطير.

- رسالة في فقه الشهادتين.

- رسالة في الفحص الطبي قبل الزواج .

- رسالة في فقه الحجاب .

- رسالة إلى أهل السنة والجماعة في جنوب الهند .

- الحجة النبوية وما فيها من الأحكام .

- سلسلة رسائل ومسائل في الفقه .

الجزء الأول: كتاب العقيدة.

الجزء الثاني: كتاب الطهارة - كتاب الصلاة.

الجزء الثالث: كتاب الزكاة - كتاب الصوم - كتاب الحج.

الجزء الرابع: كتاب البيوع والمعاملات.

الجزء الخامس: كتاب النكاح وأحكام الأسرة.

الجزء السادس: كتاب الفقه وأصوله وكتاب القضاء.

الجزء السابع: كتاب الجنايات والحدود وكتاب الضرر والمسئولية.

الجزء الثامن: كتاب الطب وكتاب الأطعمة والأشربة.

- رسالة في حكم علاج السحر بسحر مثله .

- رسالة في مسألة الردة وما يقال عن حرية الاعتقاد .

- رسالة في الزيادة التي تدفعها البنوك في البلاد غير الإسلامية وما إذا كانت تجوز للمسلم .

- رسالة في فقه الفتن.

مطابع دار البحوث الرياض
٤٨٥٢٦٦٣